١ ـ أيام العرب والفرس

وتشتمل على ما يأتى :

١ — يوم الصفقة .

٢ — يوم ذى قار .

(١) يوم الصَّفقة *

قال ابنُ الكلبي :

بَعث كسرى أنو شروان(١) إلى عامله(٢) باليمن بعيرٍ تحمل نَبْعًا(٣) ، وكانت عِير كسرى تُبذْرَق(٤) من المدائن حتى تُدْفع إلى النعمان بن المنذر بالحِيرة ، والنعمان يُبذرقها بخفراء من بني ربيعة حتى تُدْفع إلى هَوْذة بن علي الحنفي باليمامة فيُبذرقها حتى يُخرجها من أرض بني حنيفة ثم تُدفع إلى تميم ، وتجعل لهم جِعَالة(٥) فتسير بها إلى أن تبلغ اليمن ، وتسلَّم إلى عمَّال كسرى باليمن .

ولما بعث كسرى بهذه العِير ووصلت إلى اليمامة قال هَوْذة بن علي للأَساورة(٦) الذين يرافقونها : انظروا الذي تجعلونه لبني تميم فأعطونيه ، وأنا أكفيكم أمرهم ، وأسير بها معكم حتى تبلغوا مأمنكم .

وخرج هوذة والأَساوِرَة والعِير معهم من هَجَر(٧) ، حتى إذا كانوا بِنِطَاع(٨)

---

* لكسرى على تميم ، وسمى الصفقة ، لأن كسرى أصفق الباب على بني تميم في حصن المشقر ، ويسمى أيضاً يوم المشقر ، والمشقر حصن بالبحرين .

الأغاني ص ٧٥ ج ١٦ ، معجم البلدان ص ٣٦٨ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣٥٤ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٢٧٥ ج ١ ، تاريخ الطبري ص ١٣٣ ج ٢ ، العرب قبل الإسلام ص ٢٢٥

(١) هو كسرى أنو شروان بن قباذ ، من أشهر ملوك الفرس وأعظمهم ذكراً ، وكان نبيلا طاهراً ، هلك لثمان وأربعين سنة من دولته (٢) هو وهرز القائد الشجاع الذي أرسله كسرى مع سيف بن ذي يزن لتطهير اليمن من الجيش (٣) النبع : شجرٌ للقسي وللسهام ينبت في قلة الجبل (٤) البذرقة : الخفارة (٥) الجعالة (مثلثة) : ما يجعل على العمل (٦) الأساورة : جمع أسوار ، وهو القائد من الفرس (٧) هجر : اسم لأرض البحرين (٨) نطاع : اسم لواد باليمامة .

بلغ بني تميم ما صنع هوذة ؛ فساروا إليهم وأخذوا ما كان معهم ، واقتسموه ؛ وقتلوا عامّة الأساورة وسلبوهم ، وأسروا هوذة بن عليّ ، فاشترى هوذةُ نفسه بثلاثمائة بعير ، فساروا معه إلى هَجَر ، وأخذوا منه فِدَاءه[1] .

وعند ذلك عمد هوذة إلى الأساورة الذين أطلقهم بنو تميم ــ وكانوا قد سُلِبُوا ــ فكساهم وحملهم ، ثم انطلق معهم إلى كسرى ــ وكان هوذة رجلاً جميلاً شجاعاً لبيباً ــ فدخل عليه وقصّ عليه أمرَ بن تميم وما صنعوا ، فدعا كسرى بكأس من ذهب فسقاه فيها ، وأعطاه إياها ، وكساه قَباء[2] ديباج منسوجاً بالذهب واللؤلؤ ، وقَلَنْسُوَةً قيمتها ثلاثون ألف درهم ، ودعا بعِقْدٍ من درّ فعُقِدَ على رأسه[3] .

ثم إنه سأله عن ماله ومعيشته فأخبره أنه فى عَيْش رغد ، وأنه يغزو المغازى فيصيب ؛ فقال له كسرى : كم وَلَدُكَ ؟ قال : عشرة . قال : فأيُّهم أحبُّ إليك ؟ قال : غائبهم حتى يقدَم ، وصغيرهم حتى يكبُر ، ومريضهم حتى يَبْرَأ .

قال كسرى : الذى أخرج منك هذا العقل حَمَلَك على أن طلبتَ منى الوسيلة . ثم قال : ياهوذة ؛ رأيتَ هؤلاء الذين قتلوا أساورتى ، وأخذوا مالى ؟ أبينك وبينهم صلح ؟ قال هوذة : أيها الملك ؛ بينى وبينهم حَسَاء[4] الموت ، وهم قتلوا أبى ، فقال كسرى : قد أدركتَ ثأرك ، فكيف لى بهم ؟ قال هوذة : إن أرضهم لا تطيقها

---

(١) فى ذلك يقول الشاعر :

ومنا رئيس القوم ليلة أدلجوا ... بهوذة مقرون اليدين إلى النحر

وردنا به نخل اليمامة عانياً ... عليه وثاق القد والحلق السمر

(٢) القباء : ثوب يلبس فوق الثياب (٣) سمى لذلك هوذة ذا التاج (٤) حساءُ الموت : تجرع الموت .

أساورتك ، وهم يمتنعون بها ؛ ولكن احبِسْ عنهم المِيرة ، فاذا فعلتَ ذلك بهم سَنَةً أرسلتَ معى جنداً من أساورتك ، فأُقيم لهم السوق ، فإنهم يأتونها ، فتصيبُهم عند ذلك خَيْلُكَ .

فعل كسرى ذلك ، وحبس عنهم المِيرة فى سَنَةٍ مُجْدِبة ، ثم أرسل إلى هوذة فأتاه ، فقال : إيت هؤلاء فاشفِنى منهم واشْتَف . وأرسل معه ألفاً من الأساورة بقيادة رجل يقال له المُكَعْبِر[1] ؛ فساروا حتى نزلوا المُشَقَّر[2] من أرض البحرين ، وبعث هوذة إلى بنى حنيفة فأتوه فدَنَوْا من حيطان المشقَّر ؛ ثم نودى : إن كسرى قد بلغه الذى أصابكم فى هذه السنة ، وقد أمر لكم بمِيرة ، فتعالَوا فامْتَارُوا .

فانصبَّ عليهم الناس ، وكان أعظم من أتاهم بنو سعد[3] ؛ فجعلوا إذا جاءوا إلى باب المشقَّر أدخلوا رَجلاً رجلاً ، حتى يذهب به إلى المُكَعْبِر فتضرب عنقه ، وقد وضع سلاحه قبل أن يدخلَ ، فإذا مرَّ رجل من بنى تميم بينه وبين هوذة إخاء أو رجل يرجوه ، قال للمكعبر : هذا من قومى فيخلِّيه له ، فنظر خَيْبَرى بن عبادة إلى قومه يدخلون ولا يخرجون ، فقال : ويلكم ! أين عقولُكم ؟ فوالله ما بعد السَّلْب إلاّ القتل ، وتناول سيفاً ، وضرب سِلْسِلة كانت على باب المشقَّر ، فقطعها

(١) كان المكعبر عامل كسرى على البحرين ، واسمه بالفارسية آزاذ فردز بن جشنس ، وسمته العرب المكعبر : لأنه كان يقطع الأيدى والأرجل ، وآلى ألا يدع من بنى تميم عيناً تطرف فعل .

(٢) المشقر : حصن حياله حصن يقال له الصفا ، وبينهما نهر يقال له : محلم (بتشديد اللام) ، بناه رجل من أساورة كسرى يقال له بسك بن ماهبوذ

(٣) بنو سعد : بطن من تميم .

وقطع يدَ رجل كان واقفاً بجانبها ، فانفتح الباب ؛ فإذا النـاس يُقتلون ، فثارت بنو تميم (١) .

فلمـا علم هوذةُ أن القوم قد نَذِروا به كلم المـكعبِر فى مائةٍ من خِيارهم ، فوهبهم له يوم الفِصْحِ (٢) .

---

(١) هــذه رواية العقد الفريد ، وفى الطبرى : إن الذى قطع السلسلة هو رجل من بنى تميم اسمه عبيد بن وهب أقدم على سلسلة الباب فقطعها وخرج فقال :

تذكرت هنداً لات حين تذكر	تذكرتها ودونهـا سير أشهر
حجـازية علوية حل أهلهـا	مصاب الخريف بين زور ومنور
ألا هل أتى قومى على النأى أننى	حميت ذمارى يوم باب المشقر
ضربت رتاج الباب بالسيف ضربة	تفرج منهـا كل باب مضبر

(٢) وفى ذلك يقول الأعشى يمدح هوذة :

سائل تميما به أيام صفقتهم	لمـا رآهم أسرى كلهم ضرعا
وسط المشقر فى غبراء مظلمــة	لا يستطيعون بعد الضر منتفعا
فقال للملك أطلق منهم مائة	رسلا من القول مخفوضاً وما رفعا
ففك عن مائة منهم إسارهم	وأصبحوا كلهم من غلة خلعا
بهم تقرب يوم الفصح ضاحية	يرجو الإله بما أسدى وما صنعا
فلا يرون بذاكم نعمــة سبقت	إن قال قائلها حقاً بهـا وسعا

(٢) يوم ذى قار*

كان منزل أيُّوب[١] بن مَحْرُف فى اليمامة فى بنى امرىء القيس بن زيد مناةَ ، فأصَابَ دماً فى قومه ، فهرَب ، ولحق بأَوْس بن قَلَّام[٢] الحارِثى بالحِيرَة ، وكان بينهما نَسَبٌ مِن قِبَل النِّساء ، فلما قدم عليه أكرمه ، وأنزله فى داره ، فمكث معه ما شاء الله أن يمكث .

ثم إن أوْساً قال له : يا بْنَ خال ؛ أتريد المقامَ عندى وفى دارى ؟ فقال له : نعم ، لقد علمتُ أنى إن أتيت قومى ، وقد أصبْتُ فيهم دماً ، لم أسْلَم ، ومالى دارٌ إلا دارُك آخر الدهر . قال أوس : إنى قد كبِرْت وأنا خائف أن أموتَ فلا يعرِفُ ولدى لك من الحقّ مثل ما أعْرف ، وأخشى أن يقعَ بينك وبينهم أمرٌ يقطعون فيه الرَّحِم ، فانظر أحبَّ مكان فى الحيرة إليك فأعلمنى به لأُقْطِعكَه أو أبتاعه لك . فاختار موضعاً فى الجانب الشرقىّ من الحيرة ، فابتاعه له بثلاثمائة أوقية من ذهب ، وأنفق عليه مائتى أوقية ذهباً ، وأعْطَاه مائتين من الإبل برِعائها وفرساً وقَيْنة[٣] . فمكث فى منزل أوس حتى هلك ؛ ثم تحَوَّل إلى داره بعد مَهْلَك أوس ،

---

* لبكر على العجم . ووقعة ذى قار كانت وقد بعث النبى صلى الله عليه وسلم وخبر أصحابه بها فقال : اليوم أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبى نصروا . وذو قار ماء لبكر قريب من الكوفة . ويعد هذا اليوم من مفاخر بكر .

العقد الفريد ص ٣٧٤ ج ٣ ، تاريخ الطبرى ص ١٤٨ ج ٢ ، ابن الأثير ص ٢٨٩ ج ١ ، الأغانى ص ٩٧ ج ٢ (طبعة دار الكتب) ص ١٣٢ ج ٢٠ طبعة الساسى ، خزانة الأدب ص ٣٤٣ ج ١ ، النقائض ص ٦٣٨ (طبع أوربا) ، معجم البلدان ص ٣٥٢ ج ٣ ، ص ٨ ج ٧

(١) روى عن ابن الأعرابى أنه أول من سمى أيوب من العرب .

(٢) هكذا ضبط فى الأغانى ، وفى الأعلام للزركلى ضبط بضم القاف (٣) القينة : الأمة .

واتَّصل بالملوك الذين كانوا بالحيرة ؛ وعرفوا له حقَّه وحقَّ ابنه زيد ، ولم يكن منهم مَلِك يَملكُ إلا ولِوَلَدِ أيوب منه جوائز وَحُملان(١) .

ثم إنَّ زيدَ بن أيوب تزوَّج امرأة من آل قلَّام ، فولدت حمَّاداً ، ثم خرج زيد يوماً من الأيام يريدُ الصَّيْدَ في ناسٍ من أهل الحِيرة ، وهم مُنْتَدُونَ(٢) بحَفِير ، فانفَرَد في الصيد ، وتباعد من أصحابه ، فلقيه رجل من بنى امرئ القيس الذين كان لهم الثأْر قِبَلَ أبيه ، فقال له — وقد عرف فيه شَبَهَ أيوب — مِمَّن الرجل ؟ قال : من بنى تميم . قال : من أيِّهم ؟ قال : مَرَئى(٣) . قال له الأعرابى : وأين منزلك؟ قال : الحيرة . قال : أمِن بنى أيوب أنت ؟ قال : نعم ، ومِنْ أين تعرف بنى أيوب ؟ واستَوْحش من الأعرابى ، وذكَرَ الثأرَ الذى هرب أبوه منه ؛ فقال له : سمعتُ بهم، ولم يُعلمه أنه قد عرفه . فقال له زيد : فمن أىِّ العرب أنتَ ؟ قال : أنا امرؤ من طيِّئ ، فأَمِنَهُ زيد وسكت عنه . ثم إن الأعرابى تغفَّل زيداً ، فرماه بسهم فوضعه بين كتفيه ففَلَق قلبه ، فلم يَرِمْ(٤) حافرُ دابَّته حتى مات .

ولبث أصحابُ زيد ، حتى إذا كان الليلُ طلبوه ؛ وقد افتقدوه ، وظنُّوا أنه قد أَمْعَنَ فى طلب الصيد ، فباتوا يطلبونه حتى يَئِسوا منه ، ثم غدَوْا فى طلبه ، فاقتَفَوْا أثره حتى وقفوا عليه ، ورأوا معه أثر راكب يُسَايره ، فاتَّبعوا الأثر حتى وجدوه قتيلاً ؛ فعرفوا أن صاحب الرَّاحلة قتله ، فاتَّبعوه ، وأغذُّوا السير ؛ فأدركوه مساء الليلة الثانية ، فصاحوا به ، وكان من أرمى الناس ؛ فامتنع منهم بالنَّبْل ، حتى حال الليلُ بينه وبينهم ؛

(١) الحملان : ما يحمل عليه من الدواب فى الهبة خاصة (٢) انتدى القوم : اجتمعوا ؛ وحفير : موضع بالحيرة ، ذكره عدى بن زيد فى شعره ، قال :

قد أرانا وأهلنا بحفير   نحسب الدهر والسنين شهوراً

(٣) مرئى : نسبة إلى امرئ القيس (٤) لم يرم : لم يبرح .

وقد أصاب رجلاً منهم فى مَرْجع[1] كتفيه بسهم ، فلما أجنَّه الليلُ مات وأفلت الرَّامى ، فرجعوا وقد قُتلَ زيدٌ ورجلٌ آخر معه .

فمكث حمَّاد بن زيد فى أخواله حتى أيْفَع[2] ، ولحق بالوُصَفاء[3] ، ثم تحوَّل إلى دار أبيه ؛ وتعلَّم الكتابة فيها ، فكان أولَ من كتب من بنى أيوب ، وخرج من أكْتَب الناس ؛ وطُلب حتى صار كاتب النُّعمان الأكبر[4] ؛ فلبث كاتباً له ؛ حتى وُلدَ له ابنُه زيد ؛ وكان لحمَّاد صديق من الدَّهاقين[5] ، ولما حضرتْه الوفاة أوصى بابنه زيد إلى الدِّهْقان ، فأخذه إليه فكان مع ولده ، وكان زيد قد حذِق الكتابة والعربيَّة قبل أن يأخذه الدُّهْقان ، فلما أخذه علَّمه الفارسية فلقِنها .

ثمَّ إنَّ الدُّهْقان أشار على كسرى أن يجعلَ زيداً على البريد فى حوائجه ، ولم يكن كسرى يفعلُ ذلك إلا بأولاد المَرازِبة[6] ، فمكث يتولَّى ذلك لكسرى زماناً. ثم إن النُّعمان هلك ، فاختلف أهلُ الحيرة فيمن يملِّكونه إلى أن يعقِد كسرى الأمر لرجل يُنَصِّبه ، فأشار عليهم الدُّهْقان بزيد بن حمَّاد : فكان على الحيرة إلى أن ملَّك كسرى المنْذر بن ماء السماء[7] .

ثم إن زيداً تزوَّج نعمةَ بنت ثَعْلبة العدَويَّة ، فولدت له عديًّا ، ووُلد للدِّهقان ابن سماه شاهَان مَرْد ، فلما تحرَّك عدى بن زيد وأيْفع طرَحه أبوه فى الكُتَّاب ،

(١) مرجع كتفيه : أسفلهما (٢) أيفع : يقال : أيفع الغلام إذا شارف الاحتلام .
(٣) الوصفاء : جمع وصيف وهو الغلام دون المراهق (٤) هو النعمان بن امرئ القيس حكم ثمانية وعشرين عاماً ، وترك الملك سنة ٤٣١ م (٥) الدهاقين : جمع دهقان وهو التاجر
(٦) المرزبان : أحد مرازبة الفرس ، وهو الفارس الشجاع المقدم على القوم (٧) هو المنذر بن امرئ القيس ، وماء السماء اسم أمه ، وكان أشهر ملوك الحيرة ، وهو صاحب يومى النعيم والبؤس توفى سنة ٥٦٣ م .

حتى إذا حَذِق أرسله الدِّهقان مع ابنه إلى كُتَّاب الفارسية ، فكان يختلف إليه مع ابنه، ويتعلَّم الكتابة والكلام بالفارسية ، حتى خرج من أفهم الناس وأفصحهم بالعربية ؛ وقال الشعر ، وتعلَّم الرَّمى بالنُّشاب ، فخرج من الأساوِرة[١] الرُّماة ، وتعلَّم لِعْبَ العَجَم على الخيل بالصَّوالجة[٢] وغيرها .

ثم إن الدُّهقان وفد على كسرى ومعه ابنه شاهان مرد ، فأثبته كسرى مع سائر أولاد الدَّهاقين فى صحابته ؛ فقال الدِّهقان لكسرى : إن عندى غلاماً[٣] من العرب خَلَّفه أبوه فى حِجْرى فربَّيْتُه ؛ فهو أفصحُ الناس وأكتبُهم بالعربية والفارسية ، والملكُ محتاجٌ إلى مِثله ؛ فإن رأى أن يُثْبته مع ولدى فعل ، فقال : ادْعُه ، فأرسل إلى عدىّ ، وكان جميلَ الوجه فائقَ الحسنِ ، وكانت الفُرْسُ تتبرَّك بالوجه الجميل ؛ فلما كلَّمه وجده أظرفَ الناس وأحضرَهم جواباً ، فرغب فيه ، وأثبته مع ولد الدُّهقان ، فكان عدىٌ أول من كتب بالعربية فى ديوان كسرى .

فرغب أهلُ الحِيرة إلى عدىّ ورَهِبوه ، ولم يزل بديوان كسرى فى المدائن يُؤْذَنُ له عليه فى الخاصَّة ، وهو مُعجب به قريب منه ؛ وأبوه زيد يومئذ حىٌّ ، إلا أنَّ ذِكر عدىّ قد ارتفع وخمَل ذِكر أبيه ، فكان عدىٌّ إذا أراد المقام بالحيرة استأذن كسرى ، فأقام فى أهله الشهرَ والشهرين ، وأكثر وأقلّ ، ثم يعود .

ثم إن كسرى أرسله إلى ملك الروم بهديَّة من طُرَف ما عنده ، فلما أتاه عدىّ بها أكرمه ، وحمله إلى عمَّاله على البريد ليريه سعَة أرضه ، وعظيم مُلكه ؛ وكذلك كانوا يصنعون ؛ فمن ثم وقع عدىّ بدمشق ، وقال فيها الشعر . وكان مما قال :

---

(١) الأساورة : جمع أسوار ، وهو الجيد الرمى بالسهام (٢) الصوالجة : جمع صولجان ، وهو عصا يعطف طرفها يضرب بها الكرة على الدواب (٣) يريد عدى بن زيد .

رُبَّ دارٍ بأسفل الجزْع من دُو مَةَ(١) أشهى إليَّ من جيْرُون(٢)
ونَدَامَى لا يفرحون بما نا لُوا ولا يرْهَبُونَ صَرْفَ المَنُونِ
قد سُقِيتُ الشَّمُولَ فى دار بِشْرٍ قَهْوَةً مُزَّةً(٣) بماء سخين

وفسد أمرُ الحيرة ، وعدىٌّ بدمشق ؛ حتى أصلح أبوه زيد بينهم ؛ إذ أن أهل الحيرة حين كان عليهم المنذر أرادوا قتله ؛ لأنه كان لا يعدِلُ فيهم ؛ وكان يأخذهن أموالهم ما يُعْجِبه ؛ فلما تيقّن أن أهلَ الحيرة قد أجمعوا على قتله بعث إلى زيد ، فقال له : يا زيد ؛ أنت خليفةُ أبى ، وقد بلغنى ما أجمعَ عليه أهلُ الحيرة ، فلا حاجة لى فى مُلككم ، دونكموه ، ملّكوه مَنْ شِئتم . فقال زيد : إن الأمرَ ليس إلىَّ ، ولكنى أسيرُ لك هذا الأمْر ، ولا آلوك نصحاً .

فلما أصبح غدا إليه الناس فحيّوه تحيةَ المُلك ، وقالوا له : ألَا تبعثُ إلى عبدك الظالم (يعنون المنذر) فتريح منه رعيَّتك ؟ فقال لهم : أوَ لَا خيرٌ من ذلك ؟ قالوا : أشِرْ علينا ! قال : تدَعونه على حاله ، فإنه من أهل بيتِ مُلْك ، وأنا آتيه فأخبره أن أهل الحيرة قد اختاروا رجلاً يكون أمرُ الحيرة إليه ، إلا أنْ يكون غزْوٌ أو قتال ، فلك اسمُ الملك ، وليس إليك سوى ذلك من الأمور . قالوا : رأيُكَ أفضل .

فأتى المنذرَ فأخبره بما قالوا ، فقبِل ذلك وفرح ، وقال : إن لك يا زيدُ علىَّ نعمةً لا أكفُرها ماعرفت حق سَبَدَ(٤) . فولَّى أهلُ الحيرة زيداً على كل شىء سوى اسم المُلك فإنهم أقرُّوه للمنذر .

ثم هلك زيد ، وعدىٌّ بالشام ، وكان لزيد ألفُ ناقة للحَمالات(٥) ، كان

(١) دومة : من منازل جذيمة الأبرش (٢) جيرون : بناء عند باب دمشق (٣) المزة : الخمر اللذيذة الطعم (٤) سبد : صنم كان لأهل الكوفة (٥) الحمالات : جمع حمالة (بالفتح) وهى الدية والغرامة التى يحملها قوم عن قوم .

أهلُ الحيرة أعطَوه إياها حين ولَّوه ما ولَّوْه ؛ فلما هلك أرادوا أخذها ، فبلغ ذلك المنذر ، فقال : لا ، واللاتِ والعُزَّى لا يُؤخذ ممَّا كان فى يدِ زيد ثُفْرُوق[١] ، وأنا أسمع الصوت .

ثم إن عديًّا قدم المدائن على كسرى بهديَّة قيصر ، فصادف أباه والدِّهْقَان الذى ربَّاه قد هلكا جميعًا ، فاستأذن كسرى فى الإلمام بالحيرة ، فأذن له ، فتوجَّه إليها ، وبلغ المنذر خبرُه ، فخرج فتلقَّاه فى الناس ، ورجع معه ، وعدى أنبل أهل الحيرة فى أنفسهم ، ولو أراد أن يملِّكوه لملَّكوه ، ولكنه كان يؤْثر الصَّيد واللَّهوَ واللعب على الملك ، فمكث سنين يَبْدو[٢] فى فصلى السنة ، فيقيم فى جَفير[٣] ويشتو بالحيرة ، ويأتى المدائن فى خلال ذلك ، فيخدُم كسرى ، ولم يزل على حاله تلك حتى تزوَّج هندا بنت النعمان بن المنذر ، وهى يومئذ جارية حين بلَغَتْ أو كادت .

٢

كان للمنذر ابنان : أحدهما النُّعمان ، وكان فى حِجر آل عدى بن زيد ، فهم الذين أرْضعوه وربَّوه ، وكان له ابن آخر فى حجر بنى مَرينا[٤] ، وكان له سواهما من الولد عشرة ، وكان يقال لولده الأشَاهب[٥] لجمالهم ، وكان النعمان من بينهم أحْمر أبْرَش[٦] قصيراً ، فلما احتُضِر المنذر أوصى بأولاده إلى إياس بن قَبِيصة

(١) قال الأصمعى : الثفروق : قمع التمرة والبسرة ، يكنى به عن القلة ، فيقال : ماله ثفروق ، أى ماله شىء (٢) يبدو : يخرج إلى البادية (٣) جفير : موضع بنجد (٤) بنو مرينا : قوم من أهل الحيرة من قبائل العباد (٥) الشهبة فى الأصل تطلق على البياض الذى يغلب على السواد ، وقد يطلق على مطلق البياض ، قال الأعشى فى بنى المنذر :

وبنى المنذر الأشاهب فى الحيرة يمشون غدوة كالسيوف

(٦) الأبرش : الذى يكون فيه بقعة بيضاء وأخرى أى لون كان .

الطائى ، وملّكه على الحيرة إلى أن يرى كسرى رأيه ، فمكث مملّكاً عليها أشهراً ، وكسرى بن هُرْمُز فى طلب رجل يملّكه عليهم ، فقال لعدىٍّ : مَن بقى من آل المنذر؟ وهل فيهم أحدٌ فيه خير ؟ فقال : نعمْ ، أيها الملك السعيد ، إن فى ولد المنذر لبقيّةً ، وفيهم كلُّهم خير ، فقال : ابعثْ إليهم فأحضِرْهم .

فبعث عدىٌّ إليهم فأنزلهم جميعاً عنده ، ثم قال للنعمان : لست أُملّك غيرك ، فلا يُوحشنَّك ما أفضّل به إخوتك عليك من الكرامة ، فإنى إنما أغترّهم بذلك ، ثم كان يفضل إخوته جميعاً فى النزُل والإكرام والمُلازمة ، ويُريهم تنقصًا للنعمان ، وأنّه غيرُ طامع فى تمام أمره على يده ، وجعل يخلُو بهم رجلاً رجلاً ، فيقول : إذا أدخلتكم على الملك فالبسوا أفخرَ ثيابكم وأجملها ، وإذا دعا لكم بالطعام لتأكلوا فتباطئُوا فى الأكل وصغّروا اللُّقَم ، ونزّروا ما تأكلون ، فإذا قال لكم : أتكْفُوننى العرب ؟ فقولوا : نعم ، فإذا قال لكم : فإن شذَّ أحدُكم عن الطاعة وأفسد أتكْفُوننيه ؟ فقولوا : لا ، إن بعضَنا لايقدرُ على بعض ؛ ليهابكم ولا يطمعَ فى تفرّقكم ، ويعلم أن للعرب منَعَةً وبأساً ، فقبِلُوا منه ؛ وخلا بالنعمان ، وقال له : الْبَس ثيابَ السفر ، وادخُل متقلداً سيفَك ، وإذا جلست للأكل فعظّم اللُّقم ، وأسرع المضغ والبَلْع ، وزدْ فى الأكل ، وتجوّع قبل ذلك ، فإن كسرى يعجبه الأكل من العرب خاصّة ، ويرى أنه لاخير فى العربى إذا لم يكن أكولاً شرِها ، ولا سيما إذا رأى غير طعامه ، وما لا عَهْد له به ، وإذا سألك : هل تكفينى العرب ؟ فقلْ : نعم ، فإذا قال لك : فمن لى بإخوتك ؟ فقل له : إن عجزتُ عنهم فإنى عن غيرهم لأعْجَز .

وخلا ابن مَرِينا بالأسْود أخيه فسأله عمّا أوصاه به عدى فأخبره . فقال : غشّكَ والصليبِ والمعْمُودِيّة ، وما نصَحَكَ ، ولئن أطعتَنى لتُخالِفنَّ كلَّ ما أمركَ به ،

ولتُملَّكَنَّ ، ولئِنْ عصيتنى ليُملَّكنَّ النعمان ؛ ولا يغرنَّكَ ما أراكه من الإكرام والتفضيل على النعمان ، فإن ذلك دهاء منه ومكر ؛ وإن هذه المعدِّيّة لا تخلو من مكر وحيلة . فقال : إن عديًّا لم يألُنى نُصْحًا ، وهو أعلم بكسرى منك ، وإن خالفته أوْحَشْتُهُ وَأَفْسَدَ عَلَىَّ ، وهو جاء بنا وَوَصَفَنا ، وإلى قوله يرجع كسرى . فلما أَيِسَ ابن مَرينا من قبوله منه قال : ستعلم .

ودعا بهم كسرى ، فلما دخلوا عليه أعجبه جَمالُهم وكلامُهم ، ورأى رجالاً قَلَّمَا رأى مثلهم ، فدعا لهم بالطعام فَفَعَلوا ما أمرهم به عدىّ ، فجعل ينظرُ إلى النعمان من بينهم ويتأمّل أكله ، فقال لعدىّ بالفارسية : إن يكن فى أحدٍ منهم خيرٌ ففى هذا . فلما غسلوا أيديهم جعل يدعو بهم رجلاً رجلاً فيقول : أتكفينى العربَ ؟ فيقول : نعم ، إلاَّ إخْوتى ، حتى انتهى إلى النعمان آخرهم ، فقال : أتكفينى العرب ؟ قال : نعم . قال : كلَّها ؟ قال : نعم . قال : فكيف لى بإخوتك ؟ قال : إن عجَزْتُ عنهم فإنى من غيرهم أعْجز . فملَّكه وخلع عليه ، وَأَلْبَسَهُ تاجاً قيمتُه ستُّون ألف درهم فيه اللؤلؤ والذَّهب .

فلما خرج ــ وقد مُلِّك ــ قال ابنُ مَرينا للأسود : دونك عُقْبَى خِلَافِكَ لِى . ثم صنع عدىُّ بن زيد طعاماً ، ودعا عدىَّ بن مَرينا إليه ، وقال : إنى عرَفتُ أن صاحبك الأسود كان أحبَّ إليك أن يُملَّك من صاحبي النعمان ، فلا تَلُمْنى على شىء كنتَ على مثله ، وإنى أحِبُّ ألا تحقِد علىَّ شيئاً لو قدرتَ عليه ركبتَه ، وإن نصيبى من هذا الأمر ليس بأوفر من نصيبك ، وحلف لابن مَرينا ألاَّ يهجوه ، ولا يبغيه غائلة أبداً . فقام ابن مَرينا وحلف أنه لا يزال يهجوه ويبْغيه الغوائل ما بَقِى ، وقال :

ألا أبلغ عديًّا عن عديّ ... فلا تجزعْ وإن رَثَّتْ(١) قُوَاكا
فإن تَظْفَرْ فلم تظفر حميداً ... وإن تَعْطَبْ(٢) فلا يَبْعُدْ سِواكا
نَدِمْتَ ندامةَ الكُسَعِيّ(٣) لما ... رأتْ عيناك ما صنعتْ يداكا

ثم قال عدى بن مَرينا للأسود : أما إذا لم تظفرْ فلا تعجزَنَّ أنْ تطلب بثأرك من هذا المَعَدِّى الذى فعلَ بك ما فعل ، فقد كنتُ أخْبرتُك أن مَعَدًّا لا ينام كيدُها ومكرُها ، وأمرتُكَ أن تَعْصِيه فخالَفْتَنِى . قال : فما تريد ؟ قال : أريد ألاّ تأتيك فائدةٌ من مالك وأرضك إلا عرضتَهَا علىّ ، ففعل .

وكان ابنُ مرينا كثيرَ المال والضَّيعة ، فلم يكن فى الدهر يومٌ يأتى إلا على باب النعمان هدية من ابن مَرينا ، وكان إذا ذُكِر عدى بن زيد عند النعمان أحسن الثناء عليه ، وشيّع ذلك بأن يقول : إن عدى بن زيد فيه مكر وخديعة ، والمَعَدِىّ لا يصلحُ إلا هكذا .

فلما رأى مَنْ يُطيفُ بالنعمان منزلةَ ابن مَرينا عنده لزموه وتابعوه ، فجعل يقولُ لمن يثق به من أصحابه : إذا رأيتمونى أذكر عديًّا عند الملك بخير فقولوا له : إنه لكذلك ، ولكنه لا يسلم عليه أحد ، وإنه ليقول : إن الملك — يعنى النعمان — عامله ، وإنه هو ولاّه ما ولاّه ؛ فلم يزالوا به حتى أضْغنوه عليه ؛ فكتبوا كتاباً على لسانه إلى قَهْرمان(٤) له ، ثم دسُّوا إليه حتى أخذوا الكتابَ منه ؛ وأتَوْا به النعمانَ فقرأه ؛ فاشتدَّ غضبُه ، فأرسل إلى عدىّ بن زيد : عزمتُ عليك إلا زُرتنى ،

(١) رثت : ضعفت (٢) عطب كفرح : هلك (٣) الكسعى منسوب إلى كسع ، وهو حى من قيس عيلان ، والكسعى رجل رام ، رمى بعد ما أظلم الليل عيراً فأصابه وظن أنه أخطأه ، فكسر قوسه ثم ندم من الغد حين نظر إلى العير مقتولا وسهمه فيه ، فصار مثلا لكل نادم على فعله (٤) القهرمان هنا : أمين الملك وخاصته عند الفرس .

فإنى قد اشتقتُ إلى رؤيتك ــ وعدىٌّ يومئذ عند كسرى ــ فاستأذنَ كسرى فأَذِنَ له؛ فلما أتاه لم ينظر إليه حتى حبَسه فى مَحْبِس لا يدخل عليه فيه أحد ؛ فجعل عدىٌّ يقول الشعر ، وهو فى الحبس ، فكان أول ما قاله وهو محبوس :

ليتَ شِعْرِى عن الهمام ويأتيـ ـك بخُبْرِ الأنباءِ عطفُ السُّؤال
أينَ عنّا إخطارُنا المالَ والأنـ ـفُس إذْ نَاهَدُوا ليومِ المِحالِ (١)
ونِضَالِى فى جنبكَ الناسَ يرمو ن وَأَرْمِى وكُلُّنَا غير آلِى (٢)
فأصيبُ الذى تريدُ بلا غشـ ـشٍ وأَرْبَى عليهمُ وَأُوَالِى
ليت أنّى أخَـذتُ حَتْفِى بكفَّـ ـىَّ ولم أَلْقَ مِيتَةَ الأقْتَالِ (٣)
مَحَلُوا مَحْلَهُمْ (٤) لِصَرْعَتِنَا العا مَ فقد أوقعوا الرّحَا بالثِّفَالِ (٥)

وقال :

سعى الأعداء لا يألون شرًّا عَلَىَّ وربِّ مكةَ والصليبِ
أرادوا كى تُمَهَّلَ عن عَدِىٍّ ليُسجنَ أو يُدَهْدَهَ فى القَليبِ (٦)
وكنتُ لِزازَ (٧) خصمك لم أُعَرِّدْ (٨) وقد سَلَكُوكَ فى يومٍ عصيبِ
أُعَالِنُهُمْ وأبطنُ كلَّ سِرٍّ كما بين اللِّحَاءِ إلى العَسيبِ (٩)
ففُزْتُ عليهمُ لمَّا التقَيْنَا بتاجِكَ فَوْزَةَ القِدْحِ الأَرِيبِ

---

(١) إخطار المال والأنفس : بذلها . والمناهدة : المناهضة فى الحرب ، والمحال : الكيد والمكر (٢) غير آل : غير مقصر (٣) الأقتال : جمع قتل وهو العدو (٤) يقال : محل فلان بصاحبه إذا سعى به إلى السلطان (٥) الثفال : الجلد الذى يبسط تحت رحا اليد ليقى الطحين من التراب (٦) دهده الشىء : حدره من علو إلى سفل ، والقليب : البئر (٧) أى لا أدع خصمك يخالف ويعاند (٨) عرد : هرب وفر (٩) العسيب : جريدة من النخل مستقيمة دقيقة يكشط خوصها . واللحاء : قشر الشجر . والمراد : أن السر يبقى عنده مكتوماً .

وما دَهْرِي(١) بأن كُدِّرْتُ فضلاً ولكن ما لقيتُ من العَجيب
ألا من مُبْلغُ النعمانِ عنى وقد تُهْدَى النصيحة بالمَغيب
أحظِّى كان سِلْسِلَةً وقيْداً وغُلاًّ والبَيَانُ لدى الطبيب
أتاك بأنَّنى قد طال حَبْسِى ولم تسأمْ بمسجون حَرِيب(٢)
وبيتى مُقْفِرٌ إلاَّ نساءً أرامِلَ قد هلكنَ من النحيبِ
يبادرْنَ الدموعَ على عدىٍّ كشَنٍّ خانه خَرْزُ الرَّبِيبِ(٣)
يُحاذِرْنَ الوشاةَ على عدىٍّ وما اقترفوا عليه من الذُّنوب
فإن أخطأتُ أو أوهمتُ أمراً فقد يَهِمُ المُصافِى بالحبيب
وإن أُظْلِمْ فقد عاقبتُمونى وإن أَظْلَمْ فذلكَ من نصيبى
وإن أهلِكْ تجد فَقْدِى وتُخْذَلْ إذا الْتقتِ العوالِى فى الحُروب
فهل لك أن تَدَارك ما لدَينا ولا تُغْلَبْ على الرأىِ المصيب
فإنى قد وَكَلْتُ اليوم أمرى إلى ربٍّ قريب مستجيب

* * *

ولمَّا طال سجنُ عدىٍّ كتب إلى أخيه أُبىٍّ — وهو مع كسرى — بهذا الشعر :

أَبلغْ أُبيًّا على نَأْيِهِ وهل ينفعُ المرءَ ما قد عَلِمْ
بأن أخاك شقيقَ الفؤا دِ كنت به واثقاً ما سَلِمْ
لدَى ملكٍ مُوثَقٌ فى الحديـــدِ إمَّا بحَقٍّ وإمَّا ظُلِمْ

(١) ما دهرى بكذا أو كذا ، أى ما إرادتى وغايتى كذا (٢) الحريب : الذى سلب ماله
(٣) الشن : الخلق من كل آنية صنعت من الجلد ، والمراد بالربيب هنا المصلح .

فلا أَعْرِفَنكَ كذاتِ الغُلاَ م ما لم تجِدْ عَارِمًا تَعْتَرِمْ[١]
فأرضَكَ أرضَكَ إنْ تأتنا تَنَمْ نَوْمَةً ليسَ فيها حُلُم ؛

فكتب إليه أخوه أُبَيٌّ :

إن يكُ خانَكَ الزَّمانُ فلا عا جِزُ باعٍ ولا أَلَفُّ[٢] ضعيفُ
ويمينِ الإلهِ لو أنَّ جَأْوَا ءَ طَحُونًا تضىءُ فيها السُّيوفُ[٣]
ذاتَ رِزٍّ مجتابةً غمرةَ المو تِ صحيحٌ سِرْبَالُهَا مَكْفُوفُ[٤]
كنتَ فى حَميها لجئتُكَ أسعى فاعْلَمَنْ لو سمعتُ إذ تَسْتَضيفُ[٥]
أو بمالٍ سألتَ دونك لم يُمْـ نَعْ تِلَادٌ لحاجة أو طَرِيفُ
أو بأرضٍ أَسْطِيعُ آتيك فيها لَمْ يَهَلْنِى بُعْدٌ بها أو مَخُوفُ
ولعمرى لئن جَزِعْتُ عليه لجزوعٌ على الصديق أَسُوفُ
ولَعَمْرِى لئن ملكتُ عَزائى لقليلٌ شَرْوَاكَ[٦] فيما أَطُوفُ

وذهب أُبَيٌّ أخوه إلى كسرى ، فكلَّمه فى أمْرِه وعرَّفه خبره ؛ فكتب إلى النعمان يأمره بإطلاقه ؛ وبعث معه رجلاً ــ وكان للنعمان خليفة عند كسرى ــ فلما علم بأمر كسرى فى عدى كتب إليه : إنه قد كُتِبَ إليك فى أمر عدى .

ولما جاء الرسول دخل على عدىّ قبل أن يذهب إلى النعمان وقال له : ياعدىّ ،

---

(١) أراد بذات الغلام : الأم المرضع ، والعارم الراضع ، ويقال : اعترمت المرأة : تبغت من يعرمها أو يمص ثديها . قال فى اللسان : المراد إن لم تجد من ترضعه درت هى فحلبت ثديها ، وقال ابن الأعرابى : يقال هذا لمن يتكلف ما ليس من شأنه . (٢) الألف : الثقيل البطىء (٣) الجأواء : الكتيبة التى يعلو لونها السواد لكثرة الدروع . والطحون : الكتيبة العظيمة تطحن ما لقيت . (٤) الرز : الصوت ، إلسربال : القميص ، والمكفوف من كففت الثوب إذا خطت حاشيته . ولعله يريد أنها كتيبة سالمة (٥) تستضيف : تستجير (٦) شرواك . مثلك .

إني قد جئت بإرسالك ؛ فما عندك ؟ فقال : عندى الذى تُحبُّ ، ووعده بعدَةٍ سَنِيَّةٍ ؛ وقال له : لا تخرجنّ من عندى ، وأعطنى الكتاب حتى أرسلَه إليه ، فإنك والله إن خرجتَ من عندى لأُقْتَلَنَّ ، فقال : لا أستطيع إلا أن آتى النعمان بالكتاب ، فأوصّله إليه ، فانطلق بعضُ من كان هناكَ من أعدائه ، وأخبر النعمان أن رسولَ كسرى دخل على عدىّ وهو ذاهبٌ به ، وإن فعل والله لم يستَبْقِ منا أحداً أنت ولا غيرك . فبعث مَن قتله .

ودخل الرسولُ إلى النعمان فأَوصل الكتابَ إليه ، فقال : نَعَم وكرامةً ، وبعث إليه بأربعة آلاف مثقال وجارية ، وقال له : إذا أصبحتَ فادخل إليه فخذه .

فلما أصبح الرسول غدا إلى السجن ، فلم يرَ عديًّا ، وقال له الحرس : إنه مات منذ أيام ولم نَجْتَرِئْ على إخبار الملك خوفاً منه ، وقد عرفنا كراهتَهَ لموته . فرجع الرسول إلى النعمان وأخبره أنه رآه بالأمس ، ولم يره اليوم ، فقال : أيبعثُ بك الملكُ إلىَّ فتدخل إليه قَبْلِي ! ثم تهدّده ورشاه وتوثق منه ألا يُخْبِر كسرى إلا أنه مات قبل وُصوله إلى النعمان .

٣

ندم النعمان على قتل عدىّ ، وعرف أنه قد احتِيل عليه فى أمره ؛ واجْتَرَأَ أعداؤه عليه ، وهابهم هيبةً شديدةً . ثم إنه خرج للصَّيد فرأى ابناً لعدى يقال له زيدٌ ، فلما رآه عرف شبهَه ، فقال له : مَن أنت ؟ فقال : أنا زيد بن عدىّ بن زيد ، فكلَّمه فإذا غلام ظريف ؛ ففرح به فرحاً شديداً ، واعتذر إليه من أمر أبيه ، وقرَّبه وأعطاه ووصله وجهزه ، وسيَّره إلى كِسْرَى ووصفه له ، وقال : إن عديًّا كان ممن أُعِين به الملك فى نُصْحِه ولُبِّه ، فأصابه ما لا بُدَّ منهُ ، وانقطعت مُدَّتُه ، وانقضى أجله ،

ولم يُصَبْ به أحدٌ أشد من مصيبتى ؛ وأما الملك فلم يكن ليفقدَ رجلاً إلا جعل الله له منه خَلفاً ، لمـا عظَّم الله من مُلكه وشأنه ، وقد بلغ ابنٌ له ليس بدونه ، رأيتُه يصلحُ لخدمة الملك ، فسرَّحته إليه ، فإن رأى الملك أن يجعله مكان أبيه فليفعَلْ وليصرفْ عمه(1) إلى عمل آخر .

فلما وقع زيد بن عدى عند الملك هذا الموقعَ سأله عن النعمان فأحسن الثناء عليه ، وأقامَ عنـد الملك سنواتٍ بمنزلة أبيه ، وأُعْجب به كسرى ؛ فـكان يكثرُ الدخولَ عليه والخدمة له .

وكانت لملوك الأعاجم صفةٌ من النساء مكتوبةٌ عندهم ، وكانوا يَبْعثون فى طلب مَن يكون على هذه الصِّفَة من النساء ، فإذا وُجِدَتْ حُملتْ إلى الملك ، غير أنهم لم يكونوا يطلبونها فى أرض العرب ؛ ولا يظنُّونها عنـدهم ؛ ثم إنه بدا للملك فى طلب تلك الصِّفة ، وأمر فـكُتِبَ بها إلى النواحى؛ ودخل إليه زيدُ بن عدىّ ، وهو فى ذلك القوْل ؛ فخاطبه فيما دَخَل إليه فيـه ، ثم قال : إنى رأيتُ الملكَ قد كتبَ فى نسوة يُطْلَبْنَ له ، وقرأت الصِّفة ، وقد كنت بآل المنذر عارفاً ، وعند عبدِك النعمان من بناته وأخواته وبنات عمه وأهله أكثرُ من عشرين امرأة على هذه الصفة .

قال : فا كتبْ فيهن . قال : أيُّها الملك ؛ إنَّ شرَّ شىء فى العرب وفى النعمان خاصّةً أنهم يتـكرَّمون ــ زَعموا فى أنفسهم ــ عن العجم ، فأنا أكرَهُ أن يُغَيِّبهنَّ عمّن تبعثُ إليه ؛ أو يعرضَ عليه غيرَهن ، وإن قَدِمْتُ أنا عليه لم يقدِرْ على ذلك ؛ فابعثنى وابعث معى رجلاً من ثِقَاتك يفهم العربيةَ ، حتى أبلغَ ما تحبُّه .

---

(1) كان عمه الذى يلى المـكاتبة عن الملك إلى ملوك العرب فى أمورها وفى خواص أمور الملك ، وكانت له من العرب وظيفة موظفة فى كل سنة .

فبعثَ معه رجلاً جَلْدًا فهِماً ، وخرج به زيد ، وجعل يكرم الرجلَ وَيُلْطِفُه حتى بلغ الحِيرة ، ودخلا على النعمان ، فأعظمه زيد وقال له : إن كسرى احتاج إلى نساء لِنَفْسِهِ وولده وأهل بيته ، وأراد كرامتك بصهره ، فبعث إليك ؟ قال : ما هؤلاء النِّسوة ؟ قالَ : هذه صِفَتُهُنَّ قد جئنا بها .

وكانت الصِّفة أن المنذر الأكبر أهدى إلى أنُوشِرْوَانَ جاريةً كان أصابها إذ أغار على الحارث الأكبر أبي شَمِر الغَسَّاني ؛ وكتب إليه بصفتها ، وبقيت هذه الصفة إلى أيام كسرى بن هرمز حتى أرسل بها إلى النعمان مع زيد ورفيقه ، وهي :

« إني قد وجَّهتُ إلى الملك جارية معتدلةَ الخَلْق ، نقيَّةَ اللَّوْن والثَّغر ، بيضاء قَمْرَاء ، وَطْفَاء(١) ، كَحْلَاء ، دَعْجَاء(٢) ، حَوْرَاء(٣) ، عَيْنَاء(٤) ، قَنْوَاء(٥) ، شَمَّاء(٦) ، بَرْجَاء(٧) ، زَجَّاء(٨) ، أسِيلَة(٩) الْخَدِّ ، شهيَّةَ الْمُقَبَّل ، جَثْلَةَ(١٠) الشعر ، عظيمة الهامة ، بعيدةَ مَهْوَى القُرْط ، عَيْطَاء(١١) ، عريضةَ الصدر ، كاعبَ الثَّدْي ، ضَخْمَةَ مُشَاشِ(١٢) المَنْكِب والعضد ، حسنةَ المِعْصَم ، لطيفةَ الكفِّ ، سَبْطَةَ البَنَانِ ، ضَامِرَةَ البَطْنِ ، خَمِيصةَ الْخَصر ، غَرْثَى(١٣) الوشاح ، رَدَاح(١٤) الأَقْبَال ،

(١) الوطفاء : غزيرة الأهداب وشعر الحاجبين (٢) الدعج : شدة سواد العين وشدة بياض بياضها (٣) الحوز : اسوداد العين كلها مثل الظباء ، ولا يكون في بني آدم إلا على الاستعارة (٤) العين : سعة العين (٥) القنا : ارتفاع في أعلى الأنف ، واحديداب في وسطه ، وسبوغ في أعلاه (٦) الشمم في الأنف : ارتفاع القصبة (٧) البرجاء : الجميلة الحسنة (٨) الزجاء : دقيقة الحاجبين في طول (٩) الخد الأسيل : الطويل المسترسل الأملس (١٠) الجثل من الشعر : الكثيف الأسود (١١) العيطاء : الطويلة العنق (١٢) المشاشة : رأس العظم الممكن المضغ (١٣) غرثى الوشاح : دقيقة الخصر (١٤) الرداح : العجزاء الثقيلة الأوراك التامة الخلق . والأقبال : ما استقبلك من مشرف .

رابيةَ الكَفل، لَفَّاء[1] الفَخِذَيْن، ريَّا الرَّوادف، ضَخْمة المأكمتَيْنِ[2]، مُفْعَمةَ[3] الساق، مُشبِعَة[4] الخَلْخال، لطيفة الكعب والقَدَم، قَطوف[5] المشى، مِكْسال الضُّحا[6]، بَضَّة[7] المتجرَّد، سموعًا للسيِّد، ليست بخَنْساء[8] ولا سَفْعاء[9]، رقيقةَ الأَنْف، عَزيزةَ النَّفَر، لم تُغَذَّ فى بؤس، حَيِيَّةً رَزِينةً، حليمة ركينة، كريمة الخال، تَقْتَصِرُ على نَسب أبيها دون فصيلتها، وتَسْتَغْنى بفصيلتها دون جِماع قبيلتها، قد أحكمتها الأمور فى الأدب، فرأْيُهَا رَأْيُ أهل الشرف، وعملُها عمل أهل الحاجة، صَنَاعَ الكَفَّين، قطيعة[10] اللسان، رَهْوَة[11] الصوت ساكنته، تَزِين الولىَّ، وتَشين العدوَّ .... [12].

ولما قرأ زيدٌ هذه الصفة على النعمان شقَّ عليه، وقال لزيد، والرسولُ يسمعُ: أمَا فى مَهَا السَّواد وعِين فارسَ ما يبلغُ بهِ كِسرَى حاجتَه؟ فقال الرسول لزيد بالفارسية: ما المها والعِين؟ فقال له بالفارسية: «كاوان» أى البقر؛ فأمسك الرسول، وقال زيد للنعمان: إنما أراد الملكُ كرامتَك، ولو علم أن هذا يشقُّ عليكَ لم يكتبْ إليكَ به. فأنزلهما يومين عنده، ثم كتب إلى كسرى: إن الذى طلب الملكُ ليس عندى، وقال لزيد: اعْذِرْنِى عند الملك.

فعادا إلى كسرى، فقال زيد للرسول الذى قدِم معه: اصْدُقِ الملكَ عما سمعتَ، فإنى سأحدِّثه بمثل حديثك، ولا أُخالفك فيه. فلما دخلا على كسرى قال زيد:

---

(١) لفاء: ضخمة الفخذين مكتنزة (٢) المأكمتان: اللحمتان اللتان على رءوس الوركين (٣) مفعمة الساق: ممتلئتها (٤) كناية عن السمن (٥) وصف من القطاف، وهو تقارب الخطو (٦) المكسال: المرأة التى لا تكاد تبرح مجلسها، وهو مدح عندهم (٧) البضة: الناعمة (٨) الخنس: قريب من الفطس (٩) السفع: السواد (١٠) ليست سليطة (١١) رهوة: رقيقة (١٢) حذفت بعض العبارات المستهجنة.

هذا كتاب النعمان إليك ، فقرأه عليه ، فقال له كسرى : وأين الذى كنتَ خبَّرتَنى به ؟ قال : كنتُ خبَّرْتُكَ بضِنَّتِهِمْ بنسائهم على غيرهم ، وإنَّ ذلك من شقائهم واختيارهم الجوعَ والعُرْىَ على الشِّبَع والرِّياش ، وإيثارهم السَّموم والرِّياح على طِيبِ أرْضِكَ هذه ، حتى إنهم ليسمُّونها السِّجن ، فسلْ هذا الرَّسول الذى كان معى عمَّا قال ، فإنى أُكْرِمُ الملكَ عن مُشافهته بما قال ، وأجاب به . فقال للرسول : وما قال ؟ فقال الرسول : أيها الملك ؛ إنه قال : أما فى بَقَر السَّواد وفارسَ ما يكفيه حتى يطلبَ ما عندنا ؟ فعُرِفَ الغضبُ فى وجهه ، ووقعَ فى قلبه ما وَقَعَ ، ولكنه لم يزد على أن قال : رُبَّ عَبْدٍ قد أراد ما هو أشدّ من هذا ، ثم صار أمرُه إلى التبَّاب .

وشاع هذا الكلامُ حتى بَلَغَ النُّعمان ، وسكت كِسرَى أشهراً على ذلك ، وجعل النعمانُ يستعدّ ويتوقّع ، حتى أتاه كتاب كِسرَى : أن أقْبِل ، فإن للملك حاجةً إليك ، فانطلق حين أتاه كتابُه ، فحمل سلاحَه ، وما قَوِىَ عليه ، ثم لحق بجبلَىْ طيِّئٍ ، وكان متزوّجاً إليهم(١) ، فأراد النعمانُ طيِّئاً على أن يُدْخِلوه الجَبَلَيْنِ ويمنَعُوه ، فأبوا عليه خوفاً من كسرى ، وقالوا له : لولا صِهْرُكَ لقتلناكَ ، فإنه لا حاجة بنا إلى مُعَاداة كسرى ، ولا طاقةَ لنا به .

٤

فأقبل يطوفُ على قبائل العرب ليس أحدٌ منهم يقبلُه ، غيرَ أن بنى رَوَاحة

---

(١) كانت عنده فرعة بنت سعد بن حارثة بن لأم ، وكذلك كانت عنده زينب بنت أوس ابن حارثة .

ابن قُطَيْعَةَ بن عَبْس قالوا : إن شئت قاتلنا معك ـ لِمِنّـةٍ كانت له عنـدهم ـ قال : ما أُحِبُّ أن أُهْلِكـكم ، فإنه لا طاقة لـكم بكسرى .

ثم أقبل حتى نزل في ذى قار في بنى شَيْبان[1] سرًّا ، فلَقِيَ هانئَ بن مسعود[2] الشيبانى ، وكان سيّدًا مَنيعاً ـ فاستجار به فأجارَه ، وقال له : قد لَزِمَنى ذِمامُك ، وأنا مانِعك مما أمنع نفسى وأهلى وولدى منه ، ما بقى من عشيرتى الأَدْنَين رجلٌ ، وإنّ ذلك غيرُ نافِعك ، لأنه مُهلِكي ومُهْلِكك ، وعندى رأى لك ، لستُ أشير به عليك لأدفعَك عمَّا تريده من مجاورتى ، ولـكنه الصواب . فقال : هَاتِهِ ، فقال : إن كل أمرٍ يجمُلُ بالرجل أن يكون عليـه إلا أن يكون بعد المُلْكِ سُوقةً ، والموت نازلٌ بكل أحَد ، ولأن تموتَ كريماً خيرٌ من أن تتجرَّع الذُّل أو تبقى سُوقةً بعد المُلْكِ ، هذا إنْ بَقِيتَ ؛ فامض إلى صاحبك ، واحْمِلْ إليه هدايا ومالاً ، وأَلْقِ بنفسك بين يديه ، فإما أن صَفَحَ عنك فعُدتَ ملكاً عزيزاً ، وإما أن أصابكَ فالموتُ خيرٌ من أن يتلعّب بكَ صَعَاليكُ العرب ويتخطّفكَ ذئابها ، وتأكلَ مالكَ وتعيشَ فقيراً مُجاوراً أو تُقتَلَ مقهوراً . فقال : كيف بحُرَمِى ؟ قال : هنَّ في ذِمّتى لا يُخْلَصُ إليهنّ حتى يُخْلَصَ إلى بناتى . فقال : هذا وأبيكَ الرأىُ الصحيح ولن أُجاوِزَهُ .

ثم اختار النعمان خيلاً وحُلَلاً من عَصْب[3] اليمن ، وجوهراً وطُرَفًا كانت عنده ، ووجّه بها إلى كسرى ، وكتب إليـه يعتذر ، ويُعْلِمُه أنّه صائر إليـه ، ووجّه بها

---

(١) شيبان : بطن في بـكر بن وائل (٢) وفى رواية : إن هانئ بن مسعود لم يدرك هذا الأمر ، وإنما هو هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود (٣) العصب : نوع من برود اليمن يعصب غزله ، أي يشد ويجمع ثم يصبغ وينسج .

مع رسوله ، فقبِلَها كسرى ، وأمره بالقُدوم عليه ، فعاد إليه الرسولُ فأخبره بذلك ، وأنه لم يرَ لهُ عند كسرى سوءًا .

فمضى إليه بعد أن استودع هانئ بن مسعود حَلْقته وأهله وولده وألف شِكَّة(١) ، حتى إذا وصل إلى المدائن(٢) لقيه زيدُ بن عديّ على قنطرة سَابَاط(٣) ، فقال له : انجُ نُعَيْمُ إن استطعت النَّجاء . فقال له : أفعلتها يا زيدُ ؟ أما والله لئن عشتُ لك لأقتلنَّك قِتلْة لم يُقتلها عربيّ قطّ ؛ ولأُلحقنَّكَ بأبيك . فقال له زيد : امض لشأنك نُعَيْم ، فقد أخّيْتُ لك أَخِيَّة(٤) لا يقطعُها المُهر الأرِن(٥) .

فلما بلغ كسرى أنه بالباب بعثَ إليه فقيَّده وبعث به إلى سِجْنٍ(٦) كان له ، فلم يزَلْ به حتى وقع الطاعون هناك ، فمات فيه(٧) .

---

(١) الشكة : السلاح (٢) المدائن : الموضع الذى كان مسكن الملوك من الأكاسرة ، فكان كل واحد منهم إذا ملك بنى لنفسه مدينة إلى جنب التى قبلها ، وسماها باسمه ، فسميت المدائن (٣) ساباط : موضع بالمدائن لكسرى أبرويز (٤) الأخية : عروة تربط إلى وتد مشقوق وتشد فيها الدابة (٥) الأرن النشيط (٦) وفى رواية لابن الكلبى : ألقاه تحت أرجل الفيلة فوطئته حتى مات (٧) ولما نعى إلى النابغة وحدث بما صنع به كسرى قال : طلبه من الدهر طالب الملوك ، ثم تمثل :

من يطلب الدهر تدركه مخالبه ... والدهر بالوتر ناج غير مطلوب
ما من أناس ذوى مجد ومكرمة ... إلا يشد عليهم شدة الذيب
حتى يبيد على عمد سراتهم ... بالنافذات من النبل المصاييب
إنى وجدت سهام الموت معرضة ... بطل حتف من الآجال مكتوب

ورثاه زهير بن أبى سلمى فقال :

ألم تر للنعمان كان بنجدة ... من الشر لو أن أمرأً كان باقيا
فلم أر مخذولا له مثل ملكه ... أقل صديقاً أو خليلا موافيا
خلا أن حياً من رواحة حافظوا ... وكانوا أناساً يتقون المخازيا
فقال لهم خيراً وأثنى عليهم ... وودعهم توديع ألا تلاقيا

٥

فلما قتل كسرى النعمانَ استعمل إياسَ بن قبيصة الطائى على الحِيرة وما كان عليه النعمانُ ، وبعثَ إليه : أن يجمع ما خلَّفه النعمان ويرسله إليه . فبعث إياس إلى هانئ ابن مسعود يأمره بأن يرسل له ما استودعه النعمانُ من الدروع وغيرها ، وقال له : لا تكلفنى أن أبعث إليك ولا إلى قومك بالجنود تقتل المقاتلة ، وتَسْبى الذرية . فبعث إليه هانئ يقول : إن الذى بلغك باطل ، وما عندى قليلٌ ولا كثير ، وإن يكن الأمر كما قيل ، فأنا أحدُ رجلين : إما رجل استُودع أمانة فهو حقيق أن يردَّها على من أَوْدَعه إياها ، ولن يسلِّم الحرُّ أمانة . أو رجل مكذوب عليه ، فليس ينبغى أن تأخذه بقول عدوّ أو حاسد .

فلما منعها هانئ غضب كسرى ؛ ثم أخذت بكر بن وائل تُغير فى السَّواد[1] ، فوفد قيس بن مسعود بن خالد بن ذى الجدّين على كسرى ، فسأله أن يجعل له أُكُلاً وطُعْمة على أن يَضْمن له بكر بن وائل ألاَّ يدخلوا السَّواد ولا يُفْسدوا فيه ، فأَقطعه الأُبُلَّة[2] وما والَاها ، وقال : هى تكفيك وتكفى أعرابَ قومك، فكانت له حُجرة[3] فيها مائة من الإبل للأضياف إذا نُحِرت ناقةٌ أُقيدت أخرى .

فكان يأتيه مَنْ أتاه من بكر فيعطيه جُلَّة[4] تمر وكِرْباسة[5] ، حتى إذا قدم الحَارِثُ بن وعلة والمكسّر بن حنظلة أعطاهما جُلَّتى تمر وكرباستين ، فغضبا وأبيَا أن يَقْبَلا ذلك منه ، وخرجا واستغْويا ناساً من بَكْر بن وائل ، ثم أغارا على السَّوَاد .

(١) السواد : ما حوالى القصبة من القرى (٢) الأبلة : بلد على شاطئ دجلة البصرة
(٣) الحجرة : حظيرة للإبل (٤) : الجلة : وعاء من خوص يكنز فيه التمر (٥) الكرباسة : ثوب من قطن .

فلما بلغ ذلك كسرى اشتدّ حَنَقُه عليهم، وأرسل إلى قيس بن مسعود وهو بالأُبلَّة وقال له : لقد غَرَرْتنى من قَوْمك ، وزعمتَ أنك تكفينيهم ، وأمر به فحُبِس فى ساباط .

ثم أرسل إلى إياس بن قبيصة ، واستشاره فى الغَارة على بَكْرٍ فقال له : ماذا ترى ؟ وكم ترى أن نُغزيهم من الناس ؟ فقال له إياس : إن المَلِكَ لا يصلح أن يَعصيه أحدٌ من رعيَّته ، وإن تُطعنى لم تُعْلِم أحداً لأىّ شىء عَبَرْت وقطعت الفرات ، فيروا أن شيئاً من العرب قد كَرَبك ، ولكن ترجع وتضرب عنهم ، وتبعث عليهم العيون حتى ترى غِرَّةً منهم ، ثم ترسل حَلْبة[1] من العجم فيها بعضُ القبائل التى تَليهم ، فيُوقعون بهم وقْعَة الدهر ، ويأتونك بطَلِبتك .

فقال له كسرى : أنت رجلٌ من العرب ، وبكر بن وائل أخْوالك ؛ فأنت تتعصَّبُ لهم ، ولا تألوهم نُصْحًا . فقال إياس : رأىُ الملك أَفْضَل .

فقام إليه عمرو بن عدى بن زيد العبادى ــ وكان كاتبه وترجمانه بالعربية وفى أمور العرب ــ فقال له : أقم أيها الملك ، وابعث إليهم بالجنود يكفوك .

وكان عنده النعمان بن زرْعَة التغلبى ــ وهو يحبُّ هلاكَ بَكْر ؛ فقال لكسرى : يا خيرَ الملوك، أدلُّك على عدوٍّ يطلبهم، وعلى غِرّة بكر ؟ قال : نعم . قال : أَمْهِلْنا حتى نَقيظ ، فإنهم لو قد قاظوا تساقطوا على ماء ، يقال له ذو قار تَساقُط الفراش فى النار؛ فأخذْتَهم كيف شئت، وأنا عندك إلى أن أكفيكهم ، ومع ذلك فإن مُطاليبهم فى ذلك الوقت كثير ، وذلك مما يُوهِن كيدَهم ويكون أيسر على الملك هلاكهم .

---

(١) الحلبة : الدفعة من الخيل تجمع للسباق أو الغارة .

فوافقه كسرى وأقرَّهم، حتى إذا قاظوا جاءت بكرُ بن وائل فنزلت بالحِنْو[١] حِنْوِ ذِي قَار .

٦

ولما بلغ كسرى نزولهم عقد للنعمان بن زُرْعَة على تَغْلِب والنَّمر ، وعقد لخالد بن يزيد البهرانى على قُضَاعة وإياد ، وعقد لإياس بن قبيصة على العرب ، ومعه كتيبتاه الشّهباء والدّوسر[٢] . فكانت العربُ ثلاثة آلاف ، وعقد للهامرْز[٣] على ألفٍ من الأَسَاوِرَة ، وعقد لخنَّابزين على ألف ، وبعث معهم باللَّطيمة ـ وقد كانت تخرج من العراق فيها البَزُّ والعِطْر والأَلْطاف توصلُ إلى بَاذان عامل كسرى باليمن ـ وأمر عمرو ابن عدىّ أن يسيرَ بها ، وكانت العرب تخفرهم وتُجيرهم حتى تبلغَ اللَّطيمةُ اليمن ، وعهد كسرى إليهم إذا شارفُوا بلاد بكر وَدَنوا منها أن يبعثوا النُّعمان بن زُرْعة يُخيِّرهم بين ثلاث خصال : إما أن يعطوا بأيديهم فيحكم فيهم الملكُ بما شاء ، وإما أن يعرُّوا الدِّيار ، وإما أن يأْذَنُوا بحرب .

وكان كسرى قد أوقع قبل ذلك ببنى تميم يوم الصَّفْقَة[٤]، فالعرب وَجِلَةٌ خائفةٌ منه . وكانت هندُ بنت النعمان فى بنى سنان ، فلما علمتْ بمسير جُمُوع كسرى قالت تُنذِر العرب :

ألا أَبْلغ بنى بكر رسولا ... فقد جدَّ النفير بعنْقَفِير[٥]
فليت الجيشَ كلهمُ فداكم ... ونفسى والسريرَ وذا السريرِ

---

(١) هو من ذى قار على مسيرة ليلة (٢) الشهباء ودوسر : كتيبتان حربيتان ، كان قد جعلهما يزدجرد ملك الفرس تحت تصرف النعمان بن المنذر ومن بعده ، وكان رجال الشهباء من الفرس ؛ ورجال دوسر من عرب تنوخ (٣) كان الهامرز على مسلحة كسرى بالسواد (٤) انظر يوم الصفقة ص ٢ (٥) العنقفير : الداهية .

كأنى حين جدّ بهم إليكم معلّقةُ الذّوائب بالعَبُور[١]
فلو أنى أطقت لذاك دفعاً إذاً لدفعتُه بدَمِى وزِيرِى[٢]

فلما بلغ الخبر بَكْر بن وائل سار هانئُ بن مسعود حتى انتهى إلى ذى قار، فنزل به، وأقبَلَ النعمان بن زُرْعة حتى نزل على ابن أُخْتِه مرَّةَ بن عمرو ، فحمد الله النعمان وأثنى عليه ثم قال : إنكم أخوالى وأحد طرفَىّ ، وإن الرّائد لا يَكْذِبُ أهْلَهُ ، وقد أتاكم ما لا قِبَلَ لكم به من أحْرَار فارس وفُرْسَان العرب ، والكتيبتان : الشَّهْبَاء والدَّوْسَر ؛ وإن فى الشّرّ خياراً ، ولأَن يَفْتَدِى بعضُكم بعضاً خيرٌ من أن تصْطَلموا[٣] ؛ انظروا هذه الحَلْقة فادفعوها ، وادفعوا رَهْناً من أبنائكم بما أحْدَثَ سفهاؤُكم . فقال له القوم : ننظر فى أمرنا .

٧

ثم بعثوا إلى مَنْ يليهم من بكر ، وبرزوا ببطحاء ذى قار بين الجَلْهَتَيْنِ[٤] ، وأَخَذُوا يرْتَقِبُونَ[٥] من يأتى مِنْ قبائل بكر ؛ لا تُرْفَع جماعة إلاّ قالوا سيدنا فى

(١) العبور : نجم فى السماء يلى الجوزاء (٢) الزير : ما استحكم فتله من الأوتار (٣) تصطلموا : تستأصلوا وتبيدوا (٤) جلهة الوادى :مقدمه وما استقبلك منه واتسع له (٥) روى فى الأغانى : أن مرداساً السلمى كان مجاوراً فى بكر يومئذ ، فلما رأى الجيوش قد أقبلت إليهم حمل عياله وخرج عنهم وأنشأ يحرضهم :

بلغ سراة بنى بكر مغلغلة إنى أخاف عليكم سربة الوارى

السربة : الجماعة يغيرون . والوارى : المتلهب

إنى أرى الملك الهامرز منصلتاً يزجى جياداً وركباً غير أعيار

المنصلت : المسرع ، والأعيار : جمع عير وهو الحمار

لا تلقط البعر الحولى نسوتهم للجائزين على أعطان ذى قار

الأعطان : مبارك الإبل

فإن أبيتم فإنى رافع ظعنى ومنشب فى جبال اللوب أظفارى

اللوب : هم النوب ، وهم جيل فى السودان

وجاعل بيننا ورداً غواربه ترمى إذا ما ربا الوادى بتيار

ربا : ارتفع ، و « ورداً غواربه » أراد البحر .

هذه ؛ فرُفعت لهم جماعة، فقالوا: سيدنا فى هذه ، فلما دَنَوْا إذا هم بعبد عمرو بن بشر ابن مَرثد ، فقالوا : لا . ثم رُفِعَتْ لهم أخرى، فقالوا: سيدُنا فى هذه ، فإذا هو جبلة ابن باعث بن صريم اليَشْكُرى ، فقالوا : لا . فرُفعت أخرى، فقالوا : فى هذه سيدنا ، فإذا هو الحارث بن وعلة بن المجالد الذّهلى، فقالوا : لا . ثم رفعت لهم أخرى، فقالوا: فى هذه سيدنا ؛ فإذا فيها الحارثُ بن ربيعة بن عثمان التيْمى فى تيم الله ، فقالوا : لا ، ثم رفعت لهم أخرى أَكبرُ مما كان يجئ فقالوا : لقد جاء سيدُنا ، وإذا رجل أَصْلَع الشّعر ، عظيمُ البطن ، مُشْربٌ حمرة ، هو حنظلة بن ثعلبة بن سيار العِجْلِى ؛ فقالوا : يا أبا مَعْدَان قد طال انْتظارنا ، وقد كرهنا أن نقطع أَمْراً دونك ، وهذا ابنُ أُختك قد جاءنا ، والرّائد لا يَكْذِب أهلَه ، وهذا هانئ بن قبيصة يهمّ بركوب الفَلاَة ، ويقول لنا : لا طاقةَ لكم بجُموع الملك[1] . قال حَنظَلَة : فما الذى أجمعَ عليه رأيُكم واتفق عليه مَلَؤُكم[2] ؟ قالوا : إن اللّخى[3] أهون من الوهى؛ وإن فى الشرّ خياراً، ولأَنْ يفتدِىَ بعضُنَا بعْضًا خيرٌ من أن نصطَلم جميعاً .

فقال حنظلة : قبح الله هذا رأياً ! لا تجرّ أحرارُ فارس أرجلَها ببَطْحاء ذى قار وأنا أَسْمَعُ هذا الصَّوْتَ ، ثم أمر بقُبَّته فضُربت بوادى ذى قار ، ثم نزل ونزل الناس فأطافوا به . ثم قال : لا أرى غيرَ القتال ؛ فإنَّا إن ركبنا الفَلاَةَ مِتْنا عطشاً ، وإن أعطينا بأيدينا تقتل مقاتلتنا وتُسْبَى ذرارينا . ثم قال لهانئ بن مسعود : يا أبا أُمامة ؛ إن ذمتَكم ذِمَّتُنا عامة ، وإنه لن يُوصَلَ إليك حتى تَفْنَى أرواحُنا ، فأَخْرِج هذه الحلقة ففرِّقْها بين قومك ؛ فإن تَظفر فتردُّ عليك ، وإن تَهلِك فأهْوَنُ مَفقودٍ .

---

(١) قال فى العقد الفريد : لم تر من هانئ سقطة قبلها (٢) الملأ : جماعة القوم

(٣) اللخى : إعطاء المال ، يريدون أن فقد المال خير من الهلاك .

فأمَرَ بها هانئ فأخرجت وفُرِّقَتْ فى القوم . ثم التفت حَنْظَلَةُ إلى النُّعمان وقال : لولا أنك رسولٌ لما أُبْتَ إلى قومك سالماً ، فرجع النعمان إلى أصحابه فأخبرهم بما ردّ عليه القومُ ، فباتوا ليلتهم مستعدِّين للقتال ، وبَكْر يتأهبون للحرب[١] .

فلما أصبحوا أقبلت الأعاجمُ نحوهم يسيرون على تَعْبِيةٍ[٢] ، ومعهم الجنودُ والأَفْيَال عليها الأَسَاوِرَةُ ؛ وكان نازلا فى بنى شيبان ربيعة بن غزالة السَّكونى ثم التُّجِيبِى هو وقومه ، فقال : يابنى شيبان ، أَمَا إنى لو كنتُ منكم لأشَرْتُ عليكم برأيٍ مثل عروة العِلْم[٣] ، فقالوا : أنتَ والله من أَوْسَطِنا فأَشِرْ علينا ؛ فقال : لا تَسْتَهْدِفُوا لهذه الأعاجم ، فتهلككم بنُشَّابها[٤] ؛ ولكن تَكَرْدَسُوا كراديس[٥] ، فإذا أقبلُوا على كِرْدَوْس شدّ الآخر ، فقالوا : قد رأيت رأياً .

٨

ولما تقارب الزَّحْفَان قام حنظلة بن ثعلبة فقال : إن النُّشَّابَ الذى مع الأعاجم يفرِّقكم ، فإذا أرسلوه لم يخطئكم ؛ فعاجلوهم اللِّقاء ، وابدءوهم بالشدّة ، ثم قام إلى وَضِين[٦] راحلة امْرَأَته فقطعه ، ثم تتبّع الظعن يقطع وُضُنَهنّ[٧] ، فسقطن على الأرض ، فقال : ليقاتلْ كلُّ رجل منكم عن حليلته ، ثم ضرب قبة على نفسه ببطحاء ذى قار ، وآلى لا يفرّ حتى تفرّ القبة . وقطع سبعمائة رجل من شيبان أيدى أَقْبِيَتِهم من مناكبها لتخفّ أيديهم لضَرْب السيوف . وقام هانئ[٨] بن مسعود فقال : « ياقوم مَهلك مقدور خيرٌ من نجاء معرور[٩] وإن الحذَر لا يَدْفَعُ القدَر ، وإن

---

(١) شهدت بكر جميعها هذه الحرب عدا حنيفة (٢) عبي الجيش تعبية : أصلحه وهيأه (٣) أى العلم الذى يوثق به ، وهو يريد الرأى السديد (٤) النشاب : النبل (٥) الكردوس : قطعة من الخيل (٦) الوضين : بطان عريض منسوج من سيور أو شعر ، وقيل لا يكون إلا من الجلد (٧) سمى حنظلة بعد ذلك مقطع الوضن (٨) فى الأمالى : هى لهانئ بن قبيصة الشيبانى ، ورواية الأمالى فيها اختلاف عما هنا (٩) معرور : معاب .

الصَّبر من أسباب الظَّفر ، المنيّة ولا الدنيّة ، واستقبال الموت خيرٌ من اسْتِدْباره ، والطعن فى الثغر ، أكرمُ من الطّعن فى الدبر ، ياقوم جدُّوا فما مِنَ الموت بدّ ، فَتْحٌ لو كان له رجال ، أسمع صوتاً ولا أرى قوماً ، ويا آل بكر شدُّوا واسْتَعِدُّوا ، وإلا تَشِدُّوا تُرَدُّوا » .

وقام شريك بن عمرو بن شراحيل فقال : ياقوم ، إنما تهابونهم أنكم ترونهم عند الحفاظ أكثر منكم ، وكذلك أنتم فى أعينهم ؛ فعليكم بالصبر ، فإن الأسنّة تُردى الأعِنَّة ، يا آل بكر ، قُدْما[1] قُدْما ! »

وجعل الناس يتحاضّون ويرجزون ؛ فقالت امرأة من عجل[2] :

إن تَهْزِمُوا نعانق ونَفْرِشُ النَّمارِق[3]
أو تُهْزَمُوا نفارق فِراقَ غيرِ وامق

وقال حنظلة بن ثعلبة :

قد جدّ أشياعكم فجِدُّوا ما عِلَّتى وأنا مُؤْدٍ[4] جَلْدُ
والقوس فيها وَتَر عُرُدّ[5] مثل ذِراع البكر أو أشَدُّ
قدجعلتْ أخبارُ قومى تَبْدُو إن المنايا ليس منها بُدُّ
هذا عُمَيْرٌ حيّه ألَدُّ يقدُمُه ليس له مَرَدُّ
حتى يَعُودَ كالكُمَيْت الوَرْد خلّوا بنى شَيْبان فاستَبِدُّوا
نفسى فِدَاكم وأبى والجَدُّ

وقال يزيد بن حنظلة بن ثعلبة بن سيار :

---

(١) أى تقدموا (٢) عجل : بطن فى شيبان (٣) النمارق : جمع نمرقة ، والنمرقة الوسادة الصغيرة ، أو الميثرة ، أو الطنفسة فوق الرحل (٤) مؤد : ذو أداة من السلاح تامة ، أى لا عذر لى (٥) عرد : شديد .

من فرّ منكم فرّ عن حَرِيمه وجارِه وفرّ عن نديمه
أنا ابنُ سيَّار على شكيمِهْ . إن الشِّرَاكَ قُدَّ من أَدِيمه[١]
وكلُّهمْ يجرى على قديمه من قارحِ الْهُجْنَةِ أوصَمِيمِه[٢]

وقال عمرو بن جبلة اليشكرى :

ياقوم لا تغرركم هٰذِى الخِرق ولا وميضُ البِيضِ فى الشمس برَق
من لم يقاتل منكمُ هذا العُنُق[٣] فجنِّبُوه الراحَ واسقوه المرَق

ووقفَ الجيشان مُتقَابِلَيْنِ ، فكانت بنو عجل فى المَيْمَنة بإزاء خنابزين وعليهم حنظلة بن ثعلبة ، وبنو شيبان فى الميسرة بإزاء كتيبة الهامرز ، وعليهم بكر بن يزيد ابن مسهر ، وأفْناء بكر فى القَلْب وعليهم هانئُ بن مسعود ، فخرجَ أُسْوار من الأعاجم فى أُذنيه دُرَّتان من كتيبة الهامرز يتحدّى الناس للبِرَاز ، فنادى فى بنى شيبان فلم يبرز إليه أحد، حتى إذا دنا من بنى يشكر برَزَ له يزيد بن حارثة ، فشدَّ عليه بالرُّمح فطعَنَه ودقَّ صُلْبَه ، وأخذ حِلْيَته وسِلاحه[٤] .

وخرج الهامرز يَدْعو إلى البراز فخرج إليه الحوْفزان[٥] فقتله . وفى ذلك الحين أرسلت إياد — وكانت فى جيوش كسرى — سرًّا إلى بكر ، وقال رسولهم : أى الأمرين

---

(١) الشراك : سير النعل ، وقد : قطع ، والأديم : الجلدالمدبوغ (٢) القارح : الحصان ، والهجين : عربى ولد من غير عربى (٣) العنق : الجماعة وهو مذكر (٤) وذلك قول سويد بن أبى كاهل يفتخر :

ومنا يزيد إذ تحرى جوعكم فلم تقربوه المرزبان المشهر

تحرى : نازع الغلبة

وبارزه منا غلام بصارم حسام إذا لاقى الضريبة يبتر

الضريبة : ما ضربته بالسيف

(٥) اسمه الحارث بن شريك .

أعجب إليكم ؛ أن نطيرَ تحت لَيْلَتِنا فنذهب ، أو نقيم ونفرّ حين تُلاقون القوم ؟
قالوا : بل تقيمون ؛ فإذا التقى الناسُ انهزمتُم بهم .

وقال يزيد بن حِمار السَّكونى ـ وكان حليفاً لشَيْبَان ـ أطيعونى وا كْمُنُوا لهم كَميناً ، ففعلوا ، وجعلوا يزيد رأْسهم ، وكَمَنُوا فى مكان يقال له الخَبِىء واجْتَلَدُوا ، وحملت مَيْسرَةُ بكر وعليها حنظلة على ميمنة الجيش ، وحملت مَيْمَنَةُ بكْرٍ وعليها يزيد ابن مسهر على مَيْسرَة الجيش ، وخرج عليهم الكَمينُ من الخَبِىء وعليهم يزيد بن حِمَار ، فشدُّوا على قَلْبِ الجيش ، وولَّت إياد مُنْهزمة كما وَعَدَتْهم؛ وانهزمت الفرس ، وتبعتهم بكر .

ولحق مرثد بن الحارث النعمان بن زُرْعة فأهدى له طَعْناً ، فسبقه النعمان بصدْرِ فرسه فأَفْلَتَه(١) ، ولكن أسود بن بجير العجلى وضع يده فى يده ، ثم جزَّ ناصيته، وخلَّى سبيله .

ثم اتبعت بكر الفُرْسَ وأحْلافَهم من العرب يقتلونهم بقيَّةَ يومهم وليلتهم حتى أصْبَحوا من الغد وقد شارفوا السَّواد ، ودخلوه فى طلب القوم .

أما إياس بن قبيصةَ فكان أوَّلَ مَن انصرفَ إلى كسرى بالهزيمة ، وكان لا يأتيه أحدٌ بهزيمة جيش إلا نزع كَتِفيه ؛ فلما أتاه إياسُ سأله عن الخبر فقال : هَزَمْنَا بكر بن وائل ، فأتيناك بنسائهم ، فأَعْجَبَ ذلك كسرى وأمر له بكسوة . ثم استأذنه إياس فقال : إن أخى قيس بن قبيصة مريض بعين التمر فأردت أن آتيه(٢)، فأذن له

---

(١) وذلك قول مرثد :

وخيل تبارى للطعان شهدتها ... فأغرقت فيها الرمح والجمع محجم
وأفلتنى النعمان فوت رماحنا ... وفوق قطاة المر أزرق لهـذم

القطاة : موضع الردف من الدابة ، واللهذم : كل شئ من سنان أو سيف قاطع .

(٢) قال ذلك ليتنحى عنه .

كسرى، فركب فرسه الحمامة(١) ولحق بأخيه . ثم أتى كسرى رجلٌ من أهل الحيرة وهو بالخورنق فسأل : هل دخلَ على الملك أحد ؟ فقيل : نعم، إياس، فقال: ثكلت إياساً أمُّه ، وظن أنه قد حدَّثه الخبر ، فدخل عليه وحدَّثه بهزيمة القوم وقتلهم ، فأمَرَ به فنُزِعت كتفاه .

* * *

١ — وفى ذلك اليوم(٢) يقول أعْشَى قَيْس مُفْتَخِراً :

أمَّا تميمٌ فقَدْ ذاقَتْ عـداوتَنا ... وقيسُ عيلان مسَّ الخِزْيُ والأَسف

وجندُ كسرى غداةَ الحِنْوِ صبَّحهم ... منا غَطَارِيفُ ترجو الموتَ وانصرفوا

لَقَوْا مُلَمْلَمَةً(٣) شَهْبَاء يقدمُها ... للموت لا عَاجزٌ فيها ولا خَرِفُ(٤)

فرع نَمَتْهُ فروعٌ غـيرُ ناقصةٍ ... موفَّق حازم فى أمره أَنِفُ(٥)

فيهـا فوارسُ محمودٌ لقاؤُهمُ ... مثل الأسنَّةِ لا مِيلٌ ولا كُشُفُ(٦)

بِيضُ الوجوهِ غدَاةَ الرَّوْع تحسبهم ... جِنَّان عين عليها البِيضُ والزَّغَفُ(٧)

---

(١) لهذه الفرس خبر ذكره صاحب الأغانى ؛ وهو أن هذه الفرس كانت لإياس ثم أودعها عند رجل من تيم الله يقال له أبو ثور ، ولما أراد إياس أن يغزو قومه أرسل إليه أبو ثور بها ، فنهاه أصحابه أن يفعل ، فقال : والله ما فى فرس لإياس ما يعز رجلا أو يذله ، وما كنت لأقطع رحمه فيها ، فقال إياس :

غزاها أبو ثور فلما رأيتها ... دخيس دواء لا أضيع غزاها

دخيس : سمينة ،والدواء : تسمين الفرس

فأعددتها كفئا لكل كريهة ... إذا أقبلت بكر تجرر شاها

(٢) رأينا أن نعرض هنا بعض ما قيل فى هذا اليوم من الشعر (٣) كتيبة ملمومة وململمة : مجتمعة مضموم بعضها إلى بعض (٤) خرف الرجل : فسد عقله من الكبر ، فهو خرف ، والأنثى خرفة (٥) الجمل الأنف الذلول المؤاتى الذى يأنف من الزجر ومن الضرب ويعطى من السير عفواً سهلا ، قال فى اللسان : وكذلك المؤمن لا يحتاج إلى زجر ولا عتاب وما لزمه من حق صبر عليه وقام به (٦) الكشف : جمع أكشف وهو الذى لا ترس معه ، كأنه متكشف غير مستور . (٧) جنان جمع جان ، وهو من الجن ، والزغف : الدروع .

لما رأونا كشفنا عن جماجمنا ... ليعلموا أننا بكر فينصرفوا
قالوا : البقيةَ[1]، والهنديُّ يحصُدُهم ... ولا بقية إلا السيف فانكشفوا
لو أن كلَّ معدٍّ كان شاركنا ... فى يوم ذى قار ما أخطاهُمُ الشرفُ
لما أتونا كأنَّ الليلَ يقدمهم ... مُطبِّقَ الأرض تغشاها[2] بهم سُدَفُ
بطارق وبنو ملْك مرازبة ... من الأعاجم فى آذانها النُّطَفُ[3]
من كل مرجانةٍ فى البحر أحرزَها ... تيارُها ووقاها طينَها الصَّدَفُ
وظُعْننا خلْفَنا تجرِى مدامِعُها ... أكبادُها وَجلاً مما ترَى تجِفُ[4]
كأنَّما الآلُ فى حافاتِ جمعِهم ... والبيض برقٌ بدا فى عارضٍ يكِفُ
يحسِرْن عن أوجه قد عاينتْ عِبراً ... ولاحها عبْرة ألوانُها كِسَفُ[5]
ما فى الخدود صدورٌ عن وجوههم ... ولا عن الطعن فى اللَّبَّات مُنْحرَفُ
لما أمالوا إلى النُّشَّاب أيديهم ... مِلْنا ببيض فظلَّ الهام يُقتطف[6]
وخيل بكر فما تنفكُّ تطحَنُهم ... حتى تولَّوا وكاد اليوم ينتصِفُ

* * *

٢ — وقال يمدح بنى شيبان :

فِدًى لبنى ذُهْل بن شيْبان ناقتى ... وراكبُها يوم اللِّقاء وقلَّتِ
كَفَّوا إذ أتَى الهامرْزُ تخفقُ[7] فوقه ... كظلِّ العقاب إذ هوت فتدلَّتِ
أذاقوهم كأساً من الموتِ مُرَّةً ... وقد بذَخَتْ[8] فرسانُهم وأذلَّتِ

(١) العرب تقول للعدو إذا غلب : البقية : أى ابقوا علينا ولا تستأصلونا ، وفى اللسان : قالوا البقية والخطى يأخذهم (٢) فى الديوان: تغشاها لهم (٣) النطف : الأقراط وفى رواية: الشنف (٤) تجف : تضطرب (٥) قطعاً ، أى أن ألوانها مختلفة (٦) رواية العقد : ملنا ببيض لمثل الهام تختطف (٧) فى الديوان : تحنف ، والحنف : الميل (٨) بذخ : تطاول وتكبر ، وفخر ، وعلا ، وبذخ البعير : اشتد هدره فلم يكن فوقه شىء .

فصبَّحهم بالْحِنْوِ حِنْوِ قُرَاقِرٍ ... وذى قارها منهـا الجنود فقلَّت (١)
على كل مَحْبُوكِ (٢) السَّرَاةِ كأنَّه ... عقابٌ سَرَتْ من مَرْقَب إذ تدلت (٣)
فجاءت على الهَامُرْزِ وسط بيُوتهم ... شآبيبُ مَوْتٍ أسبلت فاستهلَّت
تناهت بنو الأحزاب إذ صبرت لهم ... فوارسُ من شَيْبان غُلْب فوَلَّتِ

* * *

٣ — وقال أبو عبيدة : سئل أبو عمرو بن العلاء، وقد تنافر إليه عجلى ويشكرى؛ فزعم العجلى أنه لم يشهد يوم ذى قار غـيرُ شيبانى وعجلى ، وقال اليشـكرى : بل شهدتها قبائل بكر وحلفاؤهم ، فقال أبو عمر : قد فصَلَ بينكما التَّغْلبى حيثُ يقول :

ولقـد رأيت أخاك عمراً مرة ... يَقْضى وَضِيعَيْه بذات العُجْرُم (٤)
فى غَمْرَةِ الموت التى لا تَشْتَكِى ... غَمراتِها الأبطالُ غـير تَغَمْغُم
وكأنما أقـدامُهم وأكفهم ... سَرَبٌ (٥) تَساقطَ فى خليج مُفْعَم
لما سمعت دعاء مُرَّةَ قد عَـلاَ ... وأتى ربيعـةَ فى العَجَاج الأقْتَمِ
وعلَّم يمشون تحت لوائهم ... والمـوت تحت لواء آل محلِّم
لا يُصرَفون عن الوَغَى بوجوههم ... فى كل سَابِغَةٍ كلون العِظْلِم (٦)

---

(١) روى هذا البيت فى اللسان :

وهم ضربوا بالحنو حنو قراقر ... مقدمة الهامرز حتى تولت

قال : وصواب انشاده : هم ضربوا ، وهذه هى رواية الديوان ؛ ورواية النقائض أيضاً .

(٢) فى الديوان : مجبول ، والتصحيح عن اللسان (٣) فى اللسان : عقاب سرت من مرقب وتعلت (٤) يقال وضعت عند فلان وضيعة ، وفى التهذيب وضيعا ، أى استودعته وديعة ، ويقال للوديعة وضيع . والعجرمة شجرة من العضاة غليظة عظيمة لها عقـد كعقد الـكعاب تتخذ منها القسى ، والجمع عجرم بضم العين والراء وكسرهما ، قال العجاج يصف المطايا :

* نواحلا مثل قسى العجرمْ *

(٥) السرب بالتحريك: الماء السائل (٦) العظلم : عصارة شجر لونه كالنيل أخضر إلى الـكدرة ، والعظلم أيضاً : صبغ أحمر .

ودعت بنو أمّ الرقاع فأقبلوا عند اللقاء بكل شاكٍ مُعْلَم
وسمعت يَشْكُر تُدْعَى بحُبَيب[1] تحت العَجاجة وهى تقطر بالدَّم
يمشون فى حَلَق الحديد كما مشَتْ أُسْدُ العرين بيوم نَحْسٍ مُظلم
والجمعُ من ذهل كأن زُهاءَهم[2] جُرْبُ الجمال يقودُها ابْناَ قَشْعَمٍ
والخيلُ من تحت العَجاج عوابساً وعلى مَنَاسِجِها[3] سحائبُ من دَم

* * *

٤ — وقال العديل بن الفرج العجلى :

ما أوْقَدَ الناسُ من نارٍ لِمَكْرُمة إلا اصْطَلينا وكُنَّا مُوقدى النار
وما يعدُّون من يوم سمعتُ به للناس أفضلَ من يومٍ بذى قَار
جئنا بأسْلاَبهم والخيلُ عابسةٌ لما استلبْنَا لِكِسرى كل إسوَار[4]

* * *

٥ — وقال أبو كَلْبَةَ التيمى :

لولا فوارسُ لاَ مِيلٌ ولا عُزُل[5] من اللَّهَازم[6] مافظْتُم[7] بذى قار
إن الفوارسَ من عِجْلٍ همُ أنفوا من أن يُخَلُّوا لِكسرى عَرْصَةَ[8] الدَّار

---

(١) الحبيب : الصاحب ، والحباب : الشيطان ، ويصح أن يكون تصغيراً لواحد منهما
(٢) زهاء الشىء : شخصه ، واحده كجمعه ، وأنشد ابن الأعرابى :

* دهماً كأن الليل فى زهائها *

زهاؤها : شخوصها ، يصف نخلا يعنى أن اجتماعها يرى شخوصها سواداً كالليل
(٣) المنسج بكسر الميم بمنزلة الكاهل من الإنسان (٤) الاسوار بكسر الهمزة وضمها : قائد الفرس ، وقيل : هو الجيد الرمى بالسهام ، وقيل : هو الجيد الثبات على ظهر الفرس ، والجمع أساورة وأساور (٥) الأميل : الذى لا سيف معه ، وقيل الذى لا رمح معه ، وقيل هو الذى لا ترس معه ، وقيل هو الجبان ، أو هو الذى لا يثبت على ظهور الخيل ، وجمعه ميل . والعزل : الذى لا سلاح معه (٦) اللهازم : بنو تيم الله بن ثعلبة (٧) فى بعض الروايات : نطتم ، وفاظ الرجل : مات ، وفى مهذب الأغانى : فظتم (٨) العرصة : كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء ، والجمع العراص والعرصات .

لاقوْا فوارسَ من عِجْلٍ بشكَّتِها(١) ليسوا إذا قَلَّصت حَرْبٌ بأَغْمَار(٢)
قدأحسنت ذُهْل بن شيبان وماعَدَلَتْ في يوم ذِى قَار فُرْسَان ابن سيَّار
هم الذين أتَوْهم عن شمائلهم كما تلبّس وُرَّاد بصُـــدَّار(٣)

***

٦ — وقال الأعشى يجيبه(٤) :

أَبْلغ أبا كَلْبَـة التيمىَّ مَأْلـكَةً فأنتَ من معشرٍ والله أشرارِ
شيبانِ تدفع عنـك الحرب آونةً وأنت تنبح نبحَ الـكلب فى الغار

***

٧ — وقال الأعشى يلوم قيس بن مسعود :

أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد وأنت امرؤٌ تَرْجُو شبابَك وَائِلُ
أطورين فى عام غزاة ورحْـلة ألا ليت قيساً عرفتـه القواتل
لقد كان فى شيبان ـ لو كنت عالما ـ قِبَابٌ وفيهـم رحـلة وقبـائل
رحلت ولم تنظر وأنت عميدُهم فلا يبلغنِّى عنـك ما أنتَ فاعِل
فعرّيت من أهلٍ ومالٍ جَمَعْتَهُ كما عريت مما تُمِرّ المَغَازِل
لعلك يوم الحِنْوِ إذ صَبَّحَتْهم كتائبُ موتٍ لمَّا تعِظك العواذِل

***

(١) الشكة : السلاح (٢) رجل غمر : لا تجربة له بحرب ولا أمر ، ولم تحنكه التجارب ، وجمعه أغمار (٣) رواية النقائض :

نحن أتيناهم من عند أشملهم كما تلبس وراد بصـدار

(٤) وفى النقائض : فلما بلغ الأعشى قول أبى كلبة قال : صدق ، ثم قال معتذراً :

متى تقرن أصم بحبل أعشى يتيها فى الضلال وفى الخسار
فلست بمبصر ما قد يراه وليس بسامع أبداً حوارى

٨ — وكتب لقيط الإيادى إلى بنى شيبان فى يوم ذى قار شعراً يقول فيه :

قوموا قياماً على أَمْشَاطِ أرْجُلِكم ... ثم افزَعُوا ، قد ينالُ الأَمنَ من فَزِعا
وقلِّدوا أمركم ، لله دَرُّكُمُ ! ... رَحْبَ الذراعِ بأمرِ الحربِ مُضْطَلِعا
لا مُتْرَفًا إنْ رَخَاءُ العيشِ ساعدَهُ ... ولا إذا عَضَّ مَكْرُوهٌ بِهِ خَشَعا
مازال يحْلُبُ هذا الدَّهْرَ أَشْطُرَهُ[1] ... يكونُ متَّبَعًا طورا ومُتَّبِعا
حتى استمرَّ على شزر مريرته ... مستحكم الرأى لا قحماً[2] ولا ضرعا

٩ — وقال بُكَير أصمُّ بنى الحارث بن عباد يمدح شيبان :

إن كنت ساقيةَ المُدامةِ أهْلَها ... فاسْقِي على كَرَمٍ بنى هَمَّامِ
وأبا ربيعةَ كلها ومُحَلِّماً ... سبقَا بغايةِ أمْجدِ الأيّامِ[3]
ضربوا بنى الأحرار يوم لَقُوهُمُ ... بالمَشْرَفىِّ على مَقِيلِ الهامِ
شدَّ ابن قيسٍ شدَّةً ذهبتْ لها ... ذِكْرًا له فى مُعْرِقٍ[4] وشَآمِ
عَمْرٌو وما عَمْرٌو بقَحْمٍ[5] دَالفٍ[6] فيها ولا غُمْرٍ ولا بغُلَامِ

---

(١) حلب فلان الدهر أشطره : أى خبر ضروبه ، يعنى أنه مر به خيره وشره وشدته ورخاؤه تشبيهاً بحلب جميع أخلاف الناقة ، ما كان منها حفلا وغير حفل ودارا وغير دار (٢) القحم : الكبير من الإبل ،قال فى اللسان: ولو شبه به الرجل كان جائزاً (٣) فى مهذب الأغانى : بغاية أفضل الأقسام (٤) فى رواية : مغرب (٥) القحم: الكبير من الإبل ، ولو شبه به الرجل كان جائزاً ، وقال الجوهرى : شيخ قحم : أى هم كبير (٦) فى الكامل : ولا داله .

٢ ـ أيام القحطانيين فيما بينهم

وتشتمل على ما يأتي :

١ — يوم البَرَدَان .

٢ — « الكُلاب الأول .

٣ — « عين أباغ .

٤ — « حليمة .

٥ — « اليحاميم .

٦ — حروب الأوس والخزرج :

(١) حرب سمير .

(٢) « كعب .

(٣) « حاطب .

(٤) « يوم بعاث .

٧ — « « سحبل .

(١) يوم البَرَدَان *

كان حُجْر(١) بن عمرو بن معاوية الـكندى قد أغار فى كِنْدَة وربيعة على البَحْرَيْن فبلغ زياد بن الهَبُولَة(٢) خبرهم ، فسار إلى كِنْدَة وربيعة وأموالهم ، وهم خُلوف(٣) ، ورجالُهم فى غَزَاتِهم المذكورة ، فأخذ الحريم والأموال ، وسَبَى منهم هند بنت ظالم زوج حُجْر ؛ وسمع حجر بغَارَةِ زياد فطلبه ، وصَحِبَه من أشْرَاف ربيعة : عَوْف بن محلّم بن ذهل بن شَيْبَان ، وعمرو بن أبى ربيعة بن ذهل بن شَيْبان وغيرهما ، فأدركوا عمراً بالبَرَدَان ، وقد أمِن الطَّلَب .

فنزل حُجر فى سَفْح جَبَل ، ونزلت بكر وتغلب وكِنْدَة مع حُجْر دون الجبل . فتعجَّل عوف بن محلّم وعمرو بن أبى ربيعة وقالا لحُجْر : إنا مُتَعَجِّلَان إلى زياد لعلّنا نأخذ منه بعضَ ما أصاب منا ؛ فسارا إليه ، وكان بينه وبين عَوْف إخَاء فدخل عليه وقال له : ياخَيْرَ الفِتْيَان(٤) : ارْدُدْ عَلَىَّ امرأتى أمامة ، فردّها عليه ، وهى حامل(٥) . ثم إن عَمْرَو بن أبى ربيعة قال لزياد : يا خيرَ الفِتْيان ؛ اردُدْ علىَّ ما أخذت من

---

* لحجر آكل المرار (من كندة) : على زياد بن الهبولة (من قضاعة) ، والبردان : علم على مواضع كثيرة ذكرها ياقوت فى معجم البلدان ، ولم يعين الموضع الذى وقع فيه ذلك اليوم .
ابن الأثير ص ٣٠١ ج ١ ، والأغانى ص ٨٢ ج ١٥

(١) حجر بن عمرو : يعرف بآكل المرار ، وهو جد امرئ القيس ، استعمله تبع ملك اليمن ، ولم يزل ملكا حتى خرف (٢) كان زياد بن الهبولة ملكا على الشام ، وكان من قضاعة

(٣) الخلوف : الذين ذهبوا من الحى . ويقال أيضاً لمن حضر منهم ، وهو من الأضداد ، والمراد الأول (٤) تلك كانت تحية ملوك الشام عند العرب (٥) ولدت له بنتاً ، فأراد عوف أن يئدها فاستوهبها منه عمرو بن أبى ربيعة وقال : لعلها تلد إناساً ، فتزوجها الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار ، فولدت عمراً ، فعرف بابن أم إناس .

إبلى فردَّها عليه ، وفيها فَحْلُها ، فنازعه الفحلُ إلى الإبل فصرَعَه عمرو ، فقال له زِياد : ياعمرو ؛ لو صَرَعْتُم يا بنى شيبان الرجالَ كما تصرعون الإبلَ لكنتم أنتم أنتم . فقال له عمرو : لقد أعطيتَ قليلاً ، وسمَّيْت جليلاً ، وجرَرْتَ على نفسك وَيْلاً طويلاً ، ولتجدَنَّ منه ، ولا والله لا تَبْرَحُ حتى أُرْوِىَ سِنَانى من دَمك، ثم ركض فرسه حتى صار إلى حُجْر فأخبره الخبر .

فأقبل حجر فى أصحابه حتّى إذا كان بمكان يقال له الحفير ، أرسل سَدوس بن شيبان وصليع بن عبد غَنْم يتجسَّسان له الخبر ، ويعلمان علم العسكر ؛ فخرجا حتى هجما على عسكره ليلاً ، وقد قسم الغنيمة ، وأطعم الناس تمرًا وسمناً ، فلما أكل نادى : من جاء بحُزْمَة حَطَب فله فِدْرة (١) تَمْر ؛ فجاء سدوس وصليع بحطَب ، فناوَلهما تمراً ، وجلسا قريباً من قُبَّته ، ثم انصرف صليع إلى حُجْر فأخبره بعسكر زياد ، وأراه التمر .

وأما سدوس فقال : لا أبرحُ حتى آتيَه بأمرٍ جَلِيٍّ ، وجلس مع القوم يتَسَمَّع ما يقولون . وهند امرأةُ حُجْر خَلْف زياد ؛ فقالت لزياد : إن هذا التَّمر أُهْدى إلى حُجْر من هَجَر ، والسمن من دُومَةِ الجَنْدَل .

ثم تفرَّق أصحابُ زياد عنه ، فضرب سدوس يدَه إلى جليس له ، وقال له : من أنْتَ ؟ مخافة أن يَسْتَنْكِره الرجل ، فقال : أنا فلان ابن فلان ، ودنا سدوس من قُبَّة زياد بحيث يسمعُ كلامه ، ودنا زياد من هند امرأة حجر فقال لها : ما ظَنُّك الآن بحجر ؟ فقالت : ما هو ظنٌّ ، ولكنه يَقين ، وإنه والله لن يدعَ طلبَك حتى يُطَالِع القصورَ الحُمْر ـ تعنى قصورَ الشام ـ وكأنى به فى فوارسَ من بنى شيبان

(١) فدرة من تمر : قدر من تمر . وكان ابن الهبولة قد أصاب فى عسكر حجر مالا كثيراً .

يذمُرُهم(١) ويذمُرونه ، وهو شديدُ الكَلَب تُزبد شفتاه ، وكأنَّه بعيرٌ آكل مُرَارا(٢) ؛ فالنَّجاء النَّجاء ! فإن وراءك طالبًا حثيثًا ، وجَمْعًا كثيفًا ، وكَيْدًا متينًا ، ورأيًا صليبًا .

فرفع يده فلَطَمها ، ثم قال لها : ما قلتِ هذا إلا من عُجْبِك به ، وحُبِّك له . فقالت : والله ما أبغضتُ ذا نَسَمَة قط بُغْضي له ، ولا رأيتُ رجلاً أحزم منه نائمًا ومستيقظًا ، إن كان لتنامُ عيناه فبعضُ أعضائه مستيقظ ، وكان إذا أراد النوم أمرني أن أجعل عنده عُسًّا(٣) من لَبَن ، فبَيْنَا هو ذات ليلة نائم وأنا قريبٌ(٤) منه أنظر إليه إذ أقبل أسودُ سَالِخ(٥) إلى رأسه فنحَّى رأسه ، فمال إلى يده فقبَضها ، فمال إلى رِجْلِه فقبضها ، فمال إلى العُسّ فشربه ثم مجَّه . فقلت : يستيقظ فيشربه فيموت فأستريح منه ، فانْتَبَه من نومه ، فقال : عليَّ بالإناء . فأتيته به ؛ فشمَّه ثم ألقاه فهَرِيق(٦) ، فقال : أين ذهب الأسْوَد ؟ فقلت : ما رأيتُه . فقال : كذَبْتِ والله ! وذلك كله بأُذُن سدوس ، فلما نامت الأحْراس خرج يسري ليلتَه حتى صبَّح حجرا ، فقال :

أتاك المُرْجفُونَ بِرَجْمٍ(٧) غَيْب على دَهَشٍ وجئتُك باليقين

---

(١) ذمره : لامه وحضه وحثه (٢) المرار : شجر مر إذا أكلته الإبل قلصت عنه مشافرها قيل : سمي حجر آكل المرار من يومئذ . وقد وردت هذه العبارة في اللسان : إن ابنة كانت له سباها ملك من ملوك سليح يقال له ابن هبولة ، فقالت له ابنة حجر : كأنك بأبي قد جاء كأنه جمل آكل المرار — يعني كاشراً عن أنيابه ، فسمي بذلك . ثم أورد سبباً آخر لهذه التسمية (لسان — مادة مرر) (٣) العس : إناء كبير (٤) هذا اللفظ يستوى فيه الواحد والمثنى والجمع ، وفي المصباح : للقريب في اللغة معنيان أحدهما قريب قرب ، فيستوى فيه المذكر والمؤنث ، يقال زيد قريب منك ، وهند قريب منك ، لأنه من قرب المكان والمسافة فكأنه قيل هند موضعها قريب ، ومنه إن رحمة الله قريب من المحسنين . والثاني قريب قرابة فيطابق ، فيقال هند قريبة ، وهما قريبتان (المصباح واللسان — مادة قرب) (٥) أسود سالخ : الشديد السواد من الحيات ؛ ويقال له : سالخ لأنه يسلخ جلده كل عام (٦) هريق : أريق (٧) المرجفون : الذين يولدون الأخبار الكاذبة ، والرجم : التكلم بالظن .

فمن يك قَدْ أَتَاكَ بأَمْر لَبْس فقد آتِى بأَمْرٍ مُسْتبين

ثم قص عليه ما سمع به ، فأَسِف ونادى بالرحيل، فساروا حتى انْتهَوا إلى عسكر ابنِ الهبُولَة فاقتتلوا قِتالاً شديداً ، فانهزم أصحابُ ابنِ الهبُولَة ، وقُتِلوا قتلاً ذَريعاً ، واستنقذت بكر وكندة ما كان بأيديهم من الغنائم والسَّبْى ، وعَرَف سدوس زياداً فَحمل عليه فاعْتَنَقَه وصرَعه ، وأخذه أسيراً ، فلما رآه عمرو بن أبى ربيعة حسَده فطعَن زياداً فقتله ، فغضِب سدوس وقال : قتلتَ أسيرى ، ودِيتُه دِيَةُ مَلِك ، فتحاكما إلى حُجْره فحكم على عمرو وقومه لسدوس بِدِيَةِ مَلِك، وأعانهم من ماله، وأخذ حجرٌ زوجته هندا فربطها فى فرسين ، ثم ركَضهما حتى قطعاها ، وقال فيها :

إنّ مَنْ غرَّه النساء بشىء بعد هِنْدٍ لَجَاهِلٌ مَغْرُور
حُلْوَة العَيْن والحـديث ومرٌّ كل شىء أجَنَّ منها الضميرُ
كلُّ أنثى ـ وإن بَدا لَكَ مِنها آيةُ الحبِّ ـ حُبُّها خَيْتَعُور(١)

(١) خيتعور : كل شىء يتلون ، ولا يدوم على حال .

* قال ابن الأثير بعد إيراده لهذا اليوم : ليس زياد بن هبولة ملـكا على الشام ، لأن ملوك سليح كانوا بأطراف الشام مما يلى البر من فلسطين إلى قنسرين والبلاد للروم ، ومنهم أخذت غسان هذه البلاد ، وكلهم كانوا عمالا لملوك الروم كما كان ملوك الحيرة عمالا لملوك الفرس ، ولم تكن سليح ولا غسان مستقلين بملك الشام ولا بشبر واحد على سبيل التفرد والاستقلال . وزياد بن هبولة السليحى ملك مشارف الشام أقدم من حجر آكل المرار بزمان طويل ، لأن حجراً هو جد الحارث بن عمرو ابن حجر الذى ملك الحيرة والعرب بالعراق أيام قباذ أنوشروان ، وبين ملك قباذ والهجرة نحو مائة وثلاثين سنة ، وقد ملـكت غسان أطراف الشام بعد سليح ستمائة سنة ، وقيـل خمسمائة ، وأقل ما سمعت فيه ثلاثمائة وست عشرة سنة ، وكانوا بعد سليح ، ولم يكن زياد آخر ملوك سليح فتزيد المدة زيادة أخرى ، وحيث أطبقت رواة العرب على هـذه الغزاة فلا بد من توجيهها ، وأصلح ما قيل فيه : إن زياد بن هبولة المعاصر لحجر كان رئيساً على قوم أو متغلباً على بعض أطراف الشام حتى يستقيم هذا القول . على أن أبا عبيدة ذكر هذا اليوم ولم يذكر أن ابن هبولة من سليح بل قال : هو غالب بن هبولة ملك من ملوك غسان

(٢) يوم الكُلاب الأول*

كان الحارثُ بن عمرو المقصور[١] بن حُجْر آكل المُرار قد ملك الحِيْرَة فى أيام قُباذ بن فَيْرُوز ملك الفرس لدُخوله فى دين الزدكيّة[٢] الذى دعاه إليه ، بعد أن نفى المنذرَ بن ماء السماء[٣] عنها . واشتغل بالحِيْرَة عمّا كان يراعيه من أُمور البوادى ، فتَفَاسَدَت[٤] القبائل من نِزار ؛ فأتاه أشرافُهم ، وشكَوا إليه ما حلّ بهم من غَلَبة السفهاء ، وحُكْم الأقوياء ، وطلبوا إليه أن يُملّكَ أبناءَه عليهم .

فملّكَ ابنَه حُجْراً على بنى أَسد وغَطَفان ، وابنه شُرَحْبِيلا على بكر بن وائل بأسْرِها وعلى بنى حَنْظلة ، وملّك ابنه معديكرب على بنى تَغْلب والنَّمِر بن قاسط وسعد بن زيد ، وملّك ابنه سَلَمة على قَيْس عَيْلان .

ثم إن الحارث خرج يتصيَّد فرأى جماعةً من حُمر الوحش فشدّ عليها ، وانفرد منها حمارٌ فتَتَبَّعه ، وأقسم ألاّ يأ كلَ شيئاً قبل كَبِده ، فطلبته الخيـلُ ثلاثة أيام حتى أدْركته ، وأُتى به ، وقد كاد يموت من الجوع ، ثم شُوى على النار وأُطعِمَ من كَبِده وهى حارّة ، فمات .

---

* لسلمة بن الحارث بن عمرو المقصور آكل المرار على أخيه شرحبيل . والـكلاب : اسم ماء بين الـكوفة والبصرة .

الأغانى ص ٦٠ ج ١١ ، معجم البـلدان (كلاب) . ابن الأثير ص ٢٣١ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣٥٣ ج ٣ ، شرح ديوان امرىء القيس ١٨٩

(١) سمى المقصور ؛ لأنه قصر على ملك أبيه حجر بعد موته (٢) المزدكية : أتباع مزدك ، وهو فيلسوف إباحى ظهر فى فارس على عهد قباذ ، ودعا الناس إلى الزندقة وإباحة الحرم ، وأيده قباذ وصادف رواجاً عند الـكثيرين من الفرس (٣) وكان سبب نفى المنذر عن الحيرة أن قباذ دعاه إلى أن يدخل فى دين الزدكية ، فأبى حمية وأنفة ؛ فنفاه وقرب الحارث وملـكه بعد أن أجاب دعوته إلى المذهب المزدكى (٤) تفاسدت القبائل : قطعت الأرحام .

ولما هلك الحارثُ تشتّت أمرُ أولاده وتفرّقت كلمتهم ، ومشى بينهم الرجال ، وتفاقم أمرُهم حتى جمع كلٌّ واحد منهم لصاحبه الجموع ، وزحف إليه بالجيوش .

وبلغت العداوة أشدّها بين شُرَحْبِيل وسَلَمة ، بِفَضْل المنذر الذى عاد إلى الحيرة بعد هلاك قُباذ ، وأخذ يُغْرِى بين الأخوين .

وسار شرحبيل ومن معه حتّى نزلوا « الـكُلاَب[1] » وأقبل سَلمة فيمن معه ، وكان نُصحاء شُرَحبيل وسَلَمةَ نهوْهما عن الفساد والتحاسد ، وحذّرُوهما عَثَرَاتِ الحرب، وسوءَ مغبّتها، فلم يقْبلا ولم يَبْرَحا، وأقاما على التتايع[2] واللجاجة فى أمرهما، واقتتل القوم قتالا شديداً ، وثبت بعضهم لبعض . فلما كان آخر النهار نادى منادى شُرَحبيل: مَنْ أتانى برأس سَلَمة فله مائةٌ من الإبل؛ ونادى منادى سَلَمة : من أتانى برأس شُرَحبيل فله مائة من الإبل .

واشتدّ القتال حينئذ ، كلٌّ يطلب أن يظفَرَ لعلّه يصلُ إلى قتل أحد الرّجلين ليأخذَ مائةً من الإبل ؛ وكانت الغلبةُ لسَلمة وأتباعِه ، ومضى شُرحبيل منهزماً ، فتبعه من بنى تغلب ذو السُّنَيْنَة[3] ، فالتفت إليه شرحبيل ، وضربه على ركبته فأطَنّ[4] رِجْلَه .

وكان لذى السُّنَينة أخ لأمه اسمه عصيم بن مالك الجُشَمى ، ويكنى أبا حنش فقال له إذ رآه : قتلنى الرجل ، ثم هلك ، فقال أبو حنش لشُرحبيل : قتلنى الله إن لم أقتلك ، وحمل عليه حتى أدركه. فقال : ياأباحنش ؛ اللّبن اللبن[5]! فقال : قد هَرَقْتَ لبناً كثيراً.

---

(١) الـكلاب : اسم ماء بين الـكوفة والبصرة ، وقيل ماء بين جبلة وشمام على سبع ليال من اليمامة (ياقوت) (٢) التتايع : يقال يتتايع فى الأمور أى يرمى بنفسه فيها من غير تثبت .

(٣) اسمه حبيب بن عتيبة من جشم بن بكر ، وكانت له سن زائدة (٤) أطن رجله : قطعها .

(٥) يريد الدية .

فقال شُرحبيل: يا أبا حنش ، أمَلِكاً بسُوقة ! فقال : إن أخى كان مَلِكى ، ثم طَعَنَه وألقاه عن فرسه ، ونزل إليه ، فأخذ رأسه(١) ، وبعث به إلى سلمة مع ابن عمٍّ له اسمه أبو أجأ بن كعب ، فأتاه وألقى الرأس بين يديه، فقال سلمة : لو كنتَ ألقيته إلقاء رفيقاً ! فقال : ما صنع بى وهو حىّ شر من هذا . فقال سلمة : وقد دمعت عيناه ! أنت قتلتَه ؟ فقال : لا ؛ ولكن قتلَه أبو حنش . وعرف أبو أجأ الندامة فى وجه سلمة ، وظهر عليه الجزَعُ لموت أخيه ، فهرب وهرب أبو حنش ، ثم نظر سلمةُ إلى رأس أخيه وبكى وقال(٢) :

ألا أبلغ أبا حَنَش رَسُولا ... فما لك لا تجئُ إلى الثَّواب
تَعَلَّمْ(٣) أن خيرَ الناس طُرًّا ... قتيل بين أحجار الكُلاب
تداعت حوله جُشم بن بكرٍ ... وأسلمه جَعَاسِيسُ(٤) الرِّباب(٥)
قتيل ما قتيلك يابْنَ سَلْمى(٦) ... تضرّ به صديقك أو تُحابى

وبلغت الأبيات أبا حنش فقال مجيبا :

أحاذر أن أجيئك ثم تحبو ... حِباء أبيك يوم صُنَيْبِعَات(٧)

(١) ويقول امرؤ القيس فى مقتل شرحبيل وهلاك آبائه :

وقد طوفت فى الآفاق حتى ... رضيت من الغنيمة بالإياب
أبعد الحارث الملك ابن حرب ... وبعد الخير حجر ذى التباب
واعلم أننى عمّا قليل ... سأنشب فى شبا ظفر وناب
كما لاقى أبى حجر وجدى ... ولا أنسى قتيلا بالكلاب

(٢) قيل إن هذا الشعر لمعديكرب أخى شرحبيل ، وكان صاحب سلامة معتزلا عن حربهما
(٣) تعلم : اعلم (٤) الجعاسيس : جمع جعسوس ، وهو القصير الدميم (٥) الرباب : أحياء ضبة ، وقد كانت هى وجشم بن بكر مع شرحبيل (٦) سلمى : أم أبى حنش ، وهى بنت عدى ابن ربيعة ، بنت أخى كليب (٧) صنيبعات : موضع ذكره ياقوت ، وارجع أيضاً إلى النقائض ومجمع الأمثال، تقيهما : قوله يوم صنيبعات : إن ابناً للحارث كان مسترضعاً بين حيين من العرب تميم وبكر ، فمات يقال لدغته حية فأخذ خمسين رجلا من بكر فقتلهم بذلك .

فكانت غَدْرة شنعاء تهفو   تقلَّدها أبوك إلى الممات[1]

وسمع بقتل شُرَحبيل أخوه معد يكرب ـ وكان صاحب سَلامة ، معتزلا عن جميع الحروب ـ فقال يرثيه :

إنَّ جَنْبِي عن الفراش لَنَابي   كتجافي الأَسَرِّ فوقَ الظِّراب[2]
من حديثٍ نَمَا إلي فما ترْ   قأُ عَيْني ولا أُسيغ شَرابي
مُرَّةٌ كالذُّعاف أَكتُمها النا   سَ على حَرِّ مَلَّةٍ[3] كالشِّهاب
مِن شُرَحْبِيلَ إذ تعاوَرَه الأَرْ   ماحُ في حال لَذَّةٍ[4] وشباب
يا بْنَ أُمِّي ولو شهدتك إذ تد   عو تميماً وأنت غيرُ مُجاب
يوم ثارت بنو تميمٍ وولَّتْ   خيلُهم يَتَّقِين بالأَذْناب
ويْحكم يا بنيَ أسيِّد إني   ويحكم ربكم وربّ الرّباب
أين معطيكم الجزيل وحابيـ   ـكم على الفقر بالمئين اللُّبَاب[5]
فارس يطعن الكماة جرئٌ   تحته قارِح[6] كلَوْن الغراب

ولمَّا قُتِل شُرَحْبيل قام عوف بن شَجْنة في قومه من بني سعد دون عِياله فمنعوهم ، وحالوا بين الناس وبينهم ، ودفعوا عنهم حتَّى ألحقوهم بقومهم ومأْمَنِهم ، وبلغ امرأَ القيس ابن أخي شرحبيل أمرُهم مع عمه فقال يمدحهم ؛ ويعرّض ببني حنظلة الذين خذلوه :

---

(١) قال معلق الأغاني (ص ٦٢ ج ١١ ساسي) قال هشام : قلت لأبي : أي شيء كان حباء أبيه يوم صنيبعات ؟ قال : كان للحارث بن عمر غلام مسترضع في بني تميم وبكر ، وكانوا يتبدون في صنيبعات ، فنهشت حية الغلام ، فاتهم به الحيين جميعاً ، فجاءوا يعتذرون إليه ، بأنهم لم يقتلوه ، فقال : ائتوني بأمان حتى أسأل عن ابني وما حاله ، فأتاه من هؤلاء وهؤلاء نفر فقتلهم جميعاً .

(٢) يقال بعير أسر : إذا كان في سرته داء فيتجافى إذا برك ، والظراب : جمع ظرب ، وهو ما نتأ من الحجارة (٣) الملة : الجمر (٤) في اللسان : في حال صبوة (٥) اللباب : خيار الإبل (٦) القارح : الفرس .

أحنظَلَ لَوْ حاميتُم وصـبرتم ... لأثنيتُ خيراً صالحاً ولأَرْضاني
ألاَ إن قوماً كنتم أمس دونهم ... هم منعوا جاراً لـكم آلَ غُدْران (١)
ثياب بني عوف طهارى نقيّة ... وأوجههم عند المشاهد غُرّانُ (٢)
عُوَيْرٌ (٣) ومن مثل العُوَيرِ ورَهْطه ... وأَسْعَدَ (٤) في ليل البلابل صفوان
همُ أبلغوا حيّ المضلَّل أهلهم ... وساروا بهم بين العراق ونَجْرَان
فقد أَصْبَحُوا ـ واللهُ أَصْفاهم به ـ ... أبرّ بميثاق وأَوْفى بجـيران

(١) قال الوزير أبو بكر شارح ديوان امرئ القيس : يقول : ألا إن قوماً نزلت عليهم وتحرمت بهم هم منعوا جاراً لـكم بالأمس دونهم ، أى كنت بالأمس جاراً لـكم دونهم ، فأردتم أن تغدروا بي وأضمرتم ذلك ، فأنتم أهل غدر (٢) قال فى اللسان : رجل أغر الوجه إذا كان أبيض الوجه من قوم غر وغران ، ثم أنشد هذا البيت . وفيـه إقواء (٣) عوير : هو عوف بن شجنة ، وصفوان من سادات بنى سعد ، والمضلل : يريد شرحبيل ، وقال شارح الديوان : المضلل : المحير الذى لا يدرى أين يتوجه ، ولا حيث يأخذ ، يريد أن قبـائل العرب كانت تتحاماه ولا تجيره ، خوفاً من الملك الذى كان يطلبه (٤) أسعد : أعان ، فى ليل البلابل : فى الهموم والأفـكار ، كأنه خفف بعضها .

(٣) يوم عَيْن أُبَاغ

سار المنذرُ(١) بنُ ماء السماء ملك العرب بالحيرة فى معدّ كلّها حتى نزل بعين أُبَاغ ، فأرسل إلى الحارث(٢) الأعرج بن جبَلَة ملك العرب بالشام وقال له : إما أن تعطيَنى الفِدية فأنصرفَ عنك بجنودى ، وإما أن تأذنَ بحرب .

فأرسل إليه الحارث : أنظِرْنا ننظر فى أمرنا ، فجمع عساكره ، وسار نحو المنذر وأرسل إليه يقول له : إنا شيخان ، فلا تُهلك جنودى وجنودك ، ولكن يخرجُ رجل من ولدى ، ويخرج رجل من ولدك فمن قُتل خرج عِوَضه آخر ، وإذا فَنِى أولادُنا خرجت أنا إليك ، فمن قَتل صاحبه ذهب بالملك ، وتعاهدا على ذلك .

فعمَد المنذر إلى رجل من شُجْعان أصحابه ، وأمره أن يخرج فيقف بين الصفّين ، ويُظهر أنه ابنُ المنذر ، فلما خرج أخرج إليه الحارث ابنه أبا كرِب ، فلما رآه رجع إلى أبيه وقال : إن هذا ليس بابن المنذر ، إنما هو عبدُه ، أو بعض شجعان أصحابه ،

---

* للحارث الأعرج بن جبلة ملك العرب بالشام على المنذر بن ماء السماء ملك العرب بالحيرة . وعين أباغ: واد وراء الأنبار على طريق الفرات إلى الشام .

ابن الأثير ص ٣٢٦ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣٧٤ جزء ٣ ، ديوان الحماسة ص ٣٤٦ ج ٢ ، شواعر العرب ص ٥٦ ، لسان العرب ص ٢٩٨ ج ١٠ ، معجم البلدان ص ٦٨ ج ١ ، تاريخ العرب القدامى (للشيخ محمد فخر الدين) ص ٣٨ ، تاريخ العرب قبل الإسلام (لجورجى زيدان) .

(١) هو المنذر الثالث بن امرئ القيس ، وماء السماء أمه ؛ وهو أشهر ملوك الحيرة ، وأكثرهم غزواً وفتحاً ، عاصر من ملوك الفرس قباذ وابنه أنوشروان ، ومن قياصرة الروم الامبراطور جستنيان ، ومن الغساسنة الحارث الأكبر المذكور فى هذا اليوم ، وفى بعض الروايات إنه صاحب يومى النعيم والبؤس (٢) الحارث بن جبلة : أشهر ملوك غسان وأعلاهم همة وأبعدهم صوتاً ، وهو الذى سهل لامرئ القيس طريق الوصول إلى قيصر توفى سنة ٥٥٦ م.

فقال : يابنى ، أجزعت من الموت ؟ ما كان الشيخُ ليَغدِر ! فعاد إليه وقاتله ، فقتله الفارس وألقى رأسه بين يدى المنذر وعاد ؛ فأمر الحارث ابنًا له آخر بقتاله ، والطَّلَب بثأر أخيه ، فخرج إليه ، فلما واقفه رجع إلى أبيه ، وقال : يا أبت ؛ هذا والله عبدُ المنذر ، فقال : يا بنى ؛ ما كان الشيخ ليغدِر ! فعاد إليه ، وشدّ عليه الرجلُ وقتله .

فلما رأى ذلك شِمر بن عمرو الحنفى ، وكان مع المنذر ـ وكانت أمّه غسانية ـ قال له : أيها الملك ؛ إن الغَدْرَ ليس من شِيَمِ الملوك ولا الكِرَام ، وقد غدرت بابْنِ عمّك دفعتين .

فغَضِبَ المنذرُ وأمر بإخراجه ، فلحق بعسكر الحارث وأخبره ، فقال له : سَلْ حاجتك ، فقال له : حُلَّتك وخُلَّتك(١) . فلما كان الغدُ حرَّض الحارث أصحابه ـ وكان فى أربعين ألفًا ـ واصطفُّوا للقتال ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقُتل المنذر ، وهُزمت جيوشه .

فأمر الحارث بابنيه القتيلين فحُمِلا على بعير بمنزلة العِدلين(٢) ، وجعل المنذر فوقهما فرداً ، وقال : يالعِلاوَة بين العِدْلين ، وسار إلى الحيرة فنهبها وأحرقها ، ودفن ابنيه بها ، وبنى الغَرِيَّيْن(٣) عليهما .

وفى ذلك يقول ابنُ الرَّعلاء الضَّبابى :

كم تركنا بالعين عين أُباغ   من ملوك وسوقة أكفاء

---

(١) الحلة : الصداقة (٢) العدل : المثل ، ويقال : عادله فى المحمل ركب معه (٣) الغريان : بناءان بالكوفة ، وفى بعض الروايات : إن الذى بنى الغريين هو النعمان بن المنذر على قبرى نديميه .

أمطرتهم سحائبُ الموتِ تَتْرى إن فى الموت راحةَ الأشقياء
ليس من مات فاستراح بِمَيْتٍ إنما المَيِّت ميت الأَحْيـاء

وفى ذلك اليوم قُتِـل فروة وقيس ابنا مسعود بن عامر ، فقالت ابنـة فَرْوة[1] ترثى أباها :

بعَـين أُباغَ قاسمْنـا المَنَايا فـكان قسيمُها خـيرَ القَسِيم[2]
وقالوا ماجـداً منـكم قتَلْنا كذلك الرمحُ يكْلَفُ بالـكريم[3]

(١) فى لسان العرب : إن قائلة هذه الأبيات إنما هى ابنة المنذر فى أبيها (٢) المعنى : إن المنايا لمـا قاسمتنا أخذت خير قسم ، وهما المرثيان (٣) ماجدا انتصب على أنه مفعول مقدم والمعنى ؛ تنادوا : ماجداً منـكم قتلنا. فأجيبوا : الرمح يعشق الـكرام ويولع بهم مثل ذاك . ورواية اللسان بتقديم البيت الثانى على الأول ، وروى البيت الثانى :

وقالوا فارسا منـكم قتلنا فقلنا الرمح يكلف بالـكريم

(٤) يوم حليمـــة *

لما تولّى المنذرُ بن المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة[١] ، واستقرّ في ملكه سار إلى الحارث الغسّانى[٢] طالبًا بثأر أبيه عنده ، وبعث إليه : إنى قد أعددت لك الكهول على الفُحول[٣] ، فأجابه الحارث : قد أعددت لك المُرْد على الجُرْد[٤] . وسار المنذر حتى نزل بمَرْج حليمة ، وسار إليه الحارث أيضًا ، ثم اشتبكوا فى القتال ، ومكثت الحربُ أيامًا ينتصف بعضهم من بعض .

فلما رأى ذلك الحارث قعَد فى قَصرِه ، ودعا ابنته حليمة ، وكانت من أجمل النساء ، فأعطاها طِيبًا وأمرها أن تطيِّب من مرّ بها من جُنْده ، فجعلوا يمرّون بها وتطيّبهم[٥] ، ثم نادى : يا فتيان غسّان ؛ من قتل ملك الحيرة زوَّجتُه ابنتى . فقال لبيد بن عمرو الغسانى[٦] لأبيه : ياأبت؛ أنا قاتل ملك الحيرة أو مقتول دونه لا مَحالَة،

---

* للحارث الأعرج بن جبلة ، ملك العرب بالشام على المنذر بن المنذر بن ماء السماء ، ملك العرب بالحيرة ، وحليمة هى بنت الحارث، وفى هذا اليوم ضرب المثل : ما يوم حليمة بسر .

ابن الأثير ص ٣٢٨ ج ١ ، المفضليات ص ١٨٧ ، معجم البلدان ص ٣٣٠ ج ٣ ، خزانة الأدب ص ٣٠٣ ج ٣ ، ثمار القلوب ص ٢٤٨ ، رغبة الآمل من شرح الكامل (للمرصفى) ص ٣٣ ج ١ مجمع الأمثال ص ٢٠٢ ج ٢ ، تاريخ العرب القدامى (للشيخ محمد فخر الدين) ص ٤٤ ، تاريخ العرب قبل الإسلام (لجورجى زيدان) ص ١٩٣

(١) كان يلقب بالأسود ، ولم يمكث فى الملك طويلاً مات سنة ٥٨٢ م (٢) فى ابن الأثير: إن الحارث هـذا هو صاحب يوم عين إباغ ، ويرى جورجى زيدان ، أنه غيره ، (ص ١٩٣) من تاريخ العرب قبل الإسلام (٣) الفحول : الذكور من كل حيوان ، والكهول : جمع كهلُ وهو من كانت سنه بين الرابعة والثلاثين والحادية والخمسين (٤) المرد جمع أمرد وهو الشاب طر شاربه ولم تنبت لحيته ، والجرد : جمع أجرد وهو الفرس السباق (٥) وفى خزانة الأدب : إنها أخرجت لهم مركناً من طيب وطيبتهم (٦) قال الحارث بن أبى شمر عنه لابنته :هو أرجاهم عندى ذكاءفؤاد .

ولست أَرْضى فرسي فأَعْطِني فرسك ، فأعطاه فرسَه ، فلما زحف الناس واقتتلوا ساعة شدّ لبيد على المنذر فضربه ضرْبة ، ثم ألقاه عن فرَسِه ، وانهزم أصحاب المنذر من كلّ وَجْه ، ونزل لبيد فاحتزّ رَأْسه ؛ وأقبل به إلى الحارث وهو على قصره ينظرُ إليهم ، فألقى الرأس بين يديه ، فقال له الحارث : شأنك بِابْنَةِ عمّك[١] ، فقد زوجتكها . فقال : بل أنصرف فأُوَاسي أصحابي بنفسي ، فإذا انصرف الناس انصرفت .

ورجع فصادف أخا المنذر قد رجع إليه الناس وهو يُقَاتل ، وقد اشتدّت نِكايته ، فتقدم لبيد فقاتل حتى قُتِل ، ولكن لخَمًا انهزمت ثانية ، وقُتلوا فى كل وجه . وانصرفت غسّان بأحسن الظَّفَر ، بعد أن أسروا كثيراً ممن كانوا مع المنذر من العرب .

وكان من أسرهم الحارث مائة من بنى تميم ، فيهم شأس بن عبدة ، ولما سمع أخوه علقمة[٢] وفد إليه مُسْتَشْفِعًا وأنشده هذه القصيدة :

طَحَابك قلبٌ فى الحسان طَروبُ ... بُعَيْدَ الشباب عَصْرَ حَانَ مَشِيبُ[٣]
يُكلِّفنى ليْلَى وقد شَطَّ وَلْيُها ... وعَادَتْ عَوَادٍ بيننا وخُطوبُ[٤]
مُنَاعَمةٌ لا يُسْتَطَاعُ كلامُها ... على بابها من أن تُزَارَ رقيبُ[٥]
إذا غاب عنها البعلُ لم تُفْشِ سرّه ... وتُرضى إيابَ البعْل حين يَئُوبُ
فلا تَعْدِلى بينى وبين مُغَمَّرٍ ... سَقَتْكِ رَوَايا المُزْنِ حيث تَصُوبُ[٦]

---

(١) يريد حليمة (٢) هو علقمة بن عبدة الفحل ، ولقب بالفحل لأنه غلب امرأ القيس — وكان معاصراً له — فى الشعر ، وتزوج أمه ، وله ديوان مطبوع توفى سنة ٦٥١ م (٣) طحا : ذهب فى مذهب بعيد ، وطروب : كثير الطرب ، وحان : قرب (٤) شط : بعد ، وليها : قربها ، والعوادى : حوادث الأيام (٥) الناعمة : المرأة الحسنة الغذاء كالمنعمة ، وروى فى المفضليات : منعمة
(٦) المغمر : الذى لم يجرب ، والروايا : الإبل التى تحمل الماء ، شبه سحائب المزن بها .

سقاكَ يمانٍ ذو حَبيٍّ وعارضٌ تَرُوح به جُنْحَ العَشيِّ جَنُوب[1]
وَما أنت ؟ أم ما ذِكْرُها رَبَعِيَّة يُخَطُّ لها من ثَرمَداءَ قليبُ[2]
فإن تسألوني بالنساء فإنني خبيرٌ[3] بأدْواء النِّساء طَبيب
إذا شاب رأسُ المرء أو قلَّ مالُه فليس له من وُدِّهن نَصيب
يُرِدْن ثَرَاء المال حيثُ عَلِمْنَه وشرخُ الشَّباب عندهنَّ عَجيبُ
فدعْها وسلِّ الهمَّ عنك بجَسْرة كهمِّك فيها بالرِّدَاف خَبِيبُ[4]
وناجيةٍ أفنى رَكِيبَ ضلُوعها وحارِكَها تهجُّرٌ فدُءُوب[5]
تَتَبَّعُ أفياءَ الظلال عَشيَّةً على طرقٍ كأنهن سُبُوب[6]
بها جِيَفُ الحَسْرى فأما عظامها فبِيض وأما جِلْدُها فصَليب[7]
فأوردتُها ماء كأنَّ جِمامَه من الأَجْن حِنَّاءٌ مَعا وصَبيب[8]
تُرادَى على دِمَن الحياض فإن تعَفْ فإن المُنَدَّى رِحلةٌ فرُكُوبُ[9]

---

(١) الحبي : السحاب (٢) أم : حرف رد به الاستفهام قبله ، وذكرها : تذكرها وربعية : منسوبة إلى ربيعة ، ويخط فيها من الخط وهو الحفر . وثرمداء : موضع مشهور بالخصب . والقليب : البئر . يقول : ما شأنك تبدلت حالك من صحو إلى سكرة ، أم ما تذكرك ليلى وهي ربعية ذات غنى وسعة . ورواه في اللسان : أما ذكرها ربعية (٣) في المفضليات : بصير (٤) الجسرة : الناقة الماضية ، وكهمك : كعزمك ، والرداف : جمع رديف وهو من يركب خلفك ، والخبيب نوع من السير (٥) الناجية : الناقة تنجو بركابها ، والركيب : ما ركب على الضلوع من الشحم ، والحارك عظم مشرف من جانبي الكاهل ، والتهجر : السير في الهاجرة ، والدءوب: المبالغة في السير (٦) يريد بالسبوب : ما تنسجه بالنهار يد الرياح الحارة (٧) الحسرى من الإبل التي كلت وتعبت ، والصليب: الصديد (٨) جمامه: مياهه الكثيرة ، والأجن: اختلاط الماء بغيره ، والصبيب: الدم ، يصف الماء بالتغير لبعد العهد (٩) ترادى : تراود ، والدمن : بقية الماء في الحوض ، والتندية : أن تورد الإبل فتشرب قليلا ، ثم ترعى ، ثم ترد إلى الماء .

وتُصْبِحُ عن غِبِّ السُّرَى وكأنَّها　　مولَّعَة تَخْشَى القَنِيصَ شَبُوبُ(١)
تَعَفَّقَ بالأرْطَى لها وأرادها　　رجالٌ فبذَّتْ نَبْلَهم وكَلِيبُ(٢)
إلى الحرث الوهَّاب أعملتُ ناقتي　　لكَلْكلِها والقُصْرَيَيْنِ وَجِيبُ(٣)
لِتُبلغني دارَ امرئٍ كان نائيًا　　فقد قرَّبَتْنِي من نداك قَرُوبُ(٤)
إليك أبيتَ اللعنَ كان وجيفُها　　بِمُشْتَبِهاتٍ هولُهنَّ مهيبُ(٥)
هداني إليك الفرقدان ولَاحِبٌ　　له فوق أصْواء المِتَان عُلُوبُ(٦)
وأنت امرؤٌ أفْضت إليك أمانتي　　وقبلك رَبَّتْني فَضِعتُ رُبوبُ(٧)
فأدَّتْ بنو كعب بن عَوْفٍ رَبِيبَها　　وغُودِرَ فى بعض الجنود رَبِيبُ(٨)
فواللهِ لولا فارسُ الجَوْن منهمُ　　لآبوا خَزَايا والإياب حَبِيبُ(٩)
تُقَدِّمُه حتى تغيب حُجُوله　　وأنت لبيض الدارعِينَ ضَرُوبُ(١٠)
مُظاهِرُ سِربالَيْ حديدٍ عليهما　　عَقِيلا سيوفٍ مِخْذَمٌ ورَسُوبُ(١١)

---

(١) غب كل شىء : آخره ، والمولعة : البقرة الوحشية ، والقنيص : الصائد ، والشبوب : الشابة من البقر (٢) تعفق : لاذ ، والضمير للصائد ، والأرطى : شجر ، وبذت : سبقت ، والكليب : جماعة الكلاب : يشبه ناقته فى شدة عدوها عقب سيرها ليلا ببقرة وحشية تحذر قنيصاً توارى بشجر الأرطى ليختلها ، وقد أعد لها نبلاً وكلاباً فرماها بهما فسبقتهما ولم يدركاها (٣) أعمل الناقة : ساقها ، والكلكل : الصدر ، والقصريان : ضلعان ، والوجيب : الخفقان (٤) القروب : اسم الناقة (٥) الوجيف : نوع من سير الإبل ، والمشتبهات : الطرق الغامضة ، ومهيب : يهاب الناس اقتحامه (٦) اللاحب : الطريق الواضح ، وأصواء المتان : ما غلظ على متن الأرض ، والعلوب : الآثار ؛ يصف وضوح الطريق بآثار السيارة (٧) أفضت : انتهت ، وأمانتى : طاعتى ، والربوب كالأرباب (٨) ربيبها : هو المنذر (٩) فارس الجون : هو الحارث الغسانى ، والجون فرسه ، وضمير منهم راجع إلى الغسانيين ، يقول : لولاك لغلبت كتائب المنذر جنود الشام (١٠) تقدمه : الضمير راجع إلى الفرس (الجون) (١١) ظاهر بين درعين ، أى لبس إحداهما فوق الأخرى ، والسربال : الدرع ، وعقيل كل شىء : أكرمه ، ومخذم ورسوب : سيفان.

فجالدتهمْ حتى اتقَّوْك بِكَبْشِهم وقد حان من شمس النهار غُروب
وقاتَل من غسّان أهـل حِفاظها وهِنْبٌ وفأْس جالَدتْ وشَبيب (١)
تُخَشْخِشُ أبدانُ الحديد عليهمُ كما خَشْخَشَتْ يُبْسَ الحصاد جَنُوب (٢)
تجـود بنفس لا يُجَاد بِمِثْلِهَا وأنت بها يومَ اللقاء خَصيب (٣)
كأن رِجَال الأوْس تحت لَبانه وما جمعتْ جُلٌّ معا وعَتِيب (٤)
رَغَا فوقهم سَقْبُ السماء فداحِضٌ بِشِكَّتِه لم يُسْتَلَب وسليب (٥)
كأنهم صَابَتْ عليهـم سحابةٌ صواعقها لطـيرهنّ دبيب (٦)
فلم تنج إلا شَطْبَـة بِلجامها وإلا طِمِرٌّ كالقناة نَجيب (٧)
وإلا كميّ ذو حِفَاظٍ كأنه بما ابْتَلّ من حدّ الظُّباة خَضيب (٨)
وأنتَ الذى آثاره فى عَـدُوّه من البُؤْس والنُّعمى لهنّ نُدُوب (٩)
وفى كل حيّ قد خبطْتَ بنعمة فحُقّ لشأْسٍ من نداك ذَنُوبُ (١٠)
فـلا تحرمنى نائلا عن جنـابة فإنّى امرؤٌ وسْط القِباب غريب (١١)

---

(١) هنب وفأس وشبيب : أحياء فى العرب (٢) الخشخشة : صوت الثوب الجديد إذا تحرك ، والأبدان : الدروع ، والجنوب : ريح (٣) خصيب : كريم لا يضن بنفسه (٤) لبانه : أى لبان فرسه ، والأوس وجل وعتيب : قبائل (٥) رغا فوقهم سقب السماء : يعنى أنهم قد استؤصلوا وهلكوا كما هلكت ثمود حين عقروا الناقة فرغا سقبها ، والسقب ولد الناقة ، والداحض الذى يحرك رجليه عند الموت ، والشكة جملة السلاح ، كأن القتلى أكبر من أن يحاط بهم فمنهم من سلب ومنهم من لم يسلب (٦) صابت : من الصوب وهو نزول المطر ، والصواعق : النار التى تسقط من السماء مع الرعد ، ولطيرهن : يريد لما تطاير منها (٧) الشطبة : الفرس السبطة اللحم ، والطمر : الفرس المستعد للوثب ، والنجيب : الكريم من الخيل (٨) خضيب : مخضوب بحمرة
(٩) الندوب : آثار الجرح (١٠) الذنوب : النصيب (١١) يريد بالنائل : إطلاق شأس ، والجنابة : البعد والغربة ، ومعناه : لا تحرمنى بعد غربة وبعد عن ديارى .

ولما بلغ إلى قوله : « فحُقَّ لشأس من نداك ذَنُوب » قال الملك : أى والله وأذْنبة ، ثم أطلق شأسا وقال له : إن شئت الحِباء ، وإن شئت أُسرَاء قومك . وقال لجلسائه : إن اختار الحِباء على قومه فلا خيرَ فيه ، فقال : أيها الملك ، ما كنت لأختارَ على قومى شيئاً ، فأَطْلَق له الأسرى من تميم وكساه وحَبَاه ، وفعل ذلك بالأسرى جميعهم وزوّدهم زاداً كثيراً ، فلما بلغوا بلادهم أعطوا جميع ذلك لشأس وقالوا له : أنت كنتَ السبب فى إطلاقنا ، فاستعِن بهذا على دهرك ، فحصل له كثير من إبل وكُسوة وغيرِ ذلك .

٥ — يوم اليحَاميم *

كان الحارثُ بن جَبَلة الغسّانى قد أصلح بين قبائل طيّئ ، فلما هلك عادت إلى حرْبِها ، فالتقَتْ جَدِيلَةُ والغَوْث بموضع فى حرب ، فقُتِل قائدُ بنى جَدِيلة وهو أسبع ابن عمرو بن لأم ، وأخذ رجلٌ من سِنْبِس أذنيه فخصَفَ بهما نَعْليه . وفى ذلك قال أبو سروة السنْبِسى :

نَخْصِف بالآذانِ منكم نِعالَنا ونشرب كُرهًا منكم فى الجماجم

وتناقل الحيّان فى ذلك أشعاراً كثيرة .

وعظُم ماصنعت الغَوْث على أوس بن خالد بن لأم ، وعزم على لِقاء الحرب بنفسه ، وكان لم يشهد الحروب المتقدّمة ، هو ولا أحد من رؤساء طيّئ ، كحاتم بن عبد الله ، وزيد الخيل ، وغيرهم من الرؤساء ؛ فلما تجهّز أوس للحرب ، وأخذ فى جمع جديلة ولفّها قال أبو جابر :

أقيموا علينا القصد يا آل طيئ وإلا فإنّ العلم عند التَّحَاسُبِ

فمن مِثْلُنا يوماً إذا الحربُ شمّرت ومن مثلنا يوما إذا لم نُحَاسب

وبلغ الغوثَ جمعُ أوس لها، وأوقدت النار على ذِروة أجَا[1] ـ وذلك أول يوم تُوقد عليه النار ـ فأقبلت قبائلُ الغَوْث ، كل قبيلة وعليها رئيسُها ؛ ومنهم زيد الخيل ، وحاتم .

* لغوث على جديلة (كلاهما من طيئ) ويعرف أيضاً بقارات حوق . واليحاميم ماء على طريق مكة .

ابن الأثير ص ٣٨٨ ج ١ ، مهذب الأغانى صفحة ٧٨ ج ١

(١) أجأ وسلمى : جبلان لطيئ .

وأقبلت جديلة مجتمعة على أوس بن حارثة بن لأم ، وحلف أوس ألاّ يرجع عن طيّئ حتى ينزلَ معها جبلَيْهَا أجَأ وسَلْمَى ، وتُجبى له أهلها ، وتزاحفوا ، فاقتتلوا قتالا شديداً .

قال عدىّ بن حاتم : إنى لواقف يوم اليَحاميم والناس يَقْتَتِلون إذ نظرت إلى زيد الخيل قد أحضر ابنيه مكتفا وحُريثاً فى شعب لا منفذ له وهو يقول : أى بنىّ ؛ أبقِيا على قومكما ، فإن اليوم يوم التّفانى ، فإن يكن هؤلاء أعماماً فهؤلاء أخوال ؛ فقلت : كأنك قد كرهت قتال أخوالك ؛ فاحمرّت عيناه غضباً ، وتطاول إلىّ ، حتى نظرتُ إلى ما تحته من سَرْجه فخفته ؛ فضربتُ فرسى ، وتنحّيت عنه ، واشتغل بنظره إلىّ عن ابنيه ، فخرجا كالصَّقْرَيْن ، ثم انهزمت جَديلة عند ذلك ، وقُتِل فيها قَتْلٌ ذريع .

فلم تبق لجديلة بقيّة للحرب بعد يوم اليحاميم ، فدخلوا بلاد كَلْب ، فحالفوهم وأقاموا معهم .

٦ – حروب الأوس والخزرج*

(١) حرب سُمَير

لما كان سيل العَرِم خرجت الأَزْد(١) من اليمن مع رؤسائهم إلى تِهامة ، ثم هاجروا إلى النَّوَاحى الشمالية منها ، ونزل الأوس والخزرج بضواحى المدينة ، ولم يكونوا حين نزلوا أهل نَعَم وشاء وخَيْلٍ وأمْوال ، وإنما كان ذلك كلُّه لليهود ، فعاشوا بين اليهود بالضواحى والقُرى فى شَظَف من العيش ، وهَوان وإذلال من اليهود ؛ إذْ حكموهم وتحكَّمُوا فيهم ، وألزموهم أداء الخراج .

وظلّوا على هذه الحال مدة حتى وفد وافدٌ منهم ؛ هو مالك بن العجلان الخَزْرَجى إلى الغسانيين بالشام ، ونزل على أحد أشرافهم واسمه أبوجبيلة ، واسْتَجَارَه على اليهود؛ فأجاره، وجاء إلى المدينة ، وقتَـلَ عظماءَ اليهود، ثم عاد إلى الشام بعد أن مكّن للأوس والخزرج بالمدينة .

---

* الأوس والخزرج ابنا حارثة بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد . وقد نشبت بينهم تلك الحروب فى الجاهلية ؛ وهذه أشهرها :

(١) حرب سمير : للأوس على الخزرج.
(٢) حرب كعب : للخزرج على الأوس.
(٣) حرب حاطب : للخزرج على الأوس.
(٤) يوم بعاث : للأوس على الخزرج.

ابن الأثير ص ٤٠٢ ج ١ ، تاريخ العرب القدامى ص ٢٥٠ ، العرب قبل الإسلام ص ٢٥٠ ، الأغانى ص ١٨ ج ٣ (طبعة الدار) ، ص ١١٨ ج ١٣ طبعة الساسى ، جمهرة أشعار العرب ص ٢٤٧ ، ٢٥٨ ، مهذب الأغانى ص ١٢٢ ج ١ ، المفضليات ص ١٣٥ ، رغبة الآمل من كتاب الكامل ص ٢١٢ جزء ٢

(١) الأزد : شعب من كهلان .

وظل الحيّان على اتّفاق وو ئام، حتى وفد على المدينة وافدٌ من ذبيان اسمه كعب الثعلبي، ونزل على مالك بن العجلان الخَزْرَجيّ وحالفه وأقام معه، ثم خرج كعب يوماً إلى سوق بني قَيْنُقَاع [1] ، فرأى رجلاً من غطفان معه فرس وهو يقول: ليأْخُذْ هذا الفرس أعزُّ أهل يَثْرِب[2] ، فقال رجل: فلان، وقال رجل آخر: أُحَيْحة بن الجُلاَح الأوسي، وقال غيرهما: فلان ابن فلان اليهودى أفضل أهلها.

وقال كعب الثعلبي: مالك بن عجلان أعز أهل يثرب، وكثُر الكلام، ثم قبل الرسول قول كعب الثعلبي، ودفع الفرس إلى مالك بن العجلان الخزرجي. فقال كعب: ألم أقل لكم إن حليفي مالكا أفضلكم! فغضب من ذلك رجل من الأوس من بني عمرو بن عوف يقال له: سُمَيْر بن يزيد، وشتمه وافترقا، وبقي كَعْب ما شاء الله.

ثم قصد سوقاً لهم بقُبَاء، فقصده سُمَيْر، ولازمه حتى قتله، وأُخْبِرَ مالك بذلك، فأرسل إلى بني عوف بن عمرو بن مالك بن الأوس: إنكم قتلتم منا قتيلا، فأرسلوا إلينا بِقَاتله، فلما جاءهم رسول مالك تَرَامَوْا به: فقال بنو زيد: إنما قتلته بنو جَحْجَبَي وقالت بنو جَحْجَبَي: إنما قتلته بنو زَيد[3]؛ ثم أرسلوا إلى مالك: إنه قد كان في السوق التي قُتِلَ فيها صاحبكم ناس كثير، ولا يُدرى أيّهم قتله.

ولما تأكد عند مالك أن سُميراً هو الذي قتله أرسل إلى قومه بني عمرو بن عوف بالذي بلغه من ذلك وقال: إنما قتله سُمير، فأَرسِلوا به إليّ أقتله، فأرسلوا إليه: إنه ليس لك أن تقتل سُميراً من غير بيّنة. وكثرت الرسل بينهم في ذلك: يسألهم مالك أن يعطوه سُميراً ويأبوْن أن يعطوه إياه. ثم إن بني عمرو كرهوا أن يُنْشِبُوا بينهم وبين مالك حرباً،

---

(١) بنو قينقاع: شعب من اليهود (٢) قيل: إن الذي بعثه هو عبد ياليل الثقفي

(٣) بنو جحجبي وبنو زيد: بطنان في الأوس.

فأرسلوا إليه : إن صاحبكم حَليف ، وليس لكم فيه إلا نصفُ الدِّية . فغضب مالك وأبى إلا أن يأخذ الدِّية كاملة أو يقتل سُميراً ، فأبت بنو عمرو بن عوف أن يعطوه إلا دِيَة الحليف وهى نصف الدية، ثم دعوه أن يحكم بينهم وبينه عمرو بن امرئ القيس[1]، أحد بنى الحارث بن الخزرج ، فانطلقوا حتى جاءوه فى بنى الحارث بن الخزرج ، فقضى على مالك بن العجلان أنه ليس له فى حليفه إلا دِيَة الحليف ، وأبى مالك أن يرضى بذلك ، وآذن بنى عمرو بن عوف بالحرب ، واستنصر قبائل الخزرج ، فأبت بنو الحارث بن الخزرج أن تنصره غَضباً حين ردّ قضاء عمرو بن امرئ القيس ، فقال مالك يذكر خِذلان بنى الحارث، وحدَب بنى عمرو على سُمَير ، ويحرِّض بنى النجّار على نُصْرَته :

إن سُميراً أرى عشيرته قد حَدَبُوا دونه وقد أَنِفُوا
إن يكن الظن صادقاً ببنى النجّار لا يَطْعَمُوا الذى عُلِفوا[2]
لا يُسْلِمونا لمعشر أبداً ما دام منا ببطنها شَرَف[3]
لكنْ موالىَّ قد بدا لهمُ رأىٌ سوَى ما لدىَّ أو ضَعُفوا
بين بنى جَحْجَبى وبين بنى زيد فأنّى لجارى التَّلف
يمشون فى البَيْض والدُّرُوع كما تمشى جمال مَصاعِب قُطُف[4]
كما تَمشَّى الأسُود فى رَهج[5] الموتِ إليه وكلُّهم لَهِفُ

---

(١) جد عبد الله بن رواحة الأنصارى (٢) قال صاحب الأغانى: يقال علفوا الضيم إذا أقر وابه، أى ظنى بهم أنهم لا يقبلون الضيم (٣) الشرف : الشريف (٤) البيض : جمع بيضة ، وهى ما يلبس على الرأس من حديد كالخوذة للوقاية فى الحرب ، والمصاعب : جمع مصعب ، وهو الفحل الذى لم يركب ولم يمسه حبل حتى صار صعباً ، والقطف : البطيئة الخطو (٥) الرهج : الغبار .

وقال درهم بن زيد أخو سمير فى ذلك :

يا قوم لا تقتلوا سُميراً فإنَّ القتل فيه البوارُ والأسفُ
إن تقتلوه تَرِنَّ نسوتكم على كريم ويفزَع السَّلَفُ(١)
إنى لَعمرُ الذى يحجّ له النـــاس ومن دون بيته سَرِف
يمينُ برٍّ بالله مجتهـد يحلف إن كان ينفع الحَلِف
لا نرفعُ العبدَ فوق سنَّتهِ ما دام منّا ببطنها شَرَفُ
إنك لاقٍ غدا غُواة بنى عمى فانظر ما أنت مُزْدهِف(٢)
فأبْدِ سِيماكَ يَعْرِفُوكَ كَمَا يُبْدُونَ سِيماهم فَتَعْتَرِفُ(٣)

* * *

ثم أرسل مالك إلى بنى عمرو يُؤْذنهم بالحرب ، ويَعِدُهم يوماً يلتقون فيه، وأمر قومه فتهيئوا للحرب ، وتحاشد الحيّان ، وجمع بعضهم لبعض ، ثم زحف مالك بمن معه من الخزرج ، وزحفت الأوس بمن معها من حلفائها من قريظة والنّضير، والتقوا بفضاء قريب من قُبَاء ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، وانصرفوا وهم منتصفون جميعاً ، ثم التقوا مرةً أخرى عند أُطم بنى قَيْنُقَاع ، فاقتتلوا حتى حجز الليل بينهم ، وكان الظّفر للأوس على الخزرج ، وفى ذلك قال أبو قيس بن الأسلت :

لقد رأيت بنى عمرو فما وهنوا عند اللقاء وما همّوا بتكذيب
ألاَ فدًى لهمُ أمى وما ولدتْ غداة يمشون إرقالَ المصاعيب(٤)

---

(١) ترن نسوتكم : يرفعن أصواتهن بالبكاء (٢) مزدهف : مقتحم (٣) قال صاحب الأغانى : معنى قوله : فأبد سيماك : أن مالك كان إذا شهد الحرب يغير لباسه ويتنكر لئلا يعرف فيقصد (٤) الإرقال : الإسراع فى السير.

بكل سَلْهَبَةٍ كالأَيْمِ ماضِيَة وكل أبيض ماضِي الحدّ مخشوب [1]

ولبثت الأوس والخزرج متحاربين عشرين سنة فى أمر سُمير يتعاودون القتال فى تلك السنين، وكثرت أيامهم ومواطنهم.

ولما رأيت الأوس طول الشر، وأن مالكاً لا ينزع [2]، قال لهم سويد بن صامت الأوسى [3]: يا قوم، أرضُوا هذا الرجل من حليفه، ولا تقيموا على حرب إخوتكم؛ فيقتلَ بعضكم بعضاً، ويطمعَ فيكم غيركم، وإن حملتم على أنفسكم بعضَ الحمل.

فأرسلت الأوس إلى مالك يدعونه إلى أن يحكّم بينهم وبينه ثابت [4] بن المنذر بن حرام، فأجابهم إلى ذلك، وخرجوا حتى أتوا ثابت بن المنذر، فقالوا: إنا حكمناك بيننا؛ فقال: لا حاجة لى فى ذلك، قالوا: ولم؟ قال: أخاف أن تردّوا حُكْمى كما رددتم حكمَ عمرو بن قيس، فقالوا: فإنا لا نردّ حكمك، فاحكم بيننا، قال: لا أحكم بينكم حتى تعطونى مَوْثقاً وعهداً لترضونّ بحكمى وما قضيتُ به، ولتسلّمنّ له. فأعطوه على ذلك عهودهم ومواثيقهم، فحكم بأن يُودَى حليفُ مالك ديَةَ الصريح، ثم تكون السنَّة فيهم بعده على ما كانت عليه: الصريح على دِيته والحليف على ديته، وأن تمدّ القتلى الذين أصاب بعضُهم مَن بعض فى حربهم، ثم يكون بعض ببعض، ثم يُعطوا الدية لمن كان له فَضل فى القتلى من الفريقين.

فرضى بذلك مالك، وسلمت الأوس، وتفرّقوا، على أنْ يكون على بنى النجّار نصف دِيَة جار مالك معونةً لإخوتهم، وعلى بنى عمرو بن عوف نصفها. فرأت بنو عمرو

---

(١) السلهبة: الطويلة من الخيل، والأيم: الحية، والمخشوب: المصقول (٢) ينزع: يكف

(٣) كان يقال له فى الجاهلية الكامل، وكان الرجل عند العرب إذا كان شاعراً كاتباً رامياً سموه الكامل (٤) أبو حسان بن ثابت.

أنهم لم يُخرجوا إلا الذى كان عليهم ، ورأى مالك أنه قد أدرك ما كان يطلب ، ووُدِىَ جارُه ديةَ الصَّريح .

وفى تلك الحرب قال قيس[1] بن الخطيم الأوْسى ، ولم يدرك هذه الحرب ، ولكنه قال ذلك بعدها بزمان :

رَدَّ الخليطُ الجِمالَ فانصَرَفُوا ماذا عليهم لو أنهم وَقَفُوا[2]
لو عَرَّجُوا ساعة نُسائلهم رَيْثَ يُضحِّى جِمالَه السَّلَفُ[3]
فيهم لَعوبُ العِشاءِ آنسةُ الـدَّلِّ عَروبٌ يسوءها الخُلُفُ[4]
بَيْن شُكُولِ النساء خِلْقَتُها قَصْدٌ فلا جَبْلَةٌ ولا قَضَفُ[5]
تَنامُ عن كُبْرِ شأنها فإذا قامت رُوَيداً تَكادُ تَنْغَرِفُ[6]
تَغْترق الطَّرْفَ وهى لاهيةٌ كأنما شَفَّ وجهها نُزُفُ[7]
حَوْرَاء جَيْدَاءُ يُستضاء بها كأنها خُوطُ بانة قَصِفُ[8]
قَضَى اللهُ لها حين صَوَّرَها الـ ـخالِقُ ألاَّ يُكِنَّها سَدَفُ[9]

(١) قيس بن الخطيم : شاعر جاهلى أوسى ، جيد الشعر ، حسن الديباجة ، أتى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فدعاه إلى الإسلام ، وتلا عليه شيئاً من القرآن ، فقال : إنى لأسمع كلاماً عجباً ، فدعنى أنظر فى أمرى هذه السنة ، ثم أعود إليك ، فمات قبل الحول سنة ٦١٢ م (٢) أى ردوا جمالهم من الرعى ليرتحلوا (٣) الريث : مقدار المهلة من الزمان ، ويضحى : من الضحاء وهو أن يرعى الإبل ضحى ، والسلف : القوم الذين يتقدمون الظعن فى السير (٤) لعوب العشاء : تسمر مع السمار وتلهو ، والعروب : الحسناء المتحببة إلى زوجها (٥) شكول : أنواع ، والجبلة : الغليظة ، والقضف : القليلة اللحم (٦) تنغرف : تنقصف من دقة خصرها (٧) يريد : من نظر إليها استغرقت طرفه وبصره وشغلته عن النظر إلى غيرها وهى لاهية غير محتفلة وقال أبو منصور : أراد أنها رقيقة المحاسن حتى كأن دمها منزوف (٨) الحوراء : الواسعة العين ، والجيداء : الطويلة الجيد ، والخوط : الغصن ، والقصف : الناعم المتثنى (٩) السدف : الظلمة ؛ أى أنها مضيئة لا تسترها ظلمة .

خَوْدٌ يَغِثُّ الحديث ما صَمَتَتْ   وهو بِفِيها ذو لذّة طَرِفُ(١)
تَخْزُنُهُ وهو مُشتهى حسن   وهو إذا ما تكلمت أُنُفُ(٢)
أبلغ بنى جَحْجَبَى وإخوتَهم   زَيْدًا بأنَّا وراءهم أُنُفُ(٣)
إنَّا وإنْ قَلَّ نَصْرُنا لهمُ   أكْبادُنا من ورائهم تَجِفُ
لما بدتْ نَحْوَنا جِباهُهُمُ   حَنَتْ إلينا الأرْحامُ والصُّحُفُ(٤)
نَفْلى بحدٍّ الصفيح هامهم   وفلينا هامهم بها جنف(٥)
يتبع آثارها إذا اُخْتُلِجَتْ   سُخْنٌ عَبيطٌ عُرُوقُهُ تَكِفُ(٦)
إن بني عمنا طَغَوْا وبَغَوا   ولجَّ منهم فى قومهم سَرَفُ

فرد عليه حسان بن ثابت النجارى الخزرجى(٧) ، ولم يدرك هذه الحرب أيضاً :

ما بالُ عينيك دمعها يَكِفُ   من ذكر خَوْدٍ شطّتْ بها قَذَفُ(٨)
بانت بها غَرْبةٌ تَؤُمُّ بها   أرضاً سوانا والشكلُ مُختلِفُ
ما كنت أدرى بوَشْك بينهمُ   حتّى رأيت الحدوجَ تَنْقَذِفُ
دعْ ذا وعدّ القريض فى نَفَرٍ   يرجون مَدْحى ومدحىَ الشَّرَفُ
إن تدعُ قومى للمجد تُلفِهُمُ   أهلَ فَعالٍ يَبْدُو إذا وُصِفُوا
إن سميراً عبدٌ طغى سَفَهاً   ساعده أعبد لهم نَطَفُ(٩)

---

(١) الخود : الشابة الناعمة ، والطرف : المستطرف المحبوب (٢) الأنف : المستأنف الجديد
(٣) أنف : ذوو أنفة ، ندفع الضيم عنهم وننصرهم (٤) الصحف : العهود (٥) يقال فلاه بالسيف ؛ إذا علاه ، والصفيح : جمع صفيحة ، وهى السيف العريض . والجنف : انحراف وميل عما توجبه القربى والرحم . قال شارح ديوانه : يريد أن قتلنا إياهم عنف منا ؛ لأنهم قومنا وبنو عمنا (٦) اختلجت : انتزعت . وسخن عبيط : دم طرى ساخن (٧) حسان بن ثابت : فحل من فحول الشعراء ، وأحد المعمرين المخضرمين ، كان شاعر الأنصار فى الجاهلية ، وشاعر النبي صلى الله عليه وسلم فى النبوة ، وشاعر اليمن فى الإسلام ، توفى سنة ٥٤ هـ (٨) قذف : بعيدة
(٩) النطف : القرط .

(٢) حرب كعب بن عمرو *

تَزَوَّج كَعْبُ بن عمرو المازنى الخَزْرَجى امرأةً من بنى سالم[١] ، وكان يختلفُ إليها ، فقعد له رَهْط من بنى جَحْجَبى من الأَوْس بمَرْصد ، فضربوه حتى قتلوه أو كادوا ، فلما بلغ ذلك أخاه عاصم بن عمرو خرج وخرج معه بنو النجّار[٢] وأرسل إلى بنى جَحْجَبى يُؤْذِنهم بحرب، فتلاقوا بالرُّحابة[٣]، واقتتلوا اقتتالاً شديداً، وانهزمت بنو جَحْجبى ، وكان معهم أُحَيْحَة بن الجُلاَح الأوسى ، فطلبه عاصم فأدْركه وقد دخل حِصْنه ، فرماه بسهم فوقع فى باب الحِصْن ، ورجع عاصم وأصحابه ، ومكثوا أياماً . ثم إن عاصماً طلب أُحَيْحَة ليـلاً ليقتله فى داره ، وبلغ أحيحة ذلك فقال :

نبئت أنك جئتَ تَسْــرِى بين دارِى والقُبَابَه[٤]
فلقد وَجَدْتَ بجانب الضَّحْـــيانِ[٥] شـبَّانًا مُهابه
فِتْيَان حَرْبٍ فى الحديـــدِ وشامرين كأُسْدِ غابه
هم نـكبُوك عن الطريـــق فبتّ تركب كلّ لَابَه[٦]
أعصيم لا تجزع فإن الـــحرب ليسَتْ بالدُّعَابَه
فأنا الذى صبَّحْتكم بالقوم إذ دخلوا الرُّحَابه
وقتلت كعْبًا قبلهــا وعلوتُ بالسيف الذُّؤَابَه

---

(١) بنو سالم : قبيلة فى الخزرج (٢) بنو النجار : قبيلة فى الخزرج (الأنصار) (٣) الرحابة : حصن بالمدينة (٤) القبابة : حصن بالمدينة (٥) الضحيان : حصن بناه أحيحة فى أرض القبابة (٦) اللابة : الحرة من الأرض .

وبلغ عاصما قوله فأجابه :

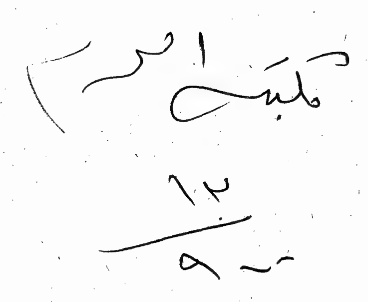
أَبْلِغ أُحيحة إنْ عرضت بداره عنِّى جوابه
وأنا الذى أعْجَلْتُه عن مقعد ألهِى كِلاَبه
ورميتُه سهما فأخطأه وأغلق ثَمَّ بَابَه

وكان أُحيحة إذا أمسى جلس بحذاء حِصْنه الضَّحْيَانِ ، ثم أرسل كلاباً له تنبح دونه على من يَأْتيه ممن لا يعرف ، حذراً من أن يأتيه عدو يصيب منه غِرَّة ، فأقبل عاصم بن عمرو يريده فى مجلسه ذلك ليقتلَه بأَخيه ، وقد أخذ معه تمراً ، فلما نبحته الكلابُ حين دَنَا منه ألقى لهـا التَّمر فوقفت ؛ فلما رآها أُحيحة قد سكنت حَذِر ، فقام فدخل حِصْنَه ، ورماه عاصم بسهم فأَحْرَزَه[1] البابُ ؛ فوقع السهمُ بالباب ، فلما سمع أُحيحةُ وَقْعَ السهم صرخ فى قومه ، فجرى عاصم وأَعْجَزَهم حتى أتى قومه .

ثم إن أُحيحة جمع لبنى النجّار وأراد أن يَغْتَرَّهم ، فواعده قومُه لذلك — وكانت عند أُحيحة سلمى[2] بنت عمرو إحدى نساء بنى النّجار — وكان له منها ابنه عمرو بن أُحيحة ، وهو يومئذ فَطِيم أودون الفطيم ، فلما رأت عزم أُحيحة على غَزْو قومها عمدت إلى ابنها فربطته بخيط حتى إذا أوجعت الصبىَّ تركته فبات يبكى وهى تحمله ، وبات أُحيحة معها ساهراً يقول : ويحك ! مَا لِابْنى ؟ فتقول : والله ماأدرى ماله ، حتى إذا ذهب الليل أطلقت الخيط عن الصبى فنام . ولما هدأ الصبى قالت :

(١) أحرزه المكان : ألجأه (٢) هى أم عبد المطلب بن هاشم ، خلف عليها هشام بعد أن طلقها أحيحة ، وكانت امرأة شريفة لا تتزوج الرجال إلا وأمرها بيدها ، إذا كرهت من رجل شيئاً تركته .

ورَأْسَاه ! فقال أحيحة : هذا والله ما لقيت من سهر هذه الليلة ، وبات يعصب لها رَأْسَها ويقول : ليس بك بأس ، حتى إذا لم يبق من الليل الا أقلّه قالت له : قم فإنى أجدنى صالحة ، وقد ذهب عنى ما كنت أجده ـ وإنما فعلتْ ذلك ليثقلَ رأسه ، وليشتدّ نومه على طول السهر ـ فلما نام قامت وأخذت حبلاً(١) وأوثقته برأس الحِصْن ثم تدلّت منه ، وانطلقت إلى قومها فأَنْذَرَتْهُم ، وأخبرتْهم بالذى أجمعَ هو وقومه من ذلك ؛ فحذر القوم وأعدّوا واجتمعوا ؛ فأقبل أُحيحة فوجد القوم على حذَر قد استعدّوا ، فلم يكن بينهم كبيرُ قتال ، ثم رجع أُحيحة وقد فقد زوجته ، ففطن لحذَرِ القوم، وعلم أن سلمى قد خدعته .



(١) سميت المتدلية لذلك .

(٣) حرب حاطب

كان حاطبُ بن قيس الأوسى رجلا شريفاً سيداً ، فأتاه رجل من ذُبْيَان ، ونزل عليه . ثم إنَّ الضيفَ غدا يوماً إلى سوق بنى قَيْنُقَاع ، فرآه رجل من بنى الحارث ابن الخزرج اسمه يزيد ، فقال لرجل يهودى : لك ردائى إن كَسَعْتَ[1] هذا الذُّبْيَانى. فأخذ رداءه وكَسَعه كَسْعَةً سمعها مَنْ بالسوق ؛ فنادى الذّبيانى : ياالحاطِب ؛ كُسِع ضيفُك وفُضِح !

وأُخْبِرَ حاطب بذلك فجاء إليه ، فسأله مَنْ كسَعه ؟ فأشار إلى اليهودى ؛ فعدَا إليه وضربه بالسيف ضربةً فلقَ بها هامتَه ، وأُخبر يزيد بذلك ، فأسرع خَلْفَ حاطب وأدركه وقد دخل بيوتَ أهله ، فأدركَ رجلا من الأَوْس فقتله .

وثارت الحربُ بين الأوس والخزرج ، واحتشدوا واجتمعوا على جسر بنى الحارث ابن الخزرج ، وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البَيَاضى ، وعلى الأوس حُضير بن سماك الأشهلى . وعلم عُيَينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، وخيار بن مالك الفَزَارِيَّان بالأَمْر فقدما المدينة، وتحدَّثا مع الأوس والخزرج فى الصلح ، وضمنا أن يتحملا كلَّ ما يدَّعى بعضهم على بعض فأَبوْا .

ووقعت الحرب عند الجسر وكانتْ الدائرةُ على الأَوْس .

(١) كسعه : ضربه برجليه فى دبره .

(٤) يوم بُعَاث

كانت الأوسُ قد استعانت ببنى قُرَيظة والنَّضِير(١) فى حروبهم التى كانت بينهم، وبلغ ذلك الخزْرَج، فبعثت إليهم: إن الأوس فيما بلغَنَا قد استعانت بكم علينا، ولن يُعْجِزَنا أن نستعينَ بأعدادكم وأكثرَ منكم من العرب؛ فإن ظَفِرنا بكم فذاكَ ما تكرهون، وإن ظَفِرتم لم نَنَمْ عن الطلب أبداً، فتصيروا إلى ما تكرهون، ويَشغلكم من شأننا ما أنتم الآن منه خالُون، وأَسْلَمُ لكم من ذلك أن تدَعونا وتخلّوا بيننا وبين إخواننا.

فلما سمعوا ذلك علموا أنّه الحق؛ فأرسلوا إلى الخزرج: إنه قد كان الذى بلغكم والتمست الأوسُ نَصرنا، وما كنّا لننْصُرَهم عليكم أبداً؛ فقالت لهم الخزرج: فإن كان ذلك كذلك فابعثوا إلينا برهَائِنَ تكون فى أيدينا؛ فبعثوا إليهم بأربعين غلاماً منهم؛ ففرّقهم الخزرج فى دُورهم، ومكثوا بذلك مدة.

ثم إن عمرو بن النعمان البيَاضِىَّ قال لقومه بيَاضَة(٢): إن أباكم أنزلكم منزل سُوء بين سَبَخَة(٣) ومَفَازَة(٤)، وإنَّه والله لا يَمَسُّ رأسى غِسل حتى أُنزلكم منازل بنى قُرَيظة والنَّضِير على عَذْبِ الماء وكريم النّخل؛ ثم راسلهم إما أن تخلّوا بيننا وبين ديارِكم نسكنها، وإما أن نقتل رُهُنكم؛ فهمُّوا أن يخرجوا من ديارهم، فقال لهم كعب ابن أسد القُرَظى: ياقوم؛ امنعوا دياركم وخلّوه يقتل الرُّهُن، والله ما هى إلاّ ليلة يُصِيب فيها أحدُكم امرأته حتى يُولَد له غلام مثل أحد الرُّهُن؛ فاجتمع رأيهم على ذلك؛

(١) قريظة والنضير: حيان فى اليهود. (٢) قبيلة فى الخزرج (٣) السبخة: أرض ذات نز وملح (٤) المفازة: الفلاة لا ماء بها.

فأرسلوا إلى عمرو بألّا نُسَلّم لكم دُورَنا ، وانظروا الّذى عاهدتمونا عليه فى رُهُنِنا فقومُوا لنا به ؛ فعدَا عمرو بن النعمان البياضى على رُهُنِهم هو ومن أطَاعَه من الخزرج فقتلوهم ، وأبى عبد الله بن أُبَىّ – وكان سيدًا حليماً – وقال : هذا عقوق ومأثم وبَغْى ، فلستُ مُعيناً عليه ، ولا أحد من قومى[1] أطاعنى ، وخلّى عمّنْ عنده من الرُّهُن .

فناوشت الأَوْس الخزرج يوم قَتْل الرّهن شيئاً من قتال غير كبير ، واجتمعت قُرَيظة والنَّضِير إلى كعب بن أسد القرظى، ثم تآمروا أن يُعينوا الأوس على الخزرج، فبعثت إلى الأوس بذلك، ثم أَجْمَعُوا عليه، على أن ينزل كلُّ أهل بيت من النَّبيت[2] على بيت من بنى قُرَيظة ؛ فنزلوا معهم فى دورهم . ثم أرسلوا إلى سَائِر الأوس فى الحرب والقيامِ معهم على الخزرج ، فأجابوهم إلى ذلك .

فاجتمع الملأُ منهم ، واستحكم أمرُهم ، وجدُّوا فى حربهم ؛ فلما سمعت الخزرج اجتمعوا حتى جاءوا عبدَ الله بن أُبَىّ ، وقالوا له : قد كان الذى بلَغَكَ من أمر الأَوْس وأمرِ قُرَيظة والنَّضِير واجتماعهم على حَرْبنا ، وإنا نرى أن نقاتلهم ، فإن هزمناهم لم يُحْرِزْ أحدٌ منهم مَعْقله ولا مَلْجَأه حتى لا يبقى منهم أحد .

فلما فرغوا من مقالتهم قال لهم عبد الله : إن هذا بغىٌ منكم على قومكم وعقوق، والله ما أحبّ أن رِجْلاً[3] من جَراد ألْفَيْنَاهُمْ ، وقد بلغنى أنهم يقولون هؤلاء قومُنا مَنَعُونا الحياة أفيمنعوننا الموت ؟ والله إنى أرى قوماً لا ينتهون أو يهلكوا عامتهم ، وإنى لأخاف إن قاتلوكم أن يُنْصَرُوا عليكم لبَغْيِكم عليهم ، فقاتلوا قومكم كما كنتم

---

(١) هم بنو سالم الحبلى . (٢) النبيت: حى فى الأوس ، أطلق عليهم لقب أبيهم ، واسمه عمرو ابن مالك بن الأوس (٣) الرجل : جماعة الجراد .

تُقاتلونهم ، فإذا ولَّوْا فخلُّوا عنهم ، فإذا هزموكم فدخلتم أدنى البيوت خَلَّوا عنكم .
فقال له عمرو بن النعمان البياضى : انتفخ والله سَحْرُك[١] يا أبا الحارث حين بلغك حِلْف الأوس وقريظة والنضير . فقال عبد الله : والله لاحضرتكم أبداً ، ولا أحد أطاعنى أبداً ، ولكأنى أنظر إليك قتيلا تحملك أربعةٌ فى عَبَاء[٢] .

وتابع عبدَ الله رجالٌ من الخزرج ، واجتمع كلامُ الخزرج على أن رأَّسُوا عليهم عمرو بن النعمان البَيَاضى ، وولَّوْه أَمْر حربهم ، ولبث الأوس والخزرج أربعين ليلة يتصنَّعون[٣] للحرب ، ويجمع بعضهم لبعض ، ويرسلون إلى حُلَفائهم من قبائل العرب ، فأرسلت الخزرج إلى جهينة وأشجع ، وأرسلت الأوس إلى مزينة ، وذهب حُضَير الكتائب الأشهلى إلى أبى قيس الأَسلت[٤] ، فأمره أن يجمع له أَوْس الله ، فجمعهم له أبو قيس ، فقام حضير ، فاعتمد على قَوْسه ، وعليه نَمِرة[٥] تشفّ عن عَوْرَته ، فحرّضهم ، وأمرهم بالجِدّ فى حربهم ، وذَكر ما صنعتْ بهم الخزرج من إخراج النّبيت ، وإذلال من تخلَّف من سائر الأوس فى كلامٍ كثير ؛ وجعل كلَّما ذكر ما صنعت بهم الخزرج يستشيط ويَحمى ، فأجابته أوس الله بالذى يُحبُّ من النصرة والمُوَازرة والجِدّ فى الحرب .

ثم اجتمعت الأَوْس مرة أخرى ، فأَجَالُوا الرأى ؛ فقالوا : إن ظفرنا بالخروج لم نُبْقِ منهم أحداً ، ولم نقاتلهم كما كنَّا نقاتلهم . فقال حضير : يا معشر الأَوْس ؛ ما سُمِّيتمُ الأَوس إلا لأنكم تؤسُون[٦] الأمور الواسعة !

---

(١) أصل السحر : ما التزق بالحلقوم والمرىء ، ويقال للجبان: انتفخ سحره ، أى ملأ الخوف قلبه (٢) العباء : كساء (٣) يتصنعون: يتجهزون ويتأهبون (٤) حضير وأبو الأسلت : كلاهما من الأوس (٥) النمرة : بردة من صوف تلبسها الأعراب (٦) أى تعالجون الأمور .

يا قوم قد أصبحتُم دوارا　　لمعشَرٍ قد قتَلُوا الخِيَارا
يوشِكُ أن يستأصلوا الدِّيَارا

ثم طرحوا بين أيديهم تمراً ، وجعلوا يأكُلون وحُضير الكتائب جالسٌ وعليه بُرْدَة له قد اشتمل بها الصَّمَّاء(١) ، وما يأكل معهم ولا يَدْنو إلى التمر غضباً وحنقًا ، فقال : يا قوم ؛ اعقِدوا لأبى قَيس بن الأسْلت ، فقال لهم أبو قيس : لاأقبلُ ذلك ، فإنى لم أرْأَس على قوم فى حرب قطّ إلا هُزِموا وتشاءموا برياستى .

ثم جاءتهم أوْس مناة ، وقدِمت مُزينة ، فانطلق حُضير وأبو عامر الرّاهب إلى أبى قيس ، فقالوا : قد جاءتنا مُزَينة واجتمع إلينا من أهل يثرب مالا قِبَلَ للخزرج به ، فما الرأى إن نحنُ ظهَرْنا عليهم : الإنجاز أم البَقِيَّة ؟ فقال أبو قيس : اقتُلوهم حتى يقولوا : بزابز(٢) . ثم اختلفوا فى ذلك؛ فأقسم حُضير ألا يشرب الخمر ، أو يظهر ويهدم مُزَاحماً : أُطُم عبد الله بن أُبىّ . ثم لبثوا شهرين يمدُّون ويستعدون .

وكان اللقاء ببُعاث ، وحشد الحيّان فلم يتخلَّف عنهم إلا من لا ذِكْرَ(٣) له ، ولم يكونوا حشدوا قبل ذلك فى يوم الْتَقَوا فيه . فلما رأت الأوس الخزرج أعظموهم وقالوا لحضير : ياأبا أسيد ؛ لو حاجزت القوم ، وبعثت إلى من تخلّف من حُلَفَائك من مزينة ؟ فطرح قوساً كانت فى يده ثم قال : أنتظر مزينة وقد نظر إلىَّ القوم ونظرت إليهم ! الموت قبل ذلك . واقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت الأوْسُ حين وجدوا مسّ

(١) اشتمال الصماء : أن يرد الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى وعلى عاتقه الأيسر ، ثم يرده ثانية من خلفه على يده اليمنى وعاتقه الأيمن فيغطيهما جميعاً　(٢) بزابز : كلمة كانوا يقولونها إذا غلبوا　(٣) تخلف عن الأوس بنو حارثة ، فبعثوا إلى الخزرج : إنا والله ما نريد قتالكم ، فبعثوا إليهم أن ابعثوا إلينا برهائن منكم يكونون فى أيدينا ، فبعثوا إليهم اثنى عشر رجلا.

السِّلاح ، فولّوا مصعدين فى حرّة قَوْرَى[1] ، فنزل حُضير ، وصاحت بهم الخزرج : أين الفرار ، فلما سمع حضير طعن بسنان رُمْحِه فَخِذه ، ونزل وصاح وعَقْراه[2] ، والله لا أَرِيم حتى أُقتل ، فإن شئتم يا معشر الأوس أن تُسْلِمونى فافعلوا ؛ فتعطّفت عليه الأوس ، وقام وعلى رأسه غلامان من بنى عبد الأَشْهَل ، وهما يومئذ مُعْرِسَان[3] ذوا بَطْش ، فجعلا يرتجزان ويقولان :

أى غــلامى ملك ترانا ... فى الحرب إذ دارَتْ بنا رَحَانَا

وعدّد الناسُ لنا مكانَا

فقاتلا حتى قُتِـلا ، وأقبـل سهم حتى أصاب عمرو بن النعمان البَيَاضى رأس الخزرج فقتله ، لايدرى من رَمَى[4] به . ثم انهزمت الخزرج ، ووضعت الأوس فيهم السـلاح ، وصاح صائح : يا معشر الأوس ؛ أَسْجِحوا[5] ولا تُهلِكو إخوتـكم ؛ فتناهت الأوس ، وكفَّت عن سلبهم بعد إثْخَان فيهم[6] ، وسلبتهم قُرَيظة والنضير ،

---

(١) موضع فى نواحى المدينة (٢) العقر : قطع قوائم البعير بالسيف لينحر (٣) يقال : أعرس فلان إذا اتخذ عرساً (٤) رووا : أنه بينما كان عبد الله بن أبى يتردد على بغلة له قريباً من بعاث ، يتجسس أخبار القوم ؛ إذ طلع عليه بعمرو بن النعمان ميتاً فى عباء يحمله أربعة إلى داره ، فلما رآه قال : من هـذا ؟ قالوا : عمرو بن النعمان فقال : ذق وبال المعقوق (٥) أسجحوا : أحسنوا العفو (٦) روى فى الأغانى أن يهودياً أعمى من بنى قريظة كان يومئذ فى أطم من آطامهم فقال لابنة له : أشرفى على الأطم فانظرى ما فعل القوم ، فأشرفت فقالت : أسمع الصوت قد ارتفع فى أعلى قورى وأسمع قائلا يقول : اضربوا يا آل الخزرج ، فقال : الدولة إذاً على الأوس ، لا خير فى البقاء . ثم قال : ما ذا تسمعين ؟ فقالت : أسمع رجالا يقولون : يا آل الأوس ، ورجالا يقولون : يا آل الخزرج ، فقال : الآن حمى القتال . ثم لبث ساعة ، وقال : أشرفى فاسمعى ، فأشرفت فقالت : أسمع قوماً يقولون : « نحن بنو صخرة أصحاب الرعل » . فقال : تلك بنو عبد الأشهل ، ظفرت والله الأوس ، ثم جرى فرحاً نحو باب الأطم ، وضرب رأسه بالباب ، وكان من حجارة ، فسقط ومات .

وحملت الأوس حضيراً من الجراح التى به ، وهم يرتجزون حوله ويقولون :

كتيبة زينها مولاها   لا كهلها هدّ ولا فتاها

وجعلت الأوس تحرق على الخزرج نخلها ودورها . ثم خرج سعد بن معاذ الأشهلى[1] ، حتى وقف على باب بنى سلمة وأجارهم وأموالهم جزاء لهم بيوم الرّعل[2] .

وأقسم كعب بن أسد القرظى[3] ليذلّن عبد الله بن أبىّ ، وليحلقنّ رأسه تحت حصنه مزاحم . فناداه كعب : انزل يا عدوّ الله ، فقال عبد الله : أنشدك الله ! ما خذلت[4] عنكم . فسأل عمّا قال ، فوجده حقًّا ، فرجع عنه .

وخرج حضير الكتائب وأبو عامر الراهب حتى أتيا أبا القيس بن الأسلت بعد الهزيمة ، فقال له حضير : يا أبا قيس ؛ إن رأيت أن نأتى الخزرج قصراً قصراً ، وداراً داراً ، نقتل ونهدم حتى لا يبقى منهم أحد ! فقال أبو قيس : والله لا نفعل ذلك . فغضب حضير وقال : ما سمّيتم الأوس إلا لأنكم تؤسون الأمر أوساً ؛ ولو ظفرت الخزرج بمثلها ما أقالونا . ثم انصرف إلى الأوس فأمرهم بالرجوع إلى ديارهم .

وثقل على حضير الجرح ، فذهب به كليب بن عبد الأشهل إلى منزله ، فلبث عنده أياماً ، ثم مات . فقال خفاف بن ندبة[5] يرثيه :

---

(١) من بنى عبد الأشهل ، وهم قبيلة فى الأوس (٢) الرعل : مال لعبد الأشهل ، وبنو سلمة قبيلة فى الخزرج ، وكانوا يوم الرعل أغاروا على مال لبنى عبد الأشهل وقاتلوهم ، فجرح سعد بن معاذ الأشهلى جراحة شديدة ، فاحتمله بنو سلمة إلى عمرو بن الجموح الخزرجى فأجاره وأخاه وأجار الرعل من الحريق وقطع الأشجار ، فلما كان يوم بعاث جازاه سعد (ابن الأثير ص ٤١٥ جزء ١) (٣) من بنى قريظة حلفاء الأوس (٤) أى ما تركت نصرتكم ، وهو يشير إلى ما كان بينه وبين قومه من الخزرج ، من امتناعه عن محاربة بنى قريظة والنضير (٥) كان خفاف نديمه وصديقه .

أتانى حــديث فكذَّبتُه وقيل خُليلكَ فى الرَّمْس [1]
فياعينُ بَكِّى حُضَيْرَ النّدى حُضَيْرَ الكتائب والمجلس
ويوم شـديد أُوار الحـديد تَقَطَّعُ منه عُرَى الأنفس
صَلِيتُ به وعليك الحـديـ ـدُ ما بين سَلْع [2] إلى الأعرس
فأودى بنفسك يوم الوغى ونقّى ثيابك لم تدْنس

***

وفى ذلك اليوم قال قيس بن الخطيم الأوسى [3] :

أتعرف رسمًا كاطّرادِ المذاهب لِعَمْرةَ وَحشًا غيرَمَوْقف را كب [4]
دِيارَ التى كانت ونحن على مِنًى تَحلّ بها لولا نجاء النجائب [5]
تبدّت لنا كالشمس تحت غَمامةٍ بدا حاجبٌ منها وضنَّتْ بحاجب
ولم أرها إلا ثلاثًا على منًى وعهدى بها عَذْراءَ ذاتَ ذَوَائب
ومِثْلُكِ قد أصْبَيْتُ ليست بكَنّةٍ ولا جارةٍ ولا حَليـلة صاحب

---

(١) يريد القبر (٢) موضع قرب المدينة (٣) فى الأغانى : جلس النبى صلى الله عليه وسلم فى مجلس ليس فيه إلا خزرجى ، ثم استنشدهم قصيدة قيس بن الخطيم :

أتعرف رسماً كاطّراد المذاهب لعمرة وحشاً غير موقف را كب

فأنشده بعضهم إياها ، فلما بلغ إلى قوله :

أجالدهم يوم الحديقة حاسراً كأن يدى بالسيف مخراق لاعب

[فالتفت إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « هل كان كما ذكر » ؟ فشهد له ثابت بن قيس وقال له : والذى بعثك بالحق يارسول الله ، لقد خرج إلينا يوم سابع عرسه ، عليـه غلالة وملحفة مورسة ، فجالدنا كما ذكر . هذا وقد أورد صاحب الجمهرة هـذه القصيدة ، وعدها من المذهبات (٤) الاطراد : التتابع . المذاهب : جلود كانت تذهب واحدها مذهب (بضم الميم) : يجعـل فيها خطوط مذهبة بعضها فى إثر بعض. ووحشاً : قفراً ، وغير موقف را كب : لا يصلح للنزول . وقد روى فى المفضليات : كالطراز المذهب (٥) النجاء : السرعة ، والنجائب : الإبل الكريمة ، وفى مهذب الأغانى : لولا نجاء الركائب .

دعوتُ بنى عوف لحقْنِ دمائهم فلما أبَوْا سامحت فى حَرْبِ حَاطب (١)
وكنتُ امرأً لا أبعث الحربَ ظالما فلمـا أبَوْا أشعلْتُها كلَّ جانب
أرِبْت بدفْع الحرب لمّـا رأيتُها عن الدّفع لا تزدادُ غير تقارُب (٢)
إذا لم يكنْ عن غايةِ الموتِ مدْفَعٌ فأهلاً بها إذ لم تزل فى المَرَاحِبِ
فلما رأيتُ الحرب حربًا تجرّدتْ لبستُ مع البُرْدين ثوبَ المُحَارِب
مُضاعَفَةً يَغْشى الأناملَ فضلها كأن قَتِيرِها عيونُ الجنَادِب (٣)
وسامح فيهـا ملْكاهنين ومالكٌ وثعلبةُ الأخيار رهطُ ابنِ غالب (٤)
رجالٌ متى يُدْعَوْا إلى الموت يُرْقِلُوا إليه كإرْقَالِ الجمَـالِ المَصَاعب (٥)
ترى قَصَدَ المُرَّانِ تَهْوِى كأنَّها تَذَرُّعِ خِرصَانٍ بأيْدِى الشَّوَاطبِ (٦)
صَبَحْنَا بها الآطامَ حول مُزَاحِم قوانسُ أُولَى بيْضنا كالكواكب (٧)
لو أنك تُلْقِى حنظلاً فَوْقَ بيْضِنَا تَدَحْرَجَ عن ذى سَامِهِ المُتَقَارِب (٨)
إذا ما فَرَرْنا كان أسْوَا فِرَارِنا صُدود الخدود وَازْوِرَارُ المنَاكِب
صدود الخدود والقَنَا مُتَشَاجِرٌ ولا تَبْرَحُ الأقْدَامُ عند التّضَارب

---

(١) سامحت : تابعت . حاطب : حليف لهم قتل فـكانت بينهم حرب فى قتله (٢) كانت لى إربة : أى حاجة، وفى رواية ابن الأثير : أذنت، وفى مهذب الأغانى : حتى رأيتها (٣) المضاعفة : الدرع التى ضوعف حلقها ، والقتير رءوس المسامير (٤) قال صاحب مهذب الأغانى: ملكاهنين : قريظة والنضير ، ورواية الجمهرة : الكاهنان فى الجمهرة : رهط القباقب ، قال : القباقب : الشجعان وجماعات الـكريهة (٥) يقال : أرقل القوم إلى الحرب أسرعوا ؛ قال النابغة :

إذا استنزلوا للطعن عنهن أرقلوا إلى الموت إرقال الجمال المصاعب

(٦) القصد : القطع ، والمران : الرماح . والتذرع : قال صاحب اللسان عن الأصمعى : تذرع فلان الجريد إذا وضعه فى ذراعه فشطبه ، ومنه قول قيس : ترى قصد . . . الخ ، والخرصان : القضبان ، والشواطب : النساء يشققن القضبان (اللسان — مادة ذرع) (٧) مزاحم : حصن بالمدينة ، وقونس البيضة من السلاح : أعلاها (٨) السام : عروق الذهب ، وأراد به خطوط ذهب على البيض تموه بها .

إذا قصَّرتْ أسيافُنا كان وصلُها خُطَانا إلى أعدائنا بالتقارب
أجالدُهم يومَ الحديقة حاسراً كأنَّ يَدِى بالسيف مِخرَاقُ لاعبِ (١)
ويوم بُعَاث أسْلَمَتنا سيوفُنا إلى حسبٍ فى جَذْمِ غسَّان ثَاقبِ (٢)
يُعَرِّين بيضاً حينَ نَلْقَى عدوَّنا ويُغْمِدْنَ حمراً ناحلاتِ المَضَارِبِ (٣)
أطاعت بنو عوفٍ أميراً نهاهمُ عن السِّلْمِ حتى كان أول واجب (٤)
رضيتُ لِعوف أن تقول نساؤهم – ويَهْزَأْنَ منهمْ – ليتنا لم نُحَارب
صبحناكُمُ بيضاءَ يَبْرُقُ بَيْضُهَا تُبِين خلاخيلَ النساء الهَوارِبِ (٥)
أصاب صريحَ القوم غَرْبُ سُيوفِنا وغُودر أولادُ الإماء الحواطب (٦)
ومنّا (٧) الذى آلى ثلاثين ليلةً عن الخمر حتى زارَكم بالكتائب
رضيت لهم إذ لا يَريمون قعْرَها إلى عازبِ الأموال إلا بصاحب
فلولا ذُرَا الآطام قد تعلمونه وتَرْكُ الفضا شُورِكْتُمُ فى الكواعب (٨)
فلَمْ تَمْنَعُوا منا مكاناً نريدُهُ لكم مُحْرَزاً إلا ظهور المشارب (٩)

---

(١) الحديقة : قرية من أعراض المدينة ، والمخراق : خرقة مفتولة يلعب بها الصبيان ، وفى الجمهرة: يوم الخنادق (٢) يريد أنهم حققوا فخر انتسابهم إلى غسان . وهذه رواية صاحب الجمهرة ، ورواية اللسان : . . . . إلى نشب فى حزم غسان ثاقب (٣) روى صاحب الجمهرة البيت كما يأتى :

يجردن بيضاً كل يوم كريهة ويغمدن حمراً خاضبات المضارب

(٤) واجب : ميت (٥) صبحناكم : أى دهمناكم صباحاً ؛ ويريد بالبيضاء الحرب غلب عليها لون السيوف ، والهوارب : النساء الهاربات من الذعر (٦) الصريح من القوم : السيد فيهم ، وغرب السيف : حده ، والإماء : الجوارى ، وأبناء الحواطب : أبناء حمالات الحطب من النساء (٧) أبو قيس بن الأسلت (٨) يريد : إنكم لولا أنكم هربتم فى أعالى الهضاب لكنتم فى عداد السبايا (٩) المشارب : الغرف.

فهلّا لدى الحرب العَوانِ صبرتُم ... لوقعتنا واليأسُ صَعْبُ المراكب
ظأرناكم بالبيض حتى لأنتم ... أذلُّ من السُّقْبان بين الحلائب[1]
ولمّا هبطنا الحرثَ قال أميرُنا ... حرامٌ علينا الخمرُ ما لم نُضارب
فسامحه منّا رجالٌ أعزَّةٌ ... فما برحوا حتى أُحِلَّتْ لشارب
فليَّتْ سويداً راءَ من جَرَّ منكم ... ومن فَرَّ إذ يَحْدُونَهُمْ كالحلائب
فأُبْنا إلى أبنائنا ونسائنا ... وما مَن تركنا في بُعَاث بآئب
وغُيبْتُ عن يوم كَنَتْنى عشيرتى ... ويوم بُعَاث كان يومَ التَّغَالُبِ

وعاد أبو قيس بن الأسلت[2] إلى امرأته ، بعد أن مكث فى الحرب أشهراً آثرها على كل شىء ، حتى شَحب لَوْنُه وتغيّر ، فدق الباب ففتحت له ، فأهوى إليها بيده فدفعتهُ وأنكرته ، فقال : أنا أبو قيس ، فقالت : والله ما عرفتك حتى تكلّمت ، فقال[3] :

قالت ـ ولم تَقْصِد لِقيلِ الخنا ـ ... مهلا فقد أبلغت أسماعى[4]
أنكرتِهِ حين توسمتِهِ ... والحرب غُول[5] ذات أوجاع
من يذق الحرب يجد طعمها ... مُرّا وتحبسه بجَعْجَاعِ[6]
قد حصَّت البيضَة رأسى فما ... أطعَمُ نوماً غير تَهْجَاع[7]

---

(١) ظأرناكم : عطفناكم على ما نريد . السقب : الذكر من أولاد الإبل (٢) قال صاحب الأغانى : لم يقع إلى اسمه ، والأسلت لقب أبيه ، وهو شاعر من شعراء الجاهلية ، وكانت الأوس قد أسندت إليه حربها يوم بعاث ، وجعلته رئيساً عليها ، فكنى وساد ، وأسلم ابنه عقبة ، واستشهد يوم القادسية (٣) وقد روى هذه القصيدة صاحب الجمهرة ، وصاحب المفضليات ، والمرصفى فى رغبة الآمل (٤) الخنا : العار ، والمعنى آلمنى خبرك حتى لا أريد سماعه (٥) غول : مغتالة .
(٦) الجعجاع : المكان الغليظ (٧) حصت : أذهبت شعره ، والبيضة : ما تلبس فى الرأس عند الحرب ، يريد أنه من طول لبسها أذهبت شعر رأسه ، والتهجاع : النومة الخفيفة .

أسعى على جُلِّ(١) بنى مالك كلُّ امرئٍ فى شأنه ساعِ
أعددت للأعداء مَوْضُونَةً فَضْفَاضَةً كالنِّهْى(٢) بالقاع
أحْفِزُها عنى بذى رَوْنَقٍ مهنّد كالمِلْح(٣) قطّاع
صَدْقٍ حُسامٍ وادِقٍ حدُّهُ ومُجْنَأٍ أسْمَرَ قرّاع(٤)
بَزُّ امرئٍ مستبسل حاذرٍ للدهر جلدٍ غيرِ مِجزاعِ(٥)
الحزم والقوة خيرٌ من الْ إدْهَانِ والفَكَّةِ والهاعِ(٦)
ليس قَطا مثلَ قُطَىٍّ ولا الـ مرعِىُّ فى الأقوام كالرّاعى(٧)
لا نألم القتل ونجزى به الأعداء كَيْلَ الصّاعِ بالصّاعِ(٨)
نَذُودُهم عنّا بمُسْتَنّةٍ ذاتِ عرانينٍ ودُفّاعِ(٩)
كأننا أسْدٌ لدى أشْبُلٍ يَنْهَتْنَ فى غِيلٍ وأجْزَاعِ(١٠)
حتى تجلّتْ ولنا غايةٌ من بين جَمْعٍ غيرِ جُمّاعِ(١١)

---

(١) الجل : ما يوضع على الدابة (٢) الموضونة : الدرع المنسوجة ، بعض حلقها مداخل فى بعض ، والنهى : الغدير ، والقاع : المكان المستوى ؛ شبه نسجها بما تنسجه الريح فوق سطح الماء بذلك القاع (٣) الحفز فى الأصل : دفعك الشىء من خلفه ؛ يريد أدفع ثقلها بغمد سيف ذى رونق والرونق : ماء السيف وصفاؤه . وشبه السيف بالملح لصفائه (٤) صدق : صادق الضربة ؛ وادق حده : ماض فى ضريبته ؛ والمجنأ : الترس سمى به لانحنائه ، وقراع : صلب ؛ سمى به لصبره على القرع (٥) البز : السلاح ، والحاذر : المتأهب الشاكى السلاح (٦) الإدهان : اللين ، والفكة : ضعف الرأى ، والهاع : سوء الحرص مع الضعف (٧) ورد هذا البيت مورد المثل ، وليس قطا مثل قطى : ليس الأمر الكبير كالصغير ؛ وليس المرعى كالراعى : ليس السائس كالمسوس (٨) يريد أنه لا يفوتنا أحد بوتر ، ولا ينقص من حقنا (٩) المستنة : الكتيبة تستن فى عددها من استن الفرس ؛ مضى على وجهه ، والعرانين : جمع عرنين وهو الأنف ، وأراد به رؤساءهم ، والدفاع : جمع دافع ؛ وهم الذين يدفعون الأعداء (١٠) النهيت : صوت الأسد ، والغيل : الأجمة والأجزاع : الوديان المنقطعة (١١) الغاية : الراية ، والجماع : أخلاط الناس ؛ يريد لم نستعن بأحد من غيرنا .

هلا سألت الخيل إذ قلصت ما كان إبطائى وإسراعى [١]
هل أبذل المال على حبه فيهم وآبى دعوة الداعى
وأضرب القونس يوم الوغى بالسيف لم يقصر به باعى [٢]
وأقطع الخرق يخاف الردى فيه على أدماء هلواع [٣]
ذات أساهيج جمالية حشتها كورى وأنساع [٤]
تعطى على الأين وتنجو من الضـ رب أمون غير مظلاع [٥]
كأن أطراف ولياتها فى شمأل حصاء زعزاع [٦]
أزين الرحل بمعقومة حارية أو ذات أقطاع [٧]
أقضى بها الحاجات إن الفتى رهن بذى لونيه خداع [٨]

هذا ، وقد وقعت بين الأوس والخزرج حروب كثيرة اقتصرنا منها على ما تقدم منها يوم السرارة ، ويوم الربيع ، ويوم فارع ، ويوم البقيع ، ويوم معبس ومضرس، وغيرها ، فارجع إلى ما أشرنا من مراجع إن أردت الزيادة.

---

(١) قلصت : شمرت ؛ من قلصت الإبل فى سيرها ؛ إذا استمرت فى مضيها (٢) القونس : مقدم بيضة السلاح أو أعلاها (٣) الخرق : القفر، ويريد بالأدماء الناقة، من الأدمة وهى فى الإبل البياض الواضح، والهلواع مثل الهلواعة: الناقة الشهمة التى تخاف من السوط . وهذه رواية صاحب المفضليات والمرصفى فى رغبة الآمل ، ورواية صاحب الجمهرة :

فتلك أفعالى وقد أقطع الـ ـخرق على أدماء هلواع

(٤) الأساهيج : فنون فى السير مختلفة ، لا واحد لهـا ، وجمالية : تشبه الجمل فى خلقته ، وحشتها : يريد أعطيتها ، والكور : الرحل ، والأنساع : حبال من جلد مضفورة تشد عليها الرحال (٥) تعطى على الأين : يريد تعطى سيراً سريعاً ، والأمون : المأمونة العثار ، وغير مظلاع : من الظلع ، وهو العرج والغمز فى المشى (٦) الوليات : جمع ولية ، وهى الكساء يوضع تحت الرحل ، جعل كل جزء ولية فجمع ، وحصاء : شديدة الهبوب ، وزعزاع : تزعزع كل ما تمر به ؛ يريد كأن أطراف ذلك الكساء على ريح الشمال من شدة سرعتها فى السير

(٧) المعقومة : الموشية ، وحارية منسوبة إلى الحيرة:على غير قياس ، والأقطاع : الطنافس الموشاة توضع تحت الرحل على كتف البعير (٨) أى بدهر ذى خير وشر .

(٧) يوم سحبل *

كان جعفر[١] بن عُلْبَة يزور نساء من بنى عُقَيل[٢] بن كَعْب ، وكانوا متجاورين هم وبنو الحارث[٣] بن كعب، فأخذته بنو عقيل ، وكشفوا عَوْرَته ، وربطوه إلى جُمَّتِه، وضربوه بالسّياط وكتَّفوه ، ثم أقبلوا به وأَدبَرُوا ، على النّسوة اللاتى كان يتحدَّث إليهن على تلك الحال ليغيظوهن ، ويَفْضَحُوه عندهن ، فقال لهم : يا قوم ؛ لا تَفْعَلُوا ؛ فإنّ هذا الفعل مُثْلَة ، وأنا أحلف لكم بما يُثْلج صدوركم ؛ ألاَّ أزورَ بيوتكم أبداً ولا أَلِجَها . فلم يقبلوا منه . قال : فإن لم تفعلوا ذلك فحَسْبُكُمْ ما قَدْ مضى ، ومُنُّوا علىّ بالكفّ عنى ؛ فإنى أعدّه نعمة لكم ، ويداً لا أكْفُرُها أبداً ؛ أو فاقتلُونى وأَرِيحُونى فأكون رجلاً آذَى قوماً فى دارهم فقتلوه .

فلمْ يفعلوا ، وجعلوا يكشفون عَوْرته بين أيدى النساء ويضربونه ، ويُغْرُون به سفهاءَهُمْ ، حتى شَفَوْا أنفسهم منه ، ثم خَلَّوْا سبيلَه .

وبلغ ذلك إياسَ بن زيد، فقال يتوجَّع لجعفر :

---

* لبنى الحارث بن كعب (بطن فى كهلان) على بنى عقيل بن كعب (بطن فى قيس) وسحبل موضع فى ديار بنى الحارث بن كعب . وهذا اليوم ، وإن اتصل بالإسلام ، إلا أننا وضعناه هنا ؛ لأنه لا يمت إلى الوقائع والحروب الإسلامية بصلة ، ولذلك وضع فى مجمع الأمثال فى الأيام الجاهلية .
معجم البلدان ص ٤٣ ج ٥ ، الأغانى ص ١٤١ ج ١١ ، معاهد التنصيص ص ٤٣ ج ١ ، شرح الحماسة للتبريزى ص ٥٦ ج ١

(١) جعفر بن علبة بن ربيعة من بنى الحارث بن كعب ، ينتهى نسبه إلى عبد يغوث الشاعر ، أسير يوم الكلاب الثانى ، كنيته أبو عارم ، وعارم ابنه . وهو من مخضرمى الدولتين : الأموية والعباسية ، شاعر غزل فارس مذكور فى قومه (٢) بنو عقيل : بطن من قيس
(٣) بنو الحارث بن كعب : من كهلان .

أبا عامرٍ كيف اغتُرِرتَ ولم تكنْ ... تُغَرُّ إذا ما كان أمر تحاذِرُه (١)
فلا صُلْحَ حتى يخفِقَ السيف خفقةً ... بكفٍّ فتى جرَّتْ عليه جرائِرُه

ثم مضت أيام، وأخذ جعفر أربعة رجال من قومه، ورَصَدَ العقيليين حتى ظفر برجل ممن كان يصنع به ذلك، فقبضوا عليه، وفعلوا به شرًّا مما فُعِل بجعفر، ثم أطلقوه، فرجع إلى الحيّ، فأنذرهم، فتبعهم سبعةَ عشرَ فارساً من بني عقيل حتى لحقوا بهم بوادي سَحْبَل، فقاتلهم جعفر، وقتل فيهم حتى لم يبقَ من العقيليين إلا ثلاثةُ نفر، وعمد إلى القتلى فشدّهم على الجمال وأنفذهم مع الثلاثة إلى قومهم. وقال جعفر في ذلك:

وسائلةٍ عنا بغيبٍ وسائلٍ ... بمَصْدَقِنا في الحرب كيف نقاتِلُ
ألَهْفَى بقُرَّى سَحْبَلٍ حين أحلبَتْ ... علينا الوَلايا والعدوُّ الباسِلُ (٢)
فقالوا لنا ثنتان لا بُدَّ منهما: ... صدورُ رماحٍ أُشْرِعَتْ أو سَلاسِلُ (٣)
فقلنا لهم: تلكم إذًا بعدَ كرَّةٍ ... تُغادرُ صَرْعَى نَوْءُها متخاذِلُ (٤)
ولم نَدْرِ إنْ حِضْنَا من الموت حَيْصَةً ... كم العمرُ باقٍ والمدَى متطاوِلُ (٥)
إذا ما ابتدرنا مأزِقاً فُرِّجَتْ لنا ... بأيماننا بيضٌ جلَتْها الصياقِلُ (٦)

---

(١) اغتررت: أتيت على غفلة (٢) ألهفى: أصله ألهف، والتلهف: التوجع، وقرى: موضع بوادي سحبل، وأحلبت: أعانت، والولايا يريد بها العشائر والقبائل، والباسلة: المصاولة في الحرب (٣) يقول: إنهم قالوا لنا: إما أن تصبروا على القتال فنلقاكم بالرماح، وإما أن تستأسروا فنأخذكم في السلاسل (٤) الإشارة إلى التخيير، والكرة: المرة من الكر، وتغادر: تترك والمفعول محذوف تقديره تغادركم، والنوء: النهوض، يقول: فأجبناهم بأن ذلك الخيار بين هاتين لا يكون إلا بعد كرة عليكم تترككم مصروعين عاجزين عن النهوض (٥) يقال: حاص أي انحرف وعدل (٦) المأزق: مضيق الحرب، يقول: إذا استبقنا إلى مضيق في الحرب وسعته لنا سيوف مصقولة بأيماننا.

لهم صدرُ سيْفِي يوم بطحاء سَحْبَلٍ ولى منه ما ضُمَّتْ عليهِ الأنامِلِ[1]

واستعدتْ بنو عُقَيل عليهم السرىَّ بن عبد الله الهاشمى عاملَ مكة لأبى جعفر المنصور ، فأرسل إلى عُلْبَةَ بن ربيعة ، والد جعفر ، وأخذه بهم ثم حبسه ، حتى دفعهم وسائرَ من كان معهم إليه .

وكان ممن حبس مع جعفر فى بنى عُقَيل على بن جُندب ـ وكان صديقه ـ والنضر ابن مضارب ؛ أما على فإنه أفْلَتَ من الحبس وهرب ، أما النضير فإنه استُقيد منه بجراحة ، ولكن بقى جعفر فى حبسه يقول الشعر ، وكان مما قال :

هَوَاىَ مع الرَّكْبِ اليمَانِينَ مُصْعِدُ جَنِيبٌ وجُثْمانى بمكةَ مُوثَقُ[2]
عجبتُ لَمَسْرَاها وأنَّى تخلَّصَتْ إلىّ وبابُ السّجن دونى مُغْلَقُ
ألمتْ[3] فحيّتْ ثم قامتْ فودَّعتْ فلما تولَّتْ كادت النفس تَزْهَقُ
فلا تَحْسَبِى أنى تخشَّعْتُ[4] بعدكم لشىء ولا أنى من الموت أَفْرَقُ
ولا أنَّ نَفْسى يَزْدَهِيها وعيدهم ولا أنَّنى بالمَشْى فى القيد أَخْرَقُ[5]
ولكن عَرَتْنى من هواكِ صَبَابَةٌ كما كُنْتُ أَلْقَى مِنْكِ إذْ أنَا مُطلقُ

ثم إن جعفرا أُخبر بأنه مقتول ؛ فقال :

ألا لا أبالى بعد يومٍ بِسَحْبَل إذا لم أعذب أن يجىء حماميا
تركتُ بأعلى سَحْبل ومَضيقه مُراقَ دم لا يَبْرَحُ الدَّهْرَ ثاويا

---

(١) يريد : أن للأعداء صدر سيفه يعمل فيهم ، وفى يده مقبضه ، ورواية اللسان: يوم صحراء سحبل . قال : وصحراء سحبل : موضع (٢) هواى : مهوى ، والركب : ركبان الإبل خاصة ، واليمانون : جمع يمان ، وهو المنسوب إلى اليمن ، والمصعد : المبعد من الإصعاد وهو الإبعاد ، وجنيب بمعنى مجنوب: مستتبع ، والجثمان : البدن (٣) ألمت من الإلمام بمعنى الزيارة (٤) تخشعت : تكلفت الخشوع (٥) يزدهيها : يستخفها . والأخرق: القليل الرفق بالشىء .

شفيتُ به غَيْظى وحرب مواطنى وكان شفاء آخرَ الدهرِ باقيا
أرادوا ليَثْنُونى فقلت تجنَّبُوا طريقى فما لى حاجة من وَرَائيا
فدى لبنى عمٍّ أجابوا لدَعْوَتى شَفَوْا من بنى القدْعاء عمى وخاليا
كأن العقيلين يوم لقيتهم فِرَاخُ قَطًا لاقَيْنَ صَقْرًا يمانيا
تركناهُمُ صَرْعَى كأنَّ ضَجيجَهُم ضجيجُ دَبَارى النيبِ لاقت مُداويا
أقول ـ وقد أجلت من القوم عركة ـ ليبكِ العقيلين من كان باكيا
فإن بِقُرَّى سَحْبَل لأمارة ونضح دماء منهم ومحَابيا(١)
ولم أُترك لى ريبةً غير أننى وددت معاذاً كان فيمن أتَانِيا(٢)
شفيت غليلى من خشينَة بعدما كسوت الهذيل المشرفىَّ اليمانيا(٣)
أحقًّا عبادَ الله أن لستُ ناظراً صحارى نجد والرياح الذَّواريا
ولا زائراً شم العرَانين تنتمى إلى عامر يحللن رَمْلا مُعاليا
إذا ما أتيتَ الحارثيات فانْعَنى لهنَّ وخبِّرهنَّ أنْ لَا تلاقيا
وقوِّد قَلُوصى بينهنَّ فإنها ستبرد أكباداً وتُبكى بوَاكيا
أُوصيكم إن متّ يوماً بعارِم(٤) ليغنى شيئاً أو يكون مكانيا

ولما أخرج جعفر للقود قال له غلام من قومه : أسقيك شَرْبَة من ماء بارد ؟ فقال له : اسكت ؛ لا أمّ لك ؛ إنى إذاً لمِهْيَاف(٥) ، وانقطع شِسْع نعْله ، فوقف فأصلحه ، فقال له رجل : أمَا يَشْغَلُكَ عن هذا ما أنت فيه ؟ فقال :

---

(١) المحابى : آثار حبوهم من الضعف (٢) أى وددت أن معاذاً كان أتانى معهم فأقتله
(٣) خشينة والهذيل : اثنان من بنى عقيل قتلهما جعفر (٤) عارم : ابنه (٥) رجل هيوف ومهياف : لا يصبر على العطش .

أشدّ قِبال نعلي أن يراني عَدُوّي للحوادث مستكينا

ثم ضُربت عنه .

ولما قُتل قام نساء الحي يبكين عليـه ، وقام أبوه[١] إلى كل ناقة وشاة فنحر أولادَها ، وألقاها بين يديها ، وقال : ابكين معنا على جعفر ، فما زالت النوق تثغو ، والنساء يَصِحْن ويبكين ؛. وهو يبكى معهنّ فـما رُئى يوم كان أوجع ، ولا مأتماً أكثر حزناً فى العرب من يومئذ[٢] .

* * *

وهناك رواية أخرى أوردها التبريزى فى شرح الحماسة هذا نصها :

كانت بنو عقَيل بن كعب وبنو الحارث بن كعب حالّين بصَيْهَد[٣] ، وفى عشية جاء فِتْيَانهم يلعبون ، وبرزت لهم فتيات ينظرن إليهم . فبصر رجل من بنى الحارث برجل من بنى عقيل يُومِضُ بامْرَأة من قومه ؛ فأخـذ رُمْحا وطعن به العقيـلى فى فيه ، فَدَقّ نابه ، وشقّ لثته ، وحسب أن الرُّمح قد بلغ منه فولّى . واستثار رجل من العقيلين أخا العقيلى ـ واسمه عباس ـ ولـكنه وثب وولّى هارباً[٤] . ووثب رجل من بنى عقيل فرمى الحارثى بسهم ؛ فجذَم[٥] صُلْبَه ومات .

(١) كان مما قاله أبوه فى حبس ابنه :

لعمرك إن الليـل يأم خالد على وإن عللتنى لطويل

أحاذر أنباء من القوم قد دنت وأوبة أنقاض لهن دليـل

لعمرك إن ابنى غداة تقوده عقيل لنائى الناصرين ذليـل

(٢) هذه الرواية مأخوذة عن الأغانى ، ومعجم البلدان ، ومعاهد التنصيص (٣) صيهد : فلاة لا ينال ماؤها ، وموضع بين اليمن وحضرموت (٤) وفى هربه تقول امرأة من بنى الحارث :

أشهد أن وعد الله حق وأشهد أن عباساً جبان

(٥) جذم : قطع .

وعَقَل[1] بنو عقيل لبنى الحارث ، وبرئ العقيلىّ من طَمْنَته ، ومَضى زمان ، ونسى الناسُ ذلك .

ثم نشأ نشءٌ فى بنى الحارث عُيِّروا بما فعلت بهم بنو عقيل ، وفى بنى الحارث شابّان مُتْرَفان متخالاّن : على بن جُنْدُب ، وجعفر بن عُلْبة . ثم لقى بنو الحارث نفراً من بنى عقيل ، فقتل جعفر وعلى رجلا من بنى عقيل اسمه خشينة ، وضربا عُرْقوبى آخر ، وضربا ثالثاً بين الشارب والأنف .

ولما فعلا ذلك أتيا عُلْبَة أبا جعفر ، فأخبراه الخبر ، وقالا له : ما ترى لنا ؟ أنَهْرُب ؟ فقالا : لا تهربا ، ولكن ائتيا صهرى محمد بن هشام ، وأنا لكما جار من أن يَضِيرَكما من هذا شىء .

وأبْرَد[2] إلى ابن هشام بالكتاب أن علىّ بن جندب وجعفر بن عُلْبة قد أحدثا حدثا ؛ فما رأيك ؟ فكتب إليه : إنى لهما جار فَلْيأْتيانى .

وحذر بنو عقيل ابن هشام ، فاستَعْدَوا الخليفة هشام بن عبد الملك فكتب لهم إلى أمير نجران : أن خذ الحارثِيّين وإن قام بنو عقيل بينك ، فأَقِدْهما ممن قتلاه ، وخُذْ لَهم بحقِّهم .

فلما لقوا الثقفى قال : لقد لحقا بصِهْرهما ابن هشام بمكّة ، ولا أقدر عليهما ، وقد لحقا بمن هو علىّ ؛ فرجعوا حتى أتَوا هشاما ، فقالوا : حال محمد بن هشام بيننا وبين حقِّنا أن نأخذه من القوم وهم أصْهاره ، فكتب هشام إلى محمد بن هشام : أن أعط القومَ حقَّهم ، واتّق الله .

(١) عقل القتيل : وداه ، وعنه أدى جنايته ، وله دم فلان : ترك القود للدية (٢) أبرده : أرسله بريداً .

فلما جاء العقيليون طُلَّاب الدم أخذ ابنُ هشام جعفراً وعليًّا وقيَّدهما، وقال للعقيليين: ائتوني بالبيِّنة، فقالوا: قَسامة[١]! كيف نأتي بالبينة؟وكيف نقيم من يشهد لنا، وقد استودى[٢] بدمائنا، وتغنَّى بها واعترف؟ فقال: أمَّا قتلاً فلستُ قاتلاً، ولكني عاقلٌ لكم ومُوف نذر دمائكم وخيلكم.

فراجع القومُ الثالثة هشاما، فكتب إليه: ألا تطِلّ دماء القوم، وقد نطقت الأشعار واعترفوا على أنفسهم.

فكتب ابنُ هشام إلى هشام: أن ردَّهم إليَّ إذا أتوك، فإن بني الحارث أصْهاري أفْضَلُ دماء منهم؛ وإني أحْبِسهم، أرجو أن يأخذوا العَقْل[٣].

فرجع العقيليون الرابعة حتى أتَوْا هشاما، فلما أراد ردَّهم إليه قالوا: ليس ينصفنا ابن هشام، ولا نُجَاوزك أبداً، فخُذْ لنا أثْآرَنا[٤]؛ فقال لهم هشام: اكتب إليه يعطيكم العَقْل؛ ويرضيكم فقد تحرَّز به صِهْره، فقال العقيليون: لا، إلاّ أن يبرز لنا جَعْفر بن عُلبة فيرى الناس أنا قدرنا على حقِّنا، وأننا نترك عن قُدْرة؛ ثم نأخذ حينئذ منه العَقْل.

فكتب لهم إلى ابن هشام بذلك، وأخذ عليهم العَهْد أنكم تَفُون بذا، وإني أعطيكم العهد؛ ففعل.

وقال العقيليون لرجل منهم لم يكن يعرف، يقال له رَحْمة: سِرْ قريباً منّا، وادخُل إذا دخلنا، ولا تنزل حيث ننزل، ولا تنتسب عقيليًّا، فإذا ما برز الرجل فاضربْ عُنقه، وانْخَنِس[٥] بين الناس.

---

(١) القسامة: الجماعة يقسمون على الشيء ويأخذونه، أو يشهدون (٢) استودي: أقر واعترف
(٣) العقل: الدية (٤) جمع ثأر (٥) انخنس: تأخر.

وأبرز ابنُ هشام جعفر بن عُلْبة، عليه حُلّته أحسن الناس، وقد وضع على العقيليين حَرَسا أن تَبْدر منهم بادرة، وخاف غَدْرَهم.

فلما برز أهدى إليه رَحْمة فقتله. فأخذه ابن هشام فحبَسه وأبَّسَه[1] وعذّبه، وحبس العقيليين وقال: لأغيظنّكم، وكان يعذّب رحمةَ ولا يُطْعِمه. فمات يوم الجمعة؛ ولم تأت جمعة أخرى حتى مات هشام بن عبد الملك، وقام الوليد بن يزيد؛ فبعث يوسف ابن عمر الثقفي؛ فأخذ ابني هشام؛ وعذّبهما حتى ماتا في عذابه وسِجْنه.

---

(١) أبس الرجل: حقره وصغر به.

٣ ـ أيام القحطانيين والعدنانيين

١ — يوم طخفة

٢ — يوم أوارة الأول

٣ — « « الثانى

٤ — « السلان

٥ — « خزاز

٦ — « حجر

٧ — « الكلاب الثانى

٨ — « فيف الريح

٩ — « ظهر الدهناء

(١) يوم طِخْفَة*

كانت الرِّدَافة بمنزلة الوزارة ، وكان الرّديف يجلس على يمين الملك إذا جلس ، ويردِفُه وراءه إذا ركب، وإذا نزل جلس عن يمينه فتُصرفُ إليه كأسُ الملك إذا شرب، وله رُبْع غنيمة الملك من كل غَزْوة يغزو ، وله إتاوة على كل مَنْ في طاعة الملك .

وكانت رِدافةُ ملوك الحيرة في بنى يربوع[1] ، وفى عهد الملك المنذر[2] بن ماء السماء كانت الرِّدَافة لعتَّاب بن هَرمى بن رَباح بن يَربوع ، ولما مات نشأ له ابنٌ يقال له عَوْف بن عتَّاب ، فقال حاجبُ بنُ زُرارة[3] للمنذر : إن الرِّدافة لا تصلحُ لهذا الغلام لحداثة سنِّه ، فاجْعَلها لرجل كَهْل ، قال : ومن هو ؟ قال : الحارث بن بَيْبَة المُجَاشِعى.

فدعا الملك بنى يربوع، وقال لهم : إن الردافة كانت لعتَّاب وقد هلك، وابنه هذا لم يبلغ؛ فأعْقبوا إخوتكم من بنى مجاشع[4]؛ وإنى أريد أن أجعلها للحارث بن بَيْبَة . فقالت بنو يربوع: إنه لا حاجة لإخوتنا فيها؛ ولكن حسدونا مكاننا من الملك؛ وعوف بن عتَّاب —

---

* لبنى يربوع على المنذر بن ماء السماء . وطخفة : موضع فى طريق البصرة إلى مكة .
معجم البلدان ص ٣٢ ج ٦ ، العقد الفريد ص ٣٥٩ ج ٣ ، النقائض ص ٤٤٨ ، ٩٢٤ ، ٢٨٥ ، ٦٦ ، الأغانى ص ١٧٦ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٩٦ ج ١

(١) يربوع : بطن فى تميم ، وقيل : إن بنى يربوع كانوا أكثر العرب إغارة على ملوك الحيرة ، فصالحوهم على أن جعلوا لهم الردافة ، ويكفوا الغارة عن أهل العراق (٢) هو المنذر الثالث بن امرىء القيس ، وماء السماء أمه ؛ وهو أشهر ملوك الحيرة ، وأكثرهم غزواً وفتحاً ، عاصر من ملوك الفرس قباذ وابنه أنوشروان ، ومن قياصرة الروم الامبراطور جستنيان ، ومن الغساسنة الحارث الأكبر المذكور فى هذا اليوم ، وفى بعض الروايات هو صاحب يومى النعيم والبؤس ، مات سنة ٥٦٣م (٣) حاجب بن زرارة بن عبد الله بن دارم التميمى ، أحد الذين أوفدهم النعمان على كسرى ، وهو الذى رهن قوسه عند كسرى ووفى برهنه ، وبهما ضرب المثل ، وسارت الأشعار (٤) مجاشع : بطن فى تميم .

على حداثةِ سنِّه ـ أحْرَى بالردافةمن الحارث بن بَيْبَة ، ولن نفعلولن ندَعها . قال : فإن لم تَدَعوها فأْذنوا بحرب ؛ قالوا : دعنا نسِرْ عنك ثلاثًا ، ثم آذنًا بحرب

وسارت بنو يربوع ذاهبةً عن الملك ، ومعها برْجمة من البَرَاجم[1] حتى نزلوا شِعْبًا بِطِخْفَة ؛ ودخلوا فيه هم وعيالهم ؛ فجعلوا العِيال فى أعلاه ؛ والمالَ فى أسفله ، وهو شِعْبٌ حصين له مدخل كالباب ؛ ولما مضى ثلاث أرسل الملك قابوسَ ابنه وحَسَّانا أخاه ، فى جيش كثير من أفْنَاء[2] الناس ، واحتبس عنده شهاب بن عبد قيس اليربوعى وحاجب بن زُرَارَة ، فلما مضى للجيش ثلاث دعاها الملكُ ـ وكانت الملوك تعطى العربَ على حُسْنِ ظنونهم ، والكلام الحسن تستقبل به الملوك ـ فقال لحاجب : ياحاجب؛ قد سهرتُ الليلة فأرسلتُ إليك لتحدّثنى أنت وشهاب، ثم قال له : ماظنّك بالجيش ياحاجب ؟ فقال حاجب : ظنى أنك قد أرسلت جيشاً لا طاقةَ لبنى يربوع به ، وسيأتونك بهم وبأموالهم ظافرين .

ثم التفت المنذر إلى شهاب وقال: وماظَنُّكَ أنت ياشهاب؟ فقال: أرسلت جيشاً مختلفَ الأهواء ـ وإن كثُروا ـ إلى قوم عند نسائهم وأموالهم، يدُهم واحدة ، وهَوَاهم واحد ، يقاتلون فيصدقون ، وظنّى أنْ سوف يظفرون بجيشك ، ويأسرون ابنك وأخاك !

فقال حاجب : كَذَبْتَ ؛ أنت قد أُهْتِرْت[3]. فقال شهاب : أنت أَكْذَبُ ، ثم تراهن هو وحاجب على مائةٍ لمائة من الإبل ، وكان لشهاب رِئِيٌّ[4] من الجنّ ، فقام مغضباً وأتى مضجعَه ، وانتبه من الليل وهو يقول :

---

(١) البراجم : خمسة رجال من بنى تميم اجتمعوا وقالوا نحن براجم الكف ، فغلب عليهم ، وهم قيس وعمرو وغالب وكلفة والظليم بنو حنظلة بن مالك (٢) أفناء الناس : أخلاطهم ، والواحد فنو (٣) أهتر : خرف (٤) الرئى : الجنى فى زعم العرب .

أنا بشير نفسيَه نفَرْت حاجباً مِيَه[١]

ورددَها مِراراً ، فسمعها الملك فقال لحاجب : ما يقول هذا ؟ قال : يُهْجِر[٢] ، قال : لا والله ما أهجر ، ولكن جيشك قد هُزم ، وأُسِرَ إبنك وأخوك ، وآية ذلك أن يُصبِّحك راكبٌ ببعير ، جاعلا أعلى رمحه أسفله يخبرك بذلك .

أما جيشُ قابوس فإنه كان قد انطلق حتى أتى الشِّعب فدخل الجيش فيه ، حتى إذا كانوا فى مَضَايقه حملت عليهم بنو يَرْبوع النَّعم ، وخرجت الفرسان من شِعابه ، فقعقعوا بالسلاح للنَّعم فذَعرها ذلك ، وحمل على الجيش فردُّوا وجوههم ، واتَّبعتهم خيل بنى يربوع تقتل وتَطعَن . ثم انهزم قابوس ومن معه ، وضرب طارقُ بن ديْسق فرسَ قابوس فعقره وأسره ، وأراد أن يجزّ ناصيته ، فقال : إن الملوك لا تُجزّ نواصيها ، فأرسله ؛ وأما حسّان فأسره عمرو بن جوين ، وهُزم الجيش ، وأخذت الأنهاب .

ثم صبّح الملك ـ تلك الغَدَاة التى قال فى ليلتها شهاب ما قال ـ رجلٌ انهزم من أول الجيش على بعير ، فأخبره ما قال شهاب له لم يَخْرِم منه شيئاً .

فدعا المنذرُ شهاباً فقال له : ياشهاب ؛ أَدْرِك ابنى وأخى ، فإن أدركتَهما حيَّيْن فلبنى يربوع حكمهم ، وأَرُدُّ عليهم رِدافتهم ، وأُهْدِرُ عنهم ما قتلوا ، وأهنئهم ما غنموا ، وأحملُ[٣] لهم مَنْ قتِل منهم فأعطيهم بها ألفَىْ بعير .

فخرج شهاب فوجد الرجلين حيَّين ، فضمن لهم ما قال المنذر فرضوا ، وعادت الرِّدافة إلى ابن عتاب ، ولم تزل لهم حتى مات المنذر .

* * *

---

(١) يريد أنه قد استحق المائة من الإبل التى تراهنا عليها (٢) أهجر فى منطقه : أتى بالقبيح من الكلام (٣) احتمل الدية .

وفى تلك الوقعة قال شريح بن حارث اليربوعىّ :

وكنت إذا ما بابُ ملك قرعْتُه قرعت بآباء أولى شرفٍ ضخْم
بأبناء يربوع وكان أبوهم إلى الشرف الأعلى بآبائه يَنْمِى
هم ملكوا أملاكَ آل مُحَرِّق وزادوا أبا قابوسَ رغماً على رغم
وقادوا بِكُرْهٍ من شهابٍ وحاجبٍ رءوسَ مَعَدٍّ بالأزمّةِ والخطم
عَلَا جدُّهم جدّ الملوك فأطْلقوا بطِخْفَةَ أبناء الملوك على الحُكْم.
وكنا إذا قوم رمينا صَفَاتَهُمْ تركنا صدوعاً بالصَّفَاةِ التى نَرْمى
ونرعى حِمى الأقوام غير محرَّم علينا ولا يُرْعَى حِمَانا الذى نَحْمِى

وقال مُتمم بن نويرة :

ونحن عقَرْنَا مُهْرَ قابوس بعد ما رأى القوم منه الموت والخيل تلْحب(١)
عليه دِلَاصٌ(٢) ذات نَسْجٍ وسيفه جُرَازٌ(٣) من الهندىّ(٤) أبيض مقْضبُ

وقال عمرو بن حوط بن سلمى بن هَرِمى بن رباح :

قسطنا يوم طِخْفَةَ غيرَ شكٍّ على قابوس إذ كرِهَ الصباح
لعمرُ أبيك والأنباء تنمى لنعمَ الحىُّ فى الجُلّى رباح
أبَوْا دينَ الملوك فهم لِقاح(٥) إذا هُيِّجُوا إلى حرب أشاحوا
فما قوم كقومى حين يَعْلُو شهاب الحرب تسعرُه الرِّماح

(١) تلحب : تلهث (٢) الدلاص : من الدروع : اللينة (٣) الجراز من السيوف : الماضى النافذ (٤) فى النقائض : الجنى ، والجنى : بالكسر والضم : من أجود الحديد
(٥) اللقاح : ذوات الألبان من النوق ، واحدها لقوح ولقحة .

فـا قوم كقومى حين يُخْشَى على الخود المخـدّرة الفضَاح
أذبُّ عن الحفائظ فى معدٍّ إذا ما جدّ بالقوم النّطاحُ[١]
كأنهم لوَقْعِ البيض بُزْل[٢] تفضُّ الطرف واردة قِمَاحُ[٣]
صَبرنا نـكْسِرُ الأَسلات[٤] فيهم فَرُحْنَا قاهرينَ لهم ورَاحُوا
ورُحْنَا تخفُق الرّايات فينا وأُبْنَا والملوكُ لهم أُحَاحُ[٥]

(١) المراد الحرب (٢) بزل البعير : انشق نابه فهو بازل ذكراً كان أو أنثى وذلك فى السنة التاسعة ، وربما فى السنة الثامنة . والبزل أيضاً : العنز (٣) القامح من الإبل : الذىاشتد عطشه حتى فتر لذلك فتوراً شديداً (٤) الأسلة : طرف السنان ، وأسلة النصل : مستدقه ، أوهى الرماح لقد جمع الفرزدق الأسل (الرماح) أسلات فقال :

قد مات فى أسلاتنا أو عضه عضب برونقه الملوك تقتل

أى فى رماحنا (٥) فى صدره أحاح وأحيحة من الضغن والغيظ .

(٢) يوم أُوارَة الأوّل*

أُخرِجت تَغلب سلَمة بن الحارث[1] من بينها بعد يوم الـكلاب الأوّل ، فالتجأ إلى بكر بن وائل ، ولحقت تغلب بالمُنْذِر بن ماء السماء ، فلما صار سلَمة عند بكر أَذْعَنت له وحشدت عليه ، وقالوا : لا يملـكنا غَيْرُك ؛ فبعث إليهم المنذر يدعوهم إلى طاعته ، فأبوا ذلك ، فحلف المنـذر ليسيرنَّ إليهم ، فإن ظفر بهم فليذبحنَّهم على قُلَّة جبل أُوارة ، حتى يبلغَ الدَّم الحضيض .

وسار إليهـم فى جموعه ، فالتقوا بأُوارة ، فاقتتلوا قتالاً شـديداً ، وانهزمت بَـكْر ، وأُسِر يزيد بن شُرَحْبيل الـكندى ، فأمر المنـذر به فقُتِل ، وقُتِـل فى المعركة بشَرٌ كثير .

وأَسَر المنذرُ من بكر أَسْرى كثيرة ، فأمر بهم فذُبحوا على جبل أُوارة . فجعل الدم يَجْمد ؛ فقيل له : أبيتَ اللعن! لو ذَبَحْتَ كلَّ بكرى على وجـه الأَرْض لم تبلغ دِماؤُهم الحضيض[2] ، ولـكن لو صببت عليه الماء ! ففعل فسال الدمُ إلى الحضيض ، وأمر بالنساء أن يُحرَّقن بالنار . وكان رجـل من قيس بن ثعلبة منقطعا إلى المنـذر ، فـكلّمه فى سَبْى بكر بن وائل ، فأطلقهنَّ المنذر ؛ فقال الأعشى يفتخر بشفاعة القيسى إلى المنذر فى بكر :

ومنَّا الذى أعطاه بالجمـع ربُّه ... على فاقةٍ وللملوك هباتُهـا

سبَايا بنى شيبان يَوْمَ أُوَارةٍ ... على النار إذ تجلى به فتياتُها

---

* للمنذر بن ماء السماء على بكر . وأوارة : اسم جبل لبنى تميم .

ابن الأثير ج١ص ٣٣٤ ، العرب قبل الإسلام لجورجى زيدان ص ٢٠٦

(١) هو سلمة بن الحارث بن عمرو ، وكان أبوه الحارث ملـكا من ملوك كندة ، ملك أربعين سنة ، ولما مات فرق بنيه فى قبائل معد ، فـكان سلمة وهو أصغرهم على بنى تغلب والنمر بن قاسط وبنى سعد ابن زيد مناة بن تميم (٢) الحضيض : قرار الأرض عند سفح الجبل ، وقيل : هو فى أسفله .

(٣) يوم أُوَارَة الثانى*

— ١ —

كان عمرُو بن المنذر(١) قد عاقد طيّئاً ألاّ ينازعوا ولا يَغزوا ولا يفاخروا، ثم غزا عَمْرو اليمامة، فرجع مُنْفَضًّا؛ فمرَّ بطيّئ، فقال له زُرارة بن عُدُس: أبيتَ اللعن، أصِبْ من هذا الحىّ شيئاً. قال: ويلك! إن لَهم عقداً. قال: وإنْ كان؛ فإنك لم تَكتب العقدَ لهم كلِّهم. فلم يزلْ به حتى أصاب نسوةً وأذْواداً. فقال فى ذلك قيس بن جِرْوَة الطائى:

ألاَ حىِّ قبلَ البيْنِ من أنت عاشقُه ... ومن أنت مُشْتَاقٌ إليه وشائقُهْ
ومن لا تُوَاتِى دارَه غير فَيْنَة(٢) ... ومن أنتَ تبكى كلَّ يومٍ تُفَارِقُهْ
وتعْدُو بصحراء الثَّوِيَّةِ(٣) ناقتى ... كَعَدْوِ النَّحوصِ قدأمَخَّتْ نواهقُه(٤)
إلى الملكِ الخير ابن هندٍ تزورُه ... وليس من الفَوْتِ الذى هو سابقُه(٥)
وإن نساءً غيرَ ما قال قائلٌ ... غنيمةُ سَوْء بينهنَّ مَهَارِقُه(٦)

* لعمرو بن هند على بنى تميم. وأوارة: اسم جبل لبنى تميم.
معجم البلدان ص ٣٦٤ ج ١، ابن الأثير ص ٣٣٤ ج ١، النقائض ص ٦٥٢، ١٠٨١، أمثال الميدانى ص ٢٦٦ ج ١

(١) عمرو بن هند: هو عمرو بن المنذر بن امرئ القيس، ويعرف باسم أمه هند بنت عمة امرئ القيس الشاعر، وكان شديد البأس وافر البطش عظيم الكبرياء، مات مقتولا بسيف عمرو ابن كلثوم سنة ٥٧٨ م (٢) أى لا تأتى داره إلا ساعة (٣) الثوية: موضع قريب من الكوفة (٤) النحوص: الأتان الوحشية، وأمخت: صار لها مخ، والنواهق: عظمان فى الساق والمراد أنها سمينة (٥) أى ليس هذا عند ابن هند مما يفوت عارقاً ويسبقه (٦) المهارق: الصحائف، وهو حرير يسقى صمغاً، ويصقل ثم يكتب فيه.

ولو نِيلَ فى عَهْدٍ لنا لحمُ أَرْنَبٍ ... رَدَدْنا وهذا العهدُ أنتَ مُعالِقُه(١)

فَهَبْكَ ابنَ هندٍ لم تَعُقْكَ مَلامَةٌ ... وما المرءُ الا عهدُه ومواثِقُه

وكنَّا أُناساً خافِضِين بنعمةٍ ... يَسيل بنا تَلْعُ المَلاَ وأبارِقُه(٢)

فأقسمت لا أحتلُّ إلا بصَهْوَةٍ ... حَرامٌ علينا رَمْلُه وشقائِقُه(٣)

أَكلُّ خَميسٍ أَخْطَأ الغُنْمَ مَرَّةً ... وصادف حيًّا دائِنًا فَهْو سائِقُه(٤)

فأقسمتُ جهداً بالمنازل من مِنًى ... وما خبَّ فى بَطحائِهن دَرادِقُه(٥)

لئن لم تُغَيِّر بعضَ ما قد فعلتم ... لأنتَحِيَنَّ العظمَ ذُو أنا عارِقُه(٦)

فبلغ عمرو بن هند هذا الشعرَ ، فقال له زُرارة بن عدس : أبيت اللعن ! إنه ابتوعَّدك . فقال عمرو بن شُعاث الطائى : أيهجونى ابن عمك(٧) ويتوعَّدُنى ؟ قال: لا ، والله ما هجاك ، ولكنه قال :

والله لوكان ابنُ جَفْنَةَ جارَكم ... ما أَنْ كساكم غُصَّةً وهَوانَا

وسلاسلاً يَبْرُقْن فى أعناقكم ... وإذًا لقطَّع تلكمُ الأقرانَا(٨)

ولكان عادَته على جيرانه ... ذهباً ورَيْطًا رادِعًا(٩) وجِفانَا

وإنما أراد أن تذهبَ سَخِيمتُه ، فقال : والله لأقتلنَّه ؛ فبلغ ذلك عارفا فقال :

---

(١) معالقه : متعلق به (٢) التلع : جمع تلعة ، وهو ما ارتفع من الأرض وما انخفض (من الأضداد) ، والأبارق : جمع أبرق وهى أرض مختلطة بحجارة ورمل (٣) صهوة كل شىء : أعلاه ، والشقائق : قطع غلاظ بين جبال الرمل واحدتها شقيقة (٤) دائناً : مطيعاً ، والخميس : الجيش (٥) الدرادق : صغار الإبل ، ومنى : موضع بمكة (٦) ذو بمعنى الذى وهى لغة طيىء ، وعرق العظم : انتزع منه اللحم ، وسمي الشاعر عارقاً لهذا البيت (٧) هو ابن عم قيس بن جروة (٨) الأقران : الحبال (٩) يقال قميص رادع إذا كان مصبوغاً بالزعفران .

من مُبلغٌ عمرو بن هنـــدٍ رسالةً إذا استحقبتْها العيسُ تُنْضَى من البُعْدِ (١)
أيُوعِدُنى والرمل بينى وبينَــه تأمّــلْ رويداً ما أُمامَةُ من هنـد
ومن أجأٍ حولى رِعَانٌ كأنها قنابلُ خيلٍ من كُمَيْتٍ ومن وَرْدِ (٢)
غـدرتَ بأمرٍ كنتَ أنتَ دعوتَنَا إليه ، وبئس الشيمةُ الغَدْرُ بالعَهْـدِ (٣)

فبلغ عمرو شعره ، فغزا طيئًا ، وأسر من بنى عدىّ (٤) سبعين رجلا ، وفيهم قيس بن جحدر ابن خالة حاتم الطائى ، وحاتمُ يومئـذ بالحيرة ، فلما قدم جعلت المرأة تأتيـه بالصبى ، فتقول : ياحاتمُ أُسِرَ أبو هذا ؛ فلم يَلْبَثْ إلاّ ليلة حتى سار إلى عمرو بن هند ـ وكذلك كان يصنع ـ فوهبهـم له إلا قيس بن جحدر ؛ لأنه كان من رَهْط عارق ؛ فقال حاتم :

فــككت عديًّا كلها من إسارها فأنعِمْ وشَفّعْنى بقَيْسِ بن جَحْدَر
أبوه أبى ، والأمّهاتُ أُمّهاتُنـا فأنعِمِ فدَتْكَ اليومَ نَفْسى ومعشرى

فقال : هولك يا حاتم .

— ٢ —

وقدكان المنذر بن ماء السماء ـ أبو عمرو بن هند ـ وضع ابنًا (٥) له يقال له مالك عند زُرارة بن عُدس ـ وكان أصغر بنى المنذر ـ فبلغ حتى صار رجلاً ؛ وإنه خرج ذات يوم بتصيّد ، فأخفق فمرّ بإبلٍ لسُوَيد بن ربيعة الدارمىّ ـ وهو زوج بنت زرارة قد ولدت له سبعة غِلْمَةٍ ، فأمر مالك ببكْرَةٍ منهـا فنحرها ، ثم اشْتَوَى ، وسُوَيد نائم ،

(١) أى إذا حملتها الإبل هزلت لبعد المسافة (٢) الرعان : جمع رعن ، وهو أنف يتقدم الجبل والقنابل : الجماعات من الخيل ، وأجأ : جبل طيء (٣) يروى : كنت احتديتنا ، واحتدى من الحدو وهو السوق (٤) رهط حاتم الطائى (٥) فى رواية : أخاً له .

فلما انتبه سُوَيد شدَّ على مالك بعَصًا ـ ولم يعرفه فأمَّه[١] ومات ؛ فخرج سُويد هارباً حتى لحق بمكة، وعلم أنه لا يأمَنُ ، فحالف بنى نوفل بن عبد مناف ، واختطَّ بمكة[٢] .

ثم ملك عمرو بن هند ـ وعلم بذلك ـ فغزاهم، وكانت طيّئ تطلب عثرات زُرارة وبنى أبيه ، حتى بلغهم ما صنعوا بأخى الملك[٣]، فأنشأ عمرُو بن مِلْقَط الطائى يقول :

من مبلغٌ عمراً بأنَّ المرء لم يُخْلَقْ صُبَارَهْ[٤]

وحوادثُ الأيام لا يَبْقَى لها إلّا الحجارَهْ

ها إنَّ عَجْزَةَ أُمِّهِ بالسَّفْحِ أسفلَ من أُوارَه[٥]

تَسْفِى الرياحُ خِلالَ كَشْحَيْهِ وقد سَلَبُوا إزارَه

فاقتُلْ زُرارةَ لا أرى فى القوم أوْفَى من زُرارة[٦]

فلما بلغ عمرو بن هند هذا الشعر بكى وفاضتْ عيناه ؛ وبلغ زُرارة الخبر ، فهرب، وركب عمرو فى طلبه، فلم يقدر عليه ، فأخذ امرأته، وهى حُبْلَى ـ فقال : أذَكَرٌ فى بَطْنِك أم أنثى ؟ قالت : لا عِلْمَ لى بذلك ، قال : ما فعل زُرارة الغادرُ الفاجر ؟ قالت: إن كان ما علمت لطيِّبُ العَرَق ، سمين المَرَق ، لا ينام ليلةَ يخاف ، ولا يشبع ليلة يُضَاف ؛ فبقَر بطنَها وانصرف .

فقال قومُ زُرارة له : والله ما أنتَ قتلتَ أخاه ، فأْتِ الملكَ فاصْدُقه، فإن الصِّدْق ينفعُ عنده ؛ فأتاه زُرارة فأخبره الخبر ، فقال : فجئنى بسويدٍ . قال : قد لحق بمكّة . قال : فعلَىَّ ببَنيه. فأُتِىَ ببنيه السبعة من ابنةِ زُرارة، وهم غِلْمَةٌ بعضهم فوق بعض ،

---

(١) أمه : قصده (٢) اختط بمكة : استملك فيها (٣) سبق أن ذكر أنه ابنه

(٤) الصبارة : الحجارة الملس ، كأنه يقول : ليس الإنسان بحجر فيصبر على مثل هذا

(٥) أول ولد المرأة يقال له زكمة ، والآخر عجزة (٦) الأبيات فى لسان العرب مادة صبر .

فأمر بقتْلهم، فتناولوا أحدهم وضربوا عنُقَه ، فتعلّق الآخرون بزُرارة ، فقال زرارة : يا بَعْضِى سرِّح بعضاً[١] ، ثم قُتِلوا ، وآلى عمرو بأليّـة ليُحْرِقَنَّ من بنى دارمٍ[٢] مائة رجل .

وخرج يريدهم ، وبعث على مُقَدِّمَتِه عمرو بن مِلْقَط الطائى ، فوجد القوم قد نَذِروا به ، فأخذ ثمانية وتسعين منهم بأسفل أُوَارة من ناحية البحرين . ولحقه عمرو ابن هند فى الناس ، حتى انتهى إلى أُوارة ؛ فضرب به قُبَّته ، وأمر لهم بأُخْدُود ، فخُدَّ لهم ، ثم أضرم ناراً ؛ فلما تلظّتْ واحتدمت قذف بهم فيها فاحترقوا[٣] .

وأقبل راكب عند المساء من بنى كُلْفَة بن مالك بن حنظلة من البراجم[٤] ، لايعلم بشىء مما كان، يُوضِـعُ[٥] بعيرَه ، فأناخ، وأقبل يَعْدُو ، فقال له عمرو : ما جاء بك؟ قال : حبُّ الطعام ؛ قد أَقويتُ[٦] ثلاثاً ، لم أذُق طعاماً ؛ فلما سطع الدّخان ظَنَنتُ أنه دخانُ طعـام . فقال عمرو : ممن أنت ؟ قال : من البراجم ، فقال عمرو : إن الشقىَّ وافدُ البراجم[٧] ، ورمى به فى النار[٨] .

---

(١) ذهب مثلا (٢) دارم : بطن فى تميم (٣) ومن هذا سمت العرب عمرو بن هند محرقاً

(٤) البراجم : خمسة رجال من بنى تميم : قيس وعمرو وغالب وكلفة وظليم بنو حنظلة بن مالك ابن زيد مناه بن تميم . اجتمعوا وقالوا : نحن كبراجم الـكف فغلب عليهم ، والبراجم : رءوس السلاميات من ظهر الـكف إذا قبض الشخص كفه برزت وارتفعت ؛ الواحدة : برجمة

(٥) أوضع المرء بعيره : إذا جعله يسرع فى سيره (٦) أقوى الرجل : نفد طعامه

(٧) ذهبت مثلا (٨) هجت العرب بذلك تميما فقال ابن الصعق :

ألا أبلغْ لديك بنى تميم ... بآية ما يحبون الطعاما

وقال أبو مهوش الفقعسى :

إذا ما مات ميت من تميم ... فسرك أن يعيش فجىء بزاد

بخبز أو بلحم؛ أو بتمر ... أو الشىء الملفف فى البجاد

تراه ينقب الآفاق حولا ... ليأ كل رأس لقمان بن عاد

وأقام عمرُو لا يرى أحداً ، فقيـل له : أبيتَ اللعن ! لو تحلَّلتَ بامرأةٍ منهم ، فقد أحرقْتَ تسعة وتسعين ؛ فدعا بامرأة من بنى نهشل بن دارم ، فقال : من أنتِ ؟ قالت : أنا الحمراء بنت ضَمْرَة بن جابر . قال : إنى لأظنّك أعجمية . قالت : ما أنا بأعجميّة ، ولا ولدنى الأعاجم :

إنى لبنتُ ضَمْرَةَ بن جابرْ ساد معدًّا كابراً عن كابِرْ

إنى لأُخْتُ ضَمْرَةَ بن ضَمْرَهْ إذا البـلادُ لفّعتْ بجَمْرَه

قال : فمن زوجُك ؟ قالت : هوذة بن جرول . قال : وأينَ هو الآن ؟ أماتعرفين مكانه ؟ قالت : هذه كلمةُ أحمق ، لو كنتُ أعرفُ مكانه حال بينك وبينى . قال : وأىّ رجل هو ؟ قالت : هـذه أحمق من الأولى ! أعن هوذة يسأل ! قال عمرو : أما والله لو لا مخافةُ أن تَلدى مثلَك لصرفتُ النارَ عنك ، قالت : والذى أسألُهُ أن يضع وِسادَك ، ويخفض عمادَك ، ويُصْغر حصَاتَك ، ويسلُبَ بلادك ، ما قتلتَ إلا نُسَيًّا[١] أعلاها ثُدِىّ ، وأسفلها حُلِىّ . ووالله ما أدركت ثأراً ولا محوتَ عاراً ، وليس من فعلتِ هذا به بغافل عنك .

قال : اقْذِفوا بها فى النار ، فالتفتت فقالت : ألا فتًى مكانَ العجوز[٢] ! فلما أبطئوا عليها قالت : كأن الفتيان حُمَما[٣] ، وقد قُذف بها فى النار فاحترقت ، فقال لقيط بن زُرارة يُعيّر بنى مالك بن حنظلة بإحراق عمرو إياهم :

أمِنْ دِمْنَةَ أقفرَتْ بالجِنَابِ إلى السَّفْح بين المَلاَ فالهِضَابِ[٤]

بكيت لعِرْفانِ آياتِهـا وهاجَ لك الشوقَ نَعْبُ الغُرابِ

---

(١) تصغير نسوة : نسية أو هى بالفتح وهو الذى لا يعد فى القوم لأنه منسى (٢) فى أمثال الميدانى : مكان عجوز، فذهبت مثلا (٣) يروى : هيهات صارت الفتيان حمماً ، وقد ذهبت مثلا
(٤) الجناب والملا والهضاب : مواضع .

فأبلغْ لديْكَ بنى مالكٍ مُغلْغَلَةً[١] وسراةَ الرِّبابِ
فإن امرأً أنتمُ حولَه تحفُّون قُبَّتَه بالقِبابِ
يُهين سَرَاتَكُمُ عامِداً ويقتُلكم مثلَ قتلِ الكلابِ
فلو كنتمُ إبلا أمْلحتْ[٢] لقد نزعتْ للمياه العِذَابِ
ولكنَّكُم غَنَمٌ تُصْطَفَى ويُتْرَكُ سائرها للذِّئابِ
لعمر أبيكَ أبِى الخير ما أردتَ بقتلهم من صوابِ
ولا نعمةً إن خيرَ الملو كِ أفضلهم نعمةً فى الرِّقابِ[٣]

ولما ظهرت براءةُ زُرارة عند ابن المنذر ، وجنَّ عليه الليل اجلوَّذ[٤] ، فلحق بقومه ، ثم لم يلبث أن مَرِض .

ولما حضرته الوفاة قال : يا حاجبُ ؛ إليك غِلْمَتِى فى بنى نَهْشَل ، ويا عمرو بنَ عَمْرو ؛ إليك عمرو بن مِلْقَط الطَّائى ؛ فإنه حرَّض علىَّ المَلِك . فقال عمرو : لقد أسندتَ إلىَّ يا عمَّاه أبعدَهما شقَّةً وأشدَّهما شوكة .

فلما مات زرارة تهيَّأ عمرو بن عمرو فى جمعٍ ، ثم غزا طيِّئاً[٥] فأصاب الطَّرِيفَيْنِ طريف بن مالك ، وطريف بن عمرو ، وأفلتَه المَلاَقِطُ ، فقال عَلْقَمةُ بن عَبْدَةَ فى ذلك :

ونحن جَلَبْنَا من ضَرِيَّة خَيْلَنَا نُجنِّبُها حدَّ الإكامِ قطائطا[٦]
أصَبْنَ الطريفَ والطريفَ بنَ مالكٍ وكان شِفاءً لو أصَبْنَ المَلاقِطَا
إذًا عَلِموا ما قدَّمُوا لنفُوسِهِمْ من الشرِّ وإنَّ الشرَّ مُرٌّ أراهِطا

---

(١) المغلغلة : الرسالة المحمولة من بلد إلى بلد (٢) أملحت : وردت ماء ملحاً (٣) وإنما أراد بذلك بنى مالك بن حنظلة لأنهم كانوا يخدمون عمرو بن هند والملوك (٤) اجلوذ : أسرع (٥) هذا هو يوم طيء ، راجع النقائض ص ٤٥ (٦) فى اللسان : تكلفها حد الإكام . قال أبو عمرو : أى تكلفها أن تقطع حد الإكام فتقطعها بحوافرها ، قال : وواحد القطائط قطوط . وقال غيره : قطائطاً : رعالا وجماعات فى تفرقة .

(٤) يوم السُّلَّان *

كان بنو عامر بن صعصعة قوماً حُمْسًا(١) لقَاحاً(٢) ، فلما ملك النّعمان(٣) بن المنذر كان يجهِّز كل عام لَطِيمة(٤) لتُباع بعُكاظ ، فتعرّض لها بنو عامر يوماً ؛ فغضب لذلك النّعمان، وبعث إلى وبرة الكلبي، أخيه لأمه ، وبعث إلى صَنائعه(٥) وَوَضائعه(٦) ، وأرسل إلى بني ضَبّة بن أدّ وغيرهم من الرّباب وتميم ، فأجابوه ، وأتاه ضرار بن عمرو الضبّي في تسعة من بنيه كلُّهم فوارس ، ومعه حبيش بن دُلف ـ وكان فارساً شجاعاً ـ واجتمعوا في جيش عظيم ، وجهَّز النعمان معهم عِيراً ، وأمرهم بتسييرها ، وقال لهم : إذا فرغتم من عُكاظ ، وانسلَخَت الأشهر الحُرُم(٧) ، فاقْصِدوا بني عامر؛ فإنهم قريبٌ بِنَوَاحِي السُّلَّان .

فخرجوا وكتموا أمرهم ، وقالوا : خرجنا لئلا يعرض أحدٌ للطيمة الملك . فلما فرغ الناس من عُكَاظ علمت قريش بحالهم ، فأرسل عبد الله(٨) بن جُدعان

---

* لبني عامر على النعمان بن المنذر ، والسلان في الأصل بطون من الأرض غامضة ذات شجر ، ثم سميت بها بعض المواطن .

ابن الأثير ص ٣٩١ ج ١ تاريخ العرب القدامى ص ٤٦ ، معجم البلدان ص ١٠٤ ج ٥

(١) الحمس : المتشددون في دينهم المتحمسون (٢) اللقاح : الذين لا يدينون للملوك

(٣) هو النعمان الثالث ابن المنذر الرابع ، كان شهماً شجاعاً ميالا إلى العمارة سرياً كريماً . قصده الشعراء من بلاد بعيدة فبالغ في إكرامهم ، وبلغت الحيرة في عهده درجة عظيمة من الرقي . مات في سجن كسرى إبرويز بخانقين (٤) اللطيمة : عير تحمل المسك (٥) الصنائع : جماعة كانوا ينتخبون من بني ثعلبة خاصة ـ كالحرس لا يبرحون باب الملك (٦) الوضائع : ألف رجل من الفرس كانوا يستخدمون في نصرة العرب ، ويستبدلون بمثلهم كل سنة (٧) الأشهر الحرم : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب (٨) عبد الله بن جدعان التيمي ، كان من مشاهير الأجواد وكان يسمى بحاسي الذهب لأنه كان يشرب في إناء من الذهب ، وهو ابن عم عائشة زوج الرسول وأخباره في الكرم كثيرة .

قاصداً إلى بنى عامر يُعْلِمهم الخبر ، فسار إليهم وأخبرهم خبرهم ، فحذروا وتهيّئوا للحرب ، وتحرّزُوا ووضعوا العُيونَ ، وجاءوا ، عليهم عامر بن مالك ملاعب الأسنّة ، وأقبل الجيش فالتقوا بالسّلاّن ، واقتتلوا قتالا شديداً ، وبيناهم يقتتلون إذ نظر يزيد ابن عمرو بن خويلد[(١)] الصَّعِقَ إلى وبرة الكلبى أخى النعمان ، فأعجبته هَيْئَتُه ، فحمل عليه وأَسَرَه ، فلما صار فى أيديهم همّ الجيشُ بالهزيمة ، فنهاهم ضرار بن عمرو الضّبّى ، وقام بأمر الناس ، فقاتل هو وبنُوه قتالا شديداً ؛ فلما رآه أبو براء عامر بن مالك وما يصنع ببنى عامر هو وبنوه حَمَل عليه — وكان أبو براء رجلا شديد السّاعد — فلما حمل على ضرار اقتتلا ؛ فسقط ضِرار إلى الأرض ، وقاتل عليه بنوه حتى خلّصوه وركب ، وكان شيخاً ، فلما ركب قال : من سَرَّهُ بنوه ساءته نَفْسُه[(٢)] .

ثم جعل أبو براء يلحّ على ضرار طمعاً فى فدائه ، وجعل بنوه يَحْمُونه ، فلما رأى ذلك أبو براء قال له : لتموتَنَّ أو لأموتنّ دونك ، فأحِلْنى على رجل له فِداء ، فأومأ ضرار إلى حبيش بن دلف — وكان سيّداً — فحمَلَ عليه أبُو براء فأَسَرَه ، وكان حبيش أسود نحيفاً دميماً ، فلما رآه كذلك ظنه عَبْداً ، وأن ضراراً خدعه ، فقال : إنا لله ، ألا فى الشؤم وقَعْتُ ! فلما سمعها حبيش منه خاف أن يَقْتُله ، فقال : أيها الرجل ، إن كنت تريد اللّبن[(٣)] فقد أصَبْتَه ، وافْتَدَى نفسه بأربعمائة بعير . وهُزِم جيش النعمان ، ولما رجع الفَلّ[(٤)] إليه أخبروه بأسر أخيه وبقيام ضرار بأمر الناس ، وما جَرَى له مع أبى براء ، وافتدى وبرة الكلبى نفسه بألْفِ بعير وفرس من يزيد بن الصعق فاستغنى يزيد ، وكان قبله خفيف الحال .

---

(١) يزيد بن عمرو بن خويلد ، وخويلد يقال له الصعق ، قال ابن الكلبى : سمى بهذا الاسم ؛ لأنه عمل طعاماً لقومه بعكاظ ، فجاءت ريح بغبار فسبها ولعنها ، فأرسل الله عليه صاعقة فأحرقته
(٢) ذهبت مثلا (٣) اللبن : الإبل (٤) الفل : القوم المنهزمون .

(٥) يوم خَزَاز*

كان من حديثه أن مَلِكا من ملوكِ اليمن كان فى يديه أسَارى من مُضَر وربيعة وقُضَاعة ، فوفد عليه وفد من وجوه بنى معدّ ؛ ومنهم سَدوس بن شيبان ، وعَوْف ابن محلّم ، وعوف بن عمرو ، وجُشَم بن ذهل ، فاحتبس الملكُ عنده بعضَ الوفد رَهينة ، وقال للباقين : ائتونى برؤساء قومكم لآخُذَ عليهم المواثيق بالطاعة لى ؛ وإلاّ قتلتُ أصحابكم .

فرجَعوا إلى قومهم فأخبروهم الخبر ، فاجتمعت معدّ على كليب وائل ، وسار بهم — وعلى مقدّمَته سلمة بن خالد المعروف بالسفَّاح التغلبى — وأمرهم أن يوقدوا على خَزَاز ناراً ليهتَدُوا بها ، فبلغ مَذْحِجاً اجتماعُ ربيعة ومَسيرُها ، فأقبلوا بجموعهم ، واستَنفَرُوا مَن يَليهم من قبائل اليمن ، وساروا إليهم ، فلما سمع أهلُ تهامة بمَسيرِ مذحج انضمُّوا إلى ربيعة ، ووصلت مذحج إلى خَزَاز ليلا ، وكان كليب قال لسلمة : إنْ غَشيَك العدوّ فأَوْقد نَارين ؛ فلما رأى جموعَ مذحج أَوْقَد نارين ، فأقبـل كليب بالجموع ، وصبَّح مذحجاً بخَزَاز ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، أكثروا فيه القتل ، وانهزمت مَذْحج .

* * *

هذه رواية ابن الأثير ، وفى معجم البلدان[١] رواية أخرى هذا نصها :

اجتمعت مضر وربيعة على أن يجعلوا منهم ملكا يقضى بينهم ، فكلٌّ أراد أن يكون منهم ، ثم تراضَوْا أن يكون من ربيعة ملك ، ومن مُضر ملك ، ثم أراد كل

* لمعد على مذحج ، وخزاز جبل ما بين البصرة إلى مكة ، وكان هذا اليوم من أعظم أيام العرب فى الجاهلية ، وكانت معد لا تستنصف من اليمن ، ولم تزل اليمن قاهرة لها حتى كان هـذا اليوم فانتصرت معد ، ولم تزل لها المنعة حتى جاء الإسلام .

ابن الأثير ص ٣١٠ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣٦٤ ج ٣

(١) ص ٤٢٨ ج ٣

بطن منْ ربيعة ومن مضر أن يكون الملك منهم ، ثم اتَّفَقُوا على أن يتخذوا ملكا من اليمن ، فطلبوا ذلك إلى بنى آكل المُرار من كِندة ، فملكت بنو عامر شَراحيل بن الحارث من بنى آكل المُرار ، وملكت بنو تميم وضَبَّة مُحرِّق بن الحارث ، وملكت وائل شرحبيل بن الحارث ، وملكت تغلب وبكر سلَمَة بن الحارث ، وملكت بقية قيس معديكرب بن الحارث ، وملكت بنو أسد وكنانة حُجْر بن الحارث ، أبا امرئ القيس، فقتلت بنو أسد حُجْراً ، ونهضت بنو عامر على شراحيل فقتلوه، وقتلت بنو تميم محرِّقاً ، وقتلت وائل شرحبيل ، فكان حديث يوم الكلاب ، ولم يبق من بنى آكل المرار غير سَلمة ، فجمع جموع اليمن، وسار ليقتل نزاراً ، وبلغ ذلك نزاراً، فاجتمع منهم بَنُو عامر بن صعصعة ، وبنو وائل ، تغلب وبكر؛ وبلغ الخبر كليب وائل ، فجمع ربيعة وقدّم على مقدمته السفّاح التغلبىّ ، وأمره أن يعلو خَزَازاً ، فيوقد بها ليهتدىَ الجيش بناره ، وقال : إنْ غَشِيَك العدوُّ فأوقد نارين .

وبلغَ سَلَمَةَ اجتماعُ ربيعة ومسيرُها ، فأقبل ومعه قبائل مَذْحِج، وكلما مرّ بقبيلة اسْتَنْفَرَهَا ، وهجمت مذحج على خَزاز فرفع السفاح نارين ، فأقبل كليب فى جموع ربيعة إليهم فصبَّحهم ، والتقوْا بخزاز ؛ فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وانهزمت جموع اليمن .

***

وفى ذلك اليوم قال السفّاح التغلبى :

وليل بتّ أوقد فى خَزَازى[1] ... هديت كتائباً متحيّراتِ
ضَلَلْن من السُّهاد وكنّ لولا ... سهادُ القوم أحسبُ هادياتِ
فكنّ مع الصباح على جُذَام ... ولخْم بالسيوف مشهَّرات

(١) خزازى : لغة فى خزاز .

***

وقال ابن الحائك :

كانت لنا بخزازى وقعة عجب   لما التقينا وحادى الموت يحديها
ملنا على وائل فى وسط بلدتها   وذو الفخار كليبُ العزّ يحميها
قد فوّضوه وساروا تحت رايته   سارت إليـه معدّ من أقاصيها
وحمير قومُنا صارت مقاولهـا   ومذحج الغرُّ صارت فى تعانيها

(٦) يوم حُجر*

— ١ —

كان الحارثُ(١) بن عَمْرو ملكا على الحيرة ، ثم تفاسدت القبائل من نزار، فأتاه أشرافُهم فقالوا : إنا فى دِينـك ، ونخاف أن نَتَفَانى فيما يَحْدُث بيننا ، فوجِّه معنا بنيك يَنْزِلون فينا ، فيكفُّون بعضنا عن بعض .

ففرَّق ولده فى قبائل العرب ، فملَّك ابنـه حُجْرا على بنى أسد وغطفان ، وملَّك ابنه شُرَحْبِيـل على بكر بأَسرِها وبنى حنظلة بن مالك ، والرِّباب . وملَّك ابنـه معديكرب على بنى تغلب والنَّمر بن قاسط وسعد بن زيد مناه ، وطوائف من بنى دَارم والصَّنَائع(٢) ، وملَّك ابنه عبد الله على عبـد القيس ، وملَّك ابنـه سلمة على قيس ،

* لبنى أسد على حجر . وحجر ملك من ملوك كندة .
الأغانى ص ٨١ ج ٩ ، ابن الأثير ص ٣٠٤ ج ١

(١) الحارث بن عمرو : أعظم ملوك كندة ، حكم الحيرة على عهد الملك قباذ ملك الفرس ، وعلا صيته زمناً ، ولكنه لم يلبث أن ولى ملك الفرس كسرى أنو شروان ، فولى على الحيرة المنذر بن ماء السماء ، فهرب الحارث وتبعه المنذر فى عرب الحيرة ولكنه نجا وأقام بأرض كلب حتى مات سنة ٥٤١ م ، وأخذ المنذر ثمانية وأربعين نفساً من بنى آكل المرار ، قومه ، وفيهم عمرو ومالك ابنا الحارث ، وأمر بضرب رقابهم فى ديار بنى مرينا ، وفى ذلك يقول امرؤ القيس :

ملوك من بنى حجر بن عمرو ... يساقونا العشية يقتلونا
فلو فى يوم معركة أصيبوا ... ولكن فى ديار بنى مرينا
ولم تغسل جماجهم بغسل ... ولكن فى الدماء مرملينا

الغسل : ما يغسل به الرأس

تظل الطير عاكفة عليهم ... وتنزع الحواجب والعيونا

(٢) الصنائع : قوم من شذاذ العرب ، يصحبون الملوك .

وكانت لحجر على بنى أســـد إتاوة فى كل سنة مُؤقتة ، وغَبَر[١] على ذلك دهراً ، ثم أرسل جابِيه الذى كان يَجبيهم ، فمنعوه ذلك ـ وحُجْرٌ يومئذ بِتِهامة ـ وضربوا رُسُله وضَرَجُوهم[٢] ضرْجاً شديداً قبيحاً ، فبلغ ذلك حُجْرا ، فسار إليهم بجُنْدٍ من ربيعة ، وجندٍ من جند أخيـه من قيس وكِنانة ، فأتاهم وأخذ سَراتهم ؛ وجعـل يقتلهم بالعصا[٣] ، وأباح الأموال ، وصيّرهم إلى تهامة ، وآلى بالله ألاّ يسا كنوهم فى بلد أبداً ، وحبس جماعةً من أشرافهم .

ثم سارت إليه بنو أسدٍ ثلاثاً ، ودخلوا إليه يستعطفونه ، وفيهم عَبيد بن الأبرص فقام وقال : أيها الملك ؛ اسمع مقالتى :

يا عينُ فابكى ما بنى أسدٍ فهم أهلُ النّدَامهْ
أهلَ القِبَابِ الحمر والنَّـ ـعمِ المؤبَّلِ[٤] والمُدامـه
وذوى الجياد الجُرْدِ والْـ أسَلِ المُثقَّفَةِ المُقامـه
حِلاًّ أبيتَ اللعنَ حِـــلاًّ إنَّ فيما قلتَ آمه[٥]
فى كلِّ وَادٍ بين يَثْـــرِبَ فالقُصُورِ إلى اليَمامَه
تطريبُ عانٍ أو صيا حُ مُحرَّقٍ أو صوتُ هامه
ومنعتَهم نجـــدًا فقد حلُّوا على وَجلٍ تِهَامَه
بَرِمَتْ بنو أسدٍ كما بَرِمَتْ ببيضَتِهَا الحمامه
جعلت لهــا عُودين من نَشَمٍ وآخرَ من ثُمامَه[٦]

---

(١) غبر : لبث (٢) ضرجه : أدماه (٣) لذلك سموا : عبيد العصا
(٤) المؤبل : المقتنى (٥) حلا : أى تحلل من يمينك ، والآمة العيب (٦) النشم : شجر جبلى تتخذ منه القسى ، والثمامة : نبت بالبادية .

إما تركتَ تركتَ عفـــواً أو قتلتَ فلا مَلاَمَه
أنت المليكُ عليهمُ وهمُ العبيدُ إلى القيـامه
ذَلُّوا لسَوْطِكَ مثلمـــا ذَلّ الأُشَيْقِر ذُو الخِزَامَه[١]

فرقَّ لهم حُجْرٌ حين سمع قولَه ، وأرسل مَنْ يردُّهم .

ثم إن حجراً وفد على أبيه الحارث فى مرضه الذى مات فيـه ، وأقام عنده حتى هلك ، ثم أقبل راجعاً إلى بنى أسدٍ ، وكان يُقدِّمُ بعضُ ثَقَله[٢] أمامه ، ويُهيأُ نُزُله ثم يجىءُ وقد هـيِّىء له من ذلك ما يُعجبه فينزل ، ويُقدّم مثـل ذلك إلى ما بين يديه من المنازل فيُضْرَبُ له فى المنزلة الأخرى ؛ فلمـا دنا من بنى أسد ـ وقد بلغهم موتُ أبيه ـ طمِعوا فيه ، فلما أظلّهم،وضُربت قِبابُه اجتمعت بنو أسدٍ إلى نوفل بن ربيعة فقال : يابنىأسد ؛ مَنْ يتلقّى هذا الرجل منكم فيقتطعَه ؟ فإنى قد أجمعتعلى الفَتْكِبه فقال له القوم : ما لِذلك أحدٌ غيرك . فخرج نوفل فى خَيْلِه حتى أغار على الثَّقَل ، فقتل من وُجد فيه ، وساق الثَّقَل ، وأصاب جاريتين قَيْنَتين لحجر ، ثم أقبـل حتى أتى قومه .

وبلغ حجراً أمرهم ، فأقبل نحوهم . فلما غَشِيهم ناهضوه القتالَ ، ولم يَلبثوا أن هزموا أصحابَ حجر وأَسروه فحبسوه .

وتشاور القوم فى قتـله ، فقال لهم كاهن من كهنتهم بعد أن حبسوه ليَرَوْا فيه رأيهم : أىْ قوم ! لا تعجلوا بقَتْل الرجل حتى أَزْجُر لـكم ؛ وانصرف عن القوم لينظرَ لهم فى قتله .

---

(١) الأشيقر : تصغير الأشقر ، وهو الأحمر من الدواب . والخزامة : حلقة من شعر تجعل فى وترة أنف البعير يشد بها (٢) الثقل : متاع المسافر .

فلما رأى ذلك عِلْباء خَشِىَ أن يتوا كلوا فى قتله ، فدعا غلاماً من بنى كاهل[١] — وكان حُجر قتـلَ أباه — وقال له : يابنى ؛ أعنـدك خيرٌ فتثأرَ بأبيك ، وتنالَ شرف الدهر ، وإن قومك لن يقتلوك ؟ ولم يزل بالغلام حتى حرَّبه[٢] ، ودفع إليه حديدةً قد شَحذها وقال : ادخُلْ عليـه مع قومك، ثم اطْعَنْه فى مَقْتله . فعمد الغلام إلى الحديدة فَخَبأَها ، ثم دخل على حجر فى قُبّته التى حُبس فيها . فلما رأى الغلامُ منه غَفْلة طعنه طَعْنَةً أصابت مقتلا .

ولـمّا علم حجر أنه مَيِّت أوصى ودفع كتابه إلى رجل، وقال له : انطلق إلى ابنى نافع — وكان أ كبرَ ولده — فإن بكى وجزِع فالْهُ عنه ، واُسْتَقْرِهم واحداً واحداً ، حتى تأتى امرأ القيس — وكان أصغرَهم — فأيّهم لم يجزع ، فادفع إليه سلاحى وخيلى وقُدُورى وَوَصيّتى . وكان قد بيّن فى وصيته من قتله ، وكيف كان خبره .

ولم يلبث حُجر أن مات ، فوثب القوم على الغلام قاتِله ، فقال الغلام : إنما ثأرتُ بأبى ، فخلّوا عنه . وأقبل كاهنهم المزدجر ، فقال : أى قوم ! قتلتموه ! مُلْكُ شهر ، وذلّ دهر . أما وَالله لا تحظَوْن عند الملوك بعده أبداً .

— ٢ —

وانطلق الرجلُ بوصيّةِ حجر إلى نافع ابنه ، وأخبره ؛ فأخذ التراب فوضعه على رأسه ، ثم استَقْراهم واحداً واحداً ، فـكلُّهم فعل ذلك .

وكان حجرٌ فى حياته قد طرد ابنَه امرأ القيس ، وآلى ألاّ يقيم معـه أَنَفةً من قولِه الشعر — وكانَتِ المُلوكُ تأنف من ذلك — فـكان يسيرُ فى أحياء العرب ، ومعه

(١) بنو كاهل : بطن فى بنى أسد (٢) حربه : حرشه .

أخْلاطٌ من شذّاذ طيّ وكلب وبكر ، فإذا صادفَ غديراً أو رَوْضة أو موضع صيد أقام فذبح لمَنْ معه فى كلّ يوم ، وخرَج إلى الصيد فتصيّدَ ، ثم عاد فأكل وأكلوا معه ، وشربَ الخمر وسقاهم ، وغنّتهم قِيانُه . ولا يزال كذلك حتى ينْفدَ ماء ذلك الغدير ، ثم ينتقل منه إلى غيره .

ثم جاء الرسولُ فوجده مع نديم له يشربُ الخمر ، ويلاعبُه بالنّرد ، فقال له : قُتِلَ حجر ، فلم يلتفت إلى قوله ، وأمسك نديمُه ، فقال له امرؤ القيس : اضرب ، فضرب حتى إذا فرَغ ، قال له : ما كنتُ لأُفسِدَ عليك دَسْتَك . ثم سأل الرسولَ عن أمر أبيه كله فأخبره . فقال : ضيّعنى صغيراً ، وحمّلنى دمَه كبيراً ، لا صَحْوَ اليوم ، ولا سُكْر غداً ، اليوم خمر ، وغداً أمر .

ثم شرب سَبْعًا ، فلما صحا آلى ألاّ يأكل لحماً ، ولا يشرب خمراً ، ولا يدّهِن بدُهْن ، ولا يصيبَ امرأة ، ولا يغسل رأسه من جَنابة ، حتى يُدرك ثأره .

ولما جنّه الليل رأى برقًا فقال :

أرِقْتُ لبرقٍ بليلٍ أهَلّْ ... يُضىء سَنَاهُ بأعلى الجبَلْ
أتانى حديثٌ فكذّبْتُهُ ... بأمرٍ تَزَعْزَعُ مِنْهُ القُلَل
بقَتْلِ بنى أسَدٍ ربَّهُمْ ... ألاَ كلُّ شىء سِوَاهُ جَلَلْ[1]
فأينَ ربيعةُ عن ربِّها ... وأيْنَ تميمٌ وأين الخوَلْ
ألَا يَحْضُرُون لدَى بَابِهِ ... كما يَحضُرون إذا ما أكَلْ

ثم ارتحل حتى نزل بكراً وتغلب ، وسألهم النّصر على بنى أسد ، ولما علم بنو أسد

---

(١) جلل : حقير ، وهو من الأضداد .

بما عَزَم عليه امرؤُ القيس قدم عليه رجال منهم ، فيهم كُهُول وشبّان ، وفيهم قبيصة ابن نُعيم ، وكان فى بنى أَسَدٍ مقيما ، وكان ذا بَصِيرة بمواقع الأمور وِردًا وصَدَرا .

ولما علم امرؤ القيس بمكانهم أمر بإنزالهم ، وتقدّم بإكرامهم ، والإفضال عليهم واحتجب عنهم ثلاثًا . فسألوا مَنْ حضر مِن رجال كندة ، فقالوا : هو فى شغل بإخراج ما فى خزائن حُجر من السّلاح والعدّة . فقالوا : اللّهمّ غفرًا ، إنما قَدِمْنَا فى أَمْر نتناسى به ذِكْر ما سلف ، ونستدرك به ما فرط ، فليبلّغ ذلك عنا .

فخرج عليهم فى قَباء وخُفٍّ وعمامة سوداء ، وكانت العربّ لا تعتمّ بالسوداء إلا فى التِّرَات . فلما نظروا إليه قاموا له ، وبَدَرَ إليه قَبيصة وقال : « إنك فى المحلّ والقَدْرِ والمعرفة بتصرّف الدهر ، وما تحدِثه أيامه ، وتنتقل به أحواله؛ بحيث لا تحتاجُ إلى تبصير واعظ ، ولا تَذْكِرة مجرّب . ولك من سُؤْدُد مَنْصِبك وشَرَف أعراقك ، وكرمِ أَصْلِك فى العرب مُحْتَمل يَحْتَمِلُ ما حُمل عليـه من إقالة العَثْرَةِ ورجوع عن الْهَفْوَة . ولا تتجاوز الهمم إلى غاية إلا رَجَعَتْ إليك ، فوجدت عنـدك من فضيلة الرَّأْى ، وبصيرة الفهم ، وكرم الصَّفح ، فى الذى كان من الخطْبِ الجليـل ، الذى عمّت رَزيَّته نِزاراً واليمن . ولم تُخْصَص به كِنْدَة دوننا ، للشرف البارع . كان لحجر التاجُ والعِمّة فوق الجبين الـكريم ، وإخاء الحَمْد ، وطيب الشِّيم ؛ ولو كان يُفْدَى هالكٌ بالأَنفُس الباقية بعده ، لما بَخِلت كرائمُنا على مثله ببَذْل ذلك ، ولفدَيْناهُ منه ؛ ولـكن مَضَى به سبيلٌ لا يرجع أُولَاهُ على أُخْراه ، ولا يَلْحَقُ أَقصاه أدناه . فأحْمَدُ الحالاتِ فى ذلك أن تَعرِف الواجب عليك فى إحدى خلال : إما أن اخترْتَ من بنى أسد أشرفهَا بيتاً ، وأعلاها فى بناء المـكرمات صوتاً ، فقُدْنَاه إليك بِنِسْعَةٍ[١]

---

(١) النسعة : سير مضفور يجعل زماماً للبعير .

تذهب مع شَقَرَات حُسَامك قَصَرَته[1] ، فيقول : رجل امْتُحِن بِهُلْك عزيز ، فلم تستلّ سخيمته إلا بتمكينه من الانتقام ؛ أو فداءٌ بما يَرُوح من بنى أسدٍ من نَعمها ، فهى ألوف تجاوز الحِسْبة ، فكان ذلك فداءً رجعت به القُضُب إلى أجفانها ، لم يَرْدُدْه تسليط الإحن على البُرَآء ؛ وإما أن توادعنا ، حتى تضعَ الحوامل فَنَسْدِل الأُزُر ونعقد الْخُمُرُ فوق الرَّايات » .

فبكى امرؤ القيس ساعةً ثم رفع رأسه فقال : « لقد علمت العربُ أنه لا كُفْءَ لحجر فى دَم ، وإنّى لن أعْتَاض به جملا أو ناقة ، فأكتسبَ بذلك سبّة الأبد، وفتّ العَضُد . وأما النَّظِرَةُ[2] فقد أوجَبَتْهَا الأجِنَّةُ فى بطون أمهاتها ، ولن أكونَ لِعَطبها سبباً ، وستعرفون طلائع كِنْدَة بعد ذلك ، تحمل فى القلوب حَنَقا ، وفوق الأسنّة عَلَقا[3] :

إذا جالت الخيلُ فى مَأْزِق   تصافحُ فيه المنايا النُّفُوسا

أتقيمون أم تنصرفون ؟ قالوا : بل ننصرفُ بأسوأ الاختيار ، وأبْلَى الاجْتِرَار بمكروه وأذيّة ، وحرب وبليّة ، ثم نهضوا عنه، وقبيصةُ يقول متمثلا :

لعلّكَ أن تستوخمَ الموت إن غدَتْ   كتائبُنا فى مأزق الموت تُمْطِرُ

فقال امرؤ القيس : لا والله لا أستوخمُهُ ، فرويداً ينكشف لك دُجاها عن فُرْسان كِندة وكتائب حِمْيَر ، ولقد كان ذِكرُ غيرِ هذا أولى بى ؛ إذ كنتَ نازلا بِرَبْعى ؛ ولكنك قلتَ فأجَبْتُ . فقال قبيصة : ما نتوقع فوق قدر المعاتبة والإعتاب . قال امرؤ القيس : فهوَ ذاكَ .

---

(١) القصدة : العنق (٢) النظرة : الإمهال (٣) العلق : الدم .

— ٣ —

وعزم امرؤ القيس على أَخْذ الثأر ، وسار يَقْصِد بنى أسد فنذروا به، ولجئوا إلى بنى كنانة(١) ، فلما كانَ الليلُ قال عِلْبَاء بن الحارث لبنى أسد : والله إنَّ عيون امرئ القيس قد أتتكم ، ورجعتْ إليه بخبَرِكم ، فارْحَلُوا بليل ولا تُعْلِموا بنى كِنانة. ففعلوا ؛ وأقبـل امرؤ القيس بمَنْ معه من بكر وتغلب حتى انتهى إلى بنى كنانة ـ وهو يَحْسِبُهُمْ بنى أسـد ـ ووضع السِّلاَح فيهم وقال : ياَلثَارَاتِ الملك ! ياَلثَارَاتِ الهُمام! فخرجت إليه عجوز من بنى كِنانة فقالت: أبيت اللعن ! لَسْنَا لك بثَأر ، نحن من كِنانة ، فدونَك ثأرك فاطلبهم ؛ فإن القوم قد ساروا بالأمس ، وتبع بنى أسد ولـكنهم فاتوه ليلتهم، فقال فيهم :

أَلاَ يالَهفَ هِنْـــدٍ إثْرَ قوم ... همُ كانوا الشِّفَاءَ فلم يُصَابُوا

وقَاهم جَدُّهم ببنى أبيهم ... وبالأَشْقَيْنِ ما كان العقابُ(٢)

وأفلتهنّ عِلبـــاءٌ جَرِيضا ... ولو أدرَكْنَه صَفِر الوِطَاب(٣)

ثم أدركهم ظهراً وقد تقطَّعت خيله ، وقطع أعناقَهم العطش ، وبنو أسد جامّون(٤) على الماء ، فَنَهَدَ إليهم وقاتلهم حتى كثُرت الجرْحَى والقتلى فيهم .

وحَجَزَ الليل بينهم ، وهَرَبت بنو أسد . فلما أصبحت بكر وتغلب أَبَوْا أن يَتْبَعوهم

---

(١) كنانة وأسد ابنا خزيمة : أخوان (٢) جدهم : حظهم ، والأشقين : جمع أشقى ، أى وقى بنى أسد حظهم ، إذ وقع العقاب بكنانة بنى أبيهم (٣) علباء : قاتل حجر ، والضمير فى أفلتهن للخيل ، وجريضاً ، أى بعد جهد ، والمراد : أنهم لو أدركوا علباء لقتلوه فيكون جسمه صفراً من دمه كما يصفر الوطاب من اللبن (٤) جامون : مجتمعون .

وقالوا له : قد أَصَبْتَ ثأركَ . قال : والله ما فعلتُ ولا أَصبتُ من بنى كاهل ولا من غيرهم من بنى أسدٍ أحداً. فقالوا : بلى؛ ولكنك رجل مشئوم، وكرِهوا قتال بنى أسدٍ وانصرفُوا عنه .

ومضى لوجهه هارباً حتى لحق باليمن، واستنصر أَزْدَ شَنُوءة، فأبوا أن يَنْصُرُوه، وقالوا : إخوانُنا وجيرانُنا . فاستنصر مَرْثد الخير بن ذى جَدَن الحِمْيَرى ـ وكانت بينهما قرابة ـ فأمدّه بخمسمائة رجل من حِمير . وماث مرثد قبل رحيل امرئ القيس بهم ، وقام بالملك بعده رجلٌ يقال له قَرْمَل بن الحميم ، فأنْفَذَ له الجيش ، وتبعه شُذَّاذ من العرب ، واستأجر غيرهم ، وسار إلى بنى أسد .

ومرّ فى طريقه بتَبَالَة[١] ، وبها صنم[٢] تعظّمه العرب ، فاسْتَقْسَمَ[٣] عنده بقِدَاحه ، وهى الآمر والناهى والمتربّص ، فأجالَها فخرج الناهى ، ثم أجالها فخرج الناهى ، ثم أجالها فخرج الناهى ، فجمعها وكسرها وضرب بها وَجْهَ الصنم ، وسبّه وقال له : لو أبوكَ قتل ما عُقْتَنى ، ثم خرج فظفِر ببنى أسد .

وعلم بمكانه المنذرُ بن ماء السماء ملك الحيرة ، فوجّه الجيوشَ فى طلبه ، فتفرّقت عنه عُصبة حِمير ، ونجا فى جماعة من بنى آكل المُرار ، حتى نزل بالحارث بن شهاب فى بنى يربوع بن حَنْظَلَة ، ومعه أَدْرَاعُه الخمسة :

الفَضفاضــة ، والضّافية ، والمحصّنة ، والخِربق ، وأم الذيول ؛ كُنَّ لبنى مرار

---

(١) تبالة : موضع بين مكة واليمن (٢) اسمه ذو الخلصة : قالوا إنه كان مروة بيضاء منقوش عليها كهيئة التاج، وكان سدنتها من بنى أمامة من باهلة ، وكانت تعظمها وتهدى لها خثعم وبجيلة وأزد السراة ، ومن قاربهم من بطون العرب ، ويقال : إنه ما استقسم عند ذى الخلصة بعد امرئ القيس بقدح حتى جاء الإسلام ، وهدمه جرير من عبد الله البجلى (٣) الاستقسام : طلب معرفة ما قسم للمرء .

يتوارثونها مَلِكاً عن ملك ، فقلّمّا لبثُوا عند الحارث بن شهاب حتى بعثَ إليه المنذر مائةً من أصحابه يُوعِدُه بالحرب إن لم يُسلم بنى آكل المرار فأَسْلَمهم ، ونجا امرؤُ القيس ومعه يزيد بن معاوية بن الحارث(١) وبنته هند ، والأدرع والسلاح ، ومالٌ كان بقى عنده، ومضى إلى أرض طيّئٍ ، ونزل عند المعلَّى بن تيم(٢)، وأقام عنده ، واتّخذ إبلا ، وكان عندهم ما شاءَ الله .

ثم خرج فنزل بعامر بن جُوَين ، واتَّخذ عنده إبلا ، ثم همّ عامر أن يغلب امرأ القيس على ماله وأَهْلِه، فَفَطِن امرؤُ القيس لما أراد، وخاف منه، وانتقل إلى رجل من بنى ثُعل(٣)، واستَجار به، فوقَعتِ الحربُ بين عامر وبنى ثعل من أجله ؛ فخرج من عندهم حتى نزل برجلٍ من بنى فَزارة ، وطلب منه الجوار حتى يرى ذات عَيْبَه(٤) ، فقال له الفزارى : يابْنَ حُجْر ؛ إنى أراكَ فى خَلل من قومك ، وأنا أَنفَسُ(٥) بمثلك من أهل الشرف ، وقد كِدْتَ بالأمس تؤكل فى دار طيئ ، وأهلُ البادية أهلُ برّ لا أهلُ حُصُون تَمْنَعُهم ، وبينك وبين أهل اليمن ذُؤبان من قيس ، أفلا أدلّك على بلد ! فقد جئتُ قيصر ، وجئتُ النعمان ، فلم أر لضيفٍ نازل ولا لمجتد مثلَه ولامثلَ صاحبه .

فقال: مَنْ هو ؟ وأينَ منزلُه ؟ فقال: السموءَل بتَيْماء، وسوف أضربُ لك مَثَلَه؛ هو يمنع ضَعْفَك حتى ترى ذاتَ عَيْبِك ، وهو فى حِصْن حصين ، وحسَب كبير .

---

(١) ابن عمه (٢) مدحه امرؤ القيس فقال :

كأنى إذ نزلتُ على المعلى ... نزلت على البواذخ من شمام

شمام : اسم جبل .

فما ملك العراق على المعلى ... بمقتدر ولا ملك الشآم

أقرحشى امرىء القيس بن حجر ... بنو تيم مصابيح الظلام

(٣) ثعل : من طيئ اشتهروا بالرماية (٤) يريد ينظر فى أمره ويصلح من شأنه

(٥) أنفس : أضن .

فقال له امرؤ القيس : وكيف لى به ؟ فقال : أوصلك إلى من يُوصلك إليـه ؛ فصحبه إلى رجل من بنى فَزارة يقال له الربيع بن ضَبُع الفزَارىّ ممن يأتى السَّمَوْءل فيحمله ويعطيه ؛ فلما صار إليه قال له الفزَارى : إن السموءل يعجبُه الشّعر ، فتعال نَتَنَاشَدُ له أشعاراً ؛ ثم مضوا حتى قدموا على السموءل ، وأنشده الشعر ، وعرف لهم حقهم ؛ وأنزل المرأة فى قُبَّة أدم ، وأنزل القومَ فى مجلس خاصّ ، فـكان عنده ما شاء الله .

ثم إنه طَلَب إليـه أن يكتب له إلى الحارث بن أبى شَمِر الغسّانى بالشأم، ليوصله إلى قيصر ، فاستنجد له رجلا ، واستودع عنده المرأة والأدراع والمـال ، وأقام معها يزيد بن معاوية بن الحارث ابن عمّه ، ومضى حتى انتهى إلى قيصر، فقبله وأكرمه، وكانت له عنده منزلة .

ثم اندسّ رجل من بنى أسد ـ يقال له الطمّاح ـ وكان امرؤ القيس قد قتـل أخًا له من بنى أسدٍ ، حتى أتى بلادَ الروم ، فأقام مُسْتَخْفِيا ـ وبعـد مدّة ضمّ قيصرُ إليه جيشاً كثيفاً ، وفيهم جماعةٌ من أبناء الملوك . فلمـا فصَل قال الطمّاح لقيصر : إن امرأ القيس غَوِىّ عاهِر ، وإنه لمَّا انصرف عنك بالجيش ذكر أنه كان يُرَاسِل ابنتك ويواصلها، وأنه يقول فيها أشعاراً يشهّرها بها فى العرب فيفضحُها ويفضَحُك .

فبعث إليه بحُلَّة وَشْىٍ مسمومة منسوجة بالذّهب ، وقال له : إنى أرسلت إليك بحلّتى التى كنت ألبسها تكرمَةً لك ، فإذا وصلتْ إليك فالبَسْها باليُمْن والبركة ، واكتب إلىّ بخبرك من منزلٍ منزل .

فلما وصلت إليه، لَبِسها واشتدّ سرورُه بها ؛ فأسرع إليه السمّ وسقط جلده ، ففطن لما أريد به وقال :

لقد طمَح الطمّاح من بُعْدِ أرضه ليُلبِسنى مما يلبَّس أبؤسا
فلو أنها نفسٌ تموت سويَّةً ولكنها نفسٌ تَسَاقَطُ أنفُسَا

ولما صار إلى أنقرة احْتُضِرَ بها ، ورأى قبر امرأة من أبناء الملوك ماتت هناك، فدُفنت فى سفح جبل يقال له عَسِيب ، فسأل عنها فأخبر بقصتها، فقال :

أجَارتنا إن المزَار قريبُ وإنى مُقيم ما أقام عَسيبُ
أجَارتنا إنّا غريبان هاهنا وكلُّ غريب للغريب نسيبُ

ثم مات ودفن هناك .

(٧) يوم الكلاب الثانى *

لما أوقع كسرى ببنى تَميم يوم الصَّفْقة(١) أداروا أمرهم، وقال ذَوُو الحِجَى منهم: إنكم قد أغضَبْتُم الملك ، وقد أوقع بِكُمْ حتى وَهنتم ، وتسامعت بها لقيتم القبائل ، فلا تأمنون دَوران العرب .

ثم اجتمعوا إلى سبعة منهم وشاوروهم فى أمرهم : أكثم بن صيفى الأسدى ، والأُعَيمر بن يزيد المازنى، وقيس بن عاصم المِنقرى ، وأُبَير بن عصمة التَّيْمى، والنعمان ابن الحسحاس التيمى ، وأُيَين بن عمرو السَّعْدى ، والزِّبْرِقان بن بدر السعدى ؛ وقالوا لهم : ماذا ترون ؟ فقال أكثم : « إن الناس قد بلغهم ما قد لَقِينا ، ونحن نخافُ أن يطمعوا فينا » . ثم مسح بيده على قَلْبِه وقال : « إنى قد نَيَّفتُ على التسعين ، وإنَّما قلبى بَضْعة(٢) من جِسمى ، وقد نَحَل كما نَحَل جسمى ، وإنى أخاف ألا يُدرِكَ ذِهنى الرأىَ لكم ، وأنتم قومٌ قد شاع فى الناس أمرُكم ، وإنما كان قوامكم أسيفاً وعَسِيفاً(٣) ، وصرتُم اليوم إنما تَرْعى لكم بناتُكم . فليعرض علىَّ كلُّ رجل منكم رأيَه وما يحضرُه ، فإنى متى أسمع الحزم أعْرِفه » .

فقال كلُّ رجل منهم ما رَأَى ، وأكثمُ ساكتٌ لا يتكلّم ، حتى قام النعمان ابن الحسحاس فقال : « يا قوم ؛ انظروا ماء يجمعُكم، ولا يعلمُ الناس بأىّ ماء أنتم

(*) لتميم على مذحج ، والكلاب اسم ماء بين الكوفة والبصرة .

العقد الفريد ص ٣٥٤ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٧٩ ج ١ ، النقائض ص ١٣٧ ج ١ (طبع مصر) ، خزانة الأدب ص ٣٧٠ ج ١ ، ص ١٧٠ ج ٢ ، شواعر العرب ص ٩٥ شعراء النصرانية ص ٧٥ ج ١ ، الأغانى ص ٧٢ ج ١٥ ، مهذب الأغانى ص ٥٠ ج ١ ، ذيل الآمال صفحة ١٣٢

(١) سبق يوم الصفقة ص ٢ (٢) البضعة فى الأصل : القطعة من اللحم (وتكسر)

(٣) الأسيف : العبد ، والعسيف : الأجير .

حتى يقوى ظهرُكم ، ويشتدّ أزرُكم ، وقد جممتم[١] وصَلُحت أحوالكم ، وانجبر كسيرُكم ، وقوِيَ ضعيفُكم، ولا أعلم ماء يجمعكم إلا قِدَة»[٢] .

فلما سمع أكثم بن صيفي كلامَ النعمان قال : هـذا هو الرأى . وارتحلوا حتى نزلوا الكُلاب ، ونزلت الرِّباب[٣] وسعد بأعلى الوادى ، ونزلت حَنْظَلَة بأسْفَله[٤] .

وكانوا لا يخافون أن يُغْزَوا فى القَيْظ ، ولا يستطيع أحدٌ أن يقطع تلك الصحارى لبُعْدِ مسافتها ، وشدّةِ حرّها، وأقاموا بقيّةَ القَيْظ لا يعلمُ أحدٌ بمكانهم، حتى إذا تَهوَّر[٥] القَيظ، مرّ بهم رجل من أهل مدينة هَجر، فرأى ما عندهم من النَّعَم، فانْطَلَق إلى مَذْحج وقال: هل لكم فى جارية عَذْرَاء، ومُهرة شَوْهاء[٦]، وبَكْرة[٧] حمراء ؟ فقالوا : ومَنْ لنا بذلك ؟ قال : تِلْكُم تميمٌ ألْقاء[٨] مطروحون بقِدة . فقالوا: إى والله !

ومشى بعضُهم إلى بعض وقالوا: اغْتَنِموها من بنى تميم، وبعثوا الرُّسل فى قبائل اليمن وأحلافها من قُضَاعة ، واستشاروا كاهِنهم المأموز[٩] الحارثى، فأشار عليهم بالكفّ .

ولكنهم عَصَوْه . وخرجوا لغزْو تميم ، وجعلوا عليهم أربعةَ رؤساء كلٌّ منهم اسمه يزيد : يزيد بن عبد المدَان ، ويزيد بن المخرَّم ، ويزيد بن اليَكْسُم ،

(١) التجميم : المتعة ، وفى اللسان كان مسلمة بن عبد الملك عربياً ، وكان يقول فى خطبته : إن أقل الناس فى الدنيا هماً أقلهم حماً ، أى مالا ومتاعاً ، وهو من التجميم : المتعة (٢) ماء بالكلاب (٣) الرباب : للنسابين أقوال كثيرة فى تفسير الرباب ، ويقول صاحب القاموس : إنهم أحياء ضبة ، لأنهم أدخلوا أيديهم فى رب وتعاقدوا (٤) سعد وحنظلة : من تميم (٥) تهور : ذهب (٦) المهرة: الفرس ، والشوهاء من الخيل : الطويلة الرائعة (٧) البكرة : الفتية (٨) ألقاء : جمع لقى ، وهو ما طرح على الأرض (٩) جمع بين الفروسية والكهانة ، وكانت مذحج فى أمره تتقدم وتتأخر .

ويزيد بن هوْبر ، ومعهم عبد يغوث بن صَلَاءة الحارثى ، وكان مع كل واحد منهم ألفان ، فاجتمع لهم ثمانية آلاف[١] .

ولما بلغ تميما أن مذحجاً وأحلافهم عازمون على غزوهم فزعوا إلى أكثم بن صيفى — وله يومئذ مائةٌ وتسعون سنة — فقالوا له : حقِّق لنا هذا الأمر ، فإنا قد رضيناك رئيساً . فقال لهم : « لاحاجة لى فى الرِّياسة ، ولكنى أُشيرعليكم : لتنزلْ حَنْظَلَة بالدَّهناء ، ولتنزل سعد والرِّباب بالكُلابْ ، فأىّ الطريقين أخذ القومُ كفى أحدُهما صاحبَه . ثم قال لهم : «احفظُوا وصيّتى ؛ أقلُّوا الخِلاف على أُمرائِكم ، واعلموا أن كَثْرةَ الصياح من الفَشَل ، والمرء يعجز لا مَحالة ؛ يا قوم تثبَّتُوا فإن أحزمَ الفَرِيقين الرَّكين[٢] ، وربَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثًا ، واتَّزِرُوا للحرْبِ ، وادَّرِعوا اللَّيل ، فإنه أخفى للويل، ولا جماعة لمن اختلف عليه ، وإذا عزَّ أخوكَ فهُن ، البَسُوا جلودَ النُّمور ، والثبات أفضل من القُوَّة ، وأهنأُ الظفر كثْرة الأسرى ، وخيرُ الغنيمةِ المال ، ولا تَرْهَبُوا الموتَ عند الحربِ ؛ فإن الموت من وَرَائِكم ، وحُبُّ الحياة لدى الحرب زَلَل ، ومن خير أمرائكم النعمان بن مالك بن جساس »

فقبلوا مَشُورَته، ونزلتْ حنْظَلَة الدَّهناء وسعدٌ والرِّباب الكُلاب .

ولما وردت مَذْحِج وأحلافُها رآهم رجلٌ كان يَرْعَى الإبل ، فذهب إلى سعد وأَنْذَرَهم ، فجاء وإذا مذحج قد انتهبت النَّعم وراجزُهم يقول :

فى كل عام نَعَم نَنْتَابُه . على الكُلاب غُيَّبٌ أصحابُه

فسمعه غلامٌ من سعد فأجابه :

---

(١) قالوا : إنه لا يعلم جيش فى الجاهلية كان أكبر منه ومن جيش كسرى يوم ذى قار ومن يوم شعب جبلة (٢) الركين : الرزين .

فى كل عام نَعَمٌ يَحْوُونَهُ[١] يُلْقِحُهُ قَومٌ ويَنْتِجُونَه[٢]
أَرْبَابُه نَوْكَى فلا يحمونه[٣] ولا يلاقون طعَانًا دونه
أَنَعمَ الأَبْنَاء[٤] تحسبونه . هيهات هيهات لما تَرْجُونَه

ولما اقترب جَمْعُهُما قال ضمرة بن لبيد الحماسى لقومه من مَذْحِج : « انظروا ، إنكم ستُسْتاقون النَّعم ، فإن أتت الخيلُ عُصَبا عُصَبا ، وثبتت الأولى للأُخرى حتى تلحق بها فإن أَمْرَ القوم هيِّن ، وإن لحق بكم القومُ فلم ينظروا إليكم حتى يردّوا النَّعم ، ولا ينتظر بعضُهم بعضاً فإنّ أمرَ القوم شديد » .

وتقدمت سعد والرّباب ، فالتقوا فى أوائل الناس ، ولم يلتفتوا إليهم ، واستقبلوا النَّعم من قبل وجوهه ، وأخذوا يصرّفونه بأرماحهم ، واقتتلوا قتالا شديداً يومهم ، حتى إذا كان آخر النهار قُتِل النعمان بن جساس[٥] ، وظنّ أهلُ اليمن أن بنى تميم

(١) « فى كل عام نعم تحوونه » استشهد به صاحب الكافية على أنه بتقدير (حواية نعم) ليصح الإخبار عن اسم العين باسم الزمان ، واستشهد به سيبويه على أن جملة تحوونه صفة لنعم ، واستشهد به صاحب الكشاف على جواز تذكير الأنعام (٢) يقال : ألقح الفحل الناقة إذا أحبلها ، ونتج الناقة أهلها إذا استولدوها . وهو يريد : يحملون الفحولة على النوق فإذا حملت أغرتم أنتم عليها فأخذتموها وهى حوامل فتلد عندكم (٣) نوكى : جمع أنوك وهو الأحمق الضعيف التدبير والعمل (٤) الأبناء كل بنى سعد بن مزيد إلا بنى كعب بن سعد (٥) رماه رجل من أهل اليمن ، كانت أمه من بنى حنظلة ، فقال حين رمى : خذها وأنا ابن الحنظلية ، فقال النعمان : ثكلتك أمك ! رب حنظلية قد غاظتنى (فذهبت مثلا) .

وفى قتل النعمان قالت صفية بنت الخرع (ولعلها زوجه) :

قد غاب عنه فلم تشهد فوارسه ولم يكونوا غداة الروع يحذونه

يقال : أشهد إذا قتل ، ويحذونه : يحذون حذوه فيموتون مثله

نطاقه هنـدوانى وجنته فضفاضة كأضاة النهى موضونه

النطاق : منطقة السيف ، والجنة الفضفاضة : الدرع السابغة ، والأضاة والنهى : الغدير ، وتشبه بهما الدرع فى الصفاء ، والموضونة : الدرع المنسوجة المتقاربة الحلقات

فقد قتلنا شفاء النفس لو قنعت وما قتلنا به إلا امرأً دونه

تريد بذلك قتل عبد يغوث سيد بنى الحارث — من شواعر العرب ص ٩٥

سيهزمهم قتلُ النعمان ، ولـكنْ ذلك لم يزدهم إلا جرَاءة عليهم ، وما زالوا على قتالهم حتى حجزَ بينهم الليلُ ، وبات يحرس بعضُهم بعضاً .

ولما أصْبَحُوا تولّى قيس بن عاصم المِنْقَرِى إمْرَةَ بنى تميم ، وحملوا على أهْلِ اليمن حَمْلَةً صادقة ، فانهزموا ، وكان أول من انهزم منهم وَعْلة بن عبد الله الجرمى صاحب اللّواء ، ثم تتابعت عليهم الهزائم ، وقيس بن عاصم ينادى : يالتَمِيم ! لا تقتلوا إلا فارساً، فإن الرجَّالة[1] لـكم ، ثم يقول :

لـما تولّوا عُصباً شَوَازِبَا[2] أقسمت لا أَطْعَنُ إلا رَاكِبـا
إنى وجدت الطَّعْنَ فيهم صائبا

وما زالوا فى آثارهم يقتلون ويأسِرُون[3] حتى أُسِر عبد يغوث[4] بن صَلَاءَة سيدُ بنى الحارث ، أسره فتى من بنى عمير بن عبد شَمْس ، وانطلق به إلى أهله ، وكان العَبْشَمِى أهْوجَ ، فقالت له أُمّه ـ ورأتِ عبد يغوث عظيما جميلا ـ من أنتَ ؟ قال : أنا سيّدُ القوم ، فضحكت وقالت : قبَّحك الله من سيّد قومٍ حين أَسَرَكَ هـذا الأهوج[5] !

ثم قال لها: أيتها الحرّة؛ هلْ لَكِ إلى خير ؟ قالت : وما ذاك ؟ قال : أُعْطِى ابنك مائة من الإبل، وينطلق بى إلى الأهتم[6]، فإنى أخاف أن تنتزعنى سعد والرِّباب منه،

---

(١) جمع راجل ، وهو ما ليس له ظهر يركبه (٢) شوازب : ضوامر (٣) قالوا : كان قيس إذا أخذ أسيراً سأله : ممن أنت ؟ فيقول : من بنى رعبل (وهم أنذال) يريدون بذلك رخص الفداء ، فجعل إذا أخذ أسيراً منهم دفعه إلى من يليه من بنى تميم ويقول : أمسك حتى أصطاد لك رعبلة أخرى (فذهبت مثلا) (٤) كان عبد يغوث شاعراً من شعراء الجاهلية ، فارساً سيداً لقومه من بنى الحارث بن كعب (٥) ولهذا قال :

وتضحك منى شيخة عبشمية كأن لم تر قبلى أسيراً يمانيا

(٦) هو عمرو بن سنان والأهتم لقبه ، كان من أكابر سادات بنى تميم وشعرائهم وخطبائهم فى الجاهلية والإسلام .

ثم ضمِن لها مائةً من الإبل ، وأرسل إلى بنى الحارث[١] فوجّهوا بها إليه ، وقبضها العَبْشَمِىّ وانطلق به إلى الأهتم ، وأنشأ عبد يغوث يقول :

أأهتم ياخيرَ البريَّةِ والداً ورَهْطاً إذا ما الناسُ عدُّوا المَساعِيا
تَدارَكْ أسيراً عانِياً فى بلادكم ولا تثقفنّى التَّيم ألْقَى الدواهيا

فمشت سعد والرِّبابُ فيه ، فقالت الرباب : يابنى سعد ؛ قُتِل فارسُنا ، ولم يقتل لكم فارس مذكور ، فدفعه الأهتم إليهم ، فأخذه عصمة بن أبير التَّيمى ، وانطلق به إلى منزله ، فقال عبد يغوث : يابنى تيم ؛ اقتلونى قِتْلَةً كريمة ، فقال له عصمة : وما تلك القِتلة ؟ فقال : اسقُونى خمراً ، ودعونى أنُحْ على نفسى ، فقال عصمة : نعم ، وسقَاهُ الخمر ، ثم قطع له عِرقاً يقال له الأكْحَل ، وتركه يَنزِف ، ومضى عنه عصمة وترك معه ابنين : فقالا له : جمعتَ أهل اليمن ، وجئت تَصْطَلمنا ، فكيف رأيت صُنْعَ الله بك ؟ فقال عبد يغوث :

ألاَ لا تَلُومانى كفى اللومَ ما بِيَا فما لكما فى اللوم خيرٌ ولا لِيَا[٢]
ألم تعلما أنَّ الملامةَ نفعُها قليل ، وما لومى أخى من شِماليَا[٣]
فيارا كِبًا إمَّا عرضتَ فبلّغن نَدامایَ من نَجْرانَ ألّا تلاقيا[٤]
أبا كَرِبٍ والأيْهمَيْنِ كليهما وقيساً بأعلى حَضْرَمَوْتَ[٥] اليمانِيَا

(١) يريد بنى الحارث قومه (٢) الخطاب لاثنين حقيقة ، واللوم مفعول مقدم ، وما فاعل مؤخر ، أى كفى ما أنا فيه فلا تحتاجان إلى لومى مع ما تريان من إسارى وجهدى

(٣) الشمال : الخلق ، وهو يأتى جمعاً ومفرداً ، وهنا جمع (٤) الراكب : راكب الإبل ، ولا تسمى العرب راكباً على الإطلاق إلا راكب البعير والناقة . وعرضت أى أتيت العروض وهى مكة والمدينة . والندامى : جمع ندمان ، وهو المشارب . ونجران مدينة بالحجاز

(٥) أبو كرب . والأيهمان : الأسود بن علقمة وعبد المسيح بن الأبيض وقيس بن معدى كرب هؤلاء كانوا ندماءه هناك ، فذكرهم عند موته وحن إليهم . يروى أن قيساً لما بلغه هذا البيت قال : « لبيك وإن كنت قد أخرتنى » .

جزى اللهُ قومى بالـكُلاب ِ مَلامةً ... صريحهمُ والآخَرين المَواليا[١]

ولو شئتُ نَجَّتنى من الخيـل نَهْدَةٌ ... تَرى خَلفَها الُحوَّ الجيادَ[٢] تواليا

ولـكنَّنى أحمى ذِمارَ أبيـكمُ[٣] ... وكانَ الرِّماحُ يختطِفنَ الُحاميا

أقول وقد شَدُّوا لسانى بِنِسْعَة[٤]: ... أمَعْشَرَ تَيْمٍ أطلِقوا لى لِسانِيا

أمعْشَرَ تَيْمٍ قدملـكتُم فأسْجِحُوا[٥] ... فإنَّ أخاكم لم يكن مِن بَوَائِيا

فإن تقتلونى تقتلوا بى سيِّدًا ... وإن تُطلقونى تَحْرُبُونى[٦] بماليا

أحقًّا عباد الله أن لستُ سامعاً ... نشيدَ الرِّعاء[٧] المُعزِبين المَتَاليا

وتضحك منى شيخةٌ عَبْشَمِيَّةٌ ... كأنْ لم تَرَىْ قبلى أسيراً[٨] يمانيا

وظلَّ نساءُ الحيِّ حولىَ رُكَّدًا ... يُرَاوِدْن منى ما تريدُ نِسَائيا

وقد عَلِمَتْ عِرْسى مُلَيْكَةُ أننى ... أنا اللَّيْثُ مَعْدِيًّا عليه وعاديا

وقد كنت نَحَّارَ الجزور ومعمـلَ الـ ... مَطىِّ وأمْضى حيثُ لا حىَّ ماضيا

---

(١) الصريع : الخالص ، والموالى : الحلفاء المنضمين إليهم ، والـكلاب : اسم موضع الوقعة

(٢) النهدة : المرتفعة ، والحو من الخيل : التى تضرب إلى خضرة ، وهى أصبر الخيل . وتواليا : جمع تالية ، أى تابعة ؛ والمعنى : إن فرسى لخفتها تسبق الحو ؛ فهى تتلو فرسى (٣) الذمار : ما يجب على الرجل حفظه (٤) النسعة : سير منسوج ، وفى شرح هذا البيت قولان :الأول أن هذا مثل وذهب إليه القالى وابن الأنبارى ؛ لأن اللسان لا يشد بنسعة ، وإنما أراد : افعلوا بى خيراً لينطلق لسانى بشكركم ، وإنكم ما لم تفعلوا فلسانى مشدود ، لا أقدر على مدحكم ، والثـانى أنهم شدوه بنسعة حقيقة ، وإليه ذهب الجاحظ فى البيان والتبيين والأصفهانى فى الأغانى ؛ قيل إنهم ربطوه بنسعة مخافة أن يهجوهم ، وكانوا سمعوه ينشد شعراً ، فقال : أطلقوا لى عن لسانى أذم أصحابى وأنوح على نفسى ، فقالوا : إنك شاعر ، ونحذر أن تهجونا ، فعاهدهم ألا يهجوهم ، فأطلقوا له عن لسانه (٥) أسجحوا : سهلوا ويسروا ، والبواء : السواء ؛ أى لم يكن أخوكم نظيراً لى فأكون بواء له ، ويريد به النعمان (٦) تحربونى : تسلبونى وتغلبونى (٧) الرعاء : جمع راع ، والمعزب : المتنحى بإبله ، والمتالى : التى نتج بعضها وبقى بعض ؛ جمع متلية

(٨) قوله : كأن لم ترى ، رجوع إلى من الإخبار إلى الخطاب ، وكأن مخففة واسمها مضمر فيها وروى فى ذيل الأمالى : لم ترن بالنون ، وارجع إلى ذيل الأمالى والمغنى فى مبحث (لم) .

وأنحرُ للشَّرْبِ الكِرامِ مَطِيَّتى ... وأصدَعُ بين القَيْنَتَيْنِ[١] رِدَائيا
وكنت إذا ما الخيلُ شمَّصَها القنَا ... لبيقاً بتصريف القنــاة[٢] بَنَانيا
وعاديةٍ سَوْمَ الجرَادِ وزَعْتُهـا ... بكفِّى وقد أنحَوْا إلىَّ العوَاليا[٣]
كأنى لم أركب جواداً ولم أقل ... لخيلى كُرِّى نَفِّسى[٤] عن رجاليا
ولم أسْبأ الزِّقَّ الروىَّ ولم أقل ... لأَيْسارِ صدْقٍ أعظِموا ضوءَ ناريا[٥]

ولم يلبث عبد يغوث أن مات[٦].

(١) الشرب : جمع : شارب ، وأصدع : أشق ، والقينة : الأمة مغنية كانت — كما هنا — أم لا
(٢) شمصها : نخسها لتتحرك ، ويروى شمسها بالسين ، واللبيق من اللباقة .
(٣) العادية : القوم يعدون من العدو وهو الركض ، وسوم الجراد أى كسومه وهو انتشاره . وزعتها : كففتها ، والوازع : الكاف والمانع ، وأنحوا الرماح : أمالوها وقصدوا بها من النحو وهو القصد ، والعالية من الرمح : أعلاه (٤) نفسى : وسعى (٥) السباء : اشتراء الخمر للشرب لا للبيع ، والأيسار : الذين يضربون القداح : جمع ياسر (٦) قال الجاحظ فى البيان والتبيين : ليس فى الأرض أعجب من طرفة بن العبد وعبد يغوث ؟ فإن قسنا جودة أشعارهما فى وقت إحاطة الموت بهما فلم تكن دون سائر أشعارهما فى حال الأمن والرفاهية .

(٨) يوم فَيْف الريح*

كانت بنو عامر(١) تطلبُ بني الحارث بن كعب بأوْتارٍ كثيرة ، فجمَع لهم الحصين بن يزيد الحارثيّ — وكان يغزو بمن تبِعَهُ من قبائل مَذْحج — وأقبـــل فى بنى الحارث وجُعْفِىّ ، وزُبَيد ، وقبائل سعد العشـيرة ، ومرادٍ وصُدَاء ونَهْدٍ ، واستعانوا بقبائل خَثْعم(٢) ؛ فخرج شَهْرانُ وناهِس وأكْلُب عليهم أنَسُ بن مُدْرِك ، وأقبلوا يريدون بنى عامر ، وهم مُنْتَجعون مكاناً يقال له «فَيْفُ الرِّيح» ، ومع مَذْحج النساء والذَّرارى ، حتى لا يفرُّوا ؛ إما ظفِروا وإما ماتُوا جميعاً .

فاجتمعت بنو عامر كلُّها إلى عامرِ(٣) بن الطّفيل ، فقال لهم عامر — حين بلغه مجىء القوم : أغيروا بنا عليهم ، فإنى أرجو أن نأخذ غنائمهم ، ونسبي نساءهم ، ولا تَدَعوهم يدخلون عليكم داركم .

فتابعوه على ذلك ، وقد جعلَتْ مَذْحجُ ولِفُّها(٤) رُقَباء ، فلما دنَتْ بنو عامر من القوم صاح رُقَباؤهم : أتاكم الجيشُ ؛ فلم يكن بأسرعَ من أنْ جاءتهم مَسَالحهم(٥)

(*) لمذحج على عامر، وفيف الريح: موضع بأعلى نجد

النقائض ٤٦٩ ، ذيل الأمالى ١٤٦ ، العقد الفريد ص ٣٥٩ ج٣ ، أمثال الميدانى ص ٣٠٨ ج٢ ، ابن الأثير ص ٣٨٧ ج ١ ، الأغانى ص ٢١ ج ٥ ، معجم البلدان ص ٤١٣ ج ٦

(١) بنو عامر فى قيس عيــلان ، وفيهم بطون كثيرة (٢) بنو الحارث وسعد العشيرة وجعفى وزبيد فى مذحج ، ومراد بطن فى كهلان . وصداء ونهد بطنان فى قضاعة وخثعم بطن فى كهلان (٣) كان عامر بن الطفيل فارس قيس وسيدهم ، وكان شاعراً جيد الشعر ، ومن شعره :

وما الأرض إلا قيس عيلان أهلها ... لهم ساحاتها سهلها وحزومها

وقد نال آفاق السموات مجدنا ... لنا الصحو من آفاقها وغيــومها

(٤) لف القوم : من كان فيهم من الحلفاء وغيرهم (٥) المسالح : جمع مسلحة ، وهم القوم ذوو سلاح.

تَرْكضُ إليهم ؛ فخرجوا إليهم ؛ فقال أنس بن مُدْرِك لقومه(١) : انصرفوا بنا ، ودَعُوا هؤلاء ، فإنهم إنما يَطْلُب بعضُهم بعضاً ، ولا أظنُّ عامرا تريدنا ؛ فقال لهم الحصين بن زيد : افعلوا ما شِئْتُم ، فإنَّا والله ما نُرادُ دونكم ، وما نحن بشرٍّ بلاءً عند القوم ، فانصرفوا إن شئتم ،فإنا نرجو ألّا نعجزَ عن بنى عامرٍ ، فرُبَّ يوم لنا ولهم قد غابتْ سُعوده ، وظهرت نحوسُه .

فقالت خَثْعَم لأنسٍ : إنا كنَّا وبنو الحارثِ على مياهٍ واحدةٍ فى مراعٍ واحِدَة ، وهم لنا سِلْمٌ وهـذا عدوٌّ لنا ولهُمْ ، فتريدُ أن ننصرفَ عنهم ! فو الله لئِن سلموا وغَنِموا لنَنْدَمَنَّ ألاَّ نـكونَ معهم ، ولئن ظُفِربهم لتقولَنَّ العرب : خَذَلتُم جيرانكم ! فأجمَعُوا على أن يُقَاتلوا معهم .

وجعل حُصَين لخثْعَمَ ثُلُثَ المِرْباع(٢) ، ومنَّاهم الزِّيادة ؛ وقد كان عامر بن الطّفيل بعث إلى بنى هلال بن عامر ، فاشترى منهم أربعين رُمْحًا بأربعين بَكْرَة فقسَّمها فى أفناء بنى عامر .

والْتقى القومُ فاقتتلوا قتالاً شديداً ثلاثة أيام يُغَادُونهم القتال بفَيْفِ(٣) الرِّيح ؛ فالْتقى الصُّمَيْل بن الأعور(٤) الـكلابى ، وعَمْرُو بن صُبَيْح النهدى(٥) ، فطعنه عَمْرو ، فذهب الصُّمَيْل بطَعْنَته مُعانقاً فرسه ، حتى ألقاه فرسُه إلى جانب الوادى ، فاعتنق صخرةً وهو يجودُ بنفسه ، فمرَّ به رجـلٌ من خَثْعَم ، فأخذ دِرْعَه وفرسه ؛ وأجْهزَ عليه .

وشهدت بنو نمير يومئذ مع عامر، فسمُّوا حُرَيجَة(٦) الطِّعَان؛ وذلك أن بنى عامر

(١) أى قبائل خثعم (٢) المرباع : ما يأخذه الرئيس وهو ربع الغنيمة (٣) قال أبوعبيدة : كانت وقعة فيف الريح وقد بعث النبى صلى الله عليه وسلم بمكة . (٤) من بنى كلاب ، وهم بطن من عامر. (٥) من نهد وهم أحلاف بنى الحارث (٦) أى اجتمعوا بقنيهم، فصاروا بمنزلة الحرجة ، وهى شجر مجتمع ، وسموا ذلك اليوم حريجة الطعان .

جالوا جَوْلَةً إلى موضعٍ يقال له العُرْقُوب ،فالتفت عامر بن الطفيل فسأل عن بنى نمير ، فوجدهم قد تخلّفوا فى قتال القوم ، فرجع عامرٌ يصيح : ياصباحاه ! يا نُمَيْرَاه ! ولا نُمَيْرَ لى بعد اليوم، حتى أَقْحَمَ فرسه وسْطَ القوم ، فطُعِن يومئذ بين ثُغْرَةِ نحره إلى سُرَّته عشرين طَعْنَةً .

وبرزَ يومئذ حُسَيْل بن عمرو الكلابى، فبرزَ له صَخْر بن أَعْيَى النَّهدى ؛ فقال عامر بن الطُّفَيل لحسيل : ويلك يا حُسَيل ! لا تَبْرُزْ له ، فإن صخراً صخرةٌ[1]، وإنّ أَعْيَى يعيا عليك ، ولكنّ حسيلا لم يستمع لقوله ، وبرز للقتال؛ فقتله صخر .

وقَتَل خُلَيْفُ بن عبدالعزى النَّهدى كَعْبَ الفوارس بن معاوية بن عبادة بن البكّاء؛ فمرَّ بعد ذلك خُلَيْف على بنى جَعْدَة[2] ، فعرفوا بزَّةَ كعبٍ وفرسَه ، فشدَّ عليه مالك بن عبد الله بن جَعْدَة فقتله ، وأخذ الفرس والبزَّة فردَّهما إلى بنى البكّاء[3].

وكان عامرُ بن الطفيل يتعهَّد الناسَ فيقول : يا فلان ؛ ما رأيتُك فعلتَ شيئاً ! فيقول الرجل الذى قد أَبْلَى : انظُرْ إلى سيفى وما فيه ، وإلى رمحى وسِنانى . فأقبل مُسْهِر بن يزيد الحارثى[4] فى تلك الهيئة ـ لما رأى عامراً يصنع بقومه الأفاعيل ـ فقال : يا أبا علىّ ؛ انظر ما صنعتُ بالقوم ، انظر إلى رمحى ! حتى إذا أقبل عليه عامرٌ وجَأَه بالرمح فى وَجْنَتَه ، ففلَقَ وجْنَتَه ، وأصاب عينَه ، وخلَّى الرمحَ فيها ، وضرب فرسَه ، فلحق بقومه .

---

(١) كأنه تطير من اسمه (٢) جعدة : بطن فى عامر (٣) هذه رواية النقائض فى مقتل كعب الفوارس ، وفى الأغانى : إن كعب الفوارس مر على بنى نهد وعليه سلاحه ، فحمل عليه رجل من نهد يقال له خليف فقتله وأخذ فرسه وسلاحه ، ثم إن خليفاً بعد ذلك بدهر مر على بنى جعدة ، فرآه مالك بن عبد الله بن جعدة ، وعليه جبة كعب ، وفيها أثر الطعنة ، وكان محرماً فلم يقدر على قتله ، فقال : ياهذا ، ألا رقعت هذا الخرق الذى فى جبتك ! وجعل يترصده بعد ذلك ؛ حتى بلغه بعد دهر أنه مر ببنى جعدة ، فركب مالك بن عبد الله بن جعدة فرسا له وأدركه فقتله ، ثم قال : بؤ بكعب (٤) كان مسهر فارسا شريفاً ، وكان قد جنى جناية فى قومه ، فلحق ببنى عامر ، فشهد معهم فيف الريح .

وفى طعنة عامر يقول مسهر :

وَهَصْتُ بِخُرْصِ[1] الرمح مُقْلَةَ عامرٍ　　فأضحَى بخيصاً فى الفوارس أعورا
وغادر فينا رُمْحَه وسِلاحه　　وأدْبَرَ يدعو فى الهَوالِكِ جَعْفَرَا
وكنا إذا قَيْسية برقَتْ لنا　　جرى دَمْعُها من عينها فتحدَّرا
مَخافةَ ما لاقتْ حليلةُ[2] عامرٍ　　من الشرِّ إذ سِرْبالها قد تَعفَّرا

ويقول عامر :

لعمرى ، وما عمرى علىَّ بهيِّن　　لقد شانَ حرَّ الوجه طَعْنَةُ مُسهرِ
فبئس الفتى إن كنت أعور عاقراً　　جَبَاناً وما أُغْنِى لدى كل مَحْضرِ
وقد علموا أنى أكِرُّ عليهمُ　　عشيةَ فَيْفِ الريح كَرَّ المدوَّرِ
فلو كان جمعٌ مثلنا لم نبالهم　　ولكن أتتنا أسْرةٌ ذات مَفْخرِ
فجاءوا بشهران[3] العريضة كلّها　　وأكْلبَ طرًّا فى لِباس السَّنَوَّرِ[4]

وقال فى هذا اليوم أبو دؤاد الرُّؤاسى :

ونحن أهلُ بَضيعٍ[5] يوم واجهَنا　　جيشُ الحصين طِلاعَ الخائفِ الكَزِمِ[6]
ساقوا شُعُوباً وعَنْسًا فى ديارِهمُ　　ورَجْلَ[7] خَثْعَمَ من سَهْلٍ ومن عَلَمِ[8]
مَنَّاهمُ مُنْيَةً كانت لهم كذباً　　إن المُنَى إنما يوجَدْن كالحُلُمِ
ولَّتْ رِجال بنى شَهْرانَ تتبَعُها　　خضراء يرمونها بالنَّبْل عن شَمَمِ
والزاعِبيَّةُ تَكفيهمْ وقد جعلَتْ　　فيهم نوافذَ لا يُرْقَأْنَ بالدُّسُمِ[9]

---

(١) خرص الرمح : سنانه ، وبخص عينه : أغارها (٢) زعم أنهم أخذوا امرأة عامر بن الطفيل (٣) شهران وناهس وأكلب كان عليهم أنس بن مدرك الخثعمى (٤) السنور : لبوس يلبس فى الحرب كالدروع ، أو هو جملة السلاح (٥) بضيع : جبل (٦) الكزم : كزم الرجل : هاب التقدم على الشىء (٧) رجل الرجل : فهو راجل ورجل والرجل أيضاً اسم جمع عند سيبويه وجمع عند غيره (٨) العلم : الجبل (٩) والزاعبية : رماح منسوبة إلى زاعب : رجل أو بلد ، والدسم : ما سدوا به الجراحات .

ظلّتْ يُحابِرُ تُدْعَى وسْطَ أرْحُلِنا والسْتَميتُونَ من حاء ومن حَكَمِ (١)
حتى تولّوا وقــد كانت غنيمتُهم طَعْنًا وضربًا عريضًا غير مُقْتَسَمِ

وقال عامر بن الطفيل (٢) :

أتَوْنَا بشَهْرَانَ العريضـةِ كلّها وأكْلُبِهاَ في مِثْلِ بكرِ بن وائلِ
فبتْنَا ومن يَنْزِلْ به مثـلُ ضيفنا يَبِتْ عن قِرَى أضيافه غيرَ غافِلِ
أعاذِلُ لو كان البَدَادُ (٣) لقُوتلوا ولـكنْ أتانا كلُّ جنٍّ وخابلِ (٤)
وخَثْعَمُ حَيٌّ يُعْدَلُونَ بمَذْحِجٍ وهل نَحنُ إلا مِثْل إحدى القبائل

وأسْرَع القتلُ في الفريقـين جميعاً ، فافترقُوا ، ولم يستقلّ بعضُهم عن بعضٍ غنيمةً ، وكان الصبرُ والشرفُ لِبَنى عامر .

---

(١) يحابر : مراد . وحاء : بطن من حكم (٢) فى رواية لبيد بن ربيعة (٣) يقال : جاءت الخيل بداد : متفرقة متبددة ، وقال حسان :

كنا ثمانية وكانوا جحفلا لجبا فشلوا بالرماح بداد

أى متبددين (٤) الخابل : ضرب من الجن .

(٩) يوم ظَهْر الدَّهْناء

كان أوسُ بن حارِثة بن لَأم الطَّائى سيِّدًا مُطاعاً فى قومه ، وجواداً مِقْدَاماً ، فوفد هو وحاتمُ الطَّائى على عَمْرو بن هند ، فدعا عمرو أوساً ، فقال له : أنت أفضلُ أم حاتِم ؟ فقال : أبيت اللعن ؛ إن حاتماً أوْحدُها وأنا أحدُها ، ولو ملكنى حاتم وولدى و لُحْمَتِى[١] لوَهَبنَا فى غَدَاةٍ واحدة ؛ ثم دعا عمرو حاتماً ، فقال له : أنت أفضلُ أم أوْس ؟ فقال : أبيتَ اللَّعْنَ ! إنما ذكرتَ أوساً ، ولَأحدُ ولده أفضلُ منى .

فاستَحْسَنَ ذلك منهما ، وحَباها ، وأكْرَمَهُمَا .

ثم إن وُفُودَ العرب من كل حىٌّ اجتمعت بعد ذلك عنـد النُّعْمَان بن المنذر ، وفيهم أوْس ، فدعا بحُلَّةٍ من حُلَل الملوك ، وقال للوفود : احْضروا فى غدٍ فإنى مُلبِسٌ هذه الحلَّةَ أكرمكم .

فلما كان الغدُ حضر القومُ جميعاً إلا أوساً ، فقيـل له : لِمَ تتخلَّفُ ؟ فقال : إن كان المرادُ غيرى فأجْمَلُ الأشياء بى ألَّا أكونَ حاضراً ، وإن كنتُ المرادَ فسأُطْلَبُ .

فلما جلس النعمان ، ولم يرَ أوْسًا ، قال: اذهبوا إلى أوس ، فقولوا له : احضر آمناً مما خِفْتَ ، فحضر فأُلبسَ الحُلَّةَ .

فحسده قومٌ من أهله ، فقالوا للحطيئة : اهجُه ولك ثلاثمائة ناقة . فقال : كيف أهْجُو رجلا لَا أرَى فى بيتى أثاثاً ولا مالاً إلّا منه ؟ ثم قال :

---

* لطيء على أسد . والدهناء: واد يشتمل على سبعة أجبل ويمر ببلاد بنى أسد .

ابن الأثير ص ٣٨٢ ج ١ ، قصص العرب ص ١٦٥ ج ١ ، بلوغ الأرب ص ٨٣ ج ١ ، الشعر والشعراء ص ٨٦ ، المختار من نوادر الأخبار (مخطوط)

(١) لحمة النسب بالفتح : الشابك منه ، واللحمة بالضم: القرابة .

كيفَ الهجاء وما تنفكُّ صالحةٌ   من أهل لأمٍ بظَهْرِ الغَيْبِ تأتينى

فقال لهم بشر بن أبى خازم(١) : أنا أهْجُوه لكم ، فأعْطَوهُ النُّوق ، وهَجاه فأفْحَشَ فى هجائه ، وذكر أُمه سُعْدَى ، فلما عرف أَوْس ذلك أغار على النُّوق فاكْتَسَحَها ، وطلبه فهرب منه ، والتجأ إلى بنى أسد عشيرته ، فمنعوه منه ورأَوا تسليمه إليه عاراً .

فجمع أوس قومه من طىّء(٢) ، وسار بهم إلى أسد(٣) ، فالْتَقَوْا بظَهْرِ الدَّهْناء ، فاقْتَتَلُوا قتالاً شديداً ، فانهزمت بنو أسد وقُتِلُوا قَتْلاً ذريعاً ، وهرب بِشر ، فجعل لا يأتى حيًّا يطلب جوارهم إلّا امْتَنع من إجارته على أوس .

ثم نزل على جندب بن حصن الكِلاَبى بأعلى الصَّمَّان(٤) ، فأرسل إليه أوس يطلب منه بِشْراً ، فأرسله إليه ، فلما قدم به على أوسٍ أشار عليه قومُه فدخل على أُمّه سعدى وقال : قد أتيتك بالشاعر الذى هجاكِ ، وقد آليتُ لأقتلنّه قِتْلَةً تحيَيْن بها ! قالت : يابنىَّ ؛ أو خيرٌ من ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قالت : إنه لم يجد له ناصراً منك ، ولا مُجيراً عليك ، وإنا قوم لا نرى فى اصْطِناع المعروف من بأس ؛ فبحقّى عليك إلا أطْلَقْتَهُ ، ورددتَ عليه إبله ، وأعطيته من مالك مثل ذلك ، ومن مالى مثله ، وأرجعه إلى أهله سالماً ، فإنهم أيسوا منه ؛ فإنه لا يغسلُ هجاءه إلا مدحُه .

فقبل ما أشارت به وخرج إليه ، وقال : يابشر ؛ ما تقول أنى فاعلٌ بك ؟ فقال :

إنى لأرجو منك ياأوسُ نعمةً   وإنى لِأُخرى منك ياأوسُ راهبُ
وإنى لأمْحُو بالذى أنا صادقٌ   به كلَّ ما قد قلتُ إذ أنا كاذب

---

(١) شاعر جاهلى من بنى أسد   (٢) طيء : من كهلان   (٣) أسد : بطن فى كنانة
(٤) الصمان : جبل فى بلاد بنى تميم .

فهل نافعى فى اليوم عندك أننى ... سأشكر إن أنعمتَ والشكرُ واجبُ
فدًى لابن سعدى اليوم كلُّ عشيرتى ... بنى أسد أقصاهمُ والأقاربُ
تداركنى أوس بن سعدى بنعمةٍ ... وقد أمكنَتْهُ من يدىَّ العواقبُ

فقال أوس : إن سعدى التى هجوتها قد أشارت بكذا وكذا ، وأمر بحلّ كتافه ، وحمله على فرس جواد ، وردَّ عليه ما كان أخذ منه ؛ وأعطاه من ماله مائةً من الإبل ، فرفع بشر يده إلى السماء وقال : اللهم أنت الشاهد على ألّا أعود إلى شعر إلا أن يكون مدحا فى أوس بن حارثة(١) .

(١) هذه رواية ابن الأثير . وفى بلوغ الأرب ص ٨٤ ج ١ ما خلاصته : إن بشراً غزا طيئاً ثم بنى نبهان فجرح وأخذ أسيراً فى بنى نبهان ، فخبئوه كراهية أن يبلغ أوساً ، وسمع أوس أنه عندهم فقال : والله لا يكون بينى وبينهم خير أبداً أو يدفعوه ، ثم أعطاهم مائتى بعير وأخذه منهم ، فجاء به وأدخله فى جلد كبش ثم تركه حتى جف عليه فصار فيه كأنه العصفور ، فبلغ ذلك أمه سعدى بنت حصين الطائية فخرجت إلى أوس وقالت : ما تريد أن تصنع ؟ فقال : أحرق هذا الذى شتمنا ، فقالت : قبح الله قوماً يسودونك ، أو يقتبسون من رأيك ! والله لكأنما أخذت به ، أما تعلم منزلته فى قومه ! خل سبيله وأكرمه ، فإنه لا يغسل عنك ما صنع غيره . فحبسه عنده ، وداوى جرحه ، وكتمه ما يريد أن يصنع به ، وقال : ابعث إلى قومك يفدونك ، فإنى قد اشتريتك بمائتى بعير . فأرسل بشر إلى قومه ، فهيئوا له الفداء ، وبادره أوس فأحسن كسوته ، وحمله على نجيبه الذى كان يركبه ، وسار معه حتى إذا بلغ غطفان ، جعل بشر يمدح أوساً بمكان كل قصيدة هجاه بها قصيدة ، وكان قد هجاه بخمس .

٤ـ أيام ربيعة (فيما بينها)

١ ــ حرب البسوس

حرب البسوس *

— ١ —

لما فَضّ كُليب(١) بن ربيعة جموع اليمن فى خَزَازى وهزَمَهم اجتمعت عليه معدٌّ(٢) كلُّها ، وجعلوا له قسم الملك وتاجَه ونجيبته وطاعتَه ، وغَبَرَ بذلك حيناً من دهره ، ثم دخلَه زَهوٌ شديد ، وبغَى على قومِه لما هو فيه من عزّة وانقيادِ معدّ له ، حتى بلغ من بغْيه ، أنه كان يحمى مواقع السحاب فلا يُرعى حِماه ، وإذا جلس

* وقعت هذه الحرب بين بكر وتغلب ابنى وائل ، وقد مكثت أربعين سنة ، وقعت فيها هذه الأيام :

يوم النهى (والنهى : ماء لبنى شيبان) لتغلب على بكر .
يوم الذنائب (والذنائب : موضع على طريق البصرة إلى مكة) لتغلب على بكر
يوم واردات (وواردات : موضع عن يسار طريق مكة إلى البصرة) لتغلب على بكر
يوم عنيزة (وعنيزة : موضع فى اليمامة) تكافئا .
يوم القصيبات (والقصيبات : موضع فى ديار بكر وتغلب) لتغلب على بكر
يوم تحلاق اللمم : (سمى بذلك لأن بنى بكر حلقوا فيه جميعاً رءوسهم) لبكر على تغلب

النقائض ص ٣ ٧٢ (طبع أوربا) ، الأغانى ص ٣٢ ج ٥ ، ابن الأثير ص ١٨٣ ج ١ ، مجمع الأمثال ص ٣٤٢ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣٤٨ ج ٣ ، معجم البلدان ص ١٣٩ ج ١ ، سرح العيون ص ٥٩ ، ٦١ ، ٩٩ ، شعراء النصرانية ص ١٥١ ، ١٦٠ ، ٢٤٦ ، ٢٧٠ ، خزانة الأدب ص ٤٢٥ ج ١

(١) كليب بن ربيعة : اسمه وائل وكليب لقبه ، ولد سنة ٤٤٠ م ونشأ فى حجر أبيه ودرب على الحرب ، ثم تولى رياسة الجيش : بكر وتغلب زمناً حتى قتله جساس بن مرة سنة ٤٩٤ (شعراء النصرانية)

(٢) قال هشام بن محمد بن السائب : لم تجتمع معد كلها إلا على ثلاثة رهط من رؤساء العرب ، وهم عامر بن الظرب يوم البيداء حين تمذحجت مذحج وسارت إلى تهامة وربيعة بن الحارث يوم السلان ، وكليب حين قاد جموع معد يوم خزازى .

لا يمر أحدٌ بين يديه إجلالاً له ، ولا يَحْتَبي أحد في مجلسه غيره ، ولا يُغير إلاّ بإذنه ، ولا تورَدُ إبلُ أحدٍ مع إبله ، ولا توقَدُ نار مع ناره ، ولم يكن بَكْريٌّ ولا تغلبي يُجير رجلا ولا بعيراً أو يحمى حِمًى إلا بأمره ، وكان يجير على الدَّهر فلا تُخْفَر ذِمَّتُه، وكان يقول : وحْشُ أرضِ كذا في جواري، فلا يُهاج ! وكان هوالذى يُنزِلُ القومَ منازلهم ويرحِّلهم، ولا ينزلون ولا يرحلون إلا بأمره ، وقد بلغ من عزّته وبَغْيه أنه اتخذ جرْوَ كَلْب ، فكان إذا نزل منزلا به كَلَأٌ قَذف ذلك الجرْوَ فيه فيَعْوِى ، فلا يرعى أحدٌ ذلك الـكَلَأَ إلا بإذنه ، وكان يفعلُ هذا بحياض الماء فلا يَرِدُها أحد إلا بإذنه أو من آذَن بحرب ؛ فضُرِبَ به المثلُ فى العزّ فقيل : أعزُّ من كليب وائل، وكان يحمى الصيد فيقول : صيدُ ناحيةِ كذا وكذا فى جوارى فلا يَصيدُ أحدٌ منه شيئاً (١) .

— ٢ —

وتزوَّجَ كليبٌ جليلةَ (٢) بن مُرَّةَ بن ذهل بن شيبان ، وكان لمرّة عشرة بنين:

---

(١) قيل : إنه مر يوماً بمرعى فيه قبرة وقد باضت،فلما رأته صرصرت وخفقت بجناحيها، فقال : من ردعك؟ أنت فى ذمتى، ثم أنشد :

يالك من قـبرة بمعمرى ... لا ترهبي خوفاً ولا تستنـكرى

معمر : اسم حمى كليب

قد ذهب الصياد عنك فأبشرى ... ورفع الفخ فماذا تحذرى ؟

خلا لك الجو فبيضى واصفرى ... ونقرى ما شئت أن تنقرى

فأنت جارى من صروف الحذر ... إلى بلوغ يومك المقـدر

(٢) كانت جليلة بنت مرّة من فضليات النساء فى عصرها ، ولما قتل زوجها كليب بسهم أخيها جساس ، كان خطبها حسيا ، وحيرتها عظيمة ، ولما أخرجت من بيت كليب بعد قتـله أقامت فى منزل أخيها جساس حتى قتل ، ثم تنقلت مع بنى شيبان قومها مدة حروبهم وتوفيت سنة ٥٣٨ م

جَسّاس[1] أصغرهم ، وكانت بنو جُشَم[2] وبنو شيبان تقيم فى دار واحدةٍ إرادةَ الجماعة ومخافة الفُرْقة .

وحدث أن كليباً دخل على امرأته جَليلة يوماً فقال لها : هل تعلمين على الأرض أَمْنَع منى ذِمّة ؟ فسكتت ، ثم أعاد عليها الثانية فسكتت ، ثم أعاد عليها الثالثة فقالت : نعم، أخى جسّاس ونَدْمانه[3] ابن عمـه عمرو المزدَلف[4] بن أبى ربيعة بن ذهل ابن شيبان .

فسكت كُلَيْب ومضت مدة ، وبينما هى تغسل رَأْسه وتسرّحه ذات يوم إذ قال لها : مَن أعزّ وائل ؟ قالت : أَخَواى جسّاس وهمّام[5]. فنزع رأسه من يدها وخرج.

وكانت لجسّاس خالة اسمها البسوس بنت مُنْقِذ[6]، جاءت ونزلت على ابن أختها جسّاس ، فكانت جارَة لبنى مرّة ، ولها ناقة[7] خَوّارة[8] ، ومعها فَصيل لها[9] ، فلما خرج كُلَيْب غاضباً من قول زَوْجه جليلة رأى فَصيلَ الناقة فرماه بقَوْسِه فقتله .

وعلمت بنو مُرّة بذلك، فأغمضوا على ما فيه وسكتوا ؛ ثم لقى كليب ابنَ البسوس فقال له : ما فعـلَ فَصِيلُ ناقتكم ؟ فقال : قتلتَه وأَخْليت لنا لبن أُمه ؛ وأغمضت بنو مرة على هذا أيضاً .

---

(١) كان جساس بن مرة فارساً شهماً أبيا ، وكان يلقب الحامى الجار ، المانع الذمار ، وهو الذى قتل كليباً كما هو مفصل فى تلك الحرب ، ولما نشبت الحرب سيره أبوه إلى الشام ، ولما علم به أعداؤه لحقوه فى سفره فالتقى بهم فى حرب أسفرت عن قتل أبى نويرة زعيم القوم الذين لحقوه ، وجرح جساس جرحا مات فى إثره سنة ٥٣٤م (٢) جشم : بطن فى تغلب وهم قوم كليب ، وشيبان بطن فى بكر وهم قوم جساس (٣) الندمان : الذى يرافقك على الشراب وقد يكون جمعا (٤) لقب بالمزدلف لأنه ألقى برمحه فى حرب فقال : ازدلفوا إليه (٥) كان همام أكبر أخوات أولاد مرة (٦) كانت من بنى تميم ، وضرب بها المثل فقالوا : « أشأم من البسوس » (٧) كانت اسمها سراب (٨) ناقة خوارة : رقيقة حسنة (٩) وفى بعض الروايات أن هذه الناقة كانت لرجل من بنى جرم اسمه سعد بن شميس، وأنه نزل بناقته على جساس.

ثم إن كليبًا أعاد القول على امرأته فقال : مَن أعزُّ وائل ؟ فقالت : أخَواى ! فأضْمَرَها فى نفسه وأسرّها وسكت، حتى مرَّت به إبل جسّاس وفيها ناقة البسوس، فأنكر الناقة ، ثم قال : ما هذه الناقة ؟ قالوا: لخالةِ جسَّاس . فقال : أوَبلغَ من أمْر ابن السَّعْدِيَّة (١) أن يُجيرَ علىَّ بغير إذنى ؟ ارْمِ ضَرعها ياغُلام ، فأخذ القوْس ورمى ضَرْعَ الناقة، فاختلط دَمُها بلبَنها .

وراحت الرُّعاة على جسَّاس فأخبروه بالأمر ، وولّت الناقة ولها عَجيج حتى بَرَكت بفِناَء البسوس ؛ فلما رأتْها صاحت: واذُلاَّه ! فقال لها جساس : اسكتى فلك بناقتك ناقةٌ أعظمُ منها ، فأبتْ أن ترضى حتى صاروا لها إلى عشر ؛ فلما كان الليل أنشأت تقول ـ تخاطب سعداً أخا جساس وترفع صوتَها تُسمع جساسًا :

أيا سعدُ لا تغرر بنفسك وارتحل ... فإنى فى قوم عن الجار أمْوَاتِ
ودونك أذْوادى إليك فإننى ... محاذرةٌ أنْ يغدروا ببنيَّاتى
لعمرك لو أصبحتُ فى دَارِ مُنْقِذٍ(٢) ... لما ضِيم سعدٌ وهو جار لأَبْياتى
ولكننى أصبحت فى دار معشرٍ ... متى يَعْدُ فيها الذئبُ يَعْدُو على شاتى(٣)

فلما سمعها جساس قال لها : اسكتى لا تُراعى : إنى سأقْتُل جَمَلًا أعظم من هذه الناقة ، سأقتل غَلاّلا(٤) !

— ٣ —

ثم ظَعَن ابنا وائل بعد ذلك ؛ فمرت بكرٌ على نِهْىٍ(٥) يقال له شُبَيْث، فنفاهم

(١) يريد جساسا (٢) منقذ : أبو البسوس وهو من تميم (٣) تسمى العرب هذه الأبيات الموثبات ، لأن البسوس لما أنشدتها أوغرت الصدور (٤) كان غلال فحل إبل كليب ، لم ير فى زمانه مثله ، وإنما أراد جساس بمقالته كليباً، وفى رواية كان اسمه : عليان ، وفى اللسان : بعير عليان : ضخم (٥) النهى : الغدير .

كُلَيب عنه وقال : لا يذوقون منه قَطْرة ، ثم مرّوا على نِهْى آخر يقال له الأحَص ، فنفاهم عنه وقال : لا يذوقون منه قطرة ، ثم مروا على بطن الجريب[١] فمنعهم إياه ، فمضوا حتى نزلوا الذّنائب[٢] ، واتّبعهم كليب وحَيُّه حتى نزلوا عليه ، فمرّ عليه جساس ومعه ابنُ عمه عمرو بن الحارث بن ذُهْل[٣] ، وهو واقفٌ على غدير الذنائب ، فقال له : طَرَدْتَ أهلَنَا عن المياه حتى كدتَ تقتلهم عطشًا ! فقال كليب : ما منعناهم من ماء إلا ونحن له شاغلون . فقال له : هذا كفِعْلِك بناقة خالتى ، فقال له : أوقد ذكرتَها ! أما إنى لو وجدتُها فى غير إبل مُرَّة[٤] لاستحللْتُ تلك الإبل بها ! أتراك مانِعى أن أذبّ عن حِمَاىَ ! فعطف عليه جَسَّاس فرسَه فطعَنه برُمْح فأنفذ حِضْنَيه[٥] .

فلما تداءمه[٦] الموت قال : ياجسَّاس ، اسقِنى من الماء . فقال : ما عقلْتُ استسقاءك الماءَ منذُ ولدَتْكَ أُمُّك إلا ساعتك هذه . فالتفت إلى عمرو وقال له : ياعمرو ، أغثنى بشَرْبة ماء ، فنزل إليه وأجْهَز عليه[٧] .

وأمال جساس يدَه بالفرس حتى انتهى إلى أهله على فرسه يركُضُه ، وقد بَدَتْ رُكبتاه ؛ ولما رأته أُختُه قالت لأبيها : إن ذا لَجساس أتى كاشِفاً ركبتاه ، فقال : والله ما خرجت رُكبتاه إلا لأمرٍ عظيم .

فلما جاء جساس قال له : ما وراءك يا بُنىَّ ؟ قال : ورائى أنى قد طعنتُ طعنةً لتشغلَنَّ بها شيوخُ وائل زمنا . قال : وما هى ؟ لِأُمِّك الويل ! أقتلتَ كليبا ؟ فقال : نعم ! فقال له أبوه : إذن نُسْلِمُك بجريرتك ، ونريق دمَك فى صلاح العشيرة ! والله

---

(١) الجريب : واد عظيم تجىء أعاليه من قبل اليمن (٢) الذنائب : موضع بنجد
(٣) فى الأغانى صفحة ٣٧ جزء ٥ : قال أبو برزة : فعطف عليه المزدلف عمرو بن أبى ربيعة فاحتز رأسه ، وأما مقاتل فزعم أن عمرو بن الحارث بن ذهل هو الذى طعنه فقصم صلبه (٤) مرة بن ذهل : أبو جساس (٥) الحضن : ما دون الإبط إلى الكشح (٦) تداءمه : ترا كم عليه
(٧) ضرب بهذا المثل فقيل :

المستجير بعمرو عند كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

لبئس مافعلت ! فرّقتَ جماعتك، وأطلت حربها، وقتلت سيدها فى شَارفٍ[(١)] من الإبل والله لا تجتمع وائل بعدها ، ولا يقوم لها عِماد فى العرب ، ولقد وددت أنك وإخوتك كنتم متم قبل هذا ، مابى إلا أن تتشاءمَ بى أبناء وائل ؛ فأقبل قومُ مرّة عليه وقالوا : لا تقل هذا ولا تفعل فيخذلوه وإياك ، فأمسك مرة ؛ فقال جساس :

تأهّبْ مثل أُهبة ذى كِفَاح ... فإنّ الأمرَ جلّ عن التّلاحِى[(٢)]
وإنى قد جنيتُ عليك حربًا ... تُغِصُّ الشيخَ بالمـاء القَرَاحِ
مذكّرَةً[(٣)] متى ما يَصْحُ منها ... فتى نشبَتْ بآخر غيرِ صَاحِ

* * *

تعدَّتْ تَغْلب ظُلْمًا علينا ... بلا جُرْم يُعَدُّ ولا جُنَاح
فلمـا أن رأينا واستَبَنَّا ... عُقَابَ البغىِ رافعةَ الجنَاحِ
صرفت إليـه نحسًا يوم سُوء ... له كأْسٌ من الموت المُتَاحِ

فلما سمع أبوه قال يجيبه[(٤)] :

فإن تكُ قد جنيتَ علىَّ حربًا ... تُغصُّ الشيخَ بالمـاء القَراح
جمعتُ بهـا يديك على كليب ... فلا وَكِلٌ[(٥)] ولا رَثٌّ السلاحِ
ولـكنى إلى العَلاَّتِ[(٦)] أجرى ... إلى الموتِ المُحيط مع الصَّبَاح
وإنى حين تَشْتَجِر[(٧)] العوَالى ... أعيـد الرمح فى إثْر الجِرَاح
شديد البأس ليس بذى عَياء ... ولـكنى أبوءُ إلى الفَلاَحِ

---

(١) الشارف من النوق : المسنة الهرمة (٢) التلاحى : المخاصمة والمقاولة (٣) مذكرة : شديدة (٤) قيل أخوه فضلة هو الذى قال ذلك (٥) وكل : عاجز (٦) بنو العلات : بنو رجل واحد من أمهات شتى (٧) تشتجر : تتداخل ، والعوالى : الرماح .

سألبس ثوبها وأذُبُّ عنها ... بأطرافِ العَوَالى والصِّفَاحِ (١)
فما يبقى لعزّته ذليلٌ ... فيمنعه من القدرِ المُتَاحِ
فإنى قد طربت وهاجَ شَوْقِى ... طِرادُ الخيل عارضَةَ الرِّماحِ
وأجملُ من حياةِ الذلِّ موتٌ ... وبعضُ العار لا يمحوه مَاحِ

— ٤ —

ولما قتل كليب اجتمع نساء الحىّ للمأتم ، فَقُلْنَ لأخت كليب : رحّلى جليلة عن مأتمك ، فإن قيامها فيه شماتةٌ وعار علينا عند العرب ، فقالت لها : ياهذه ! اخرجى عن مأتمنا ، فأنت أختُ واترنا وشقيقةُ قاتلنا ، فخرجت وهى تجرُّ أعطافها ؛ فقالت لها أخت كليب : رحْلَةُ المعتدى وفِراقُ الشامت ، ويل غداً لآل مرّة ، من الكرّةَ بعد الكرّة ! فبلغ قولُها جليلة فقالت : وكيف تَشمتُ الحرّة بهتْك سترِها ، وترقّب وِترْها ! أسعد الله جدّ أُختى ، أفلا قالت : نفرة الحياء وخوف الاعتداء ؟ ثم أنشأت تقول :

يابنةَ الأقوامِ إن شئتِ فلا ... تَعْجَلِى باللَّوْمِ حتى تسْأَلِى
فإذا أنت تبيَّنْتِ الذى ... يوجبُ اللَّومَ فلومِى واعذُلِى
إن تكن أُخْتُ امرىء ليمتْ على ... شَفَقٍ منها عليه فافعلِى
جلَّ عندى فعلُ جساس فيا ... حَسْرَتى عمّا انجلَتْ أوْ تنجَلِى
فِعلُ جسَّاسٍ علىَ وجْدِى به ... قاطعٌ ظهرى ومُدْنٍ أجَلِى
لو بعينٍ فُقِئت عينى سوى ... أختِها فانفقأت لم أحفِلِ

---

(١) الصفاح : السيوف العرض .

تحمل العينُ قَذَى العين كما ... تحمل الأمُّ أذى ما تفتلى (١)

ياقتيلاً قوَّضَ الدهرُ به ... سقفَ بيتىَّ جميعاً من علِ

هدمَ البيتَ الذى استحدثتُه ... وانثنى فى هدْمِ بيتى الأوّلِ

ورمانى قتلُه من كثَب ... رمْيَةَ المُصْمِى (٢) به المستأصِلِ

يانسائى دونكنَّ اليومَ قد ... خصَّنى الدهرُ برُزْءٍ مُعْضِلِ

خصّنى قتلُ كُلَيْب بلظًى ... من ورائى ولظًى مستقبِل

ليس مَن يبكى ليومَيْنِ كمن ... إنما يبكى ليومٍ ينْجَلى

يشْتَفِى المدركُ بالثّأر وفى ... درَكى ثأرىَ ثُكْلُ الثكلِ (٣)

ليته كانَ دَمِى فاحْتَلَبُوا ... بدلا منه دمًا من أكْحَلِى (٤)

إننى قاتلةٌ مقتولةٌ ... ولعلَّ الله أن يرْتَاحَ لِى

ولما ذهبت إلى أبيها مُرة قال لها : ما دراكِ ياجَليلة ؟ فقالت : ثُكل العدَد ، وحُزْنُ الأبد ، وفَقْدُ حليل ، وقتْلُ أخٍ عن قليل ، وبين ذين غرْسُ الأحقاد ، وتفتّت الأكباد ، فقال لها : أوَيكفُّ ذلك كرمُ الصَّفح وإغلاء الديات ؟ فقالت : أُمْنِيَّة مخدوع وربّ الكعبة ! أبا لبُدْن تدَعُ لك تَغْلِب دَمَ ربِّها !

— ٥ —

وكان همام بن مرّة يُنَادِم المهلهل أخا كليب وعاقدَه ألّا يكتُمَه شيئاً . فلما ظعن مُرّة بأهله أرسل إلى ابنه همام فرسَه مع جارية ، وأمره أن يظعَن ويلحق بقومه .

وكانا جالسين ، فمرَّ جساس يركض به فرسه مُخرِجاً فَخِذيه ، فقال همام : إنَّ له لأمراً ، والله ما رأيتُه كاشفًا فخذيه قط فى ركْض ؛ ولم يلبث إلا قليلا حتى انتهت

---

(١) تفتلى : تربى (٢) من كثب : من قرب ، وأصماه : قتله فى مكانه (٣) الثكل : التى لازمها الحزن (٤) الأكحل : عرق فى الذراع يفصد ؛

الجارية إليهما ، وهما مُعتزلان فى جانب الحىّ . فوثب همام إليها ، فسارّته أن جساساً قَتل كليباً ، وأن أباه قد ظعن مع قومه؛ فأخذ همام الفرس وربطه إلى خيمته ورجع ، فقال له المهلهل : ما شأنُ الجارية والفرس ؟ وما بالُك ؟ فقال : اشرب ودَعْ عنك الباطل ! قال : وما ذاك ؟ فقال : زعمت أنْ جسَّاسا قتلَ كُلَيْبًا ؛ فضحك المهلهلُ وقال : هِمَّةُ أخيك أضعفُ من ذلك ، فسكت .

ثم أقبلا على شرابهما ، فجعل مهلهلٌ يشربُ شُرْبَ الآمن ، وهو يقول :

دَعينى فما فى اليوم مَصْحًى لشارب ... ولا فى غدٍ ، ما أقربَ اليومَ من غدِ

دَعينى ، فإنى فى سَمَادِير[1] سكرة ... بهـا جلَّ همّى ، واستبان تجلُّدِى

فإن يطلعِ الصبحُ المنيرُ فإننى ... سأغدو الهوينى غـير وان ، مفرّد

وأصبحُ بكراً غارة صيلميّة[2] ... ينال لَظَاها كلَّ شيخ وأمرد

وهمّام يشرب شربَ الخائف ، ولم تلبث الخمر أن صرعت مهلهلا ، فانسلَّ همام وأتى قومه من بنى شيبان ، وقد قوَّضُوا الخيام ، وجمعوا الخيل والنَّعَم ، ورحلوا حتى نزلوا بماء يقال له النِّهى .

ورجع المهلهل إلى الحىّ سكران ، فرآهم يَعقِرُون خيولهم ، ويكسرون رماحهم وسيوفَهم ، فقال : ويحكم ! ماالذى دهاكم ؟ فلما أخبروه الخبر قال : لقد ذهبتُم شرَّ مَذْهب ، أتعقرون خيولكم حين احتجتُم إليها ؟ وتكسرون سلاحكم حين افتقرتُم إليه !

فانتهوا عن ذلك ، ورجع إلى النساء فنهاهُنَّ عن البُكاء وقال : استبقِين للبكاء عيونًا تبكى إلى آخر الأبد .

(١) السمادير : شىء يتراءى للإنسان من ضعف بصره عن السكر، وغشى الدوار (٢) الصيلمية : نسبة إلى الصيلم وهو السيف ، أى غارة شديدة .

ولما أصبح غدا إلى أخيه فدفنه ، وقام على قبره يرثيه ويقول :

أهاجَ قذاةَ عيني الادِّكار هدوءاً فالدموعُ لها انحدارُ[١]
وصار الليـــل مشتملاً علينا كأن الليلَ ليسَ له نهـــارُ
وبتُّ أراقبُ الجوْزاءَ حتى تقارَبَ من أوائلها انحدارُ[٢]
أصرِّف مقلتى فى إثْر قومٍ تبايَنَت البـلادُ بهم فغارُوا[٣]
وأبكى والنجوم مطلَّات كأن لم يحوِها عنى[٤] البُخَار
على من لو نُعِيتُ وكان حيًّا لقاد الخيـــل يحجُبها الغبارُ
دعوتُكَ يا كليبُ فلم تجبنى وكيفَ يُجيبنى البـلدُ القفارُ
أجبنى يا كليب خلاكَ ذَمٌّ لقد فُجِعَتْ بفارسها نزَارُ
سقاكَ الغيثُ إنكَ كنتَ غيثاً ويُسراً حين يُلْتَمَسُ اليسارُ
أبَتْ عيناى بعدك أن تـكُفَّا كأن غضَا القتادِ لهـا شِفارُ[٥]
وإنكَ كنتَ تحلمُ عن رجال وتعفو عنهم ، ولك اقْتِدَارُ
وتمنعُ أن يمسَّهمُ لسانٌ مخافةَ من يُجيرُ ولا يُجارْ
وكنتُ أعدُّ قُرْبى منك رِبحا إذا ما عَدَّتِ الرِّبحَ التِّجارُ
فلا تبْعُد ، فـكلٌّ سوف يَلْقَى شَعُوبًا يستديرُ بها المَدارُ[٦]
يعيش المرء عنـــد بنى أبيهِ ويوشكُ أنْ يصيرَ بحيثُ صاروا
أرى طولَ الحياةِ وقد تولَّى كما قد يُسْلَبُ الشيء المُعارُ

---

(١) الادكار : التذكر ، وهدوءا : هدأة من الليل (٢) الجوزاء : من نجوم السماء ، ولا يكون انحداره إلا فى آخر الليل (٣) غاروا : غربوا عن العين واختفوا
(٤) فى رواية : * كأن لم تحوها عنى البحار * (٥) غضاالقتاد : شوكه ، والشفار : أصول منبت شعر الأجفان (٦) شعوب: المنية ، ومدار الدهر : ما يجرى عليه، وهنا يعني الدهر الذي يدور بالشعوب .

كأنى إذ نعى النَّاعِى كُليبًا ... تطاير بين جنبىّ الشّرَارُ

فدُرتُ وقد عَشَا[١] بصرى عليه ... كما دارت بشاربها العُقَارُ[٢]

سألتُ الحىّ أين دفنتُموه ... فقالوا لى بسفح الحىّ دارُ

فسِرْتُ إليه من بلدى حثيثاً ... وطار النَّوْمُ وامتنع القَرَارُ

وحادت ناقتى عن ظل قبرٍ ... ثوَى فيه المكارمُ والفخَارُ

لدى أوطانِ أرْوع[٣] لم يشنْهُ ... ولم يَحْدُثْ له فى الناس عارُ

أتغْدُو يا كليبُ معى إذَا مَا ... جبَانُ القوم أنْجاهُ الفرارُ[٤]

أتغْدُو يا كليب معى إذا ما ... حُلُوقُ القوم يَشْحَذُهَا الشِّفار[٥]؟

أقول لتَغْلب والعزّ فيها : ... أثيروها ! لذلِكُمُ انْتِصَارُ

تتَابعَ إخوتى ومضَوْا لأمرٍ ... عليه تتَابعَ القومُ الخِيارُ[٦]

خُذِ العهْدَ الأكيد علىّ عمرى ... بتركى كلّ ما حوتِ الديارُ

وهجْرِى الغَانِياتِ وشُرْبِ كأس ... ولبسى جبَّةً لا تُستْعار

ولست بخالع دِرْعِى وسيفى ... إلى أن يخلعَ الليلَ النهارُ

وإلّا أن تبيد سَرَاةُ بكرٍ ... فلا يبقى لها أبداً أثارُ

وما زال المهلهل يبكى أخاه ويندبه ، ويرثيه بالأشعار ، وهو يجترئُ بالوعيد لبنى مرّة ، حتى يئِس قومه ، وقالوا : إنه زِير[٧] نساء ، وسخرتْ منه بكر ، وهَمّتْ بنو مرّة بالرجوع إلى الحِمَى ، وبلغ ذلك المهلهل فانْتَبهَ للحرب ، وشمّرَ ذِراعيه

---

(١) العقار : الخمر (٢) عشى : من باب رضى ودعا (٣) الأروع : الشجاع القوى

(٤) أى فى الحرب (٥) الشفار : جمع شفرة وهي السكين والنصل (٦) فى رواية الحسار ، والحاسر : من لا مغفر له ولا درع ولا جنة (٧) زير نساء : يحب محادثة النساء أو مجالستهن بغير شر أو به .

وجمع أطرافَ قومه ، ثم جزَّ شعره ، وقصّر ثوبه ، وآلى على نفسه ألّا يهتم بلَهْو ، ولا يشمَّ طيباً ، ولا يشرب خمراً ، ولا يدَّهِن بدهن حتى يقتلَ بكل عضوٍ من كُليب رجلا من بنى بكر بن وائل .

— ٦ —

وحثّ بنى تغلب على الأَخْذِ بالثَّأْر ؛ فقال له أكابر قومه : إننا نرى ألا تَعْجَل بالحرب حتى تُعذِر إلى إخواننا ، فبالله ما تجدعُ بحرْبِ قومك إلا أنفك ، ولا تقطع إلا كفّك ! فقال : جدعه الله أنفاً ، وقطعها كَفّاً ، والله لا تحدّثت نساء تغلب أنى أكلتُ لكليب ثمناً ، ولا أخذتُ لهدِيَةً ، فقالوا : لا بد أن تغضّ طرْفك وتخفض جناحك لنا ولهم ؛ فكرِه المهلهل أن يخالفهم فَيَنفَضّوا من حوله ، فقال : دونكم ما أردتم .

وانطلق رَهْطٌ من أشرافهم وذوى أسنانهم حتى أتوا مُرَّةَ بن ذُهْل فعظَّموا ما بينهم وبينه ، وقالوا له : إنكم أتيتم أمراً عظيما بقتْلكم كليباً بنابٍ من الإبل ، وقطعتم الرَّحِم ، ونحن نكره العَجَلة عليكمْ دون الإعْذار ، وإننا نعرض عليكم إحدى ثلاث، لكم فيها مخرج ولنا مَرْضاة :

إما أن تدفعوا إلينا جسّاساً فنقتله بصاحبنا ؛ فلم يَظْلم مَن قتلَ قاتِلَه ؛ وإما أن تدفعوا إلينا همامًا فإنه ندّ لكليب ، وإما أن تقِيدَنا من نفسك يامرّة ، فإن فيك رضا القوم .

فسكت ـ وقد حضَرَتْهُ وجوه بنى بكر بن وائل ـ فقالوا : تكلَّم غيرَ مخذول ، فقال : أمّا جساس فغلامٌ حديثُ السنّ ركِب رأسه ، فهرَب حين خاف ، فوالله ما أدرى أىّ البلاد انطوت عليه . وأما همام فأبُو عشرة وأخو عشرة ، ولو دفعته إليكم لصيّح[١] بنُوه فى وجْهى وقالوا : دفعت أبانا للقتل بجَرِيرة غيره . وأما أنا

(١) صيح الرجل : بالغ فى الصياح .

فلا أتعجَّل الموت، وهل تزيدُ الخيل على أن تجول جَوْلة فأكون أول قتيل ! ولكنْ هل لكم فى غير ذلك ؟ هؤلاء بنىّ فدونكم أحدهم فاقتلوه ، وإن شئتم فلكم ألفُ ناقة تَضمَنُها لكم بكرُ بنُ وائل .

فغضبوا وقالوا : إنا لم نَأتِكَ لِتُرْذِل(١) لنا بنيك ، ولا لتسومَنا اللَّبنَ . ورجعوا فأخبروا المهلهل ، فقال : والله ما كان كليبٌ بجَزُور نأكل له ثمنًا .

واعتزلت قبائلُ من بكر الحرب، وكرهوا مساعدةَ بنى شيبان ومُجامَعتهم على قتالِ إخوتهم، وأعظموا قَتْل جساس كليبًا بنابٍ من الإبل ، فظَعَنت عِجْل عنهم ، وكفّت يَشْكُر عن نُصْرَتِهم ، ودعت تغلب النمر(٢) بن قاسط فانضمَّت إليها ، وصاروا يداً معهم على بكر، ولحقت بهم عقيل بنت قاسط .

وكان الحارث(٣) بن عبّاد بن ضبيعة من قيس بن ثعلبة من حكّام بكر وفُرْسانها المعدودين ، فما عَلِم بمَقْتَل كليب أعْظَمَه ، واعتزل بأَهْله وولَد إخوته وأقاربه ، وحلّ وتر قَوْسِه ، ونزع سِنان رُمْحه ، فقال سعد(٤) بن مالك يعرّض به :

يا بُؤسَ للحرب التى وَضعت أراهط فاسْتراحوا(٥)
والحربُ لا يبقى لجا حمها التَّخَيُّل والمِراحُ(٦)
إلا الفتى الصّبار فى النّـ جَدات والفرسُ الوَقَاح(٧)

---

(١) ترذل : تعطينا رذال بنيك (٢) النمر من قاسط: بطن فى ربيعة (٣) انتهت إمرة بنى ضبيعة إلى الحارث وهو شاب ومات نحو سنة ٥٠ ق هـ (٤) هو سعد بن مالك بنُ ضبيعة من بكر بن وائل ، كان أحد سادات بكر بن وائل وفرسانها وله شعر جيد سائر

(٥) وضعت : حطت وأسقطت ، وأراهط : جمع أرهط وهو جمع رهط ، والرهط عدد يجمع من الثلاثة إلى العشرة (٦) جاحمها : مثيرها ، والتخيل : التكبر ، والمراح : النشاط ، أى أن الحرب تكفف حدة البطر النشيط ، وهو تعريض بالحارث (٧) الصبار : مبالغة صابر ، والنجدة: الشدة ، والوقاح : الفرس الذى حافره صلب شديد .

بئس الخلائف بعــدنا أولاد يشكر واللقاح(١)
من صدّ عن نيرانها فأنا ابن قيس لا براح(٢)
الموت غايتنا فــلا قصر(٣) ولاعنه جماح(٤)
وكأنمــا ورد المنيّــة عنــدنا ماء وراح

— ٧ —

ووقعت الحرب بين الحيين ، وكانت وقعات مزاحفات يتخللها مغاورات(٥) ، وكان الرجل يلقى الرجل والرجلان الرجلين وهكذا ، وأوّل وقعة كانت على ماء لهم يقال له النهى(٦) كان بنو شيبان نازلين عليه ، ورئيس تغلب المهلهل ورئيس شيبان الحارث بن مرّة فكانت الدائرة لتغلب ، وكانت الشوكة فى شيبان ، واستحرّ(٧) القتال فيهم ، إلا أنه لم يقتل فى ذلك اليوم أحد من بنى مرّة .

ثم التقوا بالذنائب فظفرت بنو تغلب وقتلت بكر مقتلة عظيمة ، ثم التقوا بواردات فظفرت بنو تغلب ، وكان جسّاس بن مرة وغيره طلائع قومهم وأبو نويرة التغلبى طلائع قومهم أيضاً ، فالتقوا بعض الليالى فقال له أبو نويرة : اختر إمّا الصراع أو الطعان ، أو المسايفة(٨) ، فاختار جسّاس الصراع فاصطرعا ، وأبطأ كلّ واحد منهما على أصحاب حيّه ، وطلبوهما فأصابوهما وهما يصطرعان ، وقد كاد جسّاس يصرعه ، ففرّقوا بينهما .

---

(١) أى إذا ذهبنا وبقيت يشكر وحنيفة ، فبئس الخلائف هم منا ، لا يحمون حريماً ، ولا يأبون ضيما ، وكانت بنو حنيفة تلقب باللقاح ؛ لأنهم لم يدينوا لملك ، وهو يذم الحيين معا

(٢) لا براح : لا ريب (٣) القصر : الحبس (٤) الجماح : الهرب (٥) يقال غاور القوم إذا أغار بعضهم على بعض (٦) فى ترتيب هذه الأيام خلاف بين المؤرخين فاخترنا رواية نرجحها (٧) استحر القتال : اشتد (٨) تسايفوا : تضاربوا بالسيوف .

ثم التقوا بعُنَيزَة فتكافأ الحيّان ، ثم التقوا بالقُصيْبات وكانت الدائِرَةُ على بكر وقُتِل فى ذلك اليوم همّام بن مرّة أخو جساس ، فمرّ به مُهلْهل مقتولا فقال له : والله ما قُتِلَ بعد كليب قتيلٌ أعزُّ علىَّ فقداً منك(١) .

— ٨ —

ثم كانت بينهم مُعاوَدة ووقائع كثيرة ، كلُّ ذلك كانت الدائرةُ فيها لبنى تغلب ، وفى ذلك يقول المهلهل ـ يصفُ الأيام وينعاها على بكر :

أليلتَنا بذى حُسُمٍ أنيرى ... إذا أنتِ انقضَيْتِ فلا تَحُورِى(٢)

فإن يكُ بالذَّنائب طال لَيْلِى ... فقد أبكى مِن الليلِ القصيرِ(٣)

وأنقذنى بياضُ الصبح منها ... لقد أُنْقِذْتُ من شرٍّ كبير

كأن كواكب الجوزاء عُوذٌ ... مُعطَّفَةٌ على رُبَعٍ كَسِير(٤)

كأن الجدْىَ فى مَثْناةِ رِبْقٍ ... أسيرٌ أوْ بمنزلة الأسير(٥)

كأن النجمَ إذ ولّى سُحَيْرًا ... فِصَالٌ جُلْنَ فى يومٍ مَطِير(٦)

---

(١) قتله ناشرة ، وكان عند همام لقيطا ، فلما شب تبين أنه من بنى تغلب ، فلما التقوا بالقصيبات جعل همام يقاتل ، فإذا عطش رجع إلى قربة فشرب منها ثم وضع سلاحه ، فوجد ناشرة من همام غفلة ، فشد عليه فأقصده فقتله ولحق بقومه وفى ذلك يقول باكى همام :

لقد عيل الأقوام طعنة ناشره ... أناشر زالت عينك آشره

ثم قتل ناشرة رجل من بنى يشكر (لسان مادة نشر) (٢) ذو حسم : موضع بالبادية ، وتحورى : ترجعى (٣) الذنائب : الموضع الذى دفن فيه كليب ، قال أبو على القالى فى شرح هذا البيت : يقول : إن كان طال ليلى بهذا الموضع لقتل أخى ، فقد كنت أستقصر الليل وهو حى

(٤) العوذ : الحديثات النتاج واحدتها عائذ ، والربع : ما نتج فى الربيع . يقول : كأن كواكب الجوزاء نوق حديثات النتاج عطفت على ربع مكسور فهى لا تتركه (٥) المثناة : الحبل المثنى ، والربق : الحبل ، والجدى : نجم فى السماء ، يقول : كأن الجدى قد شد بحبل مثنى فهو أحكم لشده

(٦) شبه النجم بالفصال فى يوم مطير لبطئها ، وذلك أن الفصيل يخاف الزلق فلا يسرع .

كواكبُها زواحفُ لاغباتٌ ... كأن سماءها بيدىْ مُدِيرِ (١)

فلو نُبش المقابرُ عن كليبٍ ... فيُخْبِرَ بالذنائب أىُّ زِيرِ (٢)

بيوم الشَّعْثَمَيْنِ لقرَّ عيْناً ... وكيف لقاءُ مَنْ تحتَ القبورِ (٣)

وإنى قَدْ تركتُ بوارِداتٍ ... بُجيراً فى دمٍ مثلِ العَبِيرِ (٤)

هتكتُ به بيوتَ بنى عُبَادٍ ... وبعض القتلِ أشفى للصدور

وهَمَّامُ بن مُرَّةَ قد تركنا ... عليه القَشْعَمَيْنِ من النُّسُورِ (٥)

قتيلٌ ما قتيلُ المرءِ عمرٍو ... وجسّاس بن مرة ذو ضرير (٦)

على أن ليس عدلا من كليب ... إذا رَجَفَ العِضاهُ من الدَّبُورِ (٧)

على أن ليس عَدْلًا من كُليب ... إذا طُرِدَ اليتيمُ عن الجَزُورِ

على أن ليس عدلاً من كليب ... إذا ما ضِيمَ جيرانُ المُجيرِ

على أن ليس عدلاً من كليبٍ ... إذا خِيفَ المَخُوف من الثُّغُور

على أن ليس عدلا من كليب ... غداةَ بَلَابِلِ الأمْرِ الكبيرِ (٨)

على أن ليس عدلا من كليب ... إذا هبَّتْ رياحُ الزمهرير

على أن ليس عدلا من كليب ... إذا وثب المثار على المثير

---

(١) الزواحف : المعيبات ، وكذلك اللاغبات ، يقول : كأن سماءها أثقل مَن أن يديرها مُدير

(٢) الزير : تبع النساء ، وكذلك كان يعرف المهلهل (٣) الشعثمان : موضع . وقال بعضهم : هما شعثم وعبد شمس قتلهما مهلهل يوم واردات (٤) بجير هو ابن أخى الحارث ، وهذا يدل على أن بجيراً قد قتل قبل ذلك ، وهو رأى صاحب الأغانى (٥) القشعم : الهرم من النسور ويروى : عليه القشعمان من النسور ، فمن رفع جعله حالا ، كأنه قال : وعليه القشعمان من النسور وجاز حذف الواو لأن الهاء التى فى «عليه» تكفى لربط الكلام بأوله (٦) عمرو : هو الذى عاون جساساً على قتل كليب ، وذو ضرير : صاحب مشقة على العدو (٧) رجف : تحرك ، والعضاه : كل شجر له شوك (٨) البلابل : الاضطراب.

على أن ليس عدلا من كليب إذا برزت مُخَبَّأَةُ الخدورِ
على أن ليس عدلا من كليب إذا عَلنت نَجِيَّاتُ الأمور
وتسألنى بديلة عن أبيها ولم تعلم بديلةُ ما ضميرى
فلا وأبى بديلة ما أفأنا من النَّعَمِ المؤبَّلِ من بَعِيرِ (١)
ولكنا طعنَّا القومَ طَعْنًا على الأثباج منهم والنحور (٢)
نَكُبُّ القوم للأذقان صرعى ونأخذ بالترائب والصدور
فدًى لبنى شقيقة يوم جاءُوا كأُسْدِ الغاب لجَّت فى الزَّئير
تركنا الخيل عاكفةً عليهم كأن الخيلَ تَدْحَضُ فى غَدير (٣)
كأنَّا غُدْوَةً وبنى أبينا بجنب عُنيزةٍ رَحَيَا مُدير
ولولا الرِّيح أسمعَ أهلَ حِجْرٍ صليلَ البَيْضِ تُقْرَعُ بالذكور (٤)

— ٩ —

ثم إن تغلب جعلت تطلب جساسا أشدَّ الطلب ، فقال له أبوه مُرَّة : الْحَقْ بأخوالك بالشام ، فامتنع ، فألحّ عليه أبوه فسيَّره سرًّا فى خمسة نفر ، وبلغ الخبرُ مهلهل ، فندب أبا نويرة ومعه ثلاثون رجلاً من شُجْعان أصحابه، فساروا مُجِدِّين ، فأدركوا جسّاسا فقاتلَهم ، فقُتِل أبو نويرة وأصحابُه ولم يَبْقَ منهم غيرُ رجلين ، وجُرِح جسَّاس جُرْحًا شديداً مات منه، وقُتل أصحابه فلم يسلم غير رجلين أيضاً ، فعاد كلٌّ واحد من السالمين إلى أصحابه .

---

(١) أفأنا : رجعنا : والنعم : الإبل ، والمؤبلة : الكثيرة ، وفى رواية : جليلة
(٢) الأثباج : الأوساط (٣) عاكفة : مقيمة ، تدحض : تزلق (٤) حجر : قصبة اليمامة ، وحروبهم كانت بالجزيرة ، والصليل : الصوت. قال أبو على القالى : هذا أول كذب سمع فى الشعر .

فلما سمع مرّة بقتل ابنه جسَّاس قال: إنما يحزُننى أن كان لم يقتل منهم أحداً ، فقيل له: إنه قتَل بيده أبا نويرة رئيس القوم ، وقتل معه خمسة عشر رجلاً ما شركه أحدٌ منَّا فى قتلهم ، وقتَلَنَا نحن الباقين ، فقال: ذلك مما يسكِّن قلبى عن جسَّاس[1].

فلما قُتل جسَّاس أرسل أبوه مرّة إلى مهلهل: إنك قد أدركتَ ثأرك وقتلتَ جسّاسا فاكْفُفْ عن الحرب ، ودَع اللَّجاج والإسراف ، فهو أصْلَحُ لِلْحَيَّيْن وأنكأ لعدوِّهم ، فلم يُجب إلى ذلك .

ثم إن بنى بكر اجتمعوا إلى الحارث بن عبَّاد ، وقالوا له: قد فَنِىَ قومُك! فأَرْسَلَ بُجيرا ابنَ أخيه إلى مهلهل وقال له: قل له: إنى قد اعتزلتُ قومى لأنهم ظلموك ، وخلَّيْتُك وإياهم ، وقد أدركتَ ثأرك وقتلتَ قومك . فأتاه بجير فهمّ

---

(١) وروى صاحب الأغانى وابن الأثير رواية أخرى فى قتل جساس: « لما رجعت جليلة أقامت عند أخيها جساس ، ثم ولدت غلاماً — من كليب — سمته الهجرس ، فرباه جساس وكان لا يعرف أبا غيره وزوجه ابنته ، فوقع بين الهجرس ورجل من بكر كلام ، فقال البكرى: ما أنت منته حتى نلحقك بأبيك ، فأمسك عنه ودخل إلى أمه حزيناً ، ولما أوى إلى فراشه ونام إلى جنب امرأته وضع أنفه بين ثدييها ، فتنفس تنفسة تنفط ما بين ثدييها من حرارتها ، فقامت الجارية فزعة حتى دخلت على أبيها ، فقصت عليه قصة الهجرس فقال جساس: ثائر ورب الكعبة! وبات جساس قلقاً حتى أصبح ، فأرسل إلى الهجرس فأتاه فقال له: إنما أنت ولدى ومنى بالمكان الذى علمت ، وقد زوجتك ابنتى ، وقد كانت الحرب فى أبيك زماناً طويلا حتى كدنا نتفانى ، وقد اصطلحنا وتحاجزنا ، وقد رأيت أن تدخل فيما دخل فيه الناس من الصلح ، وأن تنطلق حتى نأخذ عليك مثل ما أخذ علينا وعلى قومنا ، فقال الهجرس: أنا فاعل ، ولكن مثلى لا يأتى قومه إلا بلأمته وفرسه ، فحمله جساس على فرس ، وأعطاه لأمة ودرعاً ، فخرجا حتى أتيا جماعة من قومهما فقص عليهم جساس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا إليه من العافية ، ثم قال: وهذا الفتى ابن أختى قد جاء ليدخل فيما دخلتم ، ويعقد ما عقدتم ، فلما قربوا الدم وقاموا إلى العقد أخذ الهجرس بوسط رمحه ، ثم قال: وفرسى وأذنيه ، ورمحى ونصليه وسيفى وغراريه لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر إليه ، ثم طعن جساساً فقتله ثم لحق بقومه ، فكان جساس آخر قتيل فى بكر بن وائل »
الأغانى ص ٦١ ج ٥ ، ابن الأثير ص ٣٢١ ج ١

المهلهل بقَتْله ، فقال له امرؤ القيس بن أبان ـ وكان من أشراف بنى تَغْلب وكان على مقدمتهم زَمناً : لا تفعلْ ، فو الله لئن قتلته ليقتلنّ به منكم كبش ، لا يُسْأَل عن خاله مَنْ هو؟ وإياك أن تحقر البَغْى، فإنّ عاقبتَه وخيمة، وقد اعتزَلنا عمُّه وأبوه وأهلُ بيته. فأبى مهلهل إلا قتْلَه، فطعنه بالرمح وقتله وقال له : « بُؤْ بِشِسْعِ نَعْلِ كليب » !

فلما بلغ قتلَه الحارث ـ وكان من أحْلَم أهــل زمانه وأشدهم بأساً ـ قال : نعم القتيلُ قتيلٌ أصلح بين ابنى وائل ! فقيل له : إنما قتله بشِسْعِ نَعْلِ كُليب ، فلم يقبل ذلك .

وأرسل الحارث إلى مهلهل: إن كنت قتلتَ بُجيرا بكليب ، وانقطعت الحربُ بينكم وبين إخوانكم فقدطابت نفسى بذلك . فأرسل إليه مهلهل : إنماقتلتُه بشِسْعِ نعل كليب ! فغضب الحارث ودعا بفرسه ـ وكانت تسمى النّعامة ـ فجزّ ناصيتها وهَلَب[1] ذَنَبها ، ثم قال :

كلُّ شىء مصيره للزّوال ‏ غيرَ ربى وصالح الأعمال

وترى الناس ينظرون جميعًا ‏ ليس فيهم لذاك بعضُ احتيال

قل لأم الأغرّ تبكى بُجيرا ‏ ما أتى الماءُ من رءوس الجبال

لهفَ نفسى على بُجير إذا ما ‏ جالت الخيلُ يوم حَرْبٍ عُضَال

وتَساقى الكُماة[2] سُمًّا نقيعا ‏ وبدا البيض من قِبَاب الحِجَال

وسعَتْ كلُّ حُرّةِ الوَجْهِ تدعو ‏ يا لَبَكْر ! غرّاء كالتمثال

يا بجير الخيرات لا صُلْح حتّى ‏ نملأ البيد من رُءوس الرجال

وتقرّ العيون بعْدَ بُكاها ‏ حين تَسْقِى الدِّما صدورَ العوالى

(١) هلب الفرس : نتف هلبه ، والهلب : الشعر كله ، وقيـل فى الذنب وحده

(٢) الكماة : جمع كمي ، وهو الشجاع .

أَصْبَحَتْ وائلٌ تعجّ من الحر ... بِ عَجيج الجمَال بالأثقالِ
لا بجير أغنى قتيلاً ولا رهـ ... ـط كليب تزاجروا عن ضلال
لم أكن من جُنَاتها ـ علم الله ... وإنى بحرّها اليوم صَالِ
قد تجنبتُ وائلا كى يُفيقوا ... فأبَتْ تَغلبٌ علىّ اعتزالى
وأشابُوا ذؤابتى ببُجير ... قتَلُوه ظُلْماً بغير قتال
قتلوه بشِسْع نَعْلِ كُلَيْب ... إنّ قتل الكريم بالشِّسْع غَالِ
يا بنى تغلب خذوا الحذر إنا ... قد شربنا بكاس مَوْتٍ زُلَال
يا بنى تغلب قتلتُم قتيلاً ... ما سمعنا بمثله فى الخوالى
قرّبا مَرْبط النّعامة[1] منى ... لقحَت حرب وائل عن حِيَال[2]
قرّبا مَرْبط النّعامة منى ... ليس قولى يرادُ لكنْ فعالِى
قرّبا مَربط النّعامة منى ... جَدّ نَوْحُ النِّساء بالإعوال
قربا مَرْبط النعامة منى ... شابَ رأسى وأنكرتني الْعَوالى
قرّبا مَرْبط النعامة منى ... لِلسُّرى والغُدُوّ والآصال
قرّبا مربط النّعامة منى ... طال ليلى على الليالى الطوال
قرّبا مربط النعامة منى ... لاعْتِناق الأبطال بالأبطال
قرّبا مَرْبط النعامة منى ... واعدلا عن مقالَةِ الجُهّال
قربا مَرْبط النعامة منى ... ليس قلبى عن القِتال بسالِ
قربا مَرْبط النعامة منى ... كلما هبّ ريح ذَيْل الشّمال

(١) النعامة : فرس الحارث ، وأصل اللقاح : الحمل ، وعن بمعنى بعد ، وحيال : مصدر حالت الأنثى إذا لم تحمل ، والمراد أن حرب وائل هاجت بعد سكون .

قرّبا مَرْبط النعامة منى　　لبُجيرٍ مُفَكِّكِ الأغلال
قربا مَرْبط النعامة منى　　لكريم مُتَوَّجٍ بالجمال
قربا مَرْبط النعامة منى　　لا نبيعُ الرجال بَيْعَ النِّعال
قربا مَرْبط النعامة منى　　لبُجَيْرٍ فداه عَمِّى وخالى
قرباها لحىٍّ تغلب شُوسًا(١)　　لاعْتِناق الكُماة يومَ القِتال
قرّباها وقرّبا لأُمَتِى درْ　　عًا دِلَاصًا(٢) تردُّ حَدَّ النِّبال
قرّباها بمُرْهَفات حداد　　لقِرَاع الأبطال يوم النِّزَال
سائلوا كندة الكرام وبَكْرًا　　واسألوا مَذْحِجا وحىَّ هلال
إذ أتونا بعسكر ذى زُهَاء(٣)　　مكفهرّ الأذى شديد المَصال
فقَرَيْنَاه حين رام قِرانا　　كلّ ماضى الذّباب(٤) عضب الصِّقال

— ١٠ —

ثم ارتحل الحارث مع قومه ، حتى نزل مع جماعة بَكْرِ بن وائل ، وعليهم يومئذ الحارثُ بن همّام ، فقال الحارث بن عبّاد له : إن القوم مُستقلّون قومك ، وذلك زادهم جُرْأَةً عليكم ، فقاتلهم بالنساء ، قال له الحارث بن همّام : وكيف قتال النساء ؟ فقال : قلّد كلّ امرأة إدَاوة(٥) من ماء ، وأعْطها هراوَة ، واجعلْ جَمْعَهُنّ من ورائكم ؛ فإن ذلكم يزيدكم اجتهاداً ، وعلّموا قومكم بعلامات يَعْرِفْنها ، فإذا

---

(١) الشوس : جمع الأشوس وهو الجرىء　(٢) الدلاص : من الدروع اللينة ، ودرع دلاص : براقة ملساء لينة بينة الدلص　(٣) ذى زهاء : ذى عدد كثير　(٤) ذباب السيف : حد طرفه الذى بين شفرتيه وما حوله من حديه ظباه ، وقيل حده .
(٥) الإداوة : إناء صغير من جلد يتخذ للماء .

مرّت امرأةٌ على صريع منكم عرفَتْه بعلامته فسقَتْهُ من الماء ونعشَتْهُ ، وإذا مرّت على رجل من غيركم ضربتْه بالهراوة فقتلَتْه ، وأتت عليه .

فأطاعوه ، وحلقت بنو بكر يومئذ رءوسها ، استبسالاً للموت ، وجعلوا ذلك علامة بينهم وبين نسائهم ؛ وقال جَحْدر بن ضبيعة — وإنما سمّى جحدراً لقصره : لا تحلقوا رأسى ؛ فإنى رجل قصير ، لا تَشِينونى ، ولكن أشْتَريه منكم بأوّل فارس . يَطْلع عليكم من القوم ؛ فطلع ابن عناق فشدّ عليه فقتله ، فقال رجل من بكر بن وائل فى ذلك :

ومنا الذى فَادَى من القوم رَأْسَه ، بمُسْتَلْئِمٍ (١) من جَمْعِهم غير أعْزَلا
فأدّى إلينا بَزَّه (٢) وسِلَاحه ومنفصلا من عنْقه قد تَزَيَّلا

وكان جحدر يرتجز ويقول :

ردُّوا علىَّ الخيلَ إن ألمّت إن لم أقاتلهم فجزُّوا لِمّتى

واقتتل الفرسان قتالا شديداً ، وانهزمت بنو تغلب ، ولحقت بالظّعن بقيةَ يومها وليلتها ، واتبعهم سَرَعان (٣) بكر بن وائل ، وتخلّف الحارث بن عبّاد ، فقال لسعد بن مالك : أترانى ممّن وضَعَتْه (٤) الحرب ؟ فقال : لا ، ولكن لا مخبأ لعِطْرٍ بعد عرُوس (٥) .

وأسر الحارثُ مهلهلا بعد انهزام الناس وهو لا يعرفُه ، فقال له : دُلّنى على المهلهل . قال : ولى دمى ؟ فقال : ولك دمُك ، قال : ولى ذمّتك وذمّة أبيك ؟

---

(١) مستلئم : لابس اللأمة وهى السلاح (٢) البز : نوع من الثياب (٣) سرعان الناس : أوائلهم المستبقون إلى الأمر (٤) يشير إلى قوله :

يابؤس للحرب التى وضعت أراهط فاستراحوا

(٥) معناه : إن لم تنصر قومك الآن فلمن تدخر نصرك ؟

قال : نعم ، ذلك لك . قال المهلهل ـ وكان ذا رأى ومَكيدة ـ فأنا مُهَلْهِل! خدعتُك عن نفسى ، والحربُ خُدعة . فقال : كافئنى بما صنعتُ لك بعد جُرمك، ودُلَّنى على كفء لِبُجَير . فقال : لا أعلمُه إلا امرأ القيس بن أبان ، هَذَاك علَمه . فجزّ ناصيته (١) وأطلقه ، وقصد قصْد امرئ القيس فشدَّ عليه فقتلَه ، فقال الحارث فى ذلك :

لهفَ نفسى على عدىٍّ ولم أعْـ ... ـرف عديًّا إذ أمْكنتنى اليدانِ
طُلَّ (٢) من طُلَّ فى الحروب ولم أو ... تِرْ بُجَيْرًا أَبَأْتُه (٣) ابنَ أبان
فارس يضرب الكتيبة بالسَّيْـ ... ـف وتَسْمُو أمامَه العينَانِ

فلما رجع مهلهل بعد الوَقعة والأَسرِ إلى أهله جعل النساء والوِلدان يستخبرونه : تسأل المرأة عن زوجها وابنها وأخيها ، والغلام عن أبيه وأخيه ، فقال :

ليس مثلى يخبّر الناسَ عن آ ... بائهم قتِّلوا ويَنْسَى القِتَالا
لم أرِمْ (٤) عَرْصَةَ الكَتِيبة حتى انـ ... ـتعل الوَرْدُ (٥) من دماء نِعالا
عرفَتْه رِماحُ بكرٍ فما يَأْ ... خُذْن إلا لَبَانَه (٦) والقَذَالا
غَلَبونا ، ولا محالةَ يوماً ... يقلِبُ الدهرُ ذاك حالاً فحالا

ثم إن مهلهلا قال لقومه : قد رأيت أن تُبْقوا على قومكم ، فإنهم يحبُّون صَلاحكم، وقد أتت على حربكم أربعون سنة ، وما لُمْتُكم على ما كان من طلبكم بوِتْركم ، فلو مرَّت هذه السنون فى رفاهية عَيْش لكانت تُمَلّ من طولها ، فكيف وقد فنِى الحيَّان، وثَكِلَت الأمهات ، وَيُتِّم الأولاد ، وربَّ نائحة لا تزال تصرخ فى النواحى،

---

(١) الناصية : فى مقدم الرأس فوق الجبهة ، وكان من عادة العرب إذا أنعموا على الرجل الشريف بعد أسره جزوا ناصيته وأطلقوه ، فتكون الناصية عند من جزها (٢) طل دم القتيل : ذهب هدراً (٣) أباء القاتل بالقتيل : قتله به (٤) لم أرم : لم أبرح (٥) الورد من الخيل : بين الكميت والأشقر (٦) اللبان : الصدر ، ويروى : لبانه .

ودموع لا تَرْقأ ، وأجساد لا تُدْفَن ، وسُيُوف مشهورة ، ورماحٍ مُشْرَعة ؛ وإن القوم سيرجعون إليكم غداً بمودّتهم ومواصلتهم ، وتتعطَّف الأرحام حتى يتواصَوْا ؛ أما أنا فما تطيب نفسى أن أُقيم فيكم ، ولا أستطيع أن أنظر إلى قاتل كليب ، وأخاف أن أحملكم على الاستئصال ، وأنا سائر عنكم إلى اليمن .

ثم خرج حتى لحق بأرض اليمن ، فخطب إليه أحدهم ابنته فأبى أن يفعلَ ، فأكرهوه وساقوا إليه أَدَمًا فى صَدَاقها فأنكحها إياه ، فقال فى ذلك :

أنكحَها فقدُها الأراقِم[1] فى جَنْبٍ[2] وكان الحِبَاء[3] من أَدَمِ
لو بأَبَانَيْنِ[4] جاء يخطُبُها ضُرِّجَ ما أنفُ خاطبٍ بِدَمِ
أصبحت لا مُنْفِساً[5] أصبتُ ولا أُبْتُ كريمًا حُرًّا من النَّدَمِ
هانَ على تَغْلبٍ بما لقِيتْ أختُ بنى المالكين من جُشَمِ[6]
ليسوا بأكفائنا الكرام ولا يُغْنُون من عَيْلةٍ ولا عدَمِ

وكان قد بلغ قبائل بكر وتغلب زواج سليمى فى مذحج ، وكان بين القومين منافسة ونفور ؛ فغضبوا ، وأنِفوا وقصدوا بلاد القوم فأخذوا المرأة وأرجعوها إلى أبيها بعد أن أسروا زوجها .

وملَّت جموع تغلب الحرب فصالحوا بكراً ، ورجعوا إلى بلادهم ، وتركوا الفتنة ، ولم يحضر المهلهل صلحهم ، ثم اشتاق إلى أهله وقومه ولجَّت عليه ابنته سُلَيمى بالسير إلى الديار ، فأجابها إلى ذلك ، ورجع نحو قومه ، حتى قرُب من قبرِ أخيه كُليب ، وكانت عليه قبّةٌ رفيعةٌ ؛ فلما رآه خنقته العبرة ، وكان تحته بغلٌ نجيب ؛ فلما رأى البغلُ القبرَ فى غَلَس الصبح نفر منه هارباً ، فوثب عنه المهلهل ، وضرب عُرقوبيه بالسيف ، وقال[7] :

---

(١) الأراقم : أحياء فى تغلب (٢) حى باليمن هو الذى كان فيه المهلهل (٣) الحباء : يريد به المهر (٤) أبانان : جبلان (٥) المنفس : المال الكثير الذى له خطر (٦) جشم : قبيلة فى تغلب، وهم قوم المهلهل (٧) أوردنا هذا الشعر على ما فيه من سهولة تحملنا على التفكير فى صحة نسبه إليه — لطرافته .

رماكَ اللهُ من بغْلٍ بمَشْحوذٍ من النبلِ
أبا تبلّغنى أهلك أو تبلغنى أهـلى
ألا أبلغ بنى بكر رجالا من بنى ذُهْل
بدأتم قومكم بالغَدْ ر ، والعُدْوانِ والقَتْل
قتلتُم سـيدَ الناس ومن ليس بذى مِثْل
وقلتُم : كفؤُه رجلُ وليس الرأس كالرجلِ
وليس الرجل الماجد مثل الرجل النذلِ
فتى كان كألفٍ من ذوى الإنعام والفَضْلِ
لقد جئتم بها دَهْمَا ء كالحيَّةِ فى الجذل
وقد جئتم بها شَعوا ء أشابت مفرقَ الطِّفْل
وقد كنتُ أخا لهوٍ فأصبحتُ أخا شغل
ألا يا عاذلى ، أقصِر لحاكَ اللهُ من عَذْلى
سأجزى رهط جسَّاس كحذْوِ النَّعْل بالنَّعل

وسار بعد ذلك حتى نزل فى قومه زماناً، وما وكْدُه(١) إلا الحرب، لا يهمّ بصلحٍ، ولا يشرب خمراً ، ولا يلهو بِلَهْو ، ولا يحل لأمته ، ولا يغتسل بماء ، حتى كان جليسه يتأذَّى منه من رائحة صدإِ الحديد .

فلما كان ذات يوم دخل عليه رجل من تغلب ـ اسمه ربيعة بن الطّفيل ، وكان له نديماً ، فلما رأى ما به قال :

أقسمت عليك أيها الرجل لتغتسلنّ بالماء البارد ، ولتبلّنّ ذوائبك بالطيب ! فقال المهلهل : هيهات ! هيهات ! يا بن الطّفيل ؛ هبلتْنِى إذاً يمينى ، وكيف باليمين التى آليْتُ ! كلاَّ أو أقْضى من بكرٍ أربِى ، ثم تأوّه وزفر، وقال :

(١) وكده : قصده .

إن فى الصدر من كليب شُجُونا   هاجساتٍ نَكَأْنَ منه الجراحا
أنكرتنى حليلتى مُذْ رأتنى   كاسفَ اللون لا أطيق المِزاحا!
يا خليلىَّ ناديا لى كليبا   ثم قولا له : نعمتَ صباحا
يا خليلىَّ ، ناديا لى كليبا   قبل أن تبصر العيون الصباحا

ونقض الصلح ، وعادت الحرب ، ثم إن المهلهل أغار غارة على بنى بكر فظفر به عمرو بن مالك أحد بنى قيس بن ثعلبة ، فأسره وأحسن إساره ، فمرّ عليه تاجر يبيع الخمر — وكان صديقاً للمهلهل — فأهدى إليه وهو أسير زقًّا من خمر ، فاجتمع شُبَّان من قيس بن ثعلبة ونحروا عنده بكرا ، وشربوا عند مهلهل فى بيته الذى أُفْرِد له ، فلما أخذ فيهم الشراب تغنَّى مهلهل بشعرٍ ناح فيه على أخيه :

طَفْلَةٌ(١) ما ابنَةُ المحلِّل بيضا   ءُ لَعُوبٌ لذيذةٌ فى العِناقِ
فاذهبى ما إليك غير بعيدٍ   لا يُؤاتى العِناقُ مَنْ فى الوِثاقِ
ضربت نحرَها إلىَّ وقالت :   ياعديًّا ، لقد وقتْكَ الأواقى(٢)
ما أرجِّى فى العيش بعد ندَامَا   ىَ!أراهمسُقوا بكأسِ حَلَاقِ(٣)
بعد عَمْرٍو وعامرٍ وحُيَيٍّ   وربيعِ الصَّدُوف(٤)وابنىعَنَاقِ
وامرئ القيس مَيّت يوم أَوْدَى   ثم خَلّى علىَّ ذاتَ العَرَاقِ(٥)
وكليبٍ سُمّ الفوارس إذ حُمْـ   ـمَ رماه الكماةُ بالإيفَاقِ(٦)
إنّ تحت الأحجار حدًّا ولينا   وخَصيما ألدَّ ذا مِعْلاقِ(٧)
حيّة فى الوِجَار أَرْبَدُ لا تنـ   ـفَعُ منه السليم نَفْثَةُ رَاقِ(٨)

(١) طفلة : رخصة ناعمة (٢) الأواقى : جمع واقية (٣) الحلاق : المنية معدولة عن الحالقة ، أى تقشر (٤) الصدوف : اسم فرس الربيع المذكور (٥) ذات العراق : الداهية (٦) الإيفاق : وضع السهم للرمى (٧) المعلاق : اللسان البليغ
(٨) الوجار : الجحر ، والأربد : الذى يضرب لونه إلى السواد .

فلما سمع عوف ذلك غاظه وقال : لا جرَم ! إنَّ لله علىَّ نذراً ، إن شرب عندى قطرة ماء ولا خمر حتى يورد أُلخضير(١) ، فقال له أناس من قومه : بئس ما حلفت ! فبعثوا الخيول فى طلب البعير فأتوا به بعد ثلاثة أيام ، وكان المهلهل مات عطشاً(٢) .

(١) الخضير : بعير لعوف لا يرد الماء إلا فى اليوم السابع . وفى رواية : حتى يرد ربيب الهضاب وربيب اسم جمل له كان أقل وروده فى الصيف الخمس ، أى مرة كل خمسة أيام (٢) وفى موت المهلهل رواية أخرى أوردها صاحب الخزانة وقال : لما أسن وخرف كان له عبدان يخدمانه فلاه ، وخرج بهما إلى سفر فبينا هما فى بعض الفلوات عزما على قتله ، فلما عرف ذلك كتب على قتب رحله :

من مبلغ الحيين أن مهلهلا ... لله دركما ودر أبيكما

ثم قتلاه ورجعا إلى قومه فقالا مات ، ولكن بنته قرأت ما على القتب فقالت : إن مهلهلا لايقول هذا الشعر وإنما هو أراد :

من مبلغ الحيين أن مهلهلا ... أمسى قتيلا فى الفلاة مجدلا
لله دركما ودر أبيكما ... لا يبرح العبدان حتى يقتلا

فضربوا العبدين حتى أقرا بقتله .

٥ ـ أيام ربيعة وتميم

١ — يوم الوقيط .
٢ — « ثيتل .
٣ — « جدود
٤ — « زرود
٥ — « ذي طلوح
٦ — « الإياد
٧ — « الغبيط
٨ — « قشاوة
٩ — « زبالة .
١٠— « مبايض
١١— « الزّورين
١٢— « عاقل
١٣— « الشيطين
١٤— « الوقبى
١٥— « الشباك

(١) يوم الوقيط*

تجمّعت اللّهازم[١] لِتغير على بنى تميم ، وهم غارُّون[٢] ، فرأى ذلك ناشبُ بن بَشامة العنبرى[٣] الأعور — وهو أسير فى قيس بن ثعلبة ، فقال لهم ناشب : أعطونى رجلا أرسله إلى أهْلِى بنى العَنْبر وأُوصِه ببعض حاجتى ، فقالت له قَيْس بن ثَعْلَبَة : ترسلُه ونحن حُضُور — وذلك مخافةَ أن يُنْذِرَ[٤] عليهم — قال : نعم، فأتوه بغلام مُوَلّد ، فقال : أتيتمونى بأَحْمق ! قال الغلام : والله ما أنا بأحمق ، فقال الأعور : إنى أراكَ مجنُونا ! قال : والله ما بى من جنون . قال : فالنِّيرانُ أَكثرُ أم الكواكبُ ؟ قال : الكواكب، وكلٌّ كثير . قال : إنك لغبىٌّ أحمق، وما أراكَ مُبلِّغا عنّى . قال : بلى ، لعمرى لأُبلِّغَنَّ عنك .

فملأ الأعورُ كفَّه من الرَّمْل ، فقال له : كم فى كفِّى؟ قال : لا أدرى ، وإنَّه لكثيرما أُحْصيه ، فأَوْمأَ إلى الشمس بيده ، وقال له : ماتِلك ؟ قال: هى الشَّمْسُ . قال : ما أراكَ إلا عاقلاً ظريفًا ؛ اذهب إلى أهلى ، فأَبْلِغْهُمْ عنى التَّحية والسلام ، وقل لهم : ليُحْسنوا إلى أسيرهم ويكرموه ، فإنى عند قوم يحسنون إلىّ ويكرموننى — وكان حَنْظَلَة بن طفيل المرثدى أسيراً فى أيدى بنى العنبر — وقل لهم : فَلْيُعْرُوا جَمَلى

---

* لبكر (من ربيعة) على تميم ، والوقيط : المكان الصلب الذى يستنقع فيه الماء . أطلق على موضع .

الأمالى ص ٦ ج ١ ، النقائض ص ٣٠٥ ، ابن الأثير ص ٣٨٥ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣٣٠ ج ٣ ، بلوغ الأرب ص ٣٨٥ ج ١ ، نهاية الأرب ص ١٥٤ ج ٣ ، قصص العرب ص ٣٣٧ ج١ المزهر جزء أول طبعة الحلبى (باب الملاحن)

(١) اللهازم : هم عنزة بن أسد بن ربيعة وعجل بن لجيم ، وتيم الله وقيس ابنا ثعلبة من بكر ابن وائل ، وقد كانوا جميعاً حلفاء (٢) الغارّ : الغافل (٣) من بنى العنبر ، وهم بطن من تميم (٤) ينذر : يعلم .

الأحمر، ويركبوا ناقتى العَيْسَاء[١]، بآية ما أكلت معهم حَيْسًا[٢] ، ولِيَرْعُوا حاجتى فى أُبَيْنِى مالك[٣] ، وأخبرهم أن العَوْسَج[٤] قد أَوْرَق ، وأن النساء قد شكّت[٥] ، وليَعْصُوا همَّام بن بَشامة فإنه مَشْؤُوم مَحْدُود[٦]، وليطيعوا هُذَيل بن الأخنس ، فإنه حازمٌ ميْمُون .

فقال له بنو قيس : من أُبَيْنُو مالك ؟ قال :بنو أخى .

فأتاهم الرسول فأخبرهم وأبلغهم ، فلم تَدْر عمرو بن تميم ما الذى أرسل به إليهم الأعور ، وقالوا : ما نعرفُ هـذا الـكلام ، ولقد جُنَّ الأعور بعدنا ! ما نعرفُ له ناقة يَختصُّها ولا جَمَلاً ، وإن إبلَهُ عندنا لبَأْجٌ[٧] واحد فيما نرى .

فقال هذيل بن الأخنس للرسول : اقتصَّ علىَّ أول قِصَّته ، فقصَّ عليه أول ما كلمه به الأعور ، وما رجعه إليه حتى أتى على آخره ، فقال هذيل : أبْلِغْهُ التحيّة إذا أتيتَه ، وأخبره أنّا سَنُوصى بما أَوْصى به ، فشخَص الرسول .

ثم نادى هذيل: ياللعَنْبر! قد بيّن لـكم صاحبُـكم؛ أما الرمل الذى جعل فى يَدِه فإنه يُخبر كم أنه قد أتاكم عددٌ لا يُحصَى، وأما الشمس التى أومأ إليها، فإنه يقول: إن ذلك أوْضَح من الشمس ، وأما جمله الأحمر فالصَّمان[٨] يأمُرُكم أن تعرُوه ، يعنى تَرْتَحِلوا عنه،وأما ناقتهُ العَيْسَاء فإنها الدَّهْناء[٩] يأمركم أن تتحرَّزُوا فيها، وأما أُبَيْنُو مالك فإنه يَأْمُركم أن تُنْذِرُوهم ما حذّركم ، وأن تمسكوا بحلفٍ بينـكم وبينهم ، وأما إيراق

(١) العيساء : الناقة يخالط بياضها شقرة (٢) الحيس : تمر يخلط بسمن وأقط
(٣) يرعوا : يحفظوا ، وأبينى : تصغير بنين كما فى اللسان مادة بنى (٤) العوسج : شوك
(٥) شكت النساء : اتخذت الشكاء ، والشكاء جمع شكوة وهو وعاء من أدم يبرد فيه الماء
(٦) المحدود : الممنوع من الخير (٧) بأج واحد ـ يهمز ولا يهمز : شىء واحد
(٨) الصمان : جبل أحمر فى أرض بنى تميم (٩) الدهناء : سبعة أجبل من الرمل ، وهى ديار لعامة بنى تميم .

العَوْسَج فإن القومَ قد اكْتَسَوْا سلاحاً ، وأما اشتِكاء النساء فيُخْبِركم أنهن قد عَمِلْنَ الشِّكاء ، يُريد خرزْنَ لهم شِكاءً يَغْزُون بها ؛ وقوله : بآية ما أكلتُ معكم حَيْسًا ، يريد أخلاطاً من النـاس قد غزوكم ؛ لأن الحيس يجمع التمر والسَّمن والأَقِط[1].

فحذِرت بنو عمرو[2] بن تميم ، فركبت الدَّهْناء ، وأنذروا بنى مالك بن حنظلة ، فقالوا : ما ندْرى ما تقول بنو الجَعْراء[3] ، ولسنا مُتَحَوِّلين لـما قال صاحبُهم .

فصبَّحت اللَّهازمُ بنى حَنْظلة ، ووجدوا بنى عمرو قد أَجْلَتْ وارتحلت ، وإنمـا أَرَادُوهم على الوَقيط ، وعلى الجيش أبجر بن جابر العِجْلى ، فاقتتلوا ، فطعن بِشْر بن العوراء ـ من بنى تيم اللات ـ ضرارَ بن القَعْقَاع وأخذه ، ثم جزَّت بنو تيم اللّات ناصيته وخلُّوا سِرْبَه[4] تحتَ الليل .

وبارز عمرُو بن قيس ـ من بنى ربيعة ـ عَشْجَل بن المأموم ـ من بنى شيبان ـ فأسره عمرٌو ثم منَّ عليه .

---

(١) وهناك رواية أخرى أوردها صاحب النقائض وهى : أن ناشب بن بشامة رأى راكباً فقال: أين تريد ؟ فقال: موضع كذا ، فقال لبنى سعد بن مالك : إن طريق هذا على أهلى ، فهل أنتم تاركى فأحمـله حاجة إليهم ، وأوصيهم بحنظلة ؟ فقالوا : لا ، إلا ونحن نسمع ، قال : وأنتم تسمعون ، فتركوه وهو معهم ، فقال للراكب : إذا أتيت أم قدامة فقل لها : إنـكم قد أسأتم إلى جملى الأحمر ونهكتموه ركوباً فأعفوه ، وعليـكم ناقتى الصهباء فاقتعدوها ، فلما أبلغها ما قال ، قالت لابنها : إن الأعور يأمركم أن تركبوا الدهناء وتعروا الصمان . . . . الخ

(٢) من تميم

(٣) الجعراء : لقب بنى عمرو وأصله الضبع ، يريدون ما ندرى ما تقول بنو العنبر .

(٤) سبيله .

وأسر طيلسة بن زياد العجلى حنظلةَ بن المأموم (١) ، وأسر حنظلة بن عمّار جُوَيْرِيَة بن بدر – من بنى عبد الله بن دارم (٢) – وأُسر أيضاً نعيم وعوف ابنا القَمْقاع وغيرهما من سادات بنى تميم . ثم هرب عوف عن أخويه ففات ، وهرب مالك بن قَيْس (٣) .

(١) اشتراه الوراز بن الوراز بمائة بعير ، ثم حبسه معه ، فلم يوفه ، فقدم الكوفة ليفاديه ، وبها على بن أبى طالب ، فأتاه نفر من بنى حنظلة الذين كانوا بالكوفة ، فقالوا : أإسار فى الإسلام؟ فقال : لا ، وبعث فانتزعه من الوراز ، ولم يكن الوراز وفى بنى عجل فداء حنظلة ، فلما كانت فتنة ابن الزبير وثب بنو عجل فأخذوا من الوراز مائة بعير ، فقال يزيد بن الجدعاء العجلى فى المأموم:

وهم صبحوا أخرى ضراراً ورهطه ... وهم تركوا المأموم وهو أميم

(٢) لم يزل فى الوثاق حتى رآهم ذات يوم قد قعدوا شرباً ، فأنشأ يتغنى رافعاً عقيرته :

وقائلة ما غاله أن يزورنا ... وقد كنت عن تلك الزيارة فى شغل
وقد أدركتنى والحوادث جمة ... مخالب قوم لا ضعاف ولا عزل
سراع عن الجلى بطاء عن الخنا ... رزان لدى الباذين فى غير ما جهل

الباذون : أصحاب البذاءة

لعلهم أن يعطرونى بنعمة ... كما صاب ماء المزن فى البلد المحسل
فقد ينعش الله الفتى بعد عثرة ... وقد تبتنى الحسنى سراة بنى عجل

فلما سمعوها أطلقوه

(٣) وفى ذلك يقول عمير بن عمارة التيمى :

وأفلتنا ابن قعقاع عويف ... حثيث الركض واحتطوا ضرارا
فإن تك ياعويف نجوت منها ... فقدماً كنت منتخباً مطارا
وكم غادرن منكم من قتيل ... وآخر قد شددناه إسارا
كذاك الله يجزى من تميم ... ويرزقها المساءة والعشارا
ونجى مالكا منا ابن قيس ... أخو ثقة يؤم به القفارا
وصادف عشجل من ذاك مراً ... مع المأموم إذ جدا نقارا
وغادرنا حكيماً فى مجال ... صريعاً قد سلبناه الإزارا

حكيم بن جذيعة بن الأصيلع

مددنا غارة ما بين فلج ... وبين لصاف نوطئها الديارا
فما شعروا بنا حتى رأونا ... على الرايات تدرع الغبارا

ولحق(١) وراز التيمى حُكَيماً(٢) النهشلى وهو يرتجز :

ماوِىّ لن تُراعى   رحيبة ذِراعى
بالكرّ والإيزاع

ويقول :

كل امرىء مُصَبَّحٌ فى أَهْلِه   والموتُ أدنى من شراكِ نَعْلِه

فشد عليه وِرازٌ فقتله(٣) .

ومرت اللهازم يومئذ بعد الوقعة على ثلاثة نفر من بنى عدىّ بن جُندب بن العنبر لم يكونوا بَرِحوا مع قومهم فلحقوا بالدَّهْناء معهم ولم يشهدوا القتال مع بنى دارم ، فكانوا يرْعَون ، فقاتلوا من دون إبلهم حتى طردوها فأحْرَزوها ، وجعل وَزَرٌ يُقاتلهم ويرْتجز ويقول :

نحن حَمَيْنا يوم لا يحمى بَشَرْ   يوم الوقيط والنساء تُبتقَرْ(٤)
قوسٌ تَنقَّاها من النَّبْع وَزَر   تَرِنُّ إن نُنازِع الكفّ الوَتَرْ
حَجْرِيَّةٌ(٥) فيها المنايا تَسْتَعِرْ   تحفِزُها الأوتارُ والأيدى الشُّعُرْ

(١) فى معجم البلدان اسمه إراز ، وهو أحد بنى تيم الله بن ثعلبة (٢) فى معجم البلدان أيضا أن اسمه الحكم

(٣) رثاه أبو الحارث بن نهيك الأصيلع فقال :

حكيم فدى لك يوم الوقيـ   ـط إذا حضر الموت خالى وعم
تعودت خير فعال الرجا   ل فك العناة وقتل البهم
وما إن أتى من بنى دارم   نعيك أشمط إلا وجم
ونقأ عينى تبكاهما   وأورث فى السمع منى صمم
فما شاء فليفعل المؤيدا   ت والدهر بعد فتانا حكم

أى حكيم :

فتى ما أضلت به أمه   من القوم ليلة لا مدعم
يجوب الظلام ويهدى الخميس   ويصبح كالصقر فوق العلم

(٤) ناقة بقير : شق بطنها عن ولدها أى شق ، وقد تبقر وابتقر وانبقر (٥) يعنى قوساً منسوبة إلى حجر — قصبة اليمامة أو بكسر الحاء نسبة إلى أرض ثمود — الحجر .

(٢) يوم ثَيْتَل*

خرج قيسُ بن عاصم المِنْقَرِى بمُقَاعِس[١] وهو رئيسٌ عليها ، ومعه سَلَامَة بن ظَرِب فى الأَجَارِب[٢] ، فغزَوْا بكرَ بن وائل ؛ فوجدوا اللَّهَازِم[٣] ، وبنى ذُهل بن ثعلبة وعِجْل بن لُجَيم ، وعَنَزَة[٤] بن أسد بالنِّبَاج وثَيْتَل[٥] ، فتنازعَ قيسٌ وسلامةُ فى الإغارة ، ثم اتّفقا على أن يُغيرَ قيسٌ على أهل النِّبَاج ، ويُغير سَلَامة على أهل ثَيْتَل ؛ فبعث قيس سِنَانَ بن سُمَىّ الأهتم شيِّفَةً[٦] له ، فلَقِى رجلا من بنى بكر بن وائل ، فتعاقدا على ألاَّ يتكاتما ؛ فقال الأهتم : مَنْ أنت ؟ قال : أنا فلان ابن فلان، ونحن بجوف الماء حضور ، فمن أنت ؟ قال الأهتم : أنا سنان بن سُمَىّ ، وهو لا يُعرفُ إلا بالأهتم ، ففقَّل نفسه له ، فرجع البَكْرِىُّ فأخبر قومَه عنه ، ورجع الأهتم فأخبر قيساً الخبرَ ، وقال : يا أبا علىّ ؛ هل بالوادى طَرْفاء[٧] ؟ فقال قيس : بل به نَعَم . وعرَف أنّهم بكر، فكتمهم أصْحابه.

فلما أصبح سقَى خيلَه ، ثم أطلق أفواهَ الرَّوايا ، وقال لأصحابه : قاتِلوا فالموتُ

---

* لتميم على بكر (بن ربيعة) .ثيتل: ماء على عشر مراحل من البصرة ، ويسمى يوم النباج ، وهو موضع قريب من ثيتل .

النقائض ١٠٢٣ (طبع أوربا) ، العقد الفريد ٣٣٢ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٩٧ ج ١ ، معجم البلدان ص ٢٤٣ ج ٨

(١) مقاعس : بطون فى تميم تتألف من : صريم وربيع وعبيد بنو الحارث بن عمرو

(٢) الأجارب : بطون فى تميم أيضاً تتألف من : جما وربيعة ومالك والأعرج بنو كعب بن سعد

(٣) اللهازم : لقب تيم الله بن ثعلبة ، وهم بطن فى بكر ، وكذلك ذهل بن ثعلبة وعجل بن لجيم

(٤) عنزة من ربيعة بن نزار (٥) النباج : موضع على عشر مراحل من البصرة ، وثيتل قريب منه (٦) الشيفة : الطليعة (٧) الطرفاء : شجر وهو أصناف من الأثل ، وهو يكنى بالنعم عن القوم

بين أيديكم ، والفَلَاةُ من ورائكم . فلما دنَوْا من القوم صُبْحًا سمعوا ساقياً من بكرٍ يقول لصاحب له : ياقيس ؛ أَوْرِدْ ؛ فتفاءلوا به الظّفر ، ثم أغاروا على أهل النِّبَاج من بكر قُبَيْلَ الصُّبح ، فقاتلوهم قتالاً شديداً .

ثم إن بكراً انهزمتْ ، وأسر الأهتم حُمْران بن عبد عمرو ، وأسَرَ فَدَكِيّ بن أعْبَد جثَّامةَ الذُّهْلِي ، وأصابوا غنائم كثيرة ، ثم قال قيسٌ لأصحابه : لا مَقِيل دون إخواننا بثَيْتَل .

وعاد مُسرعاً إلى سلامَة ، ومن معه ، فأدركهم ولم يُغِرْ بَعْدُ سَلَامة وأصحابه على مَن بثيتل ، فأغار قيس عليهم فقاتلوهم ، ثم هزموهم ، فأصابوا إبلاً كثيرة ، وجاء سلامة فقال : أغرتُم على ما كان إليّ ؛ فتلاجُّوا حتى كاد الأمر يَفْقُم ، ثم اتَّفقوا على أن سلّموا لسلامة غنائم ثيتل . وفى ذلك يقول ربيعةُ بن طريف بن تميم حيثُ رَثَى قيساً :

فلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ قَيْسَ بن عاصم ... فأنتَ لنا عِزٌّ عزيزٌ ومَعْقِل
وأنتَ الذى حَرَبْتَ(١) بكرَ بن وائلٍ ... وقد عضّلَتْ(٢) منها النِّبَاج وثيتَل
غداةَ دعَتْ ياآل شيبان إذ رأتْ ... كراديسَ(٣) يهديهن وَرْدٌ مُحَجَّلُ
وظلّتْ عُقَاب الموتِ تهفو عليهمُ ... وشعثُ النَّوَاصى لُجْمُهُنَّ تُصَلْصِلُ
فما منكُمُ أفناء بكر بن وائل ... لغارتِهِ إلّا رَكوبٌ مُذَلَّلُ

وقال قرة بن قيس بن عاصم :

أنا الذى شقّ المزَادَ(٤) وقد رأى ... بثَيْتَلَ أحياءَ اللَّهَازم حُضَّرَا

---

(١) حربه : سلب ماله (٢) عضلت الأرض بأهلها إذا ضاقت بهم لكثرتهم
(٣) كراديس : جمع كردوس ؛ الخيل العظيمة ، وقيل القطعة من الخيل العظيمة
(٤) جمع مزادة ؛ الراوية .

فصبّحهم بالجيش قيسُ بن عاصم   فلم يَجِدُوا إلا الأَسنَّةَ مصدرا
سقاهم بها الذّيفَانَ[1] قيسُ بن عاصم   وكان إذا ما أوردَ الأمر أصْدَرَا
على الجُرْدِ[2] يَعْلُكْنَ الشَّكيم[3] عَوابساً   إذا الماء من أعطافهنَّ تحدَّرَا
فلم يرَها الراءون إلا فجاءة   نَثَرْن عجاجًا بالسَّنابك أكدرا
وحُمرانُ أدَّته إلينا رِماحُنا   فنازع غلاًّ فى ذِراعيه أسمرا
وجثّامة الذّهلى قُدْناه عنْوَةً   إلى الحىِّ مَصْفُودَ اليدين مفكّرا

---

(١) الذئفان ، والذيفان (بفتح الذال وكسرها) : السم الناقع ، وقيل القاتل (٢) فرس أجرد قصير الشعر ، وقيل الأجرد : الذى رق شعره وقصر ، وهو مدح (٣) الشكيم فى اللجام : الحديدة المعترضة فى فم الفرس التى فيها الفأس .

(٣) يوم جَدُود*

كانت بين الحارث بن شريك وبين بنى سليط بن يربوع مُوَادَعة ، فهمّ بالغَدْرِ بهم، وجمع بنى شيبان وذهْلًا ، واللَّهازم، وعليهم حُمْران بن عبد عَمْرو ، ثم غزا وهو يَرْجُو أن يُصيب غِرَّةً من بنى يربوع ؛ حتى إذا أتى بلادهم نَذِرَ به عُتَيْبة[1] بن الحارث ابن شهاب ، فنادى فى بنى جعفر بن ثعلبة ، فحالوا بين الحارث وبين الماء ، والحارثُ فى جماعة من أفْنَاء بكر بن وائل ، فقال الحارث لعُتيبة : إنى لا أرى معك إلا بنى جعفر ، وأنا فى طوائف من بكر بن وائل ، فلئن ظفرتُ بكم قلّ عددكم ، وطمع فيكم عدوّكم ، ولئن أنتم ظفرتم بى ما تقتلون إلا أَقَاصى عشيرتى ، والله ما إياكم أردت ، ولا لكم سَمَوْت ، وقد عرفتم المُوَادعةَ التى بيننا وبين إخوتكم بنى سليط ، فهل لكم أن تُسَالمونا ، وتأخذوا ما معنا من التمر، وتُخَلُّوا سبيلَنا ؟ فوالله لا نروّع يَرْبوعيًّا أبداً .

فأخذ عتيبة ما معهم من التّمر ، وخَلّى سبيلهم ، فسار الحارثُ فى بكر بن وائل حتى أغار على بنى رُبَيِّع بن الحارث بجَدُود ، فأصاب سبياً ونَعَما وهم خلوف ، فبعثَ بنو ربيع صَرِيخهم[2] إلى بنى كُلَيب بن يربوع ، وهم يومئذ جيرانهم فلم يجيبوهم ، فقال قيس بن مقلَّد الكُلَيْبي لصريخ بن رُبَيع :

---

* لبنى منقر (من تميم) على بكر (من ربيعة) ، وجدود اسم موضع فى بلاد بنى تميم قريب من حزن بنى يربوع على سمت اليمامة فيه الماء الذى يقال له الكلاب ، قال فى اللسان : وكانت فيه وقعة مرتين . وقد يسمى بعضهم يوم الكلاب الأول يوم جدود لذلك .

شرح المفضليات ص ٧٤٠ لابن الأنبارى ، النقائض ص ١٢٤ ، ٣٣٦ ، العقد الفريد ص ٣٤٠ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٧٢ ج ١

(١) رئيس بنى يربوع إذ ذاك (٢) الصريخ : المستغيث .

أمنكُم علينا مُنْذِرٌ لعدوِّنا ... وداعٍ بنا يوم الهياج مُنَدِّدُ
فقلتُ ولم أُسْرَرْ بذاك ولم أُسَأْ ... أسعدُ بن زَيْدٍ؛ كيف هذا التودّدُ

فأتى صَريخُ بنى رُبَيع بنى مِنْقَر بن عُبَيد ، فركبوا فى الطَّلَب ، فلحقوا بكر بن وائل وهم قائلون ، فما شعر الحارث بن شريك ــ وهو قائل فى ظل شجرة ــ إلا بالأهتم[1] بن سُمَىّ بن سِنان بن منقر ، وهو واقف على رأسه ، فوثب الحارث إلى فرسه فركبه ، وقال للأهتم : من أنتَ ؟ قال : أنا الأهتم ، وهذه منقر قد أتتكَ ، فقال الحارث : فأنا الحارث بن شريك ، وهذه بنو رُبيع قد حويتها ، فنادى الأهتم بأعلى صوته: يا آل سعد[2] ، ونادى الحارث: يا آل وائل[3] ، وشدّ كل واحد على صاحبه ، ولحق بنو مِنْقَر، فقاتلوا قتالاً شديداً ، ونادت نساء بنى ربيع: يا آل سعد، فاشتد قتال بنى منقر لمَّا نادى النساء ؛ فهُزمت بكرُ بن وائل ، وخلّوا ما كان فى أيديهم من السَّبى والأموال ، ولم تكن لرجل منهم همّةٌ إلا أن ينجوَ بنفسه وتبعتهم مِنْقر فمن قتيل وأسير .

وأسر الأهتم حُمْران بن عبد عمرو ، وقال فى ذلك :

تمطّت بحُمْرانَ المنيّة بعد ما ... حشاه سِنانٌ من شَراعةَ أزْرَقُ
دعا يالَ قيس واعْتَزَيتُ لِمنْقرٍ ... وقد كنتُ إذ لاقيتُ فى الخيل أصدق

واتّبع قيس بن عاصم الحارث بن شريك، وهو على فرس له يُدْعى الزَّبدَ ، وقيس بن عاصم على الزعفران بن الزبد فرس الحوفزان[4] ، فإذا استوت بهما الأرض لحقه قيس ، وإذا وقعا فى هبوط وصعود سبقه الحوفزان بقوّة فرسه وسنّه، فلما خشى أن يفوته قال: استأسر ياحارث خيرَ أسير. فقال الحارث: لا، بل شر أسير، ثم زجر فرسه، فسبق مُهر

(١) فى رواية : هو سنان بن سمى المنقرى (٢) إشارة إلى جدهم الأكبر سعد بن زيد مناة
(٣) يشير إلى جدهم الأعلى وائل (٤) الحارث بن شريك .

قيس لقوَّته، وتخوَّف قيس أن يفوته الحوفزان، فحفزه بالرمح فى استه، وبهذه الحفزة سمىّ الحوفزانَ، ونجا .

ورجع بنو مِنقر بسَبْى بنى رُبيع وبأسارى بكر بن وائل وأسلابهم .

وقال قيس بن عاصم فى ذلك اليوم :

جَزَى الله يَربوعاً بأسوإ سَعْيها إذا ذُكِرَت فى الغائبات أُمورُها
ويوم جَدُودٍ قد فضحتُم أباكُمُ وسالَمتُمُ والخيلُ تَدْمَى نحورُها
ستخطِم سعدٌ والرِّباب أنوفَكم كما غاطَ[1] فى أنفِ القضيبِ جريرُها
فأصبحتُمُ والله يفعل ذاكُمُ كمَنْهُوءَةٍ[2] جرباءَ أُبْرِزَ كُورُها
فأصبحتُم والله يفعل ذاكُمُ كمَوْءُودَةٍ لم يَبْقَ إلا زَفيرُها
أفخراً على الموْلى إذا ما بَطِنْتُمُ[3] ولُؤْماً إذا ما الحربُ شبَّ سَعيرُها
أتانى وعيدُ الحوْفزان ودونَهُ من الأرض صَحْرَاوَاتُ فَلْجٍ وقُورُهَا
أَقِم بسبيل الحىِّ إن كنتَ صادقاً إذا حَشَدَتْ سعدٌ وجاشَ نصيرها[4]
عَصَمْنَا تَميماً فى الحروب فأصبحتْ يلوذُ بنا ذُو وفْرِها[5] وفقيرُها
وأصبحتَ وغْلاً[6] فى تميمٍ وأصبحتْ مَعادِنُهَا تُجْبَى سِواكَ وخِيرُها[7]

وقال سوَّار بن حيان المنقرى :

ونحن حَفَزْنا الحوْفَزان بطعنةٍ سقتْهُ نجيعاً من دم الجوف أشْكَلَا[8]

---

(١) غاط : دخل ، والقضيب : الناقة التى لم ترض ، والجرير : الحبل (٢) هنأت البعير : إذا طليته بالهناء وهو القطران ، والإبل مهنوءة . (٣) البطنة : امتلاء البطن من الطعام ، وهى الأشر من كثرة المال أيضاً ، والفعل كفرح (٤) فى رواية : إذا غضبت سعد (٥) الوفر : المال (٦) الوغل : المدعى نسباً ليس منه ، والوغل : النذل الضعيف المقصر فى الأشياء (٧) الخير : الشرف والأصل ، ويروى : وأصبحت معادنها (بتشديد الدال) ويقال : عادته اللسعة : إذا أتته امداد (٨) أحمر .

وحُمْرَان قَسْرًا أنزلَتْهُ رِماحُنا   فعالج غُلاًّ فى ذراعيه مُقْفَلاَ[١]
فما لك من أيامِ صدقٍ تَعُدُّها   كيوم جُوَاثَى والنِّباج وثَيْتَلاَ
قضى اللهُ أنَّا ـ يوم تُقْتَسَمُ العُلاَ ـ   أحقٌّ بها منكم فأَعْطَى وأَجْزَلاَ
فلست بِمُسْطِيعِ السماءِ ولم تَجِدْ   لعزٍّ بناه اللهُ فوقَكَ مَنْقَلاَ

وقال سلامة بن جندل السعدى :

فسائل بسعدَىّ فى خندف   وقيس وعندك تبيانها
وإن تسأل الحىَّ من وائلٍ   تُنبئك عجل وشيبانُهَا
بوادى جَدُود وقد غُودِرت   بضيق السنابك أعطانُهَا
بأرْعن كالطَّوْدِ من وائلٍ   يوم الثغورَ ويعتانُها[٢]
تطاوله الأرضُ من رزّه[٣]   إذا سار ترجفُ أركانُها[٤]

وألحَّ قيس على الحوفزان ، وقد حمل الزرقاء[٥] ، فسأله من هو ، فقال: لاتَكاتُمَ اليومَ ! أنا الحوفزان ، فمن أنتَ ؟ قال : أنا أبو على ، ومَضى .

ورجع الحوفزان إلى أصحابه ، فقال : لقيتُ رجلا أزْرق كأن لِحْيَتَه ضريبة[٦] صُوف ، فقال : أنا أبو على ومضى ، فقالت عجوز من السَّبْى : بأبى أبو على ! ومَنْ لنا بأبى على ! فقال لها : ومن أبو على ؟ قالت : قيس بن عاصم . فقال لأصحابه : النَّجاءَ ! وأَرْدَف الزرقاء خَلْفَه ، وهو على فَرَسه ، وعقد شَعْرَها إلى صدره ونجا بها .

---

(١) يروى : مقفلا   (٢) يعتانها من الربيئة وهو عين القوم   (٣) الرز : هدير الفحل أو صوت الرعد أو الصوت تسمعه من بعيد   (٤) ارجع إلى بقية القصيدة ص ١٤٧ من النقائض إن أردت   (٥) كان قد سباها من بنى ربيع بن الحارث   (٦) قطعة .

(٤) يوم زَرُود*

أغار حَزِيمةُ بن طارق التغلبيّ على بنى يَرْبوع وهم بزَرُود ، فاستاق إبلَهم ، فأتى الصَّريخ [١] بنى يَرْبوع ، فركبوا فى إثره ، وهزموه ، واستَنقذوا ما كان قد أخذ ، وأسروا حَزِيمة بن طارق ، واختصم فى أَسْره اثنان : أُنيف بن جبلة الضَّبّي ـ وكان نَقِيلاً [٢] فى بنى يربوع ، وليس معه من قومه أحد ـ وأَسِيد بن حِنّاءة السليطى ؛ فاختصما إلى الحارث [٣] بن قراد فحكم : أن جزّ ناصيتَه لأُنَيف ، وأن لأسِيدٍ عنده مائةً من الإبل ، فرضيا بذلك ، وقال أُنيف :

أخذتك قسراً ياحزيمَ بنَ طارق ... ولاقيتَ منى الموت يومَ زرود
وعانقتُه والخيل تَدْمَى نحورها ... فأنزلته بالقاع غير حميـــد

وكان للكَلْحبة [٤] اليربوعى فرس اسمها « عَرادَة » ؛ فلما جاء النذير كانت فرسه

---

* ليربوع (من تميم) : على تغلب (من ربيعة) ، وزرود : رمال بطريق الحاج من الكوفة

العقد الفريد ص ٣٣٣ ج ٣ ، رغبة الآمل من كتاب الآمل ص ١٧ ج ١ ، خزانة الأدب ص ٣٥٤ ج ١ ، المفضليات ص ٣

(١) الصريخ : المستغيث (٢) النقيل : الغريب (٣) من بنى رياح بن يربوع

(٤) الكلحبة اليربوعى : اسمه هبيرة بن عبد مناف ، على ما فى المؤتلف والمختلف ، فارس شاعر ، ومن شعره يخاطب جاريته كأساً :

يا كأس ويلك إن غالنى خلق ... على السماحة صعلوكا وذا مال
تخيرى ابن راع حافظ برم ... عبد الرشاء عليك الدهر عمال
وبين أروع مشمول خلائقه ... مستغرق المال للذات مكسال
فأى ذينك إن نابتك نائبة ... والقوم ليسوا وإن سووا بأمثال

قد سُقيت ملء الحوض ماء(١) ، فلما ألجمها وركب ظلمت فرسُه ، فقال يعتذر :

فإن تنجُ منها(٢) ياحَزِيمَ بنَ طارق ... فقد تركَتْ ما خَلْفَ ظهرك بَلْقَعَا(٣)

ونادى منادى الحى : أن قد أُتيتم ... وقد شربتْ ماءَ المَزادة أجمعا(٤)

وقلت لكأس : ألجميها فإنما ... نزَلْنا الكثيبَ من زَرُودَ لنفزَعا(٥)

فأدركَ إبقاءَ العَرَادةِ ظَلْعُهَا ... وقد جعلتنى من حَزِيمة إصْبَعا(٦)

أمرتكمُ أمرى بمُنْعَرَج اللِّوى ... ولا أمْرَ لِلْمَعْصِىّ إلا مُضيَّعا

إذا المرءُ لم يَغْشَ الكريهةَ أوشكت ... حبالُ الهُوَيْنَى بالفتى أن تقطّعا(٧)

---

(١) كانت خيل العرب إذا علمت أنه يغار عليها ــ وكانت عطاشا ــ فمنها من يشرب بعض الشرب ولا يروى ، وبعضها لا يشرب البتة ؛ لما قد جربت من الشدة التى تلقى إذا شربت وحوربعليها (٢) من فرسه (٣) البلقع : الأرض القفر لا نبات بها ، والعرب كثيراً ما تذكر أن الخيل فعلت كذا وكذا ، وإنما يراد به أصحابها ، لأنهم عليها فعلوا وأدركوا . يريد فإن نجوت منها فقد خلفت وراءك ما جمعته يداك ؛ وكأن فرسه حينما فاتتها نفسه ، لم تفتها غنائمه

(٤) المزادة : القربة التى زيد فيها جلد بين جلدين ، وضمير شربت للفرس ، وجملة قد شربت حال ؛ كأن الكلحبة يعتذر من انفلات حزيمة ، محتجا بما أصاب الفرس (٥) كأس : جارية الشاعر ، والكثيب : ما اجتمع من الرمل واحدودب . ونفزعا : نغيث ؛ يقول : ما نزلنا هذا الموضع إلا لنغيث من استغاث بنا ، وأورد هذا البيت المبرد فى الكامل شاهداً على أن الفزع يكون بمعنى الإغاثة (٦) الإبقاء : ما تبقيه الفرس من العدو ؛ إذ من عتاق الخيل مالا تعطى ما عندها من العدو ، بل تبقى منه شيئاً إلى وقت الحاجة ، يقال : فرس مبقية إذا كانت تأتى بجرى عند انقطاع جريها ، والظلع : العرج ؛ يقول شربت الماء فقطعها عن إبقائها ففاته حزيمة وما بينهما إلا مقدار إصبع (٧) الغشيان : الإتيان ، والكريهة : الحرب ، وأوشكت : دنت ، والهوينى : الرفق والراحة .

(٥) يوم ذى طُلُوح*

تزوَّج عَميرة بن طارق اليربوعى مُرَيّة بنت جابر ، وأقام معها فى قومها من بنى عِجْل[١] بن لُجَيْم ، وكان متزوّجاً قبلها امرأة من بنى يربوع تُدْعى بنت النَّطِف تركها فى قومها . وكان لمريّة أخ اسمه أبجر بن جابر فأتاها يوماً يزورُها ، ثم وقع بينه وبين عَميرة كلام قال بعده لعميرة : إنى لأرجو أن أغزوَ قومك وآتيك بابنة النَّطف! فقال له عَميرة : ما أراك تبقى علىَّ حتى تسلبَنى أهلى !

وندم أبجر على ما قال ، وقال : ما كنت لأغزوَ قومك ، ولكنى مُتَيَاسِر[٢] فى هذا الحىِّ من تميم ، فقال له عَميرة : قد علمتُ ما كنتَ لتفعل .

ولكن لم تمض مدة حتى خرج أبجر بن جابر فيمن تَبِعه من اللّهازم[٣] والحارث ابن شريك فى بنى شيبان ومعهم عَميرة بن طارق ، ووكَّلَ أبجرُ بعَميرة أخاه حُرْقُصة ابن جابر . فقال لحُرْقُصة : هل تأذن لى أن أذهبَ إلى أهلى فأحْتَمِلَهم ؟ فقال حرقصة : ما أبالى أن تفعل ، فكرَّ عميرة على ناقته ومضى . وافتقد الناسُ عميرة فلم يجدوه ، وعلم أبجر بما وقع ، فأتى أخته مُريّة فقال لها : أين هو ؟ فقالت : لاقانا ضُحًى فواقَعَنا ، ثم مضى إلى دارنا فلم نَرَه بعد .

واستحيا حُرقصة أن يذكر أمْرَهُ لأحد حتى جَنَّ عليه الليل ، وتحدث به الرجال

* لبنى يربوع (من تميم) على بكر (من ربيعة) ، وذو طلوح : موضع فى حزن بنى يربوع بين الكوفة وفيد ، وهو يوم الصمد ، ويوم أود ـ واد .

العقد الفريد ص ٤٣٣ ج ٣ ، النقائض ص ٤٧ ، ٧٣ ، ٤٨١ ، ابن الأثير ص ٣٨٩ ج ١

(١) عجل بن لجيم : حى من بكر (٢) التياسر : الأخذ فى جهة اليسار ، ويربوع قوم عميرة : حى فى تميم (٣) اللهازم : قيس وتيم اللات ابنا ثعلبة ، وعنزة بن أسد ، وعجل ابن لجيم .

من قِبَل النِّساء ، وأقبلوا إلى حُرْقُصة فقالوا : ويلك ! ما صنع الرجل ؟ فقال : ما أظنه إلا ذهب ، فقالوا : إن تكن فى شك فإننا مستيقنون .

وسار عميرة يومه وليلته والغد حتى إذا لقى الصحراء وغربت الشمس قيّد ناقته وعَصَب يديها ، ثم نام حتى إذا عَلاه الليلُ قام فلم ير الناقة .

* * *

قال عَميرة : فسعيتُ يميناً وشمالا فإذا أنا بسواد من الليل عظيم فحسبتُه الجيش ، فبتُّ أرصده أخافُ أن يأخذونى ، حتى أضاء الصبح ، فإذا خمسون ومائة نعامة ، وإذا ناقتى تخطِر قائمة قريبة منى ، فأنا غَضْبان على نفسى . فأجْدَدت السير يومى ذاك حتى أرِدَ سَفَارِ[1] ، فأجد منازل القوم فى نِسْعَة[2] ، فسقيتُ راحلتى ، وطَعِمت من تَمْرٍ كان معى وشربت ، ثم ركبتُ مُسْىَ الثالثة ، فأصبحت فإذا أنا بناس يَعْلقُون[3] السِّدْر ، فتحرَّفْتُ عنهم مخافة أن يأخذونى ، فنادانى بعضهم : إنما نحن صُدَّار[4] البيت فلا تخَفْ ، فنفذتُ حتى أصبَحَ طَلَح[5] ، وبها جماعة بنى يربوع ، فقلت : قد غزا كم الجيشُ من بكر بن وائل برئيسين وكُرَاع وعَدَد[6] .

فبعث بنو رِياح بن يربوع فارسيْن طليعة ، وبعث بنو ثعلبة[7] فارسين رَبيئةً[8] فى وَجْهٍ آخر ، ومكث بنو يربوع يوقدون نارهم على صَمْد[9] طَلَح ، فكانوا كذلك ثلاثاً ؛ ثم إن فارسَىْ بنى ثعلبة جاءا ، فقالا : لم نُحْسِسْ شيئاً . قال عَميرَةُ : ما تمنّيتُ الموتَ قط إلا يومئذ ، حين جاء الفارسان لم يحسا شيئاً ، مخافة أن يكونوا أرادوا غيرَهم؛ فيكون ما حدثتُهم باطلا ، وليلة ذهبت ناقتى، مخافةَ أن أوخذ فيقال : نام فأُخذ .

---

(١) سفار : ماء لبنى تميم (٢) موضع (٣) يرعونه (٤) أراد أنهم كانوا حجاجا
(٥) موضع (٦) الكراع : السلاح ، وقيل هو اسم يجمع الخيل والسلاح (٧) بنو ثعلبة: بطن فى يربوع (٨) الربيئة والطليعة : العين (٩) الصمد : الموضع الغليظ الصلب .

فلما تعالى النهارُ من اليوم الثالث طلع فارسا بنى رياح ، فقالا : تركنا القومَ حين نزلوا القَيْسوميّة .

قال: فتلبَّبْنا[١] ، ثم ركبنا ، ثم أخذنا طريقاً مُختلِفاً حتى وردنا اليَنْسوعة[٢] حين غابت الشمس ، فوجدنا القوم حين استقوا و نثروا التمر وتخفّفوا للغارة ، ثم أخذوا فى السير ، فاتّبعناهم حتى وارَى أثرَهم عنا الليلُ ، واستقبلوا أسفل ذى طُلوح[٣] .

قال عَميرة : وكانت تحتى فرس ذَريعة العَنَق[٤] ، فمضتْ بى ، ففقدنى عَتوة بن أرقم ، فقال : يابنى يربوع ! إن عَميرة قد مضى ليُنْذِر أخواله ، فقال عتيبة[٥] بن الحارث : كذَبْتَ ، ما يَنْفَس عميرة علينا الغُنْمَ والظَّفَر .

قال : فسمعتُ ما قال الرجلان ، فوقفت حتى أدركونى ، وقدخشيت لَغَط القوم، مخافةَ أن يُنذروا بأنفسهم ، حتى إذا كنّا حيث اطّلع الطريق من ذى طُلوح وقفنا وأمسكنا بحَكَمات[٦] الخيل ؛ ثم بعثنا طليعةً أخرى ، فأتانا فأخبرنا أنهم نزول بأسفل ذِى طُلوح ، فمكثنا حتى إذا برق الصُّبح ركبنا ، وركب القوم واستمدّوا للغارة .

وقد كان أبجر حين مرّوا بسَفَارِ ، قال للحوفزان : تعلَّمْ أنى لأظنُّ عَميرة قد دَهَانا ، وإنى لأعرف هذا النّوى ، قال الحوفزان : ما كان لِيَفْعَل .

قال عَميرة : فدفعنْا الخيلَ عليهم ، وهم يريدون أن يُغيروا ، فكنت أولَ فارس طلع ، فناديتُ : يا أبجر ؛ هلمّ إلىَّ ! قال : من أنتَ ؟ قلت : عَميرة . قال : كذبت !

---

(١) يقال للذى لبس السلاح وتشمر للقتال متلبب (٢) الينسوعة : موضع فى طريق البصرة

(٣) ذو طلوح : موضع فى حزن بنى يربوع (٤) العنق : ضرب من سير الدابة والإبل، وفرس ذريع : سريع بعيد الخطا (٥) كان عتيبة رأس بنى يربوع حينئذ

(٦) الحكمات : جمع حكمة ، وهى ما أحاط بحنكي الفرس من لجامه .

فسفَرتُ عن وجهى فعرفنى ، فنزل عن فرس كان مركّباً عليها[١] ، وعلىَّ مُلاءةٌ لى حمراء فطرحتُها ، ثمَّ جلس عليها ، وقد قال لى قبل أن يَجِىء : إنى مركَّب . قلت : فتعال على ذلك ، وتحتى فرسى لأبي مُليل . قال : فأقبَل وما نُظِر إلى ذاك .

قال : وأُخِذ الجيش كلهم فلم يُفلِت منهم أحد غير شيخ من بنى شيبان ، ثم أحد بنى سعد بن همام ؛ نَجَا على فرس له ، وقد كان أخوه معه فأُخذ ، فلما أتى الحىَّ سألته بنتُ أخيه عن أبيها ، فقال الشيخ :

تسائلنى هُنَيدة عن أبيها ... وما أدرى ، وما عبدت تميم
غداةَ عهدتُهنَّ مُغَلْصَماتٍ[٢] ... لهن بكلِّ مَحْنِيَةٍ نحيمُ[٣]
فما أدرى أجُبْناً كان طِبِّى ... أم الكُوسى[٤] إذاعدَّ الحزيم[٥]

وأُخذ الحارث بن شريك يومئذ ؛ أخذه حنظلة بن بشر ، وكان نَقيلاً[٦] فى بنى بشر ، ولم يشهدها من بنى مالك غيرُه ؛ فاختصم عبد الله بن الحارث ، وعبد عمرو ابن سنان فى الحارث ، فقال: حكّمونى فى نفسى ، والله لا أُخيِّبُ ذا حقٍّ . فحكّموه ، فأعطى عبد الله بن الحارث مائة من الإبل ، وأعطى عبد عمرو مائة ، وجعل ناصيته لحنظلة بن بشر . فقال عبد عمرو للحارث : إن بين بنى جارية بن سليط وبين بنى مُرَّة[٧] مُوادعة ، وإنه لا يحلّ لى أن أرزأَك شيئاً ! وردّها ، وأما عبد الله بن الحارث فكان يُسمى المائة التى أخذها منه الُجبَاسة[٨] ، وأُخذ سوادة بن يزيد ، أخذه عَتوَة ابن أرقم ، فانتزعه عَميرة بن طارق ، وأخذ عبد الله بن عَنَمة الضبى ، وكان فى بنى شيبان ، فافتكَّه متمم بن نويرة .

(١) المركَّب : الذى يركب فرس غيره ويغزو عليه، فما أصاب على ظهره فله نصف الغنيمة
(٢) مغلصمات : مشددة الأعناق (٣) نحيم : شبه الزفير (٤) الكوسى : من الكيس (٥) الحزيم : من الحزم (٦) النقيل : الغريب (٧) بنو جارية بن سليط : بطن فى يربوع ، ولعلهم قوم عبد عمرو ، ومرة : بطن فى شيبان قوم الحارث
(٨) الجباسة : الغنيمة .

فقال ابن عنمةَ يمدح متمّماً ، ويتلهف على عميرة بن طارق بإنذاره قومه على أخواله بنى عجل :

عَميرة فاق السَّهْمُ بينى وبينهُ فلا يَطْعَمَنّ الخمرَ إن هو أصْعَدَا(١)
فلم أرَ جاراً وابْنَ أُخْتٍ وصاحباً تـكيَّدَ منا قَبْلهُ ما تـكيَّدَا
رأيت رجالا لم نـكن لنبيعهم يُبَاعُون بالبُعْران مَثْنى ومَوْحَدا
طعامُهم لحمٌ حرامٌ عليهمُ ويُسْقَوْنَ بعدالرِّيِّ شِرْباً مُصَرَّدا(٢)
فإن ليربوعٍ على الجيش منّةً مُجَلَّلَةً نالتْ سُوَيداً وأسْعَدَا
جزى الله ربُّ النـاس عنى مُتَمّما بخير الجزاء ؛ ما أعفّ وأمْجَدَا
كأنى غداةَ الصّمْدِ حين دعوتُه تَفرَّعْتُ حِصْناً لا يُرامُ مُمَرَّدَا
أُجيرتْ به أبناؤُنا ودماؤنا وشارَكَ فى إطْلَاقنا وتفرَّدا
أبا نهشل إنى لـكم غـيرُ كافر ولا جاعل من دونك المالَ مُوْصَدا(٣)

وأسر سويد بن الحوفزان ، وسعد بن فَلْحَس الشيبانى ، فقال عَميرة بن طارق :

أقِلّى علىّ اللوم يا أمّ خثرمَا يكُنْ ذاك أدنى للصواب وأكْرَمَا
ولا تعذُلينى إن رأيتِ معاشراً لهم نَعَمٌ دَثْرٌ وإن كنتُ مُصْرِما(٤)
متى ما نكُنْ فى الناس نحن وهمْ معاً نكن منهمُ أكْسَى جُنُوبا وأطْعَمَا
مَنَاكِ الإلهُ إن كرهتِ جِماعَنا(٥) بمثْلِ أبى قُرْطٍ إذا الليـل أظْلَمَا

---

(١) يريد أنه أفسد ما بينه وبينه ، وهـذا مثل ضربه لأن السهم لا يصلح إلا بفوقه ، وفاق السهم إذا انـكسر فوقه يقول : لا يطعمن الخمر إن هو أفلت وليكن على حذر (٢) الشرب : النصيب ، يقول إذا رووا سقوا أسراهم شربا قليلا (٣) فى رواية : سرمدا (٤) الدثر : الـكثير . والمصرم : صاحب الصرمة ، وهى القطعة من الإبل (٥) مناك الإله : مثل بلاك الله به ، وأبو قرط هذا رجل بخيل كثير المال .

إذا ما رأى ذَوْدًا ضَنِينَ(١) العاجزِ   لئيمٍ تَصَدَّى وجْهُهُ حيثُ يَمَّمَا
يسوقُ الفِراء(٢) لا يُحَسِّنَ غيْرَهُ   كَفيحًا ولا جاراً كريما ولا أبْنَمَا
فدَعْ ذا ولكنْ غيرُه قد أهَمَّني   أميرٌ أرادَ أنْ أُلامَ وأُشْتَمَا
فلا تأمُرني يابن أسماء بالتي   تُجِرُ(٣) الفتى ذا الطَّعْمِ أن يتكلّمَا
بأن تغْنَزُوا قومى وأجلسَ فيكمُ   وأجعلَ عِلْمى ظَنَّ غيبٍ مُرَجَّما
ولما رأيتُ القومَ جدَّ نَفيرُهم   دعوتُ نجيّي مُحْرِزًا والمُثَلَّمَا(٤)
وأعرض عنى قَعْنَبٌ وكأنما   يرى أهلَ أَودٍ من صُدَاء وسَلْهَما(٥)
فكلّفتُ ما عندى من الهمّ ناقتى   مخافةَ يومٍ أنْ أُلامَ وأَنْدَمَا
فمرّت بجنب الزّور ثُمّتَ أصبحتْ   وقد جاوزت بالأُقْحُوانات مَخْرِمَا
كأن يَدَيْها إن أجدّ نَجاؤها   يدا مُعْوِلٍ خَرْقاء تُسْعِدُ مأتما
ترائى الذين(٦) حولها وهْىَ لُبُّهَا(٧)   رخِيٌّ، ولا تَبْكِى لشجو فتِئْلَما(٨)
ومرّت على وحْشيّها وتذكّرتْ   نصيًّا وماء من عُبَيَّةَ أسْحَما(٩)
فقامت عليه واستقرّ قُرُورُها   من الأينِ والنكْراء فى آل أزْنَما(١٠)

---

(١) الذود : ما بين الثلاث إلى العشر ، وضنئن : أنسلن ، والضنء : النسل   (٢) الفراء : إبل كانت له تدعى بهذا الاسم ، أى لا يحسين ضيفاً من ألبانها أى لا يشرب منهن غيره . والكفيح : الذى يأتيك فجاءة   (٣) الإجرار : أن يشق لسان الفصيل إذا أرادوا فطامه لئلا يرضع . وذو الطعم : ذو الحزم والعقل   (٤) هذان رجلان من البراجم ، وكانا فى بنى عجل ، فلما أراد أبجر الغزو شاورهما يستعين برأيهما   (٥) قعنب : رجل من البراجم ، وكان ممن شاوره فلم يشر عليه بخير ، وأهل أود: بنو يربوع ، وصداء فى بلحارث بن كعب ، وهم إخوتهم وعدادهم فيهم ، وسلهم من خثعم ، وسلهم فى مذحج أيضاً   (٦) فى رواية : ترائى اللواتى   (٧) يروى : بالها   (٨) أراد تألم من الألم ، وهى لغته   (٩) عبية : ماء لبنى قيس ببطن فلج ، والنصى : نبت   (١٠) قرورها وقرارها واحد ، وأزنم : ابن عبيد بن ثعلبة بن يربوع .

سَأجْشِمُها من رهْبَةٍ أن يَعُزَّهم   عدوٌ من الوَمْاةِ والأمر مُعْظِمَا
حلفتُ فلم تأثَمْ يمينى لأثأرَنْ   عَدِيًّا ونُعْمَان بن قَيْلٍ وأيْهَما[(١)]
وبرَّتْ يمينى إن رأيت ابن فَلْحَس   يُجرَّ كما جرُّوا هَدِىّ[(٢)] ابن أصرما
فأفلت بسطام جريضًا بنفسه   وغادرن فى كَرْشَاء لَدْنًا مُقوَّما[(٣)]
أثمَّ أخذْتَ بعد ذاك تَلُومنى   فسائل ذوى الأحلام مَنْ كان أظْلَما[(٤)]

---

(١) هؤلاء قوم من بنى يربوع قتلتهم بنو شيبان يوم مليحة (٢) الهدى : الجار هينا ، والهدى : العروس، والهدى : الشىء يهدى (٣) جرض بريقه : غص به وذلك إذا كان بآخر رمق . كرشاء : رجل (٤) ارجع إلى النقائض ، فلعميرة فيها قصيدة أخرى .

(٦) يوم الإياد

كانت بكر بن وائل تحت يدِ كسرى وفارس ، فكانوا يُجيرونَهُم ويُجهزُونهم ، فأقبلوا من عند عامل عَيْنِ[١] التمر فى ثلاثمائة فارس متساندين ، يتوقَّعون انحِدَار بَنى يربوع[٢] فى الحَزْنِ[٣] ، وكان يَتَشتَّون خُفَافاً[٤] ، فإذا كان انقطاعُ الشتاء انحدرُوا إلى الحَزْنِ ، فاحتَمَل بنو عتيبة وبنو عُبَيْد وبنو زُبَيْد من بنى سَليط أول الحىّ حتى أسْهَلُوا ببطن مُلَيحة[٥] ، فطالعت بنو زبيد فى الحزن حتى حلّوا الُحدَيْقة[٦] بالأُفاقة ، وحلَّت بنو عتيبة وبنو عبيد روضة الثَّمَد[٧] ، ويقبل جيش بكر حتى ينزلوا الهَضْبَةَ هَضْبَةَ الَحِصىّ[٨] .

ثم بعثوا ربيئتَهم فأشرف الحصىَّ وهو فى قُلَّةِ الحزن ، فرأى السواد فى الُحديقة، وتمرٌ إبلٌ فيها غلامٌ شاب من بنى عُبَيْد بالجيش ،فعرفه بِسْطام بن قيس[٩] — وكان

---

* لبنى يربوع (من تميم) على بكر (من ربيعة) ، وإياد موضع بالحزن لبنى يربوع ، بين الكوفة وفيد . ويسمى أيضاً يوم العظالى ويوم الإفاقة ويوم مليحة ويوم أعشاش ، وإنما سمى يوم العظالى لأنه تعاظل على الرياسة بسطام وهانئ بن قبيصة ومفروق بن عمرو فى هذا اليوم (انظر التعليق آخر اليوم)

شعراء النصرانية ص ٢٥٩ ، النقائض ص ٥٨٠ (طبع أوربا) ، العقد الفريد ص ٣٣٧ ج ٣ ابن الأثير ص ٣٧٣ ج ١

(١) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار غرب الكوفة (٢) بنو يربوع : بطن من تميم ومن قبائلهم ثعلبة وعمر والحارث وجبير ، ويلقبون الأحمال ، وأمهم السفعاء بنت غنم

(٣) الحزن : موضع لبنى يربوع كانت تتربع فيه ، وهو من أجل مراعى العرب

(٤) فى النقائض جفافاً وعبارة معجم ما استعجم : يتشتون خفافاً فإذا انقطع الشتاء أسهلوا بنجفة مليحة ، وبالحديقة من الأفاقة وبروضة الثمد

(٥) مليحة : موضع فى بلاد بنى تميم (٦) الحيقة : موضع فى قلة الحزن ، والإفاقة ماء لبنى يربوع (٧) روضة الثمد : فى بطن مليحة (٨) الحصى : موضع لبنى يربوع

(٩) بسطام بن قيس : فارس بكر ، وأحد من أوفده النعمان على كسرى .

قد عرف عامّة غلمان بنى ثعلبة حين أسره عتيبة بن الحارث بن شهاب (١)، فقال له بِسطام : إيه، أَخْبِرْنى خبرَ حيِّكَ ؛ أينَ هم من السَّواد الذى بالحديقة ؟ قال : هم بنو زبيد . قال : أفيهم أُسَيد بن حِنَّاءة قال : نعم . قال : كم هم من بيت ؟ قال : خمسون بيتا . قال : فأين بنو عتيبة ؟ قال : نزلوا رَوْضة الثَّمد . قال: فأين سائرُ الناس قال : مُحْتَجزون بجُفَاف (٢) .

فقال بِسطام لقومه : أتطيعوننى ؟ أرى لكم أن تميلوا على هذا الحىّ الحرِيد (٣) من بنى زُبَيد ؛ فتصبحوا غداً غانمين سالمين . فقالوا : وما يُغنى بنو زُبيد عنا ؟ لايردون رِحْلتنا ! قال: إن السلامة إحدى الغنيمتين. قالوا : إن عُتيبة بن الحارث بن شهاب (٤) قد مات . وقال مَفروق بن عَمْرو : قد انْتَفَخ سَحْرك (٥) يا أبا الصهباء ! وقال هانئ بن قبيصة : أجُبْنًا !

فقال لهم : إن أُسيد بن حِنَّاءة لم يكن يُظله بيتٌ شاتيًا ولا قائظًا ، يبيت القفْر لا يفارق فرسه الشَّقْرَاء (٦) ، فإذا أحسَّ بكم عَلَاها فركض ، حتى يشرفَ مُليحة ، فينادى يَاَل يربوع ! فيركب فيتلقاً كم طعن يُنْسيكم الغنيمةَ ، ولم يُبصر أحدٌ مَصْرَع صاحبه ، وقد جبَّنْتُمونى ، فأنا تابعكم ، ثم قال لهم : وستَعْلمون ما أنتم مُلاقون غداً . قالوا نُقبِل فَنَتَلَقَّط بنى زبيد ، ثم بنى عبيد وبنى عتيبة كما تُتلقَّط الكمْأَةَ ، ونَبْعَثُ فارسين، فيكونان بطريق أسيد فيحولان بينه وبين يَرْبوع .

فبعثوا فارسين، فوقفا فى ليلة إِضْحِيان (٧) ، حيث أمرا ، فلما أحسَّت الشَّقْراء بوئيد الخيل (٨) ، وقد أغاروا ثم أقبلوا ، بحثَتْ بيدها ، فجال (٩) أسيد فى متْنها ،

---

(١) كان عتيبة قد أسر بسطاماً يوم الغبيط ، ثم فدى نفسه منه (٢) جفاف ، وتسمى جفاف الطير :أرض لأسد وحنظلة واسعة فيها أما كن يكون فيها الطير (٣) المتنحى
(٤) هو الذى كان أسر بسطاماً ، وقال هـذا سخرية ببسطام (٥) انتفخ سحرك : أى رئتك ، يقال ذلك للجبان (٦) اسم فرسه (٧) بكسر الهمزة وضمها: مقمرة (٨) بوقع حوافرها
(٩) حال فى ظهر دابته حولا وأحال : وثب واستوى على ظهره ، قال فى اللسان : وكلام العرب حال على ظهره ، وأجال فى ظهره .

فابْتَدَره الفارسان ، فطعنه أحدُهما ، فألقى نفسَه فى شِقٍّ فأخطأه ، ثم كرَّ راجعا ، حتى أشرف على مُليحة ، فنادى : ياسوءَ صَباحاه ، يا آل يربوع !

قال وديعة بن أوس : فكأنى أنظر إلى ضوء الفجر بين مِنْسَج[1] الشقراء واسْتِه ، فلم يتودَّع[2] من أهل مُليحة أحد .

فلم يرتفع الضحا حتى تلاحقوا بغَبيط الفِردوس ، فقال أُسيد : « لبّث قليلا تلحق الحلائبُ » فقال : بِسطام : « صباحُ سَوْءٍ لـكُمُ النواعبُ » .

وبَمُدَت على مَعْدان وأخيه قَعْنَب ابنى عصمة ، والأحَيمر ، ونَهيك ، وعفاق ، ووديعة ، ودرَّاج ، وعُمارة ، والحليس ، خيولُهم ، فركبوا آخر الناس ، فلم يأخذوا مَأخذ مالك بن نُويرة ، وصُرَد بن جَمْرة ، وقَعْنَب بن سمير ، وجزء بن سعد ، على الأُفاقَة ؛ فلما طلعوا على الثنيّة رأوا أم دَرْداء السَّليطية عُريانة تَعْدُو ، فألقى قعنب بن عِصْمة عِصابة كانت فوق بَيْضَتِه[3] عليها ، وهو على فرسه البَيْضاء[4] وقال : ارفعوا خيولكم ؛ فالْتقى الذين أخذوا بطْن الأُفاقة والحُديقة ، والذين جاءوا من الثنيّة ، فعرف بسطام الأُحَيْمر ؛ فقال لأُحيمر : أنت هو ؟ قال : نعم . قال : لقد عهدتُك بطلاً مَحْدُوداً[5] ، وإنى لأَنْفَسُك[6] على الموت ؛ فأَعْطِ بيدك لا تُقتَل . فقال : أبَعد بُجَيْر ومالك بن حِطَّان تُؤَبِّسنى[7] على الحياة ، وكان الأحيمر لم يطعَن برمح قطّ إلا انكسر ؛ فلما أهْوى ليَطْعَنه ولَّى بسطام فانهزم ، وقتلت تميم جماعة من فرسان بكر ، وأسر جماعة[8] ، منهم هانئُ بن قبيصة ففدَّى نفسه ونجا .

---

(١) منسج الدابة : ما بين العرف وموضع اللبد (٢) تودع القوم : ودع بعضهم بعضاً
(٣) البيضة : الحديد (٤) فى القاموس : فرس قعنب بن عتاب (٥) رجل محدود عن الخير : مصروف ، قال الأزهرى : المحدود : المحروم (٦) نفست عليه الشيء أنفسه نفاسة : إذا ضننت به ولم تحب أن يصل إليه (٧) تحرضنى (٨) براجع أسماء بعض القتلى والأسرى نقائض ص ٥٨٣

وألحّ على بسطام فرسانٌ من بنى يربوع ، وكان دارعا(١) ، وهو على ذات النُّسُوع(٢) ، فكانت إذا أجدَّت(٣) لم يتعلّق بها شىء من خيلهم ، فإذا أوعَثَت(٤) كادوا يلحقونها، فلما رأى ذلك بسطام نَثَل دِرْعه(٥)، فوضعها بين يديه على قَرَبوس(٦) السَّرج، وكره أن يرمىَ بها، وخاف أن يُلحَق فى الوَعْث، فلم يزل ذلك دَيْدَنه ودَيْدَن القوم حتى حَمِيَت الشمس عليهم وخاف اللَّحاق، فمر بوِجار(٧) ضَبُع فرمى بالدِّرع فيه، فمدّ بعضُها بعضاً، حتى غابت فى الوِجار، فلما خَفّ عن الفرس امّغَطَت(٨) ففاتت الطلب، فكان آخرَ من أتى قومه بعد ما ظنّوا أنه قد قُتِل.

فقال متمم بن نُوَيرة فى أسيد بن حِنَّاءة :

لعمرى لنِعْمَ الحىُّ أسْمَعَ غُدْوَةً ... أسيدٌ وقد جَدَّ الصُّراخُ المُصَدَّقُ

فأسْمَع فِتيانًا كجِنَّةِ عَبقَر(٩) ... لهم رِيقٌ عند الطِّعان ومَصْدَق

أخذْنَ به جنْبَىْ أُفَاقَ وبطنَها ... فما رجعوا حتى أرَقُّوا(١٠) وأعْتَقُوا

وقال العوّام الشيبانى فى بسطام وأصحابه :

إن يَكُ فى يوم الغَبِيط مَلامةٌ ... فيوم العُظَالَى كانَ أخْزَى وَألْوَما(١١)

أناخُوا يريدون الصَّباح فصبَّحُوا ... وكانوا على الغازِين دعوةَ أشْأما

---

(١) يقال : رجل دارع ، إذا كان عليه درع (٢) ذات النسوع : فرس بسطام
(٣) أجدت : سلكت الطريق الوعر (٤) أوعثت : صارت فى الطريق السهل
(٥) نثل درعه : ألقاها عنه (٦) قربوس السرج : حنوه (٧) الوجار : جحر من جحرة الضب (٨) امتدت وأسرعت لا تلوى على شىء (٩) عبقر : موضع بالبادية كثير الجن يقال فى المثل : كأنهم جن عبقر (١٠) استرق وأرق : نقيض أعتقه.
(١١) رواية اللسان ــ مادة غبط وعظل :

فإن تك فى يوم العظالى ملامة ... فيوم الغبيط كان أخزى وألوما

فررْتُم ولم تلْوُوا على مُجْحرِيكم[1] لو الحارث الحرّابُ[2] يُدْعى لأقْدَما
وما يُجمِّعُ الغزوُ السريعُ نفيرُهُ وإن تحرموا يوم اللقاء القنَا الدما
ولو أنَّ بسطاماً أُطيع بأمره لأدّى إلى الأحياء بالنَّحْو مَغْنَما
ولـكنَّ مفروقَ القنا وابن خاله أَلَامَا فليما يومَ ذاكَ وشُوِّما
ففرَّ أبو الصهباء إذ حَمِس الوغى وألقى بأبدان[3] السلاح وسَلَّمَا
وأيْقن أن الخيلَ إن تلْتَبِسْ به تَئِمْ عرسُه أو يملإِ البيتَ مأْتما
ولو أنهـا عُصْفُورَةٌ لحسِبْتُها مُسَوَّمَةً تدعو عُبَيْدًا وأَزْنَمَا
أبى لك قيــدٌ بالغبيط لقاءهم ويومُ العُظَالى إذ نَجَوْتَ مُـكَلَّمَا
فَأفْلَتَ بسطام جَرِيضاً بنفسه وغادَرْنَ فى كَرْشَاءَلَدْنا مُقوَّما[4]

---

(١) المجحر : المضطر الملجأ (٢) جاء فى تعليق على المخصص صفحة ٢٠٢ جزء ١٥ ؟ سمي هذا اليوم يوم العظالى لأن بسطام بن قيس وهانىء بن قبيصة ومفروق بن عمرو الشيبانيين حين خرجوا غازين بنى تميم تعاظلوا على الرياسة ، وقد أخطأ شارح القاموس الزبيدى إذ عد مع هؤلاء الثلاثة رابعاً قال إنه الحوفزان، وذلك لا أصل له لأن الحوفزان قد مات قبل هذه الغزوة بزمان ، ومصداق ذلك قول العوام بن شوذب الشيبانى يهجو قومه ، وقد أسرته بنو يربوع يوم العظالى إذ فر قولم عنه :

فررتم ولم تلووا على مرهقيكم لو الحارث القدام فيهـا لأقدما

والحارث القدام هو الحوفزان ، وأخطأ أيضاً فى تقوله على الزمخشرى فى أساسه : إن تميا غزت بكر بن وائل، والحق أن تميا مغزيون لا غازون ، والذى فى الأساس: يوم لتميم على بكر بن وائل، وأخطأ أيضاً كخطأ الميدانى فى رواية بيت العوام المذكور :

إن تك فى يوم الغبيط ملامة فيوم العظالى كان أخزى وألوما

فقدما المتأخر وأخرا المتقدم ، (وقد روى هذا البيت فى اللسان كما تقدم فى صفحة ١٩٤ حاشية رقم ٢) وأخطأ السيوطى فى شرح شواهد المغنى فنسب شعر العوام المذكور إلى جرير .
هذا هو التعليق مع أن صاحب اللسان والنقائض يقولان : إن الحوفزان كان من المتعاظلين ــ راجع اللسان مادة عظل، والنقائض ٥٨٠ (٣) البدن : الدرع والجمع أبدان (٤) تقدم هذا البيت لعميرة بن طارق .

وقاظَ أسيراً هانىءٌ وكأنما مَفَارِقُ مفروقٍ تغشَّين عَنْدَما[١]

وقال :

قبحَ الإلٰه عصابةً من وائل يوم الأُفاقَة أسلمُوا بِسْطاما

ورأى أبو الصَّهباء دون سوامِهم عَرْكا يُسَلِّى نفسه وزحامَا

كنتم أسوداً فى الرَّخَا فوُجِدْتُمُ يوم الأُفاقَة بالغَبيط نَعاما

فلما أَلحَّ العوَّام فى ذلك أخذ بسطام إبله فقالت أمه :

أرى كل ذِى شِعْرٍ أصاب بِشعْرِه سوى أن عوَّاماً بما قال عيَّلا[٢]

فلا تَنطِقن شعراً يكونُ جِوارُه كما شعر عوَّام أعَامَ[٣] وأرْجلا

(١) العندم : شجر أحمر ، وقال الأصمعى : هو صبغ ، زعم أهل البحرين أن جواريهم يختضبن به

(٢) عيل : صيرهم عيالا : فقراء (٣) أعام القوم : هلكت إبلهم فلم يجدوا لبناً .

(٥) يوم الغبيط*

غزا بسطام بن قيس الشيبانى والحارث بن شريك ـ الحوفزان، ومفروق بن عمرو، فى جمع من بنى شيبان بلادَ بنى بنى تميم ، فأغاروُا على بنى ثَعْلَبة بن يربوع، وثَعْلبة بن سعد بن ضَبَّة ، وثعلبة بن عدىّ بن فزارة ، وثعلبة بن سعد بن ذبيان ، وكانوا متجاورين بصحراء فَلْج[١] ، فاقتتلوا ؛ فهُزمت الثَّعالبُ ، وأصابوا فيهم ، واسْتَاقوا إبلا من نَعمهم ، ثم امترُّوا[٢] على بنى مالك[٣] ، وهم بين صحراء فَلْج وغَبيط المدَرَة، فاكْتَسحوا إبلهم ، فركبت عليهم بنو مالك، يقدمهم عتيبة بن الحارث اليربوعى ، وفرسانُ بنى يربوع تَأَثَّفُ[٤] الشيبانيين ، ومعه من رؤساء تميم: الأحيمر بن عبدالله ، وأُسيد بن حبَّاءة ، وأبو مَرْحب ، وجزء بن سعد الرياحى، وربيعُ والحُلَيْس وعُمارة ـ بنو عتيبة بن الحارث، ومالك بن نويرة وغيرهم ، فأدركوهم بغبيط المَدَرة؛ فقاتلوهم حتى هزَمُوهم ، وأخذوا ما كانوا استاقوا من آبالهم[٥] وانْهزَموا ، وقتلت بنو شيبان أبا مرحب ثعلبه بن الحارث ، وألحَّ عتيبة بن الحارث ، وأُسَيد بن حبّاءة، والأحيمر ابن عبد الله على بسطام بن قيس ، وكان أُسَيْد أدنى إلى بسطام من الرجلين ، فوقعت يد فرسه فى ثَبْرة[٦] ، وتقدَّم بِسْطام وجعل يلتفت هل يرى عتيبة ؟ وقد صار فى

---

* لشيبان (من ربيعة) على يربوع (من تميم) ، والغبيط ، ويسمى غبيط المدرة: أرض لبنى يربوع، ويُسمى هذا اليوم أيضا يوم الثعالب ، ويوم أعشاش، ويوم صحراء فلج

النقائض ص ٧٥ ، ١١٣٢ طبع أوربا ، ابن الأثير ص ٣٦٥ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣٣٨ ج ٣

(١) واد لبنى العنبر بن عمرو بن تميم ، يقع أول الدهناء (٢) افتعلوا من المرور

(٣) هم بنو مالك بن زيد مناة بن تميم (٤) تأثف: يريد تتبعهم وتحوطهم مثل تأثف الأثافى الرماد (٥) آبال وإبل بمعنى واحد (٦) هى الوهدة تكون فى الأرض كالحفرة.

أفواه(١) الغُبُط ، فلحق عتيبةُ بسطاماً ، فقال له : استَأْسِرْ يا أبا الصَّهباء . فقال له : ومن أنتَ ؟ قال : أنا عتيبة ، وأنا خير لك من الفَلاة والعطش ؛ فاستأسر . أما الأحيمر بن عبد الله فإنه كان محدوداً(٢) ، فكان فارساً ذا بأسٍ شديد ، ولا حظٌّ له فى ظَفَر .

ولما أسر عتيبة بسطاماً نادى بنو شيبان بِجَادا — أخا بسطام — كُرَّ على أخيك ، وهم يرجون إذا أبّسُوه(٣) أن يكُرّ فيأسروه ؛ فنادى بسطام أخاه إن كررتَ يابجادَ فأنا حَنيف —وكان نَصْرَانيًا— فلَحق بجاد بقومه .

فقالت بنو ثعلبة : ياأبا حرْزَة — عتيبة — إن أبا مَرْحب قد قُتِل ، وقد أسرتَ بسطاماً ، وهو قاتلُ مليلٍ وبجيرٍ ابنى أبى مليل، ومالك بن حِطّان يوم قُشاوة فاقْتُله. قال : إنى مُعيل ، وأنا أحب اللَّبْن(٤) . قالوا : إنك لتُفَادِيه وتخلّى عنه فيعود فيحرُبُنا(٥)، فأبى. فقال بسطام: ياعتيبة ؛ إن بنى عبيد أكثر من بنى جعفر وأعز ، وقد قتل أبو مَرْحَب ، وله فى بنى عبيد أثرٌ بئيس(٦) ، وهم آخذىّ منك ، ولن تقدر بنو جعفر على أن يمنعونى منهم ، وأنا معطيك من المال عائرة عَيْنَيْن(٧) ؛ فقال : لاجرم! والله لأضعنّك فى أعزِّ بيتين من مُضَر : فى بنى جعفر بن كلاب ، أو فى بنى عمرو ابن جندب ؛ فاختار بسطام بنى جعفر ، فتحمّل عتيبة بأهله وبه قاصداً بنى عامر بن صعصعة، لئلا يؤخذ فيُقْتل(٨) حتى لحق بالشَّرَبَّة(٩) ببنى جعفر فنزل به .

---

(١) هى مسايل المياه • (٢) المحدود : الممنوع من الخير (٣) الأبس والتأبيس : أن يعيروه حتى يغضب فيأنف من التعيير فيرجع فيؤسر (٤) اللبن : جمع لبونة، وهى الناقة ذات اللبن (٥) يحربنا : مثل يطلبنا يأخذ أموالنا ويتركنا بلا شئ (٦) بئيس : شديد (٧) يقال أعطاه من المال عائرة عينين : أى ما يذهب فيه البصر مرة هنا ومرة هنا ، فعائر العين : ما يملؤها من المال حتى كاد يعورها (٨) إنما قصد بنى عامر لأن عمته خولة بنت شهاب كانت متزوجة فيهم (٩) يقال لكل نحيزة من الشجر شربة ، وجعفر بطن فى عامر .

فما توسَّط بسطام بيوت بنى جعفر قال : واشيباناه ! ولا شيبان لى ! فبعث إليه عامرُ بن الطُّفيل إن استطعتَ أن تلجأَ إلى قُبّتى فافعـل ، فإنى سأَمْنَعُك ، وإن لم تستطع فاقذف بنفسك إلى الرَّكِىّ(١) التى خلف بيوتنا .

فأَتَت أمّ حَمَل(٢) عتيبة، فخبَّرته بما كان من أمْر عامر ، فأمرعتيبة ببيته فقُوِّض وركب فرسه ، وأخذ سِلاحَه ، ثم أتى مجلس بنى جعفر ، وفيه عامر بن الطفيل ، فحيَّاهم ، ثم قال : ياعامر ؛ إنه قد بلغنى الذى أرسلتَ به إلى بسطام ، فأنا مُخَيِّرُك فيه خِصالا ؛ فاختَرْ أيتهنَّ شئتَ . قال عامر : ماهنَّ يا أبا حَرْزة ؟ قال : إن شئتَ فأَعْطِنى خِلْعَتك(٣) وخِلْعةَ أهل بيتك حتى أطلقه لك ؛ فليست خِلْعَتُكَ وخِلْعة أهل بيتك بشرٍّ من خلعته وخِلعة أهل بيته ، فقال عامر : هـذا ما لا سبيلَ إليه . فقال عتيبة : فضَعْ رِجْلك مكان رجله فلستَ عندى بشرٍّ منه . فقال عامر : ما كنتُ لأفعلَ . فقال عتيبة : فأخرى هى أهْونهن . فقال عامر : ما هى ؟ قال عتيبة : تتبعنى إذا أنا جاوزتُ هـذه الرابية فتقارِعُنى عنه الموتَ ، فإمَّا لى وإمَّا علىَّ . فقال عامر : تِيك أبْغضهنَّ إلىَّ .

فانصرف عتيبة إلى عمرو بن جندب ؛ فإنه لفى بعض الطريق إذ نظر بسطام إلى مركَب أم عتيبة فقال : ياعُتَيبة ؛ أهـذا مركبُ أمك ؟ قال : نعم . قال : ما رأيتُ كاليوم قطّ مركبَ أمّ سيِّد مثل هذا ! إن حِدْجَ(٤) أمك لرَثّ ! قال عتيبة : ألك إرث ؟ قال : نعم . قال عتيبة : أما واللات والعُزَّى ؛ لا أُطلقك حتى تأتينى أُمُّك بكل شىء ورَّثَك قيس(٥) بن مسعود وبِجَمَلِها وحِدْجها(٦) .

---

(١) الركى : جمع ركية ، وهى البئر (٢) هى تابعة كانت له من الجن (٣) يعنى بخلعته ماله ينخلع عنه (٤) الحدج : مركب من مراكب النساء (٥) والد بسطام

(٦) كان حدج أم بسطام كبيراً ذا ثمن كثير ، وهذا الذى أراد بسطام ليرغب فيه فلا يقتله .

فأتته أمٌّ بسطام على جملها وحِدْجها وبثلاثمائة بعير[١] ، وفدى نفسه بها على أن يجزَّ ناصيته ويُعاهده ألا يغزو بنى شهاب[٢] ، فقال عتيبة فى أسره :

أَبلغ سراةَ بنى شيبان مَأْلُـكَةً ... أنى أَبَأْتُ[٣] بعبدِ الله بِسْطَاما
إن تَحْرِزُوه بذى قارٍ فَذَاقِنَةٍ[٤] ... فقد هبطتُ به بِيداً وأعلاما
قَاظَ[٥] الشَّرَبَّةَ فى قَيْدٍ وسلسلةٍ ... صوتُ الحديدِ يُغنِّيه إذا قاما

(١) لم يكن عربى أغلى من بسطام فداء (٢) بنو شهاب قوم عتيبة ، قال فى ابن الأثير : لما خلص بسطام من الأسر أذكى العيون على عتيبة وإبله فعادت إليه عيونه فأخبروه أنها على أراب ، فأغار عليها وأخذ الإبل كلها ، ومالهم معها (٣) أبأته من البواء : وهو أن يقتل الرجل بمن قتل (٤) ذو قار وذا قنة : موضعان (٥) قاظ بموضع كذا : أقام زمن القيظ فيه .

(٨) يوم قُشاوة*

خرج بِسطام بن قيس غازياً لبنى يَرْبوع، حتى اطَّرد نَعَما لرجلين من بنى سليط[١]، يقال لأحدهما سُمَير وللآخر حُجَير ، وهما من بنى يربوع ، فأتى الصريخُ[٢] بنى عاصم بن عبيد بن ثَعْلَبة ـ وكانوا أدنى الناس منهم .

فركب سبعةُ فوارس من بنى عاصم فيهم بُجير بن عبد الله ، ومليل بن عبد الله ، والأحيمر ـ حريث بن عبد الله، ومالك بن حِطّان بن عوف ؛ وخرج معهم قومٌ من بنى سَليط ، حتى أدركوا القوم .

فلما نظروا إلى جيش بِسْطام هابُوا أن يُقْدِموا عليهم ، فقال مُلَيل بن أبى مليل: يابنى يربوع ؛ إنه لا طاقةَ لكم بهذا الجيش إلا بمِثْلِه ، فأَرْسلوا بجيراً يَسْتَصْرِخ لكم ـ وإنما أَمرهم بذلك مخافةً عليه أن يُقتل ؛ فقال بجير : لا والله لا ذهبتُ صريخاً بعد أن عاينتُ القومَ . فلما غلبه قال لابن عمِّه : اذهب أنتَ يا أُحَيْمِر ! فقال: لا ، والله لا أذهب، فقال لمالك بن حِطَّان : فاذهب أنت صريخا: فقال: وأنا لا أذهب. فقال لهم مُليل بن أبى مليل: فأعطونى قولاً أثق به وأطمئن إليه؛ لتَضْبِطُنَّ لى أنفسكم، ولا تُقْدِموا على الجيش حتى آتيكم ؛ ففعلوا .

وذهب مُليل صريخاً ، فلما سار نظر إليه بسطام فقال لأصحابه: ذلك الذى يركُض سيَجْلِب عليكم شرًّا ، فانظروا أن تفرَغُوا من أصحابه قبل أن يأتيكم الناسُ ؛

---

* لشيبان (من بكر) على يربوع (من تميم) وقشاوة : موضع قال عنه ياقوت : كانت به وقعة لبنى شيبان على يربوع ، وهو يوم نعف قشاوة .

معجم البلدان ص ٩٢ ج ٧ ، النقائض ص ١٩ طبع أوربا ، ابن الأثير ص ٣٦٤ ج ١

(١) سليط : فى يربوع (٢) الصريخ : المستغيث .

فبرز بِسْطام فى فُرسانٍ من أصحابه ، حتى دنا من القوم ، فـكلّمه بجير ، فقال له بسطام : مَن أنت ؟ قال : أنا بجير بن عبد الله بن الحارث . فقال : يابجير ؛ ألم تكن تَزْعم أنك فتى يربوع وفارسُها ؟ قال : بلى! وأنا الآن أَزْعمُه ، فابرُزْ لى ؛ فأبى أن يبرز له بِسطام ، وقال : ما أظنّ نسوة بنى يربوع يظنّنّ بك هذا الظن وأنْتَ تُحْجِم عن الـكتيبة حين رأيتَها ، ثم قال لصاحبيه أحيمر ومالك مثلَ ذلك .

فلم يزَلْ يَشْحَذهم ويحضّضهم كيداً منه وخَديعة حتى حملوا على أفراسهم وسط القوم؛ فأما بُجير فلقيه المُلَبِّد بن مسعود ـ عم بسطام ـ فاعتنق كُلُّ واحدٍ منهما صاحبَه ، فوقعا إلى الأرض عِكْمَىْ[1] عَير ؛ فاعتلاه بُجَير . فلمـا خشى المُلَبَّد أن يظهر عليه بُجير نادى رجلا من بنى شيبان يقال له لُقَيْم بن أوس : يالقيم ؛ أَغِثْنى ، فقد قتلنى اليربوعى ؛ فـال إليه لُقَيم فضربه على رأسه فقتله . وخرّق أُحَيمر بالقنا ، وتُرِك مطروحاً ، فظنوا أنهم قد قتلوه . وضُرب مالك بن حِطّان فأُمَّ فماش مَأموماً[2] سنة ، ثم مات من آمّته ، وانهزمت بنو سليط .

فلما انهزموا قال بسطام : يابنى شيبان ؛ أيسرُّكم أن تأسروا أبامليل ؟ قالوا : نعم . قال : فإنه أولُ فارس يطلُـع عليكم الساعة ؛ أتاه مليل فأخبره خبرَنا ، وخبرَ ابنه ، فلم ينتظر الناس ؛ فليتخلَّفْ معى منكم فوارسُ فإنكم ستجدونه مُـكِبّاً على بُجَير حين عايَن جيفَتَه .

فـكمن له بسطام فى عشرةِ فوارس قريباً من مصرع أصحابه ، فلم يلبثوا إلا قليلا حتى طلعَ عليهم على فرسه بَلْعاءَ .

فلما عايَن بُجيراً نزل فأكبّ على جيفَته يُقبّله ويحتضِنُه ؛ وأقبل بسطام ومَنْ

(١) يقال : وقع المصطرعان عكمى عير ، وكعـكمى عير ، وتعامعا لم يصرع أحدهما صاحبه

(٢) المأموم : الذى أصيب فى أم رأسه ، وأم الرأس: الدماغ ، أو الجلدة الرقيقة التى عليها .

كان معه يركضون ، حتى أتوْه ، فوجدوه مكبًّا عليه ، وبَلْعاء يَمْلُك لجامَه واقفاً ، فأسَرُوه وأخذوا فرسه .

فلما صار فى يدى بسطام قال : يا أبا مليل ؛ إنى لم آخذك لأقْتُلَكَ . قال : قد قتلتَ ابنى ، ووددتُ أنى مكانه ، أَمَا إنَّ طعامَك علىَّ حرام ما دمتُ فى يدك !

فكان أبو مليل يُؤْتَى بالطعام فيبيتُ يطردُ عنه الكلاب مخافةَ أن تأكلَه ، فيظنوا أنه أكله هو ، حتى جُهِد ؛ فلما رأوا جَهْدَه قال بِشْر بن قيس لأخيه بسطام: إنى لا آمنُ أن يموتَ أسيرك هذا فى يديك هَزْلًا[١] ، فتسبّك به العرب ، فنِعْمه نَفْسَه .

فأتاه ، وهو مَجْهود ، فقال له : يا أبا مليل ؛ أتشترى منى نفسك ؛ قال أبومليل: نعم . قال : بكم ؟ قال أبو مليل : بمائةٍ من الإبل ، فإن لك مائة بدم بجير ، قال : تِلَادِى أحبُّ من تِلادِك والدَّمُ لك . فخلِّنى أذهب ، فخلّاه بسطام بغير فداء ، وأحْلَفَه الا يعقب[٢] ، وألاَّ يَتْبَعه بدم ابنه بُجير ، ولا يبغيه غائلة ، ولا يدل له على عَوْرَة ، ولا يُغير عليه ولا على قومه ، وعاهده على ذلك ، ثم جزَّ ناصيته ، فرجع إلى قومه ، وأراد الغدر ببسطام ، ولما علم بسطام حذره .

فلما أتى قومه أخبرهم خبره ، فقال متمم[٣] بن نويرة :

أَبْلغ أبا قيسٍ إذا ما لقيتَه   نعَامَةُ أدنى دلوِه فَظَلِيمُ
بأنّا ذوو جَدٍّ وأن قبيلَكُمْ   بنى خالدٍ لو تعلمون كريمُ
وأن الذى آلى لكم فى بيوتكم   بِقَسمِهِ لو تَعْلَمُونَ أثيمُ[٤]

---

(١) الهزل : الهزال (٢) أى لا يغزوهم ثانية (٣) مالك بن نويرة فى رواية معجم البلدان (٤) إن الذى حلف ألا يعقب عليكم سيحنث ، ولا بد أن يغزوكم ثانية .

هو الفاجع المُنْكِى سراةَ صَدِيقِه   وذو طَلَبٍ يوم اللقاء غَشُوم
فَنَهْجُم أبياتاً ونُبْكى نُسَيَّةً   بِنِسْوَتنا يوماً لهن نَحِيمُ(١)
كأَنْ بُجَيْرًا لم يَقُلْ لى ما تَرَى   من الأَمْرِأو ينظرْ بوجْه قسيم(٢)
ولوشئتَ نَجَّاك الكُمَيْتُ ولم تكُنْ   كأنَّكَ نَصْبٌ للرجال رَجيمُ(٣)
ولكن رأيتَ الموتَ أدركَ تُبَّعًا   ومَنْ بعدَه من حادثٍ وقديم
فيالَعُبَيْدٍ حِلْفَةً إن خَيرَكم   بِجُزْرَةَ بين الوَعْسَتَيْنِ مُقيمُ(٤)
غدرتُمْ ولم تَرْبَعْ عليه ركابُكُمْ   كأنكم لم تُفْجَعُوا بعظيم
وكنتُ كذاتِ البوِّ رِيعتْ فرجَّعَتْ   وهل تَنْفَعَنْهَا نظرةٌ وشميمُ(٥)
أطافتْ فسافتْ(٦) ثم عادتْ فرجَّعتْ   ألا لَيس عنها سَجْرُها بصَرِيم

وقال مالك بن حطان ـ وهو فى المعركة قبل أن يموتَ :

لعمرى لقد أَقدمتُ مُقْدَم حاردٍ   ولكنَّ أقرانَ الظُّهورِمقاتِلُ(٧)
ولو شهدتْنى من عُبَيد عصابةٌ   حماةٌ لخاضوا الموت حيث أُنازل
بكل لَدِيذٍ لم يَخُنْهُ ثِقَافُه(٨)   وعَضْبٍ حُسَامٍ أَخْلَصَتْهُ الصياقلُ

---

(١) النحيم : البكاء والنحيب (٢) هذا البيت مكفأ ، والإكفاء : الإقواء ، والقسيم : الجميل والاسم منه القسامة (٣) الرجيم : المرجوم (٤) أراد عبيد بن ثعلبة بن يربوع وجزرة من أرض البكرمة من بلاد اليمامة ، والوعس من الرمل : اللين الموطوء الذى وعسته السائلة (٥) يقول : كنت كالناقة التى نحر ولدها فجاءت تشمه وترأمه ، وهل ينفعها ذلك فكذلك أنا لا أسكن حتى أثأر به . (٦) سافت : شمت ، والسوف : الشم ، وسجرها : حنينها ، يقول : ليس حنينها بمنصرم (٧) الأقران : الأعوان، الواحد قرن. والظهر : هو الناصر (٨) الثقاف : ما تسوى به الرماح .

وما ذَنْبُنَا أنا لقينا قبيـلةً ... إذا وَاكَلَتْ فُرْسَانُنَا لا تُوَاكِلُ

يساقوننا كأْسًا من الموت مُرةً ... وعرَّدَ عنَّا القُرْفونَ الحَنَاكِلُ(١)

فليت سُمَيْرًا كان حَيْضًا برِجْلها ... وليت حُجَيْرًا غرَّقتْهُ القوابِلُ(٢)

وليتهمُ لم يركبوا فى ركوبنا(٣) ... وليت سَليطًا دونها كان عاقِلُ

فما بين من هاب المنيَّةَ منكُمُ ... ولا بيننا إلا ليـالٍ قلائلُ

(١) الحناكل : القصار الأفعال ، الواحد : حنكل ، وعرد : فر (٢) إذا مات الصبى فى الرحم : قيل غرقته القوابل (٣) ركوب : جمع ركب . وعاقل : واد ببلاد قيس .

يوم زُبَالة*

خرج أبو جُمَل أخو بنى عمرو[1] بن حنظلة مغيراً ، ولحقه الأقرع بن حابس وأخوه فراس[2] فى ناس من تميم ، فرأسُوا عليهم الأقرع، فأغاروا على بكر بن وائل؛ فلقوهم بزُبَالَةَ .

فأما الأقرع وفراس فأسرهما بنو تيم الله[3] ، وأما أبو جُمَل فأخذه عمران بن مُرة بن هند .

ثم لقى بنو تيم الله بنى شيبان[4] ، ومعهم بنو رِباب ، فانتزع بسطام[5] بن قيس رئيس بنى شيبان الأقرع وأخاه منهم ، فاختصموا فيهما ، فحكّموا عِمران بن مرة، فحكم لبنى رِباب على بسطام بمائةٍ ، وجعل الأسيرين لبسطام .

وافتدَى الأقرعان نفسيهما من بسطام ، وعاهداه على إرسال الفِداء فأطْلَقهما ، فبعُدَا ولم يرسلا شيئاً .

وكان فى الأسرى إنسان من بنى يربوع ، فسمِعَه بسطام بن قيس فى الليل يقول :

فدًى بوالدةٍ علىّ شفيقة ... فكأنّها حَرَضٌ على الأسْقَام[6]

لو أنهـا علمت فيسكن جأشُها ... أنى سقطت على الفتى المِنْعَام

إنّ الذى ترجين ثَمّ إيابَه ... سقط العَشاء[7] به على بسطام

---

* لشيبان (من ربيعة) على تميم ، وزبالة : منزل بطريق مكة إلى الكوفة النقائض ص ٦٨٠ ، ابن الأثير ص ٣٦٦ ج ١ ، شعراء النصرانية ص ٢٩٨

(١) عمرو بن حنظلة من تميم (٢) الأقرع بن حابس وأخوه فراس : يسميان الأقرعين وهما من بنى مجاشع من تميم (٣) تيم الله : من بكر (٤) شيبان : من بكر أيضاً

(٥) بسطام بن قيس الشيبانى : فارس بكر ، ويضرب به المثل فى الفروسية ، فيقال : أفرس من بسطام (٦) أى ذات حرض (لسان ــ مادة حرض)

(٧) يقال : سقط العشاء به على سرحان : يضرب للرجل يطلب الأمر التافه فيقع فى هلكة ، وأصله أن دابة طلبت العشاء فهجمت على أسد .

سقط العَشاء به على مُتَنَعّم   سَمْح اليدين مُعاوِدِ الإقْدام

فلما سمع بسطام ذلك منه قال له : وأبيك لا يُخبر أمّك عنك غيْرُك وأطلقه .

وقال أوس بن حجر[1] فى ذلك :

وصبَّحنا عارٌ طويلٌ بناؤه   نسُبّ به ما لاح فى الأفق كَوْكَب
فلم أرَ يوماً كان أكثر باكياً   ووجهاً تُرى فيه الكآبة تُجنب
أصابوا البُروك[2] وابن حابس عنوةً   فظلّ لهم بالقاع يوم عَصَبْصَب
وإن أبا الصهباء فى حَوْمَةِ الوغى   إذا ما ازْوَرَّت الأبطال ليثٌ مجرّب

---

(١) أوس بن حجر كان شاعر مضر فى الجاهلية حتى أسقطه النابغة وزهير فأصبح شاعر بنى تميم.
(٢) البروك والبرك جمع بارك ، والبرك : جماعة الإبل الباركة .

(١٠) يوم مُبايِض*

كان الفُرْسان إذا كانت أيامُ عُكاظ فى الشهر الحَرام ، وأَمِن بعضُهم بعضاً ، تَقَنَّعُوا حتى لا يُعْرَفوا ، وكان طَرِيف بن تميم العَنْبَرى رجلا جسيماً ، وهو فارسُ قومه لا يتقنّع كما يتقنَّعُون ؛ فوافى عُكاظ(١) . وكان قد قَتَلَ شَراحِيل(٢) الشيبانى ؛ وجاء حصيصة(٣) بن شراحيل — وهو شابٌّ قوى شجاع يطوف بالبيت . فقال: أرونى طَرِيفاً ، فأَرَوْهُ إياه ، فجعل كلما مرَّ به تأمَّله ونظر إليه ، ففطِن طريف ، وقال : لِمَ تَشُدُّ نظرك إلىّ ؟ قال حصيصة : أُريد أن أُثْبِتَكَ(٤) ، لعلّى أن أَلقاك فى جيش فأَقتلك ! فقال طريف : اللهم لا تُحِيل الحولَ حتى أَلْقاه ، ودعا حصيصة مثله ، فقال طَرِيفُ :

أو كُلَّمَا وردت عُكاظَ قبيلةٌ ... بعثوا إلىّ عريفَهم يتوسَّمُ(٥)

فتوسَّمونى إننى أنا ذلكم ... شاكى سلاحى فى الحوادث مُعْلَمُ

حَوْلِى فوارسُ من أُسَيِّدَ شَجْعَةٌ ... وإذا نزلت فحول بيتىَ خَضَّمُ(٦)

---

* لشيبان (من بكر) على تميم ، ومبايض : ماء من مياه بنى تميم

ابن الأثير ص ٣٦٨ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣٤٤ ج ٣ ، معاهد التنصيص ص ٧١ ج ١ ، لسان العرب (مادة خضم) ، معجم ما استعجم — مبايض

(١) عكاظ : سوق بصحراء بين نخلة والطائف ، كانت تقوم هلال ذى القعدة وتستمر عشرين يوماً يجتمع فيها قبائل العرب فيتعا كظون ويتناشدون الشعر (٢) من بنى ربيعة بن ذهل ابن شيبان (٣) فى معجم ما استعجم : اسمه حميصة (بفتح الحاء والميم) ، وقيل إن الذى قتله : حميصة (بالميم) بن جندل بن قتادة الشيبانى . (٤) أثبتك : أعرفك حق المعرفة (٥) القبيلة : بنو أب واحد ، والعريف : رئيس القوم لأنه عرف بذلك ، والتوسم : التفرس (٦) فى رواية :

حولى فوارس من أُسيد جمة ... وبنى الهجيم وحولى بيتى خضم

وأسيد والهجيم : قبيلتان فى عمرو بن تميم ، والخضم (وزن بقم) اسم العنبر بن عمرو بن تميم ، وقد غلب على القبيلة ، يزعمون أنهم سموا بذلك لكثرة الخضم ، وهو المضغ بالأضراس (لسان العرب مادة خضم ، شجع) وشجعة : شجعان .

تَحتى الأغرُّ وفوق جِلْدِىَ نَثْرَةٌ   زَغْفٌ تَرُدُّ السَّيفَ، وهو مُثَلَّمُ(١)

فمضى لذلك ماشاء اللهُ ، ثم إن بنى عائذة ـ حُلَفَاء بنى ربيعة بن ذهل بن شيبان ـ خرج منهم رجلان يَصيدان، فعرض لهما رجلٌ من بنى مُرَّة بن ذهل بن شيبان، فذَعر عليهما صيدَهما، فوثبا عليه فقتلاه ؛ فثارت بنو مُرَّة ، يريدون قتلهما ، فأبت بنو ربيعة عليهم ذلك ؛ فقال هانئُ بن مسعود ـ رئيس ربيعة ـ لقومه: يابنى ربيعة؛ إن إخوتكم قد أرادوا ظُلْمَكم ، فَانمازُوا(٢) عنهم ، وإنى أَكْرَهُ أن يتَفَاقمَ الشرُّ بيننا، ثم ارتحل بهم ونزلوا على ماء يُقال له مُبَايِض ، فأقاموا عليه أشْهُرًا .

وأَبَقَ(٣) عبدٌ لرجل من بنى ربيعة ، فسار إلى بنى تميم ، فأخبرهم أن حيًّا جديداً من بنى بكر بن وائل نُزُول على مُبايض ، فقال طريف العنبرى : هؤلاء ثأرى يا آل تميم ، إنما هم أَكَلَةُ(٤) رَأْس ؛ وأرسل بعضهم إلى بعض ، وقالوا : هذا حىٌّ منفرد ، وإن اصْطَلَمْتُمُوهم أوهنتم بكر بن وائل .

فاجتمعوا وساروا على ثلاثة رؤساء(٥) ، فلما قاربوا بنى ربيعة بلغهم الخَبَرُ ، فاستعدّوا للقتال ، وخطبهم هانئُ بن مسعود وحثّهم على القتال ، فقال : إذا أَتَوْكم فقاتلوهم شيئاً من قِتال، ثم انْحَازُوا عنهم ، فإذا اشتغلوا بالنَّهْب فعودُوا إليهم ، فإنكم تُصيبون منهم حاجتكم .

---

(١) النثرة : الدرع ، الزغف : الدرع اللينة الواسعة المحكمة أو الدقيقة الحسنة السلاسل . (لسان العرب ـ مادة زغف)   (٢) انمازوا : انفصلوا   (٣) الإباق : هرب العبيد وذهابهم من غير خوف ولا كد عمل   (٤) أكلة رأس : أى قليل يشبعهم رأس واحد

(٥) أبو الجدعاء الطهوى على بنى حنظلة ، وابن فدكى المنقرى على بنى سعد ، وطريف بن تميم على بنى عمرو بن تميم .

وصبّحهم بنو تميم ، والقوم حَذِرون ، قد أقاموا على عَلَم مُبَايِض ، وشرّقوا بالأموال والسّرح[1] ، فقال لهم طريف : أَطيعونى ، وافرَغوا من هـذه الأُكْلب يَصْفُ لكم ما وَرَاءهم ، فقال له أبو الجدعاء – رئيس بنى حنظلة ، وفَدَكِيّ رئيس بنى سَعْد : أَنقَاتِل أكلباً أحْرَزُوا نفوسهم ، ونترك أموالهم ؟ ما هذا برَأْى ! وأبَوْا عليه .

وقال هانئ لأصحابه : لا يقاتل رجلٌ منكم ؛ ولحقت تميم بالنَّعَم والبغال ؛ فأغاروا عليها ، ومرّ رجل منهم بابْنٍ لهانئ بن مسعود صغير فأخذوه ، وقال : حَسْبى هذا من الغنيمة ، وسار به .

وبقيت تميم مع الغنيمة والسَّبْى ؛ فعادت شيبان عليهم فهزموهم وقتلوهم وأسَرُوهم كيف شاءوا ، ولم تُصَبْ تميمٌ بمثلها ، لم يُفْلِت منهم إلا القليلُ ، ولم يَلْوِ أَحَد على أحد ، وانهزم طريف فاتبعه حصيصة فقتَله ، واستردّت شيبان الأهلَ والمال ، وأخذوا مع ذلك ما كان معهم ، وفادى هانئ بن مسعود ابنَه بمائةِ بعير ؛ فقال بعضُ شيبان فى هذا اليوم :

ولقد دعوت طريفُ دَعْوَةَ جاهل ... غِرٍّ وأنت بمنظر لا تعلم[2]
وأتيتَ حيًّا فى الحروب محلّهم ... والجيش باسم أبيهم يُستقدم[3]
فوجدتَ قوماً يمنعون ذِمارهم ... بُسْلاً إذا هاب الفوارسُ أقْدَموا
وإذا دعوا ببنى ربيعة شمّروا ... بكتيبة مثل النجوم تلملم

---

(١) السرح : المال الراعى (٢) فى رواية :

* سفها وأنت بمعلم قد تعلم *

(٣) فى رواية : يستهزم .

حشدوا عليك وعجّلوا بِقرَاهم   وحَمَوا ذِمَار أبيهم أن يُشتموا
سامُوكَ دِرْعَك والأغرّ كليهما   وبنو أُسَيِّد أسْلموك وخَضَّمُ

وقال عمرو بن سواد يرثى طريفاً :

لا تبعدَنْ ياخيرَ عَمْرو بنِ جندُب   لعمرى لمن زارَ القبورَ ليَبْعُدَا
عظيمُ رَمَادِ النـــار لا مُتَعَبِّس   ولا مُؤْيِسًا منهـا إذا هو أوْقَدَا

(١١) يوم الزُّورَين *

كانت بكرُ بن وائل تَنْتَجِعُ أرضَ تميم في الجاهلية ؛ ترْعى بهـا إذا أجْدَبوا ، فإذا أرادوا الرجوعَ لم يَدَعُوا عَوْرَة يُصيبونها، ولا شيئًا يَظفرُون به إلا اكْتَسَحُوه، ثم تفاقم الشرُّ بينهما وعَظُمَ حتى صار لا يَلْقَى بَكْرِيّ تميميًّا إلا قتله ، ولا يلقى تميمى بكريًّا إلا قتله .

فقالت بنو تميم : امنعُوا هؤلاء القومَ من رَعْى أرْضكم . فحشَدت تميمٌ وحشدت بكر واجتمعت ، ولم يتخلف منهم إلا الحوفزان بن شريك فى أناس من بنى ذُهْل بن شيبان ، وكان غازيًا فى بنى دام .

فقدّمت بكر عليهم عمرو بن قيس بن مسعود الشيبانى(١) ؛ فحسده سائرُ ربيعة على الرياسة وأتوه ، فقالوا : يا أبا مَفْروق ؛ إنا قد زَحَفْنا لتميم ، وزحفوا لنا أكْثرَ ما كُنّا وكانوا قطّ . قال : فما تريدون ؟ قالوا : نريد أن نجعلَ كلّ حيّ على حِياله ، ونجعل عليهم رجلا منهم ، فنعرف غَناء كل قبيلة ؛ فإنه أشدُّ لاجتهادِ الناس . قال : والله إنّى لأُبْغض الخلافَ عليكم ، ولـكنْ يأتى مفروق(٢) فينظر فيما قلتم .

فلما جاء مفروق شاوره أبوه ، فقال له : ليس هـذا أرادوا ، وإنما أرادوا أن يَخْدَعوكَ عن رَأْيِك ، وحسدوك على رياستك ، والله لئن لقيتَ القوم فظفرت لا يزال الفضلُ لنا بذلك أبداً ، ولئِن ظُفِرَ بك لا تزال لنا رياسة نُعْرَفُ بها . فقال

---

* لبـكر (من ربيعة) على تميم ، والزوران : بعيران ، قال أبو عبيدة : وهما بكران مجللان قد قيدوهما وقالوا : هذان زورانا أى إلهانا . كما سيأتى ، وقد سماه ابن الأثير يوم الزويرين . العقد الفريد ص ٣٤٢ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٦٨ ج ١، لسان العرب (زور)

(١) كان يكنى بأبى مفروق ويلقب بالأصم (٢) مفروق هو ابن عمرو .

عمرو : ياقوم ؛ قد استشرت مفروقًا ، فرأيتُه مخالفًا لكم ، ولستُ مخالفًا رَأْيَه ، وما أشار به .

وأقبلت تميم ببعيرين مجلّلين مقرونين مقيَّدين ؛ وتركوهما بين الصَّفين معقولين، وسَمَّوْهما زُورَيْن[1] وقالوا : لا نُوَلِّى حتى يولِّى هذان البعيران .

فأخبرتْ بكرٌ عمرو بن قيس بقولهم ؛ فقال : وأنا زُورُكم ، وبَرَك بين الصَّفين ، وقال: قاتلوا عنى ، ولا تَفِرُّوا حتى أفِرّ . والتقى القوم فاقتتلوا اقتتالا شديداً، وأسرتْ بنو تميم حراث بن مالك ، فركض به رجلٌ منهم ، وقد أردفه ، واتبعه ابنه قتادة ابن حراث، حتى لحق الفارسَ الذى أَسَرَ أباه فطعنه فأرداه عن فرسه ، واستنقذ أباه .

ثم استمرَّ القتـل بين الفريقين ، فانهزمت بنو تميم وقتلت بكرٌ منهم مقتلة عظيمة ، وأخذت الزَّورين فنحروا أحدهما فأكلوه، وافتحلوا[2] الآخر وكان نجيباً .

واحترفتْ بكر أموالَهم ونساءهم ، وأسروا أسرى كثيرة ، ووصل الحوفزان ـ الحارث بن شريك ـ إلى النساء والأموال ، وقد سار الرجال عنها للقتال ؛ فأخذ جميعَ ما خلّفوه ، وعاد إلى أصحابه سالما ؛ وقال الأعشى فى ذلك :

يا سلْمُ إن تسألى عنا فلا كُشُف ... عند اللقاء ، ولَسْنَا بالمقاريف[3]

نحن الذينْ هزَمْنا يوم صبَّحَنَا ... جيش الزُّوَيْرَيْنِ فى جمع الأحاليف

ظلّوا وظلّتْ تكرُّ الخيـل وَسْطَهم ... بالشيب منا وبالمُرْدِ الغطاريف

تستأنفُ الشَّرَفَ الأعلى بأعينها ... لمحَ الصُّقور علَتْ فوق الأظاليف[4]

انسلّ عنها نسيلُ الصيف فانجردت ... تحت اللبون مُتُونٌ كالزَّحاليف[5]

(١) الزوران : مثنى الزور ، وهو كل شىء يتخذ ربا ، ويعبد من دونه تعالى (٢) عبارة اللسان عن أبى عبيدة : وأخذ البكران فنحر أحدهما ، وترك الآخر يضرب فى شولهم .
(٣) الكشف : جمع أكشف ، وهو الذى لا يثبت فى القتال . والكشف أيضا : الذين لا يصدقون القتال لا يعرف له واحد (اللسان ـ مادة كشف) (٤) الأظاليف : جمع أظلوفة ، وهى الأرض الحزنة الخشنة (٥) الزحاليف : جمع زحلوفة ، وهى آثار تزلج الصبيان من فوق التل إلى أسفله .

وقد أكثر الشعراء فى هذا اليوم لا سيما الأغاب العجلى(١) ؛ فمن ذلك أرجوزته التى أولها :

* إن سَرَّكَ العِزُّ فجَحْجِح(٢) بجُشَمْ *

يقول فيها :

جاءوا بزُورَيْهِمْ وجِئْنَا بالأصم   شيخٍ لنا كالليثِ من بَاقٍ إرَمْ
شيخٍ لنا مُعَاوِدٍ ضَرْبَ البُهَمْ(٣)   يضربُ بالسيف إذا الرمح انقَصَمْ
هل غير غارٍ(٤) صَكَّ غاراً فانهزَمْ

(٢) فى اللسان بعد أن نسب الأرجوزة إلى الأغلب ، قال : وقال ابن برى : قال أبوعبيدة: إن البيت ليحيى بن منصور وأنشد قبله :

كانت تميم معشراً ذوى كرم   غلصمة من الغلاصيم العظم
ماجنوا ولا تولوا من أمم   قد قابلوا لو ينفخون فى فحم
جاءوا بزوريهم وجئنا بالأصم   شيخ لنا كالليث من باقى إرم
شيخ لنا معاود ضرب البهم

اللسان (مادة زور ومادة جحجح)

(٢) جحجح الرجل : ذكر جحجاحا من قومه، والجحجاح : السيد الكريم (٣) البهم : الشجاع
(٤) الغاران : بكر وتميم .

(١٢) يوم عاقل*

كان الصِّمَّةُ الجُشَمِي أغارَ على بني حَنْظلة[1] بعاقل، فأسره الجَعْد بن الشَّمَّاخ[2] وهزَم جيشَه، وأُصيب فيهم؛ ثم إن الصِّمة قد أبطأ فِدَاؤه، فكان الجَعْد يأتيه كلَّ هلال شَهْرٍ بأفْعى فيحلِف بما يُحلَفُ به لئِن هو لم يَفْدِ نفسه ليُعضِّنَّها إياه.

فلما طال ذلك جزَّ ناصيتَه على الثواب. ثم أتاه مُسْتَثِيبا، فقال له الصِّمة: مالك عندي ثوابٌ، وضرب عُنُقَه.

فضرب عليه الدهرُ من ضَرَبانه[3]، ثم إن الصِّمة الجُشَمِيَّ أتى عكاظ فلقي ثَعلبة بن الحارث[4] وهو أبو مَرْحب؛ وكان حرب بن أُمية يدعو الناسَ رجلين رجلين، فيُكرِمُهما، ويَخُصّ بذلك أهلَ الفضل، فجادت دَعْوَة الصِّمة، وأبي مَرْحَب؛ فكره الصِّمَّةُ ذلك لحداثةِ أبي مرحب، ثم قرّب إليهما حربٌ تمراً، فجعل الصِّمة يأكل التمر، ويُلْقِي النوى بين يدي ثَعلَبة، ويقول له: أبْصِرْ ما عندك من النوى! فقال له أبو مرحب: إنك أكلتَ ما أكلتَ بنواه، فذلك الذي أعْظَمَ بَطْنَكَ، فقال الصِّمَّة: لا، ولكن أعْظَمَ بَطْني دماءُ قومِك! أينَ الجعد بن الشَّمَّاخ؟ فقال أبو مَرْحب: ما ذِكْرُكَ رجلاً أسَرَكَ، ومنّ عليك، ثم جاء يستثيبُك فغَدَرْتَ به وقتَلْتَه! لا والله لا ألقاكَ بعد يومي هذا إلا قتلتُك أو متّ دونك!

فمكث الصمّة زماناً، ثم غزا بني حَنْظَلة، فأسره الحارث بن بَيْبَة المجاشِعي،

---

* لبني حنظلة (من تميم) على جشم (من ربيعة)، وعاقل: وادٍ بنجد.
(النقائض ص ١٠١٩ طبع أوربا)

(١) بنو حنظلة: بطن في تميم (٢) من بني مالك بن حنظلة (٣) أي مر من مروره وذهب بعضه (٤) من بني مالك بن حنظلة.

وهزم جيشَه ، ثُمّ أجاره الحارث بن بيبة من إساره ذلك ؛ فقال الصمّة : سِرْ بي في قومك حتى أشترى أُسَرَاءَ قومى ، فسار به حتى أناخ فى بنى يربوع[١] ، فأقبلَ إليهما الناسُ ، وأقبل إليه أبو مَرْحب ؛ فلما رأى الصِّمَّةَ عرفه ، فخنس عنه[٢] ، وأخَذَ سيفه ، ثم جاء فضرب به بطْنَ الصِّمَّة ، فأثقله .

فلما رأى ذلك الحارث خرج فدعا يا آل مالك ؛ فأقبل بنومالك إلى بنى يربوع[٣] ، فلما خافوا القتالَ قام مضعب بن أبي الخير ؛ فقال : يابنى مالك ؛ هـذه يدى بجاركم فهى لكم وَفاء ! فقال راجز بنى مالك :

نحن أَبَأْنا مُصْعبا بالصِّمَّهْ   كلاهما شيخٌ قليــل اللِّمَّهْ

---

(١) بنو يربوع من بنى حنظلة   (٢) خنس : تأخر   (٣) يرْبوع ومالك من قبائل حنظلة بن مالك .

(١٣) يوم الشيِّطين*

كان الشَّيِّطَان لبكر بن وائل ، فلما ظهر الإسلامُ ، من غير أن يكون أهلُ نجدٍ والعراق أسلموا تركت بكرٌ الشَّيِّطين لأنهما أجْدَبا، ثم ساروا إلى السَّواد وأقاموا فيه. ثم أخصب الشيِّطان، فجاءت تميم حتى نزلوا فيهما ، ثم إن بكراً لحقهم الوباء فى السواد .

فولَّوا هاربين حتى نزلُوا لَعْلَع[1] ، وهى مجدبةٌ ، وقد أخْصَب الشيِّطان ، فكان مَقّاس بن عمرو[2] يقول : ليت بَكْراً فى هذا الخِصْب .

وكان أُكتل بن حيَّان العِجْلى طالبَ حاجةٍ فى بنى نهشل بن دارِم ، فلم يَقْضُوها له، فرجع من الشَّيِّطين إلى قومه بِلَعْلَع ، فأخبرهم بخِصْب أرضِهم الشيِّطين؛ فأجمعت بكرٌ على الإغارة على بنى تميم ، وقالوا : إن فى دين ابن عبد المطلب: إنّ مَن قتل نفساً قُتِلَ بها ، فنغير هذه الغارة ثم نُسلم عليها .

فارتحلوا بالذَّرارى والأموال ، ورئيسُهم بشر بن مسعود ، فأتوا الشَّيِّطين فى أربع ، وما بينهم مسيرة أيام ثمانية ، فسبقوا كلَّ خبر ، حتى صبَّحوهم وهم لا يشعرون

---

* لبكر (من ربيعة) على تميم ، والشيطان : واديان .

العقد الفريد ص ٣٤٤ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٩٩ ج ١ ، النقائض ص ١٠٢

(١) فى اللسان : لعلع : موضع ، قال :

فصدهم عن لعلع وبارق ضرب يشيطهم على الخنادق

وقيل : هو جبل كانت به وقعة ، وفى الحديث : ما أقامت لعلع ، فسره ابن الأثير فقال هو جبل وأنثه ، لأنه جعل اسماً للبقعة التى حول الجبل ، وقال حميد بن ثور :

لقد ذاق منا عامر يوم لعلع حساماً إذا ما هز بالكف صمما

ورقيا هو ماء بالبادية معروف

(٢) مقاس بن عمرو كان حليف بنى شيبان ومقيما بالشيطين.

فقاتلوهم قتالا شديداً ، وأخذوا أموالهم ، وصبرت تميم ثم انهزمت ، فقال رُشَيد بن رميض العَنَزى :

وما كانَ بين الشيِّطين ولَعْلَع　　لِنَسوَتنا إلا مَناقِلُ أربعُ
فجئنا بجَمْعٍ لم يرَ الناسُ مثلَه　　يكادُ له ظهرُ الوَرِيعَة(١) يَظْلع
بأرْعَنَ دَهْمٍ تُنْشَدُ البُلْقُ وسْطَهُ　　له عارضٌ فيـــه المنيَّةُ تَلْمع
إذا حانَ منه منزل القوم أوقدتْ　　لأُخراهُ أُولاه سنًا وتيفَّعُوا(٢)
فصَبَحْنا به سعداً وعمراً ومالـكا　　فظلَّ لهم يومٌ من الشرّ أشْنَعُ
وذى حسبٍ من آل ضَبَّةَ غادرُوا　　يُجرُّ كما جُرَّ الفصيلُ المُقرَّع(٣)
تقصَّع يربوعٌ بسُرَّةِ أرضِنا　　وليس ليربوعٍ بهـا مُتَقصَّعُ
وقلتُ ليربوعٍ أسِرَّ نصيحةً　　ولو أن يربوعاً إذا امْتَارَ يرفَـعُ
يُخَلُّوا لنا صَحْنَ العِرَاقِ فإنَّه　　حِمًى منهم لا يُسْتَطاعُ مُمَنَّـعُ

فأجابه مُحْرِزُ بن المُـكَعبر الضبّى فقال :

فَخَرتم بيوم الشيِّطين وغيرُكم　　يضُرُّ بيوم الشيطين وينفعُ
وجئتم بهـا مذمومةً عَنَزِيَّةً　　تـكاد من اللؤم المبيَّن تظلع
فإن يك أقوامٌ أُصيبوا بغِرَّةٍ　　فأنتم من الغارات أخْزَى وأوْجَع
فريقان منهم من أتَى البحرَ دونَه　　ومُودٍ كما أوْدَتْ ثمودُ وتُبَّعُ
وما منـكمُ أفناءَ بَكرِ بن وائلٍ　　لِغارَتِنا إلا ذَلولٌ مُوَقَّـعُ(٤)

---

(١) الوريعة : اسم فرس 　(٢) تيفعوا : رفعوا نارهم على يفاع من الأرض لتبصر نارهم
(٣) المقرع : الذى به القرع وهو جدرى فيجر فى السباخ ليتفقأ ما به ، وروى فى اللسان
لدى كل أخدود يغادرن دارعا　　يجر كما جر الفصيل المقرع
منسوباً إلى أوس بن حجر 　(٤) بعير موقع الظهر : به آثار الدبر .

وقال مقّاس[1] بن عمرو :

تمنيتُ بكراً بالعراقِ مُقيمةً وأنّى لنا بكرٌ بأكناف عَرْعَرِ[2]
نهيتُ تميماً أن ترُبّ[3] نِجاءها وتطوى أحناءَ الركىّ المُعوَّرِ[4]
حلفتُ لهم بالله حِلْفَةَ صادِقٍ يميناً ومن لا يتّقِ الله يَفْجُرِ
ليَخْتَلِفنّ العـامَ راعٍ مُجنّبٌ إذا ما تلاقينا براعٍ مُعَشّرِ[5]
فأعْجَلْنَ ضبًّا[6] بالوريعة خُدْعةً ويَرْبُعُها ينفقْنَ فى كل مِجْحَرِ
وما كان رَوْضاطىّءٍ غيرَ شَرْبةٍ ولـكنّما كانا لنا شِرْبَ أشْهُرِ

ثم إن بكراً أتاهم كتاب النبي صلى الله عليه وسلم فأسلموا على ما فى أيديهم .

---

(١) اسمه مسهر ، ومقاس لقبه (٢) عرعر : مكان (٣) رب الشيء : أصلحه
(٤) عورت الركية : إذا طممتها وسددت أعينها التى ينبع منها الماء (٥) المجنب : الذى لا لبن فى إبله ، والمعشر : الذى قد نتجت إبله فصارت عشاراً . يقول : نحن لا لبن لنا فنأخذ إبلهم ورعاتها فنخلطها بإبلنا التى لا لبن لها (٦) ضبا : يعنى به ضبة يقول : أعجلنها أن تخدع فتلزم الجحر ، وإنما هذا مثل ، يقول : أغرنا عليهم قبل أن يندروا بنا .

(١٤) يومَ الوَقَبي*

كان عبدُ الله بن عامر عاملاً لعُثمان بن عفّان على البَصرة وأعمالهـا ، فاستعمل بشرَ بن حَزْن المـازنى على الأحماء(١) التى حَوْلَ البصرة ـ ومنها حِمَى الوَقَبي ـ فخرج يوماً هو وأخوه خُفاف بنُ حَزْن إلى الوَقَبي ، وحَفرَا بها رَكيّتَين(٢) .

ولما أنبَطَاهُمَا(٣) إذا ماؤُهما ماء الغَادِيَةِ(٤) عُذُوبة وطِيباً ؛ فتخوّفا أن يغلبَهما عبدُ الله بنُ عامر على الركيّتين ، فدَفناهما .

ورَقِيَ أمرُهما إلى عبد الله بن عامر ؛ فطلب منهما الركيّتين ، فأبَيا أن يَدْفعاهما إليه ، فأخرجهما منهما وقال : بإذْنِ مَنْ حَفرتما هاتين الركيّتين ؟ ومضَيَا هاربين ، ووجدا إبلاً لعبد الله فعقَراها .

وكان عبدُ الله قد استَعمل خالَه مسعدةَ السلمى على حَفَرٍ(٥) يعرف بحفرَ أبي موسى؛ ثم إن ناساً من أفْنَاء(٦) بكر بن وائل خرجُوا وعليهم شيبان بن خَصفة ورجل آخر يقال له قَبيصة ، وأتوا ماء لبنى نَهشل(٧) بن دارم ، فقاتلوهم على مائهم وظفروا بهم وقتلوا منهم أناساً ، وأقاموا به أيامًا .

---

* لتميم على بكر (من ربيعة) ، والوقبى: ماء لمازن على طريق المدينة من البصرة . وهو من الأيام التى آثرنا أن نعدها من الأيام الجاهلية للسبب الذى أسلفنا ذكره .

شرح التبريزى على ديوان الحماسة ص ٣٤ ج ١

(١) جمع حمى ، وهو المكان المحظور (٢) الركية : البئر (٣) أنبطاها : استخرجا ماءها (٤) الغادية : مطرة الغداة (٥) الحفر (ويسكن) : البئر الموسعة

(٦) أفناء : أخلاط ، والواحد فنو ، ويقال : رجل من أفناء القبائل : أى لا يدرى من أى قبيلة هو (٧) نهشل : بطن فى تميم .

ثم قالوا : ما هذا لنا بمنزل ، إنا لفى وسط بلاد بنى تميم ؛ فاحْتَملوا راجعين ، ثم نزلوا بحَفَرِ أبى موسى ، فوجدوا الحِياض مَلْأَى، فأَوْرَدُوا الإبل وسقَوْها ، وأرادوا أن يستقوا ليملئوا الحياض كما كانت ، فجاء مَسمدة عاملُ الماء وأغلظ لهمْ ، فقام إليه شيبان بن خَصفة فضربه بالسيف على وجهه فصرَعَه ، ونُقل إلى منزله .

وأقام البَكْريّون بالماء أيامًا ، ثم قالوا : نَنزِل الوقَبى فإنها أقربُ إلى بلاد بكر؛ فأَتَوْها ونزلوا بها .

ثم عاد بِشْر بن حَزن إلى الوَقَبى فوجدَ بها البكريين ، فأرسل إلى شَيْبان وقبيصة : إنْ كنتما تُريدان الثباتَ قيظَكما هذا ومَن معكما من قومكما فأقيما ، وإن كنتما تريدان غير ذلك فأعلمانى فإنها أرْضِى ومَائى .

فأرْسلا إليه يُواعدانه ويقولان : إن رأيناك بالوَقبى لنفْعلنّ بك ولنَصْنَعنّ

فخرج بِشْر وأخوه خُفاف وحُريث بن سلمة الشاعر وتفرّقوا : فواحدٌ منهم ذهب إلى بنى العنبر[1] ، وواحد إلى بنى يربوع بن حَنْظلة ، والثالث إلى بنى مازن ابن مالك ؛ فأجاب مستصرخ بنى عنبر سبعة نفَر ، وانطلق بعضهم يستصرخ بنى نَهْشَل لما كان من البكريين إليهم . فقالت بنو نهشل : والله مالكُم عندنا نُصرة ، وانطلق مستصرخُ يربوع حتى لقى بنى رياح[2] . فقالت بنو رياح : إخوتنا بنُو ثعلبة قدّامنا ولسنا نقطع أمراً دونهم ، فعليكم بهم فنحنُ لهم تَبَع ، فانطلقت بنُو مازن حتى وردُوا أعْشَاشا على بنى ثعلبة ؛ فلما وَرَدُوا الماء عليهم شَهَرهم أهل الماء ، ثم لقُوا عبد الله بن مالك المعروف بالمحلّف ، فأخبروه خبرَهم ، فقال : انزلوا أيها القوم، وعَمَد إلى بَكْرٍ فعقره وقَراهم إياه ، حتى إذا كان من العَشى ، وبرز أهلُ الماء لبس

---

(١) بنو مازنٌ والعنبر ويربوع ورياح وثعلبة بطون فى تميم (٢) رياح : بطن فى يربوع وكذلك ثعلبة .

بُردين وتخلّق[1] ـ وكذلك كانوا يفعلون إذا حزَبهم أمر ـ وأخذ قَناته وراح إلى وسط الماء ، ثم نادى بأرفع صوته : ياليَربوع ! يالثّعلبة ! يالَعاصم ؛ فخصّ وعمّ ، فثار الناسُ إليه ؛ فقال : « هؤلاء بنو أمكم[2] ، وبنو عمكم ، ويدُكم على العرب ، ولا قَرار لكم مع بكر بن وائل إن أخذَت دار بنى مازن » .

فركبُوا معه على كل صَعْب وذَلُول ، حتى أشرف بهم على بنى رِياح ؛ فلما رأَتهم بنو رياح رَكِبُوا معهم ، فانطلق القومُ حتى أَتَوْا الوَقبى ؛ فقالت بنو يربوع : يابنى مازن ؛ دَعُونا فلننظر لكم ونستبرئْ القوم ، فقالت بنو مازن : لقد رشُدتم .

وانطلق نَفَرٌ منهم حتى ورَدوا الماء على بكر ، فأخبروهم أنهم يَبغُون عبيداً لهم أبّاقاً[3] أفلَتُوا منهم ، فقرَوْهم حتى إذا أخذُوا يرُوحون ارْتابوا بهم ، فوثبُوا عليهم فلم يتركوا فى لِحاهم شعرةً إلاّ نَتَفُوها . فقال لهم اليَرْبوعيون : إنّا تَحرَّمْنا بطعامكم يا بكر بن وائل ، وهذا قِراكم فى بطوننا وحقائبنا ؛ فأرسَلوهم .

وانطلق القومُ نحو الكوفة يرُونهم أنهم فى إثْر عَبيدهم ، حتى إذا أمْسَوا رجعوا فأتوا أصحابهم وقالوا : يابنى مازن ؛ لم نجد والله لَنَا ولكم بهمْ يدين ، القوم كثير! فتكركر[4] القوم . فقال مَنْ ثَمَّ من بنى يربوع وبنى العنبر : أغيروا على نَعَمهم ، فلنأخُذْهُ ، فنكونَ قد أخذنا عوضا عما صُنع بنا .

فوثب بِشر بن حزن وقال : يالَمَازن ! قوموا إلىّ ، ولا يقومَنّ أحدٌ غيركم . فقاموا إليه ، فبرَزَهم ، وقال : يابنى مازن ؛ أذكركم الله ، أترضَوْن أن تُغير يربوع والعنبر فيأخذوا النَّعم ، ويكونَ ذهابُ داركم ! فقالوا : فما ترَى ؟ قال : أرى أن

---

(١) تخلق : تطيب بالخلوق (٢) كانت جندلة بنت فهر بن مالك القرشية أم يربوع ومازن
(٣) جمع آبق (٤) تكركروا : ترادوا . والكركرة : الارتداد عن الشىء .

تجملوا الثأر بالأنفس ، وتقاتلوا القوم ، فإن ظَفِرتم فالله أظفركم ، وإن تكن الأخرى كنتم قد أبيتم عُذْرًا في داركم .

فتابعوه على رأيه ، وقاموا إلى مَنْ هناك من يربوع والعنبر فقالوا : جزاكم الله خيراً من إخوة ، فإنكم لو كنتم دعوتمونا أطَعْنَاكم ، ولكنا نحن دعوناكم ، فارموا بنا في نُحور القوم ، وكونوا من ورائنا فأكْثِرُونا ، فإن نحن هُزِمْنا كنتم على حاميتكم وانصرفتم ، وإن نحن ظفرنا فهى التى تريدون ـ وكانوا قد شارطوهم ثلث الماء ـ فقالوا : قد فعلنا .

وانطلقوا وأصْبحوا على مكان يُشرف على الوَقبى ، فقالت بكر إذْ رأتهم : هذه عير قد أشْرَفَتْ عليكم ، وقالت بُريقة بنت شيبان : أحلف بالله ، إنى أرى البيض تبرق ، وإنى لأرى الأسِنَّةَ تَلْمع ؛ فبرز أبوها معه اللواء وهو يقول :

نحن حَفَرنا وبدأنا أوّلا ... ولن نكون الحاضرَ المحوّلا[1]

ولما التقى الجمْعَان خرج عُصيمة بن عاصم المازنى على جمل له، وهو محتجزٌ بملاءة له بيضاء على الدّرع وفى يده اللّواء ، فلقيه شيبان أبو بريقة ، وطعن كلٌّ واحد منهما صاحبَه ؛ فانحدرت مُلاءة عصيمة من فَخذَيه ، فنادى عصيمة رجلا من بنى مازن يقال له : خُنَيس ، وقال : ياخنيس ؛ أطْلِق الملاءة من فَخِذى ، فذهب خُنيس ليُطلق الملاءة من فخذيه ، فضربه رجل من بنى شيبان فقتله ، وجاء شيبان أبو بريقة فضرب عُصَيمة على يده اليسرى فقطع ثلاث أصابع ، فضربه عصيمة على رأسه فقتله ، فبرز ابنه أرْبد بن شيبان وكرّ على عصيمة فقطع يده اليمنى ، ونادت بكر : يابنى مازن؛ البقيَّة البقيَّة[2] ، وتهيئوا للصلاح .

---

(١) الحاضر : القوم النازلون على الماء . المحول : المغلوب (٢) العرب تقول للعدو إذا غلب : البقية : أى ابقوا علينا ولا تستأصلونا ، ومنه قول الأعشى :

* قالوا البقية والخطى يأخذهم *

ولم يكن قدْ علم بنو مازن بقتل صاحبهم خُنيس ، ولا ما لقيت يدُ عصيمة ، فلما رأى عصيمة ذلك قبض على يده المقطوعة بيد قميصه ، حتى إذا امتلأ القميص دمًا نَضَح به وجوهَ مازن ثم قال : أبقيّةٌ بعد هـذا أو صُلْح ! وأراهم يده وأعلمهم بقتل خُنيس ، فاقتتلوا عند ذلك قتالا شديداً .

وشد خُفاف بن حزن على شيبان بن خصفة رئيس بكر فقتله ، ثم هُزِمت بعده بكر هزيمةً مُنكرة ، فأخذ رجل من بنى يربوع بيدى بريقة بنت شيبان ليسبيَها ، فقال عصيمة : لا سِبَاء فى الإسلام، أنا جارٌ لجميع نسائهم من السِّباء ، وأمرَ النساء فتحمّلن وانْطلقن معهن جثمان شيبان أبى بريقة ، ودفنّه بالمكان الذى يقال له قارة شيبان ، وكسرْن على قبره قِدْرَه وجَفْنته .

ولما أحرزوا الماء قالت بنو يربوع لبنى مازن : إن لنا فى الماء شريطةَ النصف ، فقالت بنو مازن : إنما جعلنا لكم الثّلث ، على أن تُقَاتِلوا فلم تَلُوا شيئا من القتال ، وما كان أصلُ الماء إلاّ لنا ، ولتكُفُّن عنا ، أو لَنَرُدَّن أرماحَنا فى صدوركم .

وأما بنو ثعلبة فقالوا : والله ما بيننا وبين بنى مازن شريطةٌ تُوجِبُ لنا عليهم فى هذا المـــاء حقًّا ، وتركوهم . وأما بنو رياح فأَبوا ، ونذر قَعنب والأحوص الرِّياحيان يومئذ ألاّ يَرِدَا الوقبى إلا مُلْجمين للقتال .

وغَبروا على ذلك زمانا ؛ ثم إن بنى رياح اغْتَرُّوا بنى مازن، فأتوا رَكيّة من ركايا الوقبى، فعقروا السَّوانى[١] وألقوا جِيفها فيها ، فلمـا نذرت بهم بنو مازن هربوا ؛ فانطلق ناسٌ منهم فى إثرهم حتى أتوا ماء لهم يقال له : طَلَح ، فعوّروه[٢] وألقوا فيه السَّوَانى والُحمر كما فعلوا بمائهم .

ثم هدأ ما بينهما ، واصطلحت الناس ، وخلصت الوقبى لبنى مازن .

---

(١) السانية : الناضحة وهى الناقة التى يستقى عليها ، وجمعها السوانى (٢) عورت الركية : إذا كبستها بالتراب حتى تنسد .

وفيه قال أبو الغول الطهوى :

فَدَتْ نَفْسِى وَمَا مَلَكَتْ يمينى فَوَارِسَ صَدَّقَتْ فيهم ظُنونى (١)
فوارسَ لا يَمَلّون المنايا إذا دَارَتْ رحى الحرب الزَّبُون (٢)
ولا يجزُون مِنْ حَسَنٍ بِسَيْء ، وَلَا يَجْزُونَ مِنْ غِلَظٍ بِلِين
ولا تَبْلَى بَسَالَتُهُمْ وإنْ هُمْ صَلُوا بالْحَرْبِ حِينًا بعد حِين
هم مَنَعُوا حِمَى الوَقَبَى بضَرْبٍ يُؤَلِّفُ بَيْنَ أَشْتَاتِ الْمَنُونِ
فنكَّب عنهم دَرْءَ الأعادى ودَاوَوْا بالْجُنُونِ مِنَ الْجُنُونِ
ولا يرعون أَكْنَافَ الهُوَيْنَى إذا حَلُّوا وَلَا أَرْضَ الهُدُون (٣)

(١) صدق (بالتشديد) مثل صدق بالتخفيف (٢) حرب زبون : تزبن الناس أى تصدمهم وتدفعهم (٣) الهدنه والهدون والمهدنة : الدعة .

(١٥) يوم الشِّباك*

قَتَل إِياس بن عَبْلَة من بنى تيم[1] الله بن ثَعلبة مَسْعُود بنَ القِصَاف ـ من بنى القصاف[2] ، ثم أسرت بنو تَيْم الله وكيعَ بنَ القِصاف ، فحبسوه عندهم ، فظنّ بنو حنظلة أنهما قد قُتلا كِلاهما ؛ فقال زيد بن عمرو اليربوعى يرثيهما ، ويتوعّد بنى تيم الله :

لِتَبْكِ النِّساءُ المُرْضِعَاتُ بسُحْرَةٍ وكيعًا ومسعوداً قتيل الحَنَاتِمِ

كِلاَ أخوينا كان فرعا دِعامَةً ولا يُلْبِثُ العَرْشَ انقضاضُ الدعائم

فلا تَرْجُ تيمُ اللهِ أن يجعلوها دِيَاتٍ ولا أن يُهْزَمَا فى الهزائم[3]

فلما أتى هذا الشعرُ بنى تيمٍ عرفوا أن بنى القِصاف سيطلبونهم بدم مسعود ، فخلّوا سبيل وكيع ، فلبث بنو القِصَاف بذلك ما شاء اللهُ أن يلبثوا .

ثم إن فِتْيَةً منهم خرجوا من الكوفةِ فى عيرٍ لهم ، حتى إذا دَنَوْا من الشِّباك لقُوا قوماً فسألوهم مَنْ على الماء ؟ فقالوا لهم : بنو حارثة بن لأْمٍ وناسٌ من بنى تَيمِ الله بن ثعلبة .

فعقَل بنو القِصاف رواحِلَهم ، وخلّفوا بعضَهم فيها ، ومضى بعضٌ حتى انتهى إلى ابن عَبْلة ، فقالوا له : رحمك الله ! إن ناقةً لنا ضَلّتْ ، وهى فى إبلك فارْدُدْها علينا ؛ فقال لغلام له : انطلق مع القوم فادْفَعْ إليهم ناقتَهم .

---

* لبنى القصاف (من تميم) على بنى تيم الله بن ثعلبة (من بكر) ، والشباك : طريق حاج البصرة ، وهذا أيضاً من الأيام التى آثرنا ذكرها فى أيام الجاهلية .

النقائض : ص ٩١٨ طبع أوربا

(١) تيم الله بن ثعلبة : بطن فى بكر (٢) بنو القصاف : من تميم

(٣) يقول : ليس لهما مترك لا بد أن يطلب بهما . هزم له حقه أى وهبه له .

فانطلق غُلامُ ابنِ عَبْلةَ معهم ، فسأل راعِيَه عن ناقةِ القوم ، فقال : ما رأيتُها ، وهذه الإبلُ فانظر . فنظر الغلام فلم يرَ شيئاً ، فرجع إلى مولاه ، ورجع بنو القِصَاف فقال لهم ابنُ عبلة : ما صَنَعْتُمْ ؟ قالوا : غيَّب راعيك ناقتَنا، فقُمْ معنا إليه ، فقام معهم ابنُ عبلة ، حتى إذا نحَّوْه عن الماء شدّ عليه رجلٌ من بنى القِصاف ، ثم نادى ياثاراتِ مسعودٍ ! فقتله ، وخضَب عمامته بدَمِه .

فغضب بنو حارثة[1] بن لأمٍ ، وقالوا : قتلوا جارنا ، ولا تزال العرب تَسُبُّنا به إن فاتُونا .

وطلبوا بنى القِصَاف وهم نَفِير[2] ، وعلى الماء جماعةٌ من بنى حارثة بن لَأْمٍ ، فترك بنو القِصَاف رواحِلَهم ، ومضَوْا بالعمامة مخضوبة بالدم حتى انتهوا بها إلى بنى طُهَيَّة[3] ، فسألوهم عن رِكابهم ، فقالوا : تركْناها فى أيدى بنى حارثةَ ، فقال الأسلع بن القِصَاف فى ذلك :

فِدًى لامْرِئٍ لاقى ابنَ عَبْلةَ ناقتى ... وراكبُها والنـاسُ باقٍ وذاهبُ
عَدَا ثُمَّ أعْدَاهُ على الهولِ فِتْيَةٌ ... كِرامٌ وأسيافٌ رِقَاقٌ قواضبُ
ولم يحفِلوا ما أحْدَثَ الدهرُ بعدها ... وما كشف الناس الأمورُ الشواغبُ
ولم نَرْوِ حتى بلَّ أسيافنا دمٌ ... يُدَاوَى به قَرْحُ القلوب الجَوَالبِ[4]
ولا شرَّ حاجاتٍ طَوَاهُنَّ بعدَ ما ... تباعد أسْبابُ الهوى المُتَقاربُ
فما الناس أرْدَوْهُ ولكنْ أقادَهُ ... يدُ الله والمستَنْصِرُ اللهَ غالبُ

---

(١) بنو حارثة بن لأم : بطن فى طيء (٢) النفير : القوم يتنافرون فى القتال ، والنفير: القوم الذين يتقدمون فى القتال والنفير : الجماعة من الناس (٣) طهية : قبيلة فى تميم ومنهم بنو القصاف (٤) الجلبة : القشرة التى تعلو الجرح عند البرء ، وقد جلب يجلب وأجلب الجرح مثله : إذا علت القرحة جلدة البرء . وقال الليث : قرحة مجلبة وجالبة ، وقروح جوالب وجلب .

شفَى سَقمًا – إن كانت النفس تَشْتَفِى – قَتيلٌ مُصَابٌ بالشِّبَاكِ[1] وطالبُ
شفى الداء وابيضّتْ وجوهٌ كأنما جَلاَ النِّقْسَ[2] عنها وهى سُودٌ كَوَائب
لعَمرى لقد ردّت عشيّةُ مِنْقَبٍ[3] غَليلا فساغتْ فى الحُلُوق المَشَاربُ
فأبلغْ بنى لَأمٍ إذا ما لقيتَهمْ وما شاهدٌ يُدْعَى كمَنْ هو غائبُ
فهل أنتمُ إلا أخونا فتحدَبوا علينا إذا نابتْ علينا النّوَائب
ولو أننا كنَّا على مِثْلِها لَكُمْ لآبَتْ إلى أربابهنّ الرّكائبُ
لمَا بَرِحَتْ حتى أُنِيخَتْ إليكم جميعًا وحتى حُلّ عنها الحقائبُ
فإنّ رِحَالَ القومِ وسْطَ بُيوتكم وللجار مَعْرُوفٌ من الحقّ واجبُ

فلما أتى بنى حارثةَ هذا الشِّعْرَ سرّهم ، وقالوا : مالنا على رِكابكم من سبيل ، قومٌ أدْرَكوا بثأرهم ، ولهم جوار ، والذى بيننا وبينهم حسَن ، فردّوا على بنى القِصافِ ركابهم ، وطاحَ[4] ابنُ عبلة ، ولم يُدْرَكْ بثأره ؛

---

(١) الشباك : موضع (٢) النقس : العيب (٣) المنقب : طريق
(٤) يعنى ذهب دمه باطلا .

٦ ـ أيام قيس (فيما بينها)

١ — يوم منعج .
٢ — « النفراوات .
٣ — « بطن عاقل .
٤ — « داحس والغبراء .
٥ — « الرقم .
٦ — « النتاءة .
٧ — « حوزة الأول ؛
٨ — « « الثانى .
٩ — « اللوى .
١٠— حديث ابن ضبا .
١١— يوم هراميت .

(١) يوم مَنْعِج*

كان زهيرُ بن جذيمة العبسى سيدَ قَيْسَ عَيْلان ، فتزوَّج إليه النعمان(١) بن امرىء القيس ملكُ الحيرة لشرَفِهِ وسُؤْدُده ، وأرسل إليه يوماً يسْتزيرهُ بعضَ أولاده ، فأرسل إليه ابنَه شاسًا ـ وكان أصغرَ ولده ـ فأكرمه وحَباه أفْضَل الحبْوَة مِسْكا وكُسًى وقُطُفًا وطَنَافس(٢) ، ثم خرج من عنده يريد قومَه ، وسار حتى ورد مَنْعِجا ـ وهو ماء لغنى(٣) ـ فأناخ فى يوم شَمَال(٤) ، وقَرَّ على رَدْهة(٥) فى جبل رياح ابن الأسَكّ الغنوى ، ليس على الرَّدْهَةِ غيرُ بيته .

ثم أنْشَأَ شاس يَغْتَسل بين الناقة والبيت ، وامرأةُ رِياح تنظرُ إليه ، وهو مِثْلُ الثَّوْر الأبيض، فقال رياح لامرأته : أعطينى قوسى ، فمدّت إليه قوسَه وسهماً ، ثم أهوى لشاس بِسَهْم ، وبتَرَ صُلْبَه ، وحَفَرَ له حفرًا فهدَمه عليه، ونحر جمله وأكله، وأدخل متاعَه بَيْتَه .

---

* لعبس على غنى ، وتسميته بيوم منعج لصاحب العقد الفريد ، وقال أبو عبيدة : ويقال له يوم الردهة ؛ وفى مجمع الأمثال للميدانى : لبنى يربوع على بنى كلاب .

الأغانى ص ٨ ج ١٠ طبعة الساسى ، ابن الأثير ص ٣٣٧ ج ١ ، مجمع الأمثال ص ٢٦٨ ج ٢ ، مهذب الأغانى ص ٨ ج ٢

(١) النعمان ابن امرىء القيس : أشهر ملوك الحيرة ، حكم ٢٨ سنة ، وكان من أشد ملوك العرب نكاية فى أعدائه وأبعدهم مغاراً ، كما كان صارماً حازماً ضابطاً للملك ، ولكنه فى آخر عهده زهد فى الملك ، وساح فى الأرض فلم يره أحد (سنة ٤٣١) م (٢) الطنافس : للبسط والثياب، والقطيفة : دثار مخمل ، وقيل كساء له خمل ، والجمع قطائف ، وقطف مثل صحيفة وصحف كأنها جمع قطيف وصحيف (٣) غنى : حى من غطفان (٤) الشمال (بالفتح ويكسر) : الريح التى تستقبلك عن يمينك وأنت مستقبل (٥) الردهة : النقرة : يجتمع فيها ماء السماء .

وفُقِد شاس ، وقُصَّ أثرُه ونُشِد ، وركبوا إلى الملك وسألوه عن حاله ، فقال لهم : حَبَوْته وسرَّحتُه ، فقالوا : وما متَّعتَه به ؟ قال : مِسك وكُسى ونُطوع وقُطُف .

فأقبلوا يقصُّون أثره فلم تَتَّضِح لهم سبيلُه ، ومكثت عبس كذلك ما شاء الله ، حتى رأوا امرأة رياح باعت بعُكاظ قطيفةً حمراء وبعض ما كان من حِباء الملك ، فعرفوا وتيقَّنُوا أن رياحاً ثأرهم ثأرَهم .

فأتى زهيرٌ غنيًّا وسألهم عن شاس فقالوا : نعم ، قتله رياح ، ونحن براء منه ، وقد لحق بخاله من بنى الطَّمَّاح . ولما تبيّن لزهيرأن رياحا ثأره قال يرثى شاسًا :

بكيتُ لشاسٍ حين خُبِّرْتُ أنّه ... بماء غنيٍّ آخرَ الليـل يُسْلَبُ
لقد كان مأتاهُ الرِّدَاهَ[٢] لِحَتْفِه ... وما كان لو لا غِرَّةُ الليل يُسْلَبُ
قتيل غنى ليس شَكْلٌ كشكله ... كذاك لعمرى الحين للمرءِ يُجْلَبُ
سأبكى عليه إن بكيتُ بعَبْرَةٍ ... وحقٌّ لشاس عَبْرَةٌ حين تُسْكَبُ
وحُزْنٌ عليـه ما حييتُ وعَوْلَةٌ ... على مثل ضوء البدر أو هو أعجب
إذا سِيمَ ضَيما كان للضيم مُنكراً ... وكان لدى الهَيْجاءِ يُخْشَى ويرهبُ
وإن صوّتَ الداعى إلى الخير مَرّةً ... أجاب لما يدعو لَهُ حين يُكْرَبُ
ففرّج عنه ثم كان وليَّه ... فقلبى عليه ـ لو بَدَا القلب ـ ملهبُ

---

(١) قوم زهير

(٢) الرداه : جمع ردهة ، وهى النقرة يستنقع فيها الماء .

وانصرف إلى قومه ، وكان لا يرى غنوياً إلا قتله[1] .

ثم غزت بنو عَبْس غنيًّا قبل أن يطلبوا قَوَداً أو دِيَة مع أخى شاس ـ الحصين ابن زهير ـ والحصين بن أسيد بن زهير ، فقيل ذلك لغنىّ ، فقالت لرياح : انْجُ لعلَّنا نُصالح على شىء أو نُرضيهم بدِيَةٍ وفداء .

وخرج رياح رَديفا[2] لرجل من بنى كلاب ، وكان معهما صُحَيفةٌ فيها لحم ؛

(١) هـذه رواية الأغانى ، وجاء فى ابن الأثير : إن زهيراً حين افتقد ابنه سار إلى غنى ، وهم حلفاء فى بنى عامر ، فاجتمعوا عنده ، فسألهم عن ابنه ، فحلفوا أنهم لم يعرفوا خـبره ، فقال : ولـكنى أعلمه ، فقال له واحد من بنى عامر : فما الذى يرضيك منا ؟ فقال : واحدة من ثلاث : إما تحيون ولدى ، وإما تسلمون إلى غنياً حتى أقتلهم بولدى ، وإما الحرب بيننا وبينـكم ما بقينا وبقيتم ، فقالوا : ما جعلت لنا فى هذه مخرجا ؛ أما إحياء ولدك فلا يقدر عليه إلا الله ، وأما تسليم غنى إليك فهم يمتنعون ممـا يمتنع منه الأحرار ، وأما الحرب بيننا فوالله إننا لنحب رضاك ونكره سخطك ؛ ولـكن إن شئت الدية ، وإن شئت تطلب قاتل ابنك ، فنسلمه إليك ، أو تهب دمه فإنه لا يضيع فى القرابة والجوار ، فقال : ما أفعل إلا ما ذكرت .

فلما رأى خالد بن جعفر تعدى زهير على أخواله من غنى . قال : والله ما رأينا كاليوم تعدى رجل على قومه ، فقال له زهير : فهل لك أن تـكون طلبتى عندك وأترك غنيا ؟ قال : نعم ، فانصرف زهير وهو يقول :

فلولا كلاب قد أخذت قرينتى ... برد غنى أعبـداً ومواليـا
ولـكن حمتهم عصبة عامرية ... يهزون فى الأرض القصار العواليا
مساعير فى الهيجا مصاليت فى الوغى ... أخوهم عزيز لا يخاف الأعاديا
يقيمون فى دار الحفاظ تكرما ... إذا ما فنى القوم أضحت خواليا

الفنى : جمع فناء

ثم أنه أرسل امرأة وأمرها أن تكتم نسبها ، وأعطاها لحم جزور سمينة ، وسيرها إلى غنى لتبيع اللحم بطيب ، وتسأل عن حال ولده ، فانطلقت المرأة إلى غنى وفعلت ما أمرها ، فانتهت إلى امرأة رياح بن الأسك ، وقالت لها : قد زوجت بنتا لى وأبغى الطيب بهذا اللحم ، فأعطتها طيباً ، وحدثتها بقتل زوجها شاساً ، فعادت المرأة إلى زهير وأخبرته ، فجمع خيله ، وجعل يغير على غنى حتى قتل منهم مقتلة عظيمة ، ووقعت الحرب بين بنى عبس وبنى عامر (ابن الأثير ص ٢٣٧ ج ١)

(٢) الرديف : الراكب خلف الراكب .

فأدْخَلا يدَيْهما فى الصَّحيفة ، فأخذ كلٌّ واحد منهما وَضْرَةً[1] ليأكلها ، مُتَرادِفين لا يقدران على النُّزول ، فمرّ فوق رءوسهما صُرَد فصَرصَر ، فألقيَا اللحم، وأمْسَكا بأيديهما ، وقالا : مَا هـذا ! ثم عادَا إلى مثل ذلك فأخذَ كلٌّ واحد منهما عَظْمًا ؛ ومرّ الصُّرد فوق رُءوسهما فصَرْصر ، فألقيا المظمين وأمْسكا بأيديهما وقالا : ما هـذا ! ثم عادَا الثَّالثة ، فأخذ كل واحد منهما قطعة ، فمرّ الصّرد فوق رءوسهما فصَرْصر ، فألقيا العظمين حتى فعلا ثلاث مرات ، وإذا هما بالقوم أدْنى ظلام[2] ـ وقد كانا يَظُنّانِ أنهما قد خالفا وِجْهة القوم ! فقال لرياح صاحبُه : اذهب فإنى آتى القومَ أشْغَلُهم عنك وأُحدِّثهم حتى تُعجزهم ، ثم ماضٍ إن تركونى .

فانْحَدَر رِياح عن عَجُزِ الجمل ، فأخذ أدْرَاجه[3] ، وعدَا حتى أتى ضفّةً فاحْتَفَرَ تحتها مثل مكان الأرنب وَوَلَج فيه ، ثم أخذ نَعْلَيْنِ من سِبْت[4] فجعل إحداهما على سُرّته ، والأُخرى على صَفَنِه[5] ، ثم شدّ عليهما العمامة . ومضى صاحبُه حتّى لقِيَ القوم ؛ فسألُوه فحَدّثهم وقال : هـذه غنىّ كاملة ، وقد دنوتُ منهم ، فصدّقوه وخَلَّوا سِرْبه[6] .

فلما ولّى رَأَوا مركبَ الرجل خَلْفه ، فقالوا : مَنْ هـذا الذى كان خَلْفك ؟ فقال : لا مَكْذُوبة ! ذلك رياح فى الأُوَل من السَّمُرَات[7] ، فقال الحُصَيْنان[8]

---

(١) الوضرة : القطعة الصغيرة من اللحم (٢) أدنى ظلام : أدنى شىء

(٣) أدراج : جمع درج ، وهو الطريق ، والمعنى مضى لسبيله (٤) السبت : الجلد المدبوغ والنعل مؤنثة (٥) الصفن : وعاء الخصية (٦) السرب : الطريق والوجه

(٧) السمرات : واحدتها سمرة ، وهو شجر (٨) الحصينان : الحصين بن زهير والحصين بن أسيد .

لمن معهما : قِفُوا علينا حتى نعلم عِلْمه ، فقد أمكننا اللهُ من ثأرنا ، ولم يريدا أن يَشْركهما فيه أحد ، ومضيَا ووقف القوم وخَنَسُوا[١] عنهما .

فلما رآهما رياح رمى الأوّل منهما فبَتَر صُلْبه ، وطعنه الآخر قبل أن يرميَه ، وأراد الثُّرّة فأصاب الرَّبْلَة[٢] ، ومرّ الفرسُ يَهْوِى به ، فاستَدْبره رياح بسَهْم فرَشَقَ به صُلْبه ؛ ونَدّ فرساهما فلحقا بالقوم .

فقالت عَبْس : أيْنَ تذهبون إلى هـذا ؟ والله ليقتلنّ منكم عدداً ، وقد جرحاه وسيموتُ .

ثم إن رياحا أخذ رُمحى القتيل وسلَبَيْهما وانطلق حتى ورد رَدْهة عليها بيتُ أنمار بن بغيض ، وفيه امرأةٌ ولها ابنان قريبان منها ، وجمل لهـا رَاتع فى الجبَل ، وقد مات رياح عطشاً ، فلما رأته يَسْتَدْمى[٣] طمعت فيه ، ورجت أن يأتيها ابناها فقالت : استَأسر ، فقال : دعينى ويحك أشرب ! فأبت فأخذ حديدةً فجَذَمَ[٤] بها رواهشها[٥] ، وعبّ فى الماء حتى نَهِل ، ثم توجّه إلى قومه ، فقال فيها وفى الحصينين :

قالت لى : استأسر لِتَكْتُفَنى حيناً ويعلُو قولُهـــا قولى
ولأنت أجرأُ من أسامةَ أو منى غداة وقَفْتَ للخيـــل
إذِ الحُصَين لدى الحصين كما عَدَل الرِّجازةُ[٦] جانبَ الميل

---

(١) خنسوا : تأخروا (٢) الربلة : أصل الفخذ (٣) استدمى الرجل : طأطأ رأسه يقطر منه الدم (٤) الجذم : القطع (٥) الرواهش : عروق ظاهر الكف
(٦) الرجازة : شىء يكون مع المرأة فى هودجها ، فإذا مال أحد الجانبين وضعته فى الناحية الأخرى ليعتدل .

(٢) يوم النَّفْرَاوات*

كان زُهَيْر بن جَذِيمة(١) العبسى سيِّدًا لهَوَازن(٢) ، فكانت لا تراه إلا ربًّا ، وهوازنُ يومئذ لا خيرَ فيها ، وإنما هم رِعاءُ الشَّاء فى الجبال ، وكان زهير يَعزُّهم(٣) ، فإذا كانت أيامُ عُكَاظ أتاها زهير ، ويأتيها النـاسُ من كل وَجه ، فتأتيه هَوازن بالإتَاوة التى له فى أعناقهم ، فيأتونه بالسَّمْن والأَقِط(٤) والغَنَم ، ثم إذا تفرَّق الناس نزل بالنَّفْرَاوات .

فأتته عجوزٌ من هوازن بسَمْن فى نِحْيٍ(٥) ، واعتذرت إليه وشَكَت السنين التى تَتَابَعَتْ على الناس ، فذاقَه فلم يَرْضَ طعمَه ، فدعَّها(٦) بقَوْس فى يده عُطُل(٧) فى صدرها ، فاستلقت لحلاَوَة(٨) القفَا ، فغضبت من ذلك هوازن وصَمَدَتْ له(٩) ،

* لعامر على عبس و (النفراوات) هكذا ذكره صاحب الأغانى ، وفى العقد الفريد (النقراوات) ، وفى معجم مااستعجم : النفراوات ، قال : نقرى بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده راء مهملة مقصور على وزن فعلى ، وعد : موضع فى بلاد غطفان . قال السكرى : هى حرة . قال مالك بن خالد الخفاعى :

ولما رأوا نقرى تسيل اكامها بأرعن جرار وحامية غلب

ورواه السكونى : نقرى بالقاف . قال أبو الفتح أراد نقرى فخفف للضرورة ، قال أبو صخر فجمعها على نقريات :

فلما تغشى نقريات سحيله ودافعه من شامه بالرواجب

يريد بالأصابع ، يصف سحابا .

العقد الفريد ص ٣٠٤ ج ٣ ، الأغانى ص ١٠ ج ١٠ ، ابن الأثير ص ٣٣٨ ج ١٠ ، بلوغ الأرب ص ١١٧ ج ١ ، معجم ما استعجم (ركبة — نفر — نقر — نفراوات)

(١) من عبس ، وينتهى نسبه إلى قيس عيلان بن مضر (٢) هوازن : حى من قيس عيلان (٣) يعزهم : يغلبهم (٤) الأقط : شىء يتخذ من المخيض الغنمى
(٥) النحى : الزق الذى يجعل فيه السمن (٦) دعها : دفعها (٧) قوس عطل : لا وتر فيها (٨) حلاوة القفا : وسطه (٩) صمدت له : قصدته وانتظرت غفلته .

هـذا إلى ما كان فى صدرها من الغيظ والدِّمَن[1] وما أوحَرها[2] من الحسد .

وتذامرت[3] عامر بن صَعْصَعَة ـ وهم بطن من هوازن ـ وآلى خالد بن جعفر فقال : والله لأجعلنّ ذراعى وراء عُنُقِهِ حتى أُقتَل أو يُقتَل ، ثم قال :

أديرونى أداتكمُ[4] فإنى وحَذْفَة[5] كالشَّجا تحت الوريدِ
مقرَّبة أسدّيهـا بخزّ وأُلحفها ردائى فى الجليـد
وأوصى الرّاعيَيْن ليُؤْثراها لهـا لبنُ الخليّة والصَّعُود[6]
ترَاها فى الغَزَاة وهُن شعثٌ كقُلْب[7] العاج فى الرُّسغ الجديد

ولما سمع زُهير هذا القول حقَرَ خالدا وسبّه ، فقال خالد : اللهم أمْكِن يدى هذه الشقراء القصيرة من عُنق زهير بن جذيمة ، ثم أعِنّى عليه . فقال زهير : اللهم أمْـكِن يدي هذه البيضاء الطويلة من عنق خالد ثم خلِّ بيننا . فقالت قريش ـ وكان الـكلامُ أمامَهم : هَلَـكْتَ والله يازُهير . فقال زهير : إنـكم والله الذين لا عِلْمَ لـكم.

* * *

ثم انتقل زهير من قومه ببنيه وبنى أخويه زِنْباع وأسيد يُرِيغ[8] الغيث فى عُشَرَاوات[9] له ، وبنو عامر قريبٌ منهم ولا يشعرون بهم ، وكانت تُماضر بنت الشريد امرأةَ زهير بن جذيمة ، فمرّ بها أخوها الحارث[10] ؛ فقال زهير

---

(١) الدمنة : الحقد القديم ، وجمعه دمن (٢) أوحره : أوغره (٣) تذامرت : تحاضت على القتال (٤) لـكل ذى حرفة أداة ، وهى آلته التى تقيم حرفته ، وأداة الحرب سلاحها (٥) حذفة : فرس خالد بن جعفر (٦) الخلية : النـاقة تنتج فينحر ولدها ليدوم لهم لبنها ، والصعود : الناقة يموت حوارها فتعطف على فصيلها (٧) القلب : السوار (٨) يريغ : يطلب (٩) العشراء : الناقة التى مضى لحملها عشرة أشهر ، وجمعها عشراوات (١٠) كان الحارث قد أصاب دماً ، ثم احتمى ببنى عامر قوم خالد وكان فيهم ، ثم إن خالداً أرسله عيناً ليأتيه بخبر زهير .

لبَنِيه : إن هذا الحمار لَطَلِيعةٌ عليكم فأوْثقوه ، فقالت أُختهُ لبنيها : أيزوركم خالُكم فتُوثقوه وتحرموه ؟ ثم حلَبُوا له وَطْبا[١] ، وأخذوا منه يميناً ألاّ يخبرَ عنهم ، ولا يُنذرَ بهم أحداً .

فخرجَ يَطير حتى أتى بنى عامر عنْدَ ناديهم ، وأتى شجرة فألقى الوَطْبَ تحتها والقومُ ينظرون ، ثم قال :

أيتها الشجرةُ الذليلة ؛ اشربى من هـذا اللبن وانظرى ما طَعْمُه ؟ فقال أهل المجلس : هذا رجل مأخوذٌ عليه ، وهو يخبركم خبراً !

فأتوه ، وذاقوا اللبن ، فإذا هو حلوٌ لم يَقْرُصْ بعد[٢] ، فقالوا : إنه ليخبرنا أنَّ طلبَنا قريب .

فركب خالدٌ وركب معه ستةُ فوارس من بنى عامر لينظروا ما الْخبَر . واقتَصُّوا أثر السير ، حتى إذا رَأَوْا إبلَ بنى عبس نزَلوا عن الخيل ؛ فقالت نساء بنى عبس : إنا لنرى حَرَجَةً من عِضَاه[٣] ، أو غابةً من رماح بمكان لم نكُن نرى به شيئاً . ثم رَاحت الرِّعاء فأخبروا بِمثْلِ هذا الخبر ، وأخبرت رَاعيَةُ أُسيد بن جذيمة أُسيداً بمثل ذلك .

فأتى أُسيد أخاه فأخبره بما أخبرته به الرَّاعية وقال : إنما رَأَتْ خيل بنى عامر ورماحَها . فقال زهير : كل أزَبَّ[٤] نفُور ! وأين بنو عامر ؟ أَمَّا كلاب فكالحيَّة[٥]

---

(١) الوطب : سقاء اللبن (٢) يقرص : يحمض (٣) العضاه : كل شجر يعظم وله شوك ، والحرجة : الجماعة منها (٤) الأزب من الإبل : كثير شعر الأذنين والعينين . قال فى اللسان : ولا يكاد يكون الأزب إلا نفوراً لأنه ينبت على حاجبيه شعيرات ، فإذا ضربته الريح نفر ، وكان أسيد كثير الشعر . وقد ذهبت الجملة مثلا (٥) كلاب وكعب ونمير وهلال : بطون من عامر بن صعصعة .

إن تركْتَها تركَتْك ، وإن وَطِئْتَها عَضَّتْكَ . وأما بنو كعب فإنهم يصيدون اللَّأَى(١) ، وأما بنو نمير فإنهم يَرْعَوْن إبلهم فى رءوس الجبال ، وأما بنو هلال فيبيعون العطْر .

ثم آلى زهير لا يبرحُ مكانه حتى يُصبح ، وتحمّل مَن كان معه غير ابنيه ورقاء والحارث . وكانت لزهير مظلّة دَوْح يربط فيها أفراسه لا تَرِيمُه حذراً من الحوادث، فلما أصبح صهلت فرسٌ منها حين أحسّت بالخيل ، وهى القَعْساء(٢) . فقال زهير : مالها ؟ فقال رَبِيئَته(٣) : أحسّت بالخيل فصهلت إليهنّ ، فلم تُؤذنهم بهم إلّا والخيلُ دَوَائسُ مُحاضر(٤) بالقوم غُدَيَّة ، فقال زهير لأخيه أسيد ـ وظن أنهم أهلُ اليمن : يا أسيد ؛ ما هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء الذين تعمّى حديثهم منذ الليلة ، وركب أسيد ومضَى نَاجيا .

ثم إن زهيراً وثَب وتَدَثّر(٥) القَعْساء فرسَه وهو يومئذ شيخ قد بَدَّن(٦) ، وقال لابنه ورقاء : انظر ياورقاء ما ترى ؟ فقال ورقاء : أرى فارساً على شقراء يُجهِدُها ويُكدُّها بالسوط قد ألحّ عليها . فقال زهير : شيئاً ما يريد بالسوط إلى الشَّقْراء(٧) . وتمرّدت القعساء بزهير ، وجعل خالد يقول : لا نجوت إن نجا مجدَّع(٨) .

ولما تمغّطَت(٩) القعساء بزهير ولم تَتَعلّق بها حَذْفَة قال خالد لمعاوية الأخيل

---

(١) اللأى : الثور الوحشى (٢) القعساء : اسم فرس زهير (٣) الربيئة : الطليعة الذى ينظر القوم لئلا يدهمهم العدو . وقد زعموا أن ربيئة زهير كان من الجن

(٤) دوائس : يتبع بعضها بعضاً ، والمحضار : الكثير الحضر ، والحضر : ارتفاع الفرس فى عدوه (٥) تدثر فرسه : وثب عليها (٦) بدن الرجل : أسن وضعف

(٧) ذهبت مثلا ، والشقراء هى حذفة فرس خالد (٨) يعنى زهيراً (٩) تمغط الفرس: جرى حتى لا يجد مزيداً فى جريه .

ابن عبادة ، وهو ممن كانوا معه : أدرك مُماوى ، فأدرك معاويةُ زهيراً ، فجعل ابناه ورقاء والحارث يوطِشَان[1] عنه ؛ فقال خالد : اطعن يا معاوية فى نَسَاها[2] ، فطعن فى أحد رجليها ؛ فانخذلت القَمْساء بعضَ الانخذال ، وهى فى ذلك تَتَمَغَّط ، فقال زهير : اطْعَن الأخرى ـ يكيدُه بذلك لكى تستوىَ رجلاها ، فتتحامل . فناداه خالد : يا معاوية ؛ أَوِدّ[3] طَعْنَتَك ، فَشَغْشَغَ[4] الرمح فى رجلها فانخذلت .

ولحقه خالد على حذْفة ، فجعل يده وراء عنق زهير وقلبه ، وخرّ خالد فوقه ، ولحق جُندُج بن البكّاء ـ وكان ممن جاء مع خالد ـ فوجد خالداً قد حَسر المِغْفَر عن رأس زهير فقال : نحّ رأسك يا أبا جَزء[5] ، لم يجز يومك ! فنحّى خالد رأسه وضرب جُندج[6] رأسَ زهير ، وضرب ورقاء رأس خالد بالسيف وعليه درعان ، فلم يُغن شيئاً ، وأجهض[7] ابنا زهير القوم عن أبيهما فانتزعاه مرتثّاً[8] .

فقال خالد ـ حين استنقذ زهيراً ابناه : وَالهَفْتَاه ! قد كنت أظنّ أن هذا المخرج سينفعكم ، ولام جندجا . فقال جندج : السيفُ حديد ، والساعدُ شديد ، وقد ضربته ورجلاى متمكّنتان فى الركائب ، وسمعت السيف قال : قَبْ قَبْ[9] حين وقع برأسه ، ورأيت على ظُبته مثل ثَمرَ المُرار . فقال خالد : قتلْته بأبى أنت !

---

(١) يوطشان : يدفعان (٢) النسا : عرق من الورك إلى الكعب

(٣) أى أطعن مكانا واحداً (٤) شغشغ السنان فى الطعنة : حركه ليتمكن فى المطعون

(٥) أبو جزء : كنية خالد (٦) فى العقد الفريد : الذى ضربه هو معاوية الأخيل

(٧) أجهض : نحى (٨) المرتث : المحمول من المعركة جريحاً (٩) قبقب : حكاية وقع السيف .

ونظر بنو زهير فإذا بالضَّرْبة قد بلَغت الدماغ ، ثم استسقاهم فمنعوه الماء ، حتى نُهك عَطَشا ، وقال : أميِّتٌ أنا عطشا ! اسقونى الماء وإن كان فيه نَفْسى ، ثم أخذ ينادى : ياورقاء ؛ ولما لم يُجبه جعل ينادى : ياشاس[1] ، فلما رأوا ذلك سقوه ، فمات بعد ثلاثة أيام .

* * *

وفى قتل زهير يقول ابنه ورقاء :

رأيت زهيراً تحت كَلْكَل[2] خالد   فأقبلتُ أسعى كالعَجول[3] أُبادرُ
إلى بَطَلَيْنِ يَنْهَضَانِ كلاهُمَا   يُرِيغان[4] نَصْلَ السيفِ والسيفُ داثر[5]
فشلّت يمينى إذ ضربت ابن جعفر   وأحرزه منى الحديدُ المُظَاهَرُ[6]
فياليت أنى قبل أيام خالدٍ   ويوم زهير لم تلدنى تماضرُ
لعمرى لَقد بشّرتِ بى إذ ولدتنى   فما الذى ردّت عليك البشائرُ
فطر خالد إن كنت تسطيع طيرةً   ولا تَقَعَنْ إلا وقَلْبُكَ حاذِر
أتتك المنايا إن بقيتَ بضربةٍ   تفارق منها العيشَ والموتُ حاضرُ

---

(١) هو شاس بن زهير الذى قتله رياح بن الأسك عند عودته من زيارة النعمان بن المنذر

(٢) الكلكل : الصدر   (٣) العجول من النساء والإبل : الواله التى فقدت ولدها . وفى معجم ما استعجم :

* فأقبلت أسعى كالعجوز أبادر *

(٤) يريغان : يديران   (٥) دثر السيف : صدئ فهو داثر وفى العقد : والسيف نادر

(٦) ظاهر الدرع : لأم بعضها على بعض ، ويراد بالحديد : الدرع .

وقال خالد بن جعفر يمنّ على هوازن بقتْله زهيراً ، ويصدق الحديث :

أبلغ هوازنَ كيف تكفرُ بعدما　　أعتقهم فتوالَدُوا أحرارا

وقتلت ربَّهُم زهـيراً بعدما　　جَدَعَ الأُنوفَ وأكثر الأوزارَا

وجعلت حَزن بلادهم وجبَالهم　　أرضاً فضاء سهـلة وعِثارا

وجعلت مهر بنـاتهم ودمائهم　　عَقْلَ[1] الملوك هَجَائنا أبكاراً

(١) أى جعلت ذلك كدية الملوك .

(٣) يوم بطن عاقل*

أغار خالدُ بن جعفر بن كلاب العامرى على ذُبيان ـ رهط الحارث بن ظالم المرّى الذُّبْيَانى ـ وهم فى واد يقال له حُراض ، فقتل الرجالَ حتى أَسْرف ، وبقيت النساء ، والحارث بن ظالم يومئذ صغير ؛ وزعموا أن ظالماً أباه هلك فى تلك الواقعة من جراحٍ أصابته يومئذ .

وكانت نساء بنى ذبيان لا يحلُبْن اللبن ، فلما تأَيَّمْنَ وصِرْنَ بغير رجال طَفِقْنَ يَدْعون الحارث ، فيشدُّ عصَابَ الناقة ، ثم يحلُبْنها ويبكين رِجالهن ، ويبكى الحارث معهن ، فنشأ على بُغْض خالد ، وأردف ذلك قتلُ خالد زهير بن جذيمة العبسى ؛ فاستحقّ العداوة فى غطفان(١) .

ثم مكث خالد بُرهة من دَهْره أتى بعدها النعمان(٢) بن المنـذر ملك الحيرة ، فألْفَى عنده الحارث بن ظالم المرّى فأقبل النعمان يسائله؛ فحسدهُ خالد، ثم قال للنعمان: أَبيت اللعن ! هذا رجلٌ لى عنده يد عظيمة ! قتلتُ زهير بن جذيمة العبسى ـ وهو سيّدُ غطفان ـ فصارَ هو بعد قتله سيدَها ! فقال الحارث ـ غاضباً : سأَجْزِيك على يدك عندى !

ثم إن النعمان دعاهما بعد ذلك ومعهما بعض القوم ، وقدّم لهم تمراً ؛ فطفق خالدٌ

---

* لذبيان على عامر ، وبطن عاقل : موضع على طريق الحاج من البصرة
الأغانى ص ١٦ ج ١٠ ، ابن الأثير ص ٣٣٨ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣٠٥ ج ٣

(١) كان زهير بن جذيمـة من عبس ، والحارث بن ظالم من ذبيان ، وعبس وذبيان : حيان من غطفان بن قيس عيلان (٢) فى العقد الفريد : إن وفادة خالد ولقاءه بالحارث كانا عند الأسود بن المنذر أخى النعمان ، وفى ابن الأثير: كان لقاؤهما عند النعمان بن امرئ القيس.

يأكل ويُلقى نَوَى ما يأكل من التمر بين يدى الحارث[1]. فلما فرغ القوم قال خالد: أبيت اللعن! انظر إلى ما بين يدى الحارث من النوى، فما ترك لنا تمراً إلا أكله، فقال الحارث: أما أنا فأكلتُ التَّمر وألقيت النَّوى، وأما أنت ياخالد فأكلتَه بنواه! فغضب خالد — وكان لا يُنازع — وقال: أتنازعني ياحارث وقد قتلت حاضرتك[2]، وتركتك يتيما فى حجور النساء؟ فقال الحارث: ذلك يوم لم أشهده، وأنا مُغنٍ اليوم بمكانى. فقال خالد: فهلاّ تشكرلى إذ قتلتُ زهير بن جذيمة وجعلتُك سيِّدَ غطفان؟ قال: بلى، سوف أشكرك على ذلك.

وكان مع خالد ابن أخيه[3] عروة الرّحال بن عتبة بن جعفر، فقال لعمّه خالد: ما أردتَ بكلامه وقد عرفته فتّاكا! فقال خالد: وما تخوّفنى منه؟ فوالله لو رآنى نائما ما أيقظنى.

ثم إن الحارث بن ظالم ذهب إلى امرأة يقال لهـا بنت عفْرَز فشرب عندها، وقال لها تغنّى:

تعلّمْ أبيت اللعن أنّىَ فاتكٌ ... من اليوم أو من بعده بابن جعْفرِ

أخالد نبّهتَنى غـيرَ نائمٍ ... فلا تأمَنَنْ فتكى مدى الدهر واحذرِ

أعيّرتنى أنْ نلتَ منى فوارساً ... غداةَ حُراض مثل جِنّانِ عبْقرَ[4]

أصابهمُ الدهرُ الختورُ بختْرِهِ[5] ... ومَنْ لا يَقِى اللهُ الحوادثَ يَعْثر

لعلك يوماً أن تنوء بضربةٍ ... بكفّ فتى من قومه غير جَيْدَر[6]

---

(١) عبارة ابن الأثير: وجعل الحارث يتناول التمر ليأكله فيقع من بين أصابعه من الغضب

(٢) الحاضر والحاضرة: الحى العظيم، وهو يريد أهل حاضرتك (٣) عبارة ابن الأثير: فقال عروة لأخيه خالد

(٤) جراض: واد لرهط الحارث، وعبقر: موضع كثير الجن. والجان من الجن جمعه جنان (٥) الختر: الغدر (٦) الجيدر: القصير.

يعضُّ بها عُليا هوازن ، والمُنى لقاءُ أبي جَزْءٍ(١) بأبيض مبْتِرِ

فبلغ خالد بن جعفر قوله فلم يَحْفِلْ به . وكان عبدُ الله بن جعدة — وهو ابن أختِ خالد — رجلَ قيس رَأْيًا ، وبلغه قول الحارث؛ فأرسل ابنَه إلى خالد ، وقال له : ائته وقل له : يا أبا جَزْءٍ ؛ إن الحارث بن ظالم سيفُه مَوْتور ، فاخْفِ مبيتَك الليلة فإنه قد غَلبه الشراب ، فإن أبيتَ فاجْعَلْ رجلاً يحرسك .

فلم يقبل خالداً أن يُخفى مبيته ، ولكنه نام وجعل رجلاً يحرسه ، ونام عُروة وابن جعدة دونَ الرجل(٢) . ولما أظلم الليل أقبل الحارث حتى انتهى إلى ابن جعدة وعروة فتعدّاهما ، ثم أتى قبّة خالد فهتَك شَرَجَهَا(٣) ، ومضى إلى الرجل الحارس يحسبه خالداً فجَنَه بكلكله حتى كسره ، وجعل يكلّمه فلا يعقل ، ثم خَلّى عنه حين عرف أنه ليس بخالد .

ومضى إلى خالد فأيقظَه ، فلما استيقظ قال له : أتعرفنى ؟ قال : أنتَ الحارث ! قال : خُذْ جَزَاء يدكَ عندى ! وضربه بسيفه المَعْلوب(٤) فقتَله ، ثم خرج من القبة وركب راحلتَه وسار .

وانتَبه عروة ، فصاح : واجوار الملك(٥) ! ثم ذهب إلى باب النعمان فدخل عليه وأخبره الخبر ، فبثَّ الرجالَ فى طلب الحارث .

---

(١) أبو جزء : كنية خالد (٢) فى ابن الأثير : ثم خرج خالد وأخوه إلى قبتهما فشرجاها عليهما ونام خالد وعروة عند رأسه يحرسه (٣) الشرج : عرا الخباء والعيبة ونحو ذلك (٤) المعلوب : سيف الحارث ، كذا كان اسمه (٥) وسمعت امرأة من بنى عامر بقتل خالد ، فشقت جيبها ، فقال عبد الله بن جعدة الكلابى :

شقت عليك العامرية جيبها أسفاً وما تبكى عليك ضلالا

فى رواية ابن الأثير الجعفرية

ياحار لو نبهته لوجدته لا طائشا رعشا ولا معزالا

المعزال : من لا رمح له

واغرورقت عيناى لما أبصرت بالجعفرى وأسبلت إسبالا

فلنقتلن بخالد سرواتكم ولنجعلن للظالمين نكالا

فإذا رأيتم عارضاً متلبياً منا فإنا لا نحاول حالا

قال الحارث : فلما سرتُ قليلا خفتُ أن أكونَ لم أقتله ، فعدتُ متنكراً واختلطت بالناس ، ودخلت عليه فضربته بالسيف حتى تيقَّنْتُ أنَّه مقتول ، وعدتُ فلحقتُ بقومى[1] .

ولما رجع الحارث إلى قومه أبوا أن يجيروه[2] ؛ فغضب لذلك قيسُ بن زهير بن جذيمة العبسى ، وهو الذى قتل خالدُ بن جعفر أباه ، فأرسل إلى الحارث بهذه الأبيات :

جزاك الله خيراً من خليــل ... شفى من ذى تبُولته[3] الخليلا
أزحت بها جوًى ودخيلَ حزنٍ ... تمخّخ أعظمى زمناً طويلاَ
كسوت الجعفرى أبا جَزْءٍ[4] ... ولم تحفل به سَيْفا صقيلاَ
أبأت به زهيرَ بنى بغيض[5] ... وكنت لمثلها ولها حمولا
كشفت لها القناع وكنت ممَّن ... يجلّى العار والأمر الجليــلاَ

فأجابه الحارث بن ظالم :

أتانى عن قييس بنى زهــير ... مقالةَ كاذب ذكر التُّبُولا
فلو كنتم كما قلتم لكنتم ... لقاتل ثأركم حِرْزاً أصيلا
ولكن قلتمُ جاورْ سوانا[6] ... فقد جلّلتنا حدثاً جليــلاَ
ولو كانوا هم قتلوا أخاكم ... لما طردوا الذى قتلوا القتيــلا

---

(١) وفى قتل خالد يقول الحارث :

ألا سائل النعمان إن كنت سائلا ... وحى كلاب هل فتكت بخالد؟
عشوت إليه وابن جعدة دونه ... وعروة يكلا عمه غير راقد

عشوت إليه : قصدته ليلا

(٢) انظر يوم الرحرحان ، وسيأتى بعد فى القسم الثامن (٣) التبولة : جمع تبل وهو العداوة

(٤) خالد بن جعفر (٥) هو زهير بن جذيمة وينتهى نسبه إلى بغيض (٦) وقد جاور قيا بعد بنى تميم ، ولم يمكث فيهم بل رحل عنهم .

(٤) يوم داحس والغبراء*

— ١ —

سار قيسُ بن زهير[1] بن جذيمة العبسيّ إلى المدينة ليتجهزَّ لقتالِ بنى عامر، ويأخذ بثأر أبيه زهير بن جذيمة الذى قتله خالد[2] بن جعفر الكلابى العامرى، فأتى أحيحة[3] بن الجلاّح يشترى منه درعاً موصوفة، فقال له: لولا أن تَذُمَّنى[4] بنو عامر لوهبتُها لك؛ ولكن اشترها بابنِ لَبُون. ففعل ذلك، وأخذ الدرع — وكانت

---

* بين عبس وذبيان، وكانت الحرب بينهما سجالا وانتهت بصلح. وداحس والغبراء: اسما فرسين لقيس بن زهير، وتشتمل هذه الحرب أيام المريقب وذى حساء واليعمرية والهباءة وفروق وقطن.

شعراء النصرانية ص ٩١٧، العقد الفريد ص ٣١٣ ج ٣، سيرة ابن هشام ص ١٨٢ ج ١، ابن الأثير ص ٣٤٣ ج ١، النقائض ص ٨٣، الأغانى ص ٢٤٠ ج ٨، وص ٢٦ ج ١٦، ديوان عنترة بن شداد ص ١٥١، معجم البلدان (أصاد — هباءة) شرح ديوان الحماسة للتبريزى ص ٣٩٧ ج ١ — و ص ٣٧ ج ٣، شرح الزوزنى على المعلقات السبع ص ٨٩، شرح التبريزى على المعلقات العشر ص ١٠٠، الأمثال ص ٥٩ ج ٢، سرح العيون ص ٩٩

(١) قيس بن زهير سيد بنى عبس، وكان يلقب بقيس الرأى، لجودة رأيه، وكان أيضاً مجرباً؛ ذكروا من دهائه أنه مر ببلاد غطفان، فرأى ثروة وعديداً، فكره ذلك، فقال له الربيع بن زياد: إنه يسوءك ما يسر الناس! فقال: يابن أخى، إنك لا تدرى؟ إن مع الثروة والنعمة التحاسد والتباغض والتخاذل، وإن مع القلة التعاضد والتوازر والتناصر. وكان يقول: أربعة لا يطاقون: عبد ملك، ونذل شبع، وأمة ورثت، وقبيحة تزوجت (٢) انظر يوم النفراوات

(٣) أحيحة بن الجلاح: كان سيد الأوس فى الجاهلية، وكانت سلمى أم عبد المطلب بن هاشم تحته، وكانت لا تنكح الرجال إلا وأمرها بيدها فتركته لشىء كرهته فتزوجها هاشم فولدت له عبد المطلب، وكان أحيحة كثير المال شحيحاً عليه، يبيع بيع الربا بالمدينة، حتى كاد يحيط بأموالهم وكانت له تسعة وتسعون بئراً كلها ينضح عليها (٤) كان لبنى عامر يد عنده.

تسمى ذات الحواشى ـ وَوَهبه أُحيحة أدراعاً أخرى[1] ، وعاد إلى قومه ، وقد فرغ من جِهازه .

واجْتَازَ بالربيع[2] بن زياد العبسى ، ودعاه إلى مساعدته على الأخْذ بثأر أبيه ، فأجابه إلى ذلك . ولما أراد فِراقه نظر الرَّبيع إلى عَيْبَتِه[3] ؛ وقال له : ما فى حقيبتك ؟ فقال : متاعٌ عجيب ، لو أبصرتَه لراعَك . وأناخَ راحِلَتَه ، وأخرج الدِّرْعَ من

(١) هـذه رواية ابن الأثير ، وأما رواية الأغانى فهى : أتى قيس بن زهير أحيحة بن الجلاح لما وقع الشر بينه وبين عامر فقال له : يا أبا عمرو : نبئت أن عندك درعاً ليس بيثرب درع مثلها فإن كانت فضلا فبعنيها ، أو فهبها لى ، فقال : يا أخا بنى عبس ، ليس مثلى يبيع السلاح ولا يفضل عنه ، ولو لا أننى أكره أن أستلئم إلى بنى عامر لوهبتها لك ، وحملتك على سوابق خيلى ، ولـكن ابتزها يا أبا أيوب ؛ فإن البيع مرتخص وغال . فقال له قيس : فما تـكره من استلئامك إلى بنى عامر فقال : كيف لا أكره ذلك وخالد بن جعفر الذى يقول :

إذا ما أردت العز فى آل يثربٍ ... فناد بصوت يا أحيحة أسمـع
رأيت أبا عمرو أحيحة جاره ... يبيت قرير العين غير مروع
ومن يأته من خائف ينس خوفه ... ومن يأته من جائع البطن يشبع
فضائل كانت للجـلاح قديمة ... وأكرم بفخر من خصالك الأربع

فقال قيس : وما عليك بعد ذلك من لوم . فلها عنه ، ثم عاد فساومه ، فغضب أحيحة وقال له : بت عندى فبات عنده فلما شرب تغنى أحيحة وقيس يسمع :

ألا ياقيس لا تسمَن دروعى ... فما مثلى يساوم بالدروع
فلولا خـلة لأبى حوى ... وأنى لست عنها بالنزوع
لأبت بمثلها عشراً وطرف ... لحوف الأطل جيـاش تليع
ولـكن سم ما أحببت فيهـا ... فليس بمنكر غـير البيوع
فما هبة الدروع أخا بغيض ... ولا الخيـل السوابق بالبديع

فأمسك بعد ذلك عن مساومته (ص ١٢٠ ج ١٣ طبعة الساسى) مهذب الأغانى ص ١١٥ ج ١

(٢) الربيع بن زياد : أحد زعماء عبس وكان نديماً للنعمان وله معه قصة مشهورة

(٣) العيبة : ما توضع فيها الثياب .

الحقيبة ، فأبصرها الربيعُ فأعجبتْه ، ولبسَها فكانت فى طوله ، فمنعها من قيس ولم يُعطِه إياها ، وتردَّدَت الرسلُ بينهما فى ذلك ، ولجَّ قيس فى طلبها ، ولجَّ الربيعُ فى مَنْعِها .

فلما طالت الأيام على ذلك سيَّر قيسٌ أهلَه إلى مَكَّةَ ، وأقام ينتظر غِرّةَ الرّبيع؛ ثم إن الربيع سيَّرَ إبلَه وأمواله إلى مَرْعَى كثير الكلأ ، وأمرَ أهلَه فظعَنُوا ، وركب فرَسَه وسار إلى النّزل .

ولما بلغَ الخبرُ قيْسًا سار فى أهْله وإخْوته ، فعارض ظَعَائِنَ الربيع ، فوجد فيها أم الرّبيع فاطمة(١) ابنة الخرشب الأَنْمارية ؛ فاقْتادَ جملَها ، يريد أن يَرْتَهِنَها بالدّرع حتى تُرَدَّ إليه ، فقالت له : ما تريدُ ياقيس ؟ فقال : أذهب بكنّ إلى مكّة ؛ فأبيعُكُنَّ بها بدِرعى ؛ فقالت : ما رأيت كاليوم فِعْل رجل ! أى قيْس ؛ ضَلَّ حِلْمُكَ ! أترجو أن تصْطَلح أنتَ وبنو زياد ، وقد أخذْتَ أُمَّهم، فذهبت بها يميناً وشمالا ، فقال الناسُ فى ذلك ما شاءُوا ، وحَسْبُكَ من شرٍّ سماعُه !

فعرف قيس ما قالَتْ له ، فخلَّى سبيلَها ، واطّردَ الإبل ، وسار بها إلى مكّة ؛ فباعها من عبد الله(٢) بن جُدعان القُرشى ، واشترى بها خَيْلاً ، وتبِعَه الرّبيع فلم يلْحَقْه ؛ فكان فيما اشتَرى من الخيل دَاحِس والغبراء(٣) .

---

(١) فاطمة بنت الخرشب : هى إحدى المنجبات من العرب ، وكان يقال لبنيها الكملة وهم : الربيع وعمارة وأنس وقيس والحارث ومالك وعمرو . روى أن عبد الله بن جدعان لقيها مرة وهى تطوف بالكعبة فقال لها : نشدتك برب هذه البنية : أى بنيك أفضل ؟ فقالت : الربيع ، لا بل عمارة ، لا بل أنس . . . تكلتهم إن كنت أدرى أيهم أفضل ، هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها (٢) عبد الله بن جدعان : من أجواد العرب فى الجاهلية ، وله فى الكرم نوادر ، وكان يسمى حاسى الذهب لأنه كان يشرب فى إناء من الذهب ، وكانت له جفنة عظيمة يقيمها للناس يأكل منها الراكب والقائم لعظمها ، وفى القاموس : ورربما كان يحضر النبى صلى الله عليه وسلم مكانه (٣) للرواة أقوال أخرى بشأن هذين الفرسين ، مبسوطة فى الأغانى وابن الأثير وشعراء النصرانية والنقائض والأمثال ، ولقد اخترنا هذه الرواية عن ابن الأثير .

— ٢ —

ثم إن قيسَ بن زهير أقام بمكّة ، فكان أهلُها يفاخرونه ـ وكان فخوراً ـ فقال لهم : نَحُّوا كَعْبَتَكُم عنّا وحَرَمَكم ، وهاتوا ما شئْتُم ، فقال له عبد الله بن جُدعان : إذا لم نُفَاخِرْكَ بالبيتِ المعمور ، والحَرَم الآمِنِ فبِمَ نُفَاخِرك ؟

فملَّ قيسٌ مفاخرتهم وعزم على الرّحْلة ، وسرَّ ذلك قريشاً ؛ لأنهم قد كانوا كرهوا مُفَاخرته ، فقال لإخوته : ارْحَلوا بنا من عندهم أوّلا ، وإلاّ تفَاقم الشرُّ بيننا وبينهم ، والحقوا ببنى بَدْر بن فزارة ؛ فإنهم أكْفاؤُنا فى الحسبِ ، وبَنُو عمّنا فى النَّسَب ، وأشرافُ قومنا فى الكرم ، ومن لا يستطيعُ الربيعُ أن يتناولنَا معهم ، ثم لحق ببنى بدر(١) .

وأجاره حُذَيفة بن بدر ، وأخوه حَمَل بن بدر ، فأقام فيهم ، وكان معه أفراس له ولإخوته لم يكن فى العرب مثلُها ، وكان حذيفة يَغْدُو ويَرُوح إلى قَيْس ، فينظرُ إلى خَيْلِه ، فيحسدُه عليها ، ويكتمُ ذلك فى نفسه .

وأقام قيسٌ فيهم زمانًا يُكْرِمُونه وإخوته ؛ ولما علم بذلك الربيع بن زياد غضب ونَقِم منهم ذلك ، وبعث لبنى بَدْر بهذه الأبيات :

أَلَا أبلِغْ بنى بَدْرٍ رَسولا ... على ما كان من شَنْءٍ(٢) وَوِتر
بأنى لم أزَلْ لكم صديقاً ... أدافعُ عن فَزَارَةَ كلَّ أَمْرِ
أسالم سلمكم وأرُدُّ عنكم ... فوارسَ أهل نَجْرَان وحُجْر
وكان أبى ابن عمكم زياد ... صفىَّ أبيكم بدر بن عمرو

(١) بنو بدر : بطن من فزارة ، وهى إحدى قبائل ذبيان (٢) الشنء (بفتح الشين وكسرها) : البغضة .

فألجأتُمْ أخا الغَدرات قَيْساً فقد أفعمتمُ إيغار صَدْرِى
فحَسْبِى من حُذَيْفَةَ ضَمَّ قَيْسٍ وكان البدءُ من حَمَلَ بن بدر
فإما تَرْجِعوا أَرْجِع إليكم وإن تأبَوْا فقد أوْسَعْتَ عُذْرِى

ولكنّ بنى بدر لم يتغيّروا عن جِوَار قَيْس ؛ فغضب الربيع ، وغضبت بنو زياد لِغَضبِه .

ثم إن حذيفة كَرِه قيساً ، وأراد إخراجه عنهم فلم يجد حُجَّةً ، وعزم قَيْسٌ على العُمرَة ، فقال لأَصْحَابه : إنى قد عزمتُ على العُمرة ، فإياكم أن تَلاَبسُوا حذَيفة بشىء ، واحْتَملوا كلَّ ما يكونُ منه حتى أرجعَ ؛ فإنى قد عرفْتُ الشَّرَّ فى وجهه ، وليس يَقْدِرُ على حاجتِه منكم إلا أن تُرَاهنوه على الخيل — وكان قيس ذا رَأْى لا يُخْطِئُ فيما يريده — ثم سار يريدُ مكَّة .

— ٣ —

زار الوَرْدُ(١) العَبْسِى حُذَيْفَةَ بن بدر فَعرض عليه حُذَيْفَة خَيْلَه ، فقال : ما أرى فيها جوداً مُبِرًّا(٢) ! فقال له حُذيفة : فعِنْدَ مَن الجَوَاد المبرّ ؟ فقال : عند قيس بن زهير . فقال له : هل لك أن تُرَاهننى عليه ؟ قال : نعم ، قد فعَلْتُ . فراهنه على ذَكَرٍ من خيلِه وأنثى .

ثم إن ورداً العبسى أتى قيس بن زهير وقال : إنى قَدْ راهنتُ على فرسين من خيلك ذَكر وأنثى ، وأوْجَبْتُ الرِّهان ، فقال : ما أُبالى مَنْ راهنتَ غير حذيفة ، فقال : ماراهنتُ غيرَه ! فقال قيس : إنك — ما علمتُ — لأَنْكَد !

---

(١) فى مجمع الأمثال : أن رجلا من بنى عبس يقال له قرواش كان يبارى حمل بن بدر أخا حذيفة
(٢) المبر : الغالب .

ثم ركب قيس حتى أتى حُذيفة فوقف عليه ، فقال له حذيفة : ما غدا بك ؟ فقال : غدوتُ لأُواضِعَك[1] الرّهان ، فقال حذيفة : بل غدَوْتَ لتُغلِقَه[2] ، فقال قيس : ما أردتُ ذلك ، فأبى حذيفة إلا الرّهان ، فقال قيس : أُخيِّرك ثلاثَ خِلال، فإن بدأتَ واخترتَ قبلى ، فلى خَلّتان ولك الأولى ، وإن بدأتُ فاخترتُ قبلك ، فلك خلّتان ولى الأولى .

قال حذيفة : فابْدَأْ ، قال قيس : الغاية من مائةِ غَلْوَة[3] ، قال حذيفة : فالمِضْمارُ[4] أربعون ليلة ، والمجرى من ذات الإصاد[5] . ففعلا ووضعا السَّبق[6] على يدى أحد بنى ثعلبة بن سعد .

ثم ضمّروا الخيل ، فلمـا فرغوا استقبل الذى ذَرَع[7] الغاية بينهما من ذات الإصاد — وهى ردهة وسط هضب القليب — فانتهى الذّرْعُ إلى مكان ليس له اسم . فقادوا الخيل إلى الغاية وجعلوا السابق الذى يَرِدُ ذات الإصاد ، وأجرى قيس دَاحِساً والغبراء ، وحذيفة الخطّار والحنْفاء[8] .

وملئوا البِرْكَةَ ماء ، وجعلوا السّابقَ أول الخيل يَكْرَع فيها .

---

(١) فى القاموس يقال : هلم أواضعك الرأى : أطلعك على رأيى وتطلعنى على رأيك

(٢) أغلقت الرهن : أوجبته (٣) الغلوة : الرمية بالنشابة (٤) قال فى اللسان : يكون المضمار وقتاً للأيام التى تضمر فيها الخيل للسباق أو للركض إلى العدو ، وتضميرها : أن تشد عليها سروجها ، وتجلل بالأجلة حتى تعرق تحتها فيذهب رهلها ، ويشتد لحمها ، ويحمل عليها غلمان خفاف يجرونها ، ولا يعنفون بها ، فإذا فعل بها ذلك أمن عليها البهر الشديد عند حضرها ، ولم يقطعها الشد ، قال أبو منصور : فذلك التضمير الذى شاهدت العرب تفعله يسمون ذلك مضماراً وتضميرا (٥) ذات الإصاد : ردهه بين أجبل فى ديار بنى عبس (والردهة : نقيرة فى حجر يجتمع فيها الماء (ياقوت — مادة أصد) (٦) السبق : الخطر الذى يوضع فى الرهان فمن سبق أخذه (٧) ذرع الغاية : قدرها (٨) فى اللسان : الحنفاء فرس حذيفة بن بدر قال ابن برى : هى أخت داحس لأبيه من ولد العقال ، والغبراء خالة داحس وأخته لأبيه .

وأقام حذيفة رجلاً من بنى أسد[1] فى الطريق ، وأمره أن يَلْقى داحساً فى الطريق فإن جاء سابقاً ردُّوا وجهه عن الغاية .

ثم إن حُذيفةَ بن بدر وقيس بن زهير أتيَا المَدّى ينظران إلى الخيل كيف خروجُها منه ؛ فلما أرسلت عارضَاها ، فقال حُذَيفة : خدعتُك ياقيسُ ، فقال قيس ترك الخِدَاع مَنْ أجرى من مائة[2] . ثم ركضا ساعة، فجعلتْ خيلُ حُذيفة تَسْبِق خيل قيس، فقال حذيفة : سبقت ياقيس. فقال قيس: جَرْىُ المُذَكّيات غِلَاب[3] .

فلما أرسلت الخيل سبقها داحس سبْقاً بيناً والناس ينظرون ، فلما هبط داحس فى الوادى عارضه الأَسَدِيُّ فلطم وجهه فألقاه فى الماء ، فكاد يغرق هو وراكبه ولم يخرج إلا وقد فاتته الخيل . وأما راكب الغبراء فإنه خالف طريق داحس لمّا رآه قد أبطأ ، ثم عاد إلى الطريق ، واجتمع مع فرسى حُذَيفة ، ثم سقطت الحَنْفاء وبقى الخطار والغَبْراء .

ثم إن الغبراء جاءت سابقةً ، وتبعها الخطَّار ، ثم الحَنْفَاء ، ثم جاء داحس[4]

---

(١) كان بنو أسد حلفاء لذبيان قوم حذيفة ، ورواية الميدانى : ووضع حمل حيساً فى دلاء وجعله فى شعب من شعاب هضب القليب على طريق الخيل ، وكمن معه فتياناً فيهم رجل يقال له زهير ابن عبد عمرو ، وأمرهم إن جاء داحس سابقاً أن يردوا وجهه عن الغاية (٢) أرسلها مثلا ، أى من مائة غلوة قال فى الأمثال : وهي اثنا عشر ميلا ، أى لو كان قصدى الخداع لأجريت من قريب (٣) ذهبت مثلا . المذكية من الخيل التى قد أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان ، والغلاب المغالبة ، أى ان المذكى يغالب مجاريه فيغلبه لقوته ، يجوز أن يراد أن ثانى جريه أبداً أكثر من باديه ، وثالثه أكثر من ثانيه فكأنه يغالب بالثانى الأول ، وبالثالث الثانى فجريه أبداً غلاب ، وهذا معنى قول أبى عبيد حيث قال : فهى تحتمل الجرى غلاباً ، ويروى جرى المذكيات غلاء : جمع غلوة يعنى أن جريها يكون غلوات . . . (٤) عبارة النقائض : فلما مضت الخيل وأسهلت من الثنية أرسل داحساً فتمطر فى آثارها (أى أسرع) فجعل يبدرها فرسا فرسا حتى سبقها الى الغاية مصليا وقد طرح الخيل غير الغبراء ، ولو تباعدت الخيل سبقها ، فاستقبلها بنو فزارة فلطموها ثم حلئوها عن البركة ، ثم لطموا داحسا ، وقد جاءا متواليين

بعد ذلك والغُلام يسيرُ به على رِسْلِه ، وأخبر الغلام قيسًا بما صُنِع بفرسه .

فأنكر حذيفة ذلك ، وادَّعى السَّبْق ظلماً ، وقال : جاء فرساى متتاليَين .

ومضى قيسٌ وأصحابه حتى نظروا إلى القوم الذين ضربوا داحساً ، وجاءه الأَسَدىّ نادمًا على ضربِ داحس ، واعترف لقيس بما صنَع ، وبما أَمرَه به حُذَيفة .

فرجع قيسٌ وأصحابُهُ إلى حذيفة وأصحابه وقال : ياقوم إنه لا يأْتى قومٌ إلى قومهم شرًّا من الظلم ، فأعطونا حَقَّنا ، فأبت بنو فزارة أن يعطوهم شيئًا — وكان الخطَر[1] عشرين من الإبل ، فقالت بنو عبس : أعطونا بعض سَبَقنا[2] ، فأبوا ، فقالوا : أعطونا جَزوراً نَنْحَرها ونطعمها أهلَ الماء ؛ فإنا نكره القَالَة فى العرب ؛ فقال رجل من فزارة : مائةُ جَزور وجزورٌ واحدةٌ سواء ، والله ما كنا لِنُقِرّ لكم بالسَّبْق علينا ، ولم نُسْبَق[3] .

فقام رجل من بنى مازن بن فزارة فقال : ياقوم ؛ إن قيسًا كان كارهًا لأَوّل هذا الرهان وقد أحسن فى آخره ، وإنَّ الظلم لا ينتهى إلّا إلى شر ، فأعطوه جزوراً من نَعَمكم ؛ فأبَوْا ، فقام إلى جَزُور من إبله ، فعقَلها ليُعْطِيها قيسا ويُرضيه ، فقام

(١) الخطر : السباق يتراهن عليه (٢) السبق : الخطر (٣) رواية الأمثال : فقال الذى وضعا السبق على يديه لحذيفة : إن قيسا قد سبق ، وإنما أردت أن يقال : سبق حذيفة ، وقد قيل ، أفأدفع إليه سبقه ؟ قال : نعم ، فدفع إليه الثعلبي السبق . ثم إن عركى بن عميرة وابن عم له من فزارة ندما حذيفة ، وقالا : قد رأى الناس سبق جوادك ، وليس كل الناس رأى أن جوادهم لطم ، فدفعك السبق تحقيق لدعواهم ، فأسلبهم السبق ، فإنه أقصر باعا وأكل حداً من أن يردك . قال : ويلكما ! أراجع فيما أبرمت ! فما زالا به حتى ندم ! فنهى حميصة بن عمرو حذيفة وقال له : إن قيساً لم يسبقك إلى مكرمة بنفسه ، وإنما سبقت دابة دابة ، فما فى هذا حتى تدعى فى العرب ظلوماً . قال : أما إذ تكلمت فلا بد من أخذه .

ابنه فقال : إنك لكثيرُ الخطأ ؛ أتريد أن تخالفَ قومك ، وتلحق بهم خِزْية بما ليس عليهم ؟ وأطلق الغلام عِقالها ، فلحقت بالنَّعم .

فلما رأى ذلك قَيسُ بن زهير احْتَمل عنهم هو ومَنْ مَعَه من بنى عبس .

— ٤ —

ثم إن حُذَيفة لجَّ فى ظُلْمه ، وأرسل إلى قيس ابنَه ندبة[1] يُطالبه بالسَّبَق ، فلم يصادفْه ، فقالت له امرأته : ما أُحِبُّ أنك صادفت قيساً . فرجع إلى أبيه فأخبره بما قالت . فقال : والله لتعودنَّ إليه . ورجع قيس فأخبرته امرأتُه الخبر ، فأخذت قيسٌ زفراتٍ . ولم ينشب ندبة أن رجع إلى قيس ، فقال : يقول أبى : أعطنى سبَق ، فتناول قيسٌ الرمحَ فطعنه فدقّ صُلْبه[2] ، وعادت فرسه إلى أبيه عائِرَةً[3] ، ونادى قيسٌ : يابنى عَبْس ؛ الرّحيل ! فرحلوا كلهم .

ولما أتت الفرسُ حذيفةَ علم أنَّ وَلَدَه قُتل ؛ فصاح فى الناس ، وركب فيمَنْ معه ، وأتى منازلَ بنى عبس فرآها خاليةً ، ورأى ابنَه قتيلا ، فنزل إليه ، وقبّله بين عينيه ودفنوه .

واجتمع الناس ، فاحتملوا دِيَه ندبة مائة عشَراء ، فقبضها حذيفة وسكن الناس .

وكان مالك بن زهير ـ أخو قيس ـ متزوّجاً فى فزارة وهو نازلٌ فيهم ، فأرسل إليه

---

(١) فى الأمثال : ابنه أبا قرفة

(٢) هـذه رواية ابن الأثير ص ٣٤٨ ج ١ ، ورواية العقد الفريد ص ٣١٣ ج ٣ أن المقتول هو مالك بن حذيفة ، وأن الربيع بن زياد حمل ديته مائة عشراء ، فقبضها حذيفة وسكن الناس ، وأما رواية الأغانى ص ٢٦ ج ١٦ ، والنقائض ص ٨٠ ج ١ فهى أن قيس بن زهير أغار على بنى فزارة ، وقتل عوف بن بدر وأخذ إبله

(٣) عار الفرس : ذهب على وجهه وتباعد عن صاحبه .

قيس : إنى قد قتلتُ ندبة بن حُذَيفة ورحلت ، فالحقْ بنا وإلا قُتِلْت ، فلم يُجبه وقال : إنما ذَنْبُ قيس عليه(١) .

ثم إن قيسًا أرسل إلى الربيع بن زياد يطلبُ منه العودَ إليه والمقام معه ؛ إذ هُمْ عشيرةٌ وأهل ؛ فلم يجبه ولم يمنعه ، وظلَّ مفكرًا فى ذلك .

وعاد حذيفة بن بدر فدسّ لمالك بن زهير فُرْسانًا على أفراس من مَسَان(٢) خَيْلِه وقال : لا تنتظروا مالكا إنْ وجدتموه أن تقتُلوه ، فانطلقَ القومُ وقتلوه(٣) .

---

(١) فى شرح ديوان الحماسة للتبريزى : أن قيس بن زهير حين قتل ابن حذيفة أرسل إلى أخيه : أن اخرج ، ثم بعث إليه بهذين البيتين :

أمالك لا تأمن فزارة واخشها فإنك إن تأمن فزارة هالك
أمالك إن تحسب مقامك فيهم صوابا فقد أخطأت فى الرأى مالك

فرد عليه مالك بهذين البيتين :

ياقيس حسبك ما أتيت فخلنى وبنى فزارة إننى متماسك
أترى حذيفة آخذى بجريرة لم تجنها كفى وأنت الفاتك

(٢) المسان من الإبل : خلاف الافتاء

(٣) هذه رواية ابن الأثير ، وجاء فى الأغانى والأمثال والنقائض : أن مالك بن زهير أتى امرأته باللقاطة فبلغ ذلك حذيفة بن بدر فدس له فرساناً على أفراس من مسان خيله وقال : لا تنتظروا مالكا إن وجدتموه أن تقتلوه ، والربيع ابن زياد مجاور حذيفة بن بدر — وكانت امرأة الربيع معاذة ابنة بدر — فانطلق القوم فلقوا مالكا فقتلوه ثم انصرفوا عنه ، وجاءوا عشية وقد جهدوا أفراسهم فوقفوا على حذيفة ومعه الربيع ، فقال حذيفة : أقدرتم على حماركم ؟ فقالوا نعم وعقرناه ! فقال الربيع : ما رأيت كاليوم قط ، أهلكت أفراسك من أجل حمار ! فقال حذيفة : لما أكثروا عليه من الملامة : إنا لم نقتل حماراً ، ولكننا قتلنا مالك بن زهير بعوف بن بدر . فقال الربيع : بئس لعمر الله القتيل قتلت ! أما والله إنى لأظنه سيبلغ ما نكره ، ثم تراجعا شيئا من كلام ثم تفرقا . وقام الربيع يطأ الأرض وطأ شديداً قال أبو عبيدة : فزعموا أن حذيفة لما قام الربيع بن زياد أرسل إليه بمولدة له فقال لها : اذهبى إلى معاذة — بنت بدر وامرأة الربيع — فانظرى ما يصنع الربيع . فانطلقت الجارية حتى دخلت البيت واندست وراء المتاع فجاء الربيع فنفذ البيت حتى أتى فرسه فقبض بمعرفته ثم مسح متنه حتى قبض

ولما بلغ عبسًا مقتلُ مالك بن زهير جَزِعت عليه ، وأتت بنو جَذيمة حذيفة فقال بنو مالك بن زهير لمالك بن حذيفة : ردّوا علينا مالنا . فأشار سنان بن أبى حارثة على حذيفة ألا يردّ أولادها معها ، وأن يردّ المائة بأعيانها ، فقال حذيفة : أردُّ الإبل بأعيانها ولا أرد النّسل ؛ فأبوا أن يقبلوا ذلك ؛ فقال قيسُ بن زهير :

يودّ سِنانٌ لو يحاربُ قومَنا ... وفى الحرب تفريقُ الجماعة والأزْل(١)

يدبّ ولا يخفَى ليفسدَ بيننا ... دَبِيبًا كما دبّت إلى جُحْرِها النملُ

فيابْنَى بَغيض ؛ راجِعا السِّلمَ تَسْلَمَا ... ولا تُشْمِتا الأعداء يفترق الشَّملُ

وإن سبيلَ الحربِ وعر مُضِلَّةٌ ... وإن سبيلَ السِّلْمِ آمنةٌ سَهْلُ

وعلم الربيعُ بن زياد بمقتل مالك بن زهير؛ فجزِع عليه ، وأرسلَ إلى قيس عينًا يأتيه بالخبر ، فسمِعَه يقول :

أينْجُو بنُو بَدْرٍ بمقْتَلِ مالك ... ويَخذُلُنا فى النّائبات رَبيعُ

وكان زياد قبلَه يُتقى بِهِ ... من الدهر إن يومٌ ألَمَّ فظيع

فقُلْ لربيع يحتذى فِعْلَ شيخِهِ ... وما الناسُ إلا حافظ ومُضيعُ

وإلا فمالى فى البلاد إقامةٌ ... وأمْر بنى بَدْرٍ علىَّ جميعُ

فرجع العينُ إلى الربيع فأخبره بما قال قيس ؛ فبكى الربيع على مالك وقال :

بعسكوة ذنبة ، ثم رجع الى البيت ورمحه مركوز بفنائه ، فهزه هزا شديداً ، ثم ركزه كما كان . وقال لامرأته: اطرحى لى شيئاً. فطرحت له شيئا فاضطجع عليه وقال لها: إليك عنى فقد حدث أمر، ثم تغنى وقال :

نام الخلى وما اغمض حار ... من سيء النبأ الجليل السارى

الخ . . . . فرجعت المرأة فأخبرت حذيفة الخبر ، فقال : هـذا حين اجتمع أمر اخوتكم ، ووقعت الحرب

(١) الأزل (بفتح الهمزة) : الضيق والشدة ، وبكسر الهمزة : الداهية.

يَامَ الحـــلِيُّ وما أغمضّ حار ... من سيء النَّبَاءِ الجليل السَّارِى(١)
من مثـله تُمسى النِّساء حواسراً ... وتقومُ مُعْوِلةً مع الأسحار
مَنْ كان مسروراً بِمَقْتَلِ مالك ... فليأْت نسوتنا بوجْهِ(٢) نهـار
يجِـد النساء حَواسراً يندُبْنَهُ ... يبكين قبـــلِ تبَلُّج الأسحار
قد كُنَّ يخبأْنَ الوُجُوه تستُّرًا ... فاليوم حين بدوْنَ للنُّظَّارِ(٣)
يخمشن حُرَّاتِ الوجوه على امرئٍ ... سَهْل الخليقة طيِّبِ الأَخبـار
أفبعد مقتلِ مالك بن زهـيْرٍ ... ترجو النساء عواقبَ الأطهارِ(٤)
ما إن أرَى فى قَتْـله لذوى الحِجَا ... إلا المطىَّ تُشَدُّ بالأكـوَارِ
ومُجنَّبَات ما يَذُقْنَ عَذُوفةً ... يقذفن بالمُهُرَاتِ والأمْهـار(٥)
ومساعراً صدأُ الحديد عليهمُ ... فكأنمـا طُلِى الوجوهُ بِقَارِ(٦)
ويارُبَّ مسرورٍ بمَقْتَـلِ مالكٍ ... ولسوف نَصْرِفُهُ بشرٍّ مَحَارِ(٧)

ولما علم قيس بقول الرَّبيع ركب هو وأهله ، وقصدوا الربيع بن زياد ، وهو يُصْلِحُ سلاحَه ؛ فنزل إليه قيس ، وقام الربيعُ فاعْتَنقَا وبكيَا، وأظهرا الجزع لمُصَاب مالك ، ولقى القومُ بعضهم بعضاً(٨) فنزلوا ، فقال قيس للرَّبيع : إنه لم يهرب منك

(١) ياحار : مرخم حارث (٢) أى كانت نساؤنا يخبأن وجوههن عفة وحياء
(٣) الآن ظهرن للناظرين لا يعقلن من الحزن (٤) كان العرب يواقعون نساءهم عقب أطهارهن ، ويدعون أن ذلك أنجب للولد (٥) المجنبات : الخيل تجنب إلى الإبل فى الغزو ، والعذوفة: أدنى ما يؤكل فى الطعام والشراب . وقوله يقذفن بالمهرات والأمهار : أى أن الإبل تقذف أولادها من شدة السير (٦) يعنى لسوادها من لبس المغافر وكآبة السفر
(٧) المحار : المرجع (٨) ومما ينسب إلى قيس فى ذلك قوله :

لعمرك ما أضـــاع بنو زياد ... ذمار أبيهم فيمن يضيع
بنو جنيـــة ولدت سيوفاً ... صوارم كلهـا ذكر صنيع
شرى ودى وشكرى من بعيد ... لآخر غالب أبداً ربيـــع

من لجأ إليك ، ولم يَسْتغْنِ عَنْكَ من استْعان بك ، وقد كان لك شرٌّ يومىّ ؛ فليكن لى خيرُ يوميك ، وإنما أنا بقومى وقومى بى ، وقد أصاب القومُ مالِكًا ، ولست أهمّ بسوء ؛ لأنى إن حارَبْتُ بنى بدر نصرَتْهم بنو ذبيان ، وإن حاربتَنى خذلتنى بنو عبس ؛ إلا أن تجمعَهم علىّ ، وأنا والقوم فى الدماء سَواء ، قتلتُ ابنَهم وقتلوا أخى ، فإن نصرتَنى طمِعتُ فيهم ، وإن خذَلْتَنى طمعوا فىّ .

فقال الربيع : ياقيس ؛ إنه لا ينفعنى أن أرَى لك من الفضل ما لا أراه لى ؛ ولا ينفعك أن ترى لى مالا أراه لك ؛ وأنت ظالمٌ ومظلوم ؛ ظلموك فى جَوَادِك ، وظلمتَهم فى دمائهم ، وقتلوا أخاك بابنهم ، فإن يبؤ الدمُ بالدم ، فعسَى أن تلقح الحرب.

وبعث قيسٌ إلى أهله وأصحابه ، فجاءوا ونزلوا مع الربيع ، وأنشدهم عنترة ابن شداد[1] فى مالك :

فَلِلَّهِ عَيْنا من رأى مثلَ مالك ... عقيرةَ قوم أَنْ جَرَى فَرسان
فليتهما لم يجريا نصفَ غَلْوَةٍ ... وليتهما لم يُرسَلا لِرِهَان
وليتهما ماتَا جميعاً ببلدة ... وأخطاهما قَيْس فلا يريَان
لقد جلبا حَيْنا وحَرْبًا عظيمةً ... تُبيد سَرَاة القوم من غطفان
وكان إذا ما كان يومُ كَرِيهةٍ ... فقد علموا أنى وهو فتيان
وكنا لدى الهيجاء نَحْمِى نساءنا ... ونضرب عندالكَرْبِ كلَّ بنان

---

(١) فى معجم البلدان ص ٢٦٨ ج ١ ينسب هذه الأبيات لبدر بن مالك بن زهير ، مع اختلاف فى الرواية . ونسب بعض هذه الأبيات فى النقائض إلى ابنة مالك قال : ثم إن مالك بن بدر خرج يطلب إبلا له فر على بنى رواحة فرماه جنيدب أخو بنى رواحة بسهم فقتله ، فقالت ابنة مالك بن بدر وهو يوم المنفقة :

* فلله عينا من رأى مثل مالك * . . . الخ

فسوف ترى إن كنتُ بعدك باقياً وأمكنني دهري وطولُ زماني

فأقسم حقًّا لو بقيت لنظرةٍ لقرَّت بها العينان حين تراني

وبلغ حذيفة أن الرَّبيع وقيسا اتَّفقا ، فشقَّ ذلك عليه واستَعَدَّ للبلاء[١] .

ثم تلاقت جموع بنى ذبيان[٢] وعبس واقتتلوا قتالا شديداً ، وكانت الشوكة فى ذبيان ، وقُتِل منهم عوف بن بدر ، وقتَلَ عنترةُ ضَمْضَم[٣] أبو الحصين المرى ، والحارث بن بدر ، وأَسَرَ الرَّبيع حذيفة بن بدر ، وكان حرّ بن الحارث العبسى قد نذر إنْ قدر على حذيفة أن يضربه بالسيف ، وله سيفٌ قاطع يسمى الأصرم ؛ فأراد ضَرْبه بالسيف لما أُمِرَ وفاءً بنَذْره ؛ فنهوه عن قتله ، وحذَّروه عاقبةَ ذلك ، فأبى إلا ضَرْبه ، فوضعوا عليه الرجال ، فضربه فلم يصنع السيف شيئاً ، وبقى حُذَيفَةُ أسيراً .

---

(١) قال فى ابن الأثير : وقيـل : إن بلاد عبس كانت قد أجدبت فانتجع أهلها بلاد فزارة ، وأخذ الربيع جواراً من حذيفة وأقام عندهم ، فلما بلغه مقتل مالك قال لحذيفة : لى ذمتى ثلاثة أيام . فقال حذيفة : ذلك لك ، فانتقل الربيع من بنى فزارة ، فبلغ ذلك حمل بن بدر فقال لحذيفة أخيه : بئس الرأى رأيت ! قتلت مالـكا وخليت سبيل الربيع ، والله ليضرمنها عليك ناراً ، فركبا فى طلب الربيع ففاتهم ، فعلما أنه قد أضمر الشر ، وفى هذه الحرب يقول الربيع :

فإن تك حربـكم أمست عواناً فإنى لم أكن ممن جناها

ولـكن ولد سودة أرثوها وحشوا نارها لمن اصطلاها

فإنى غـير خاذلـكم ولـكن سأسعى الآن إذ بلغت مداها

(٢) هذا هو يوم المريقب فى الأمثال : قاد بنى عبس وحلفاءهم بنى عبد الله بن غطفان يوم ذى المريقب إلى بنى فزارة ورئيسهم إذ ذلك حذيفة بن بدر (٣) وفى ذلك يقول كما فى الأمثال :

ولقد خشيت بأن أموت ولم تكن للحرب دائرة على ابنى ضمضم

الشاتمى عرضى ولم أشتمهما والناذرين إذا لم ألقهما دمى

إن يفعلا فلقد تركت أباهما جزر السباع وكل نسر قشعم

فاجتمعت غطفان وسَعَوا فى الصلح ، واصطلحوا على أن يهدروا دَمَ بدر بن حذيفة بدَم مالك بن زهير ، ويَعْقِلوا[1] عوف بن بدر ، ويُعْطُوا حُذيفة عن ضَرْبته التى ضَربه حرّ مائتين من الإبل ، وأن يجعلوها عِشاراً كلها وأربعة أعبد ، وأهدرَ حُذيفة دماء من قُتِل من قومه ذبيان فى الوقعة ، وأُطلِق من الأسر .

فلما رَجَعَ إلى قَوْمه ندم على ذلك ، فساءت مقالتُه فى بنى عَبْس ، وركب قيس ابن زُهير وعمارة بن زياد فمضيا إلى حذيفة وتحدّثا معه ، فأجابهما إلى الاتّفاق ، وأن يردّ عليهما الإبل التى أخذ منهما ـ وكانت توالدت عنـده ـ وبينهم فى ذلك إذ جاءهم سـنان بن أبى حارثة المرّى ، فقبّح رأى حذيفة فى الصُّلْح ، وقال : إن كنتَ لا بدّ فاعلا فأعطهم إبلا عجافاً مكان إبلهم ، واحبس أولادها ؛ فوافق ذلك رأى حذيفة ، وأبى قيس وعمارة ذلك .

— ٥ —

ثم إن مالك بن بدر[2] خرج يطلب إبلا له ، فرماه جُندب أحد بنى رواحة[3] بسهم فقتله ، ومن ثم أخذ الشرُّ يَعْظُم بين عبس[4] وذبيان ؛ وهزمت بنو عبس واتبعتهم بنو ذبيان .

فأشار قيس على الربيع بن زياد أن يُماكِرَهم ، وخاف إن قاتلوهم ألا يقوموا لهم ، وقال : إنهم ليسوا فى كل حين يتجمّعون ، وحذيفة لا يستنفرُ أحداً لاقتداره وعُلُوّه ، ولـكن نعطيهم رهائنَ من أبنائنا فندفع حدَّهم عنا ، فإنهم لن يقتلوا الولدان ولن

(١) عقل القتيل : وداه : أى أدى ديته (٢) أخو حذيفة بن بدر (٣) بنو رواحة : حى فى عبس ، وقد سبق اسمه جنيدب (٤) كان رئيس بنى ذبيان حذيفة بن بدر ، وأما بنو عبس وحلفاؤهم فكان يرأسهم الربيع بن زياد فتوافوا بذى حسى وهو وادى الهباءة فى أعلاه .

يَصِلوا إلى ذلك منهم مع الذين نضمُّهم على أيديهم ، وإن هم قتلوا الصبيان فهو أهون من قتل الآباء ، وكان رأى الربيع مُنَاجزتهم فقال : ياقيس ؛ أَمَلأَ جمعُهم صدرَكَ ؟ وقال :

أقول ولم أملكِ لنفسى نصيحة   أرى ما يَرَى والله بالغيب أعــلم

أُبقي على ذبيان من بعــد مالك   وقد حشّ(١) جانى الحرب ناراً تضرم

وقال قيس : يابنى ذبيان ؛ خذُوا منا رهائنَ إلى أن تنظروا ؛ فقد ادّعيتمْ ما نعلم وما لا نعلمُ ، ودَعونا حتى تتبيّن دعواكم ، ولا تعجلوا إلى الحرب ، فليس كلُّ كثير غالباً ، وضعوا الرهائن عنــد من تَرْضَوْن به ونرضاه ؛ فقبلوا ذلك ، وتراضوا أن تكون الرهائنُ عندسُبَيع بن عمرو (من بنى ثعلبة بن زيد بن ذبيان) ، فمات سبيع وهُم عنده ، فلما حضرته الوفاة قال لابنه مالك : إن عندك مكرمة لا تبيد إن أنت احتفظت بهؤلاء الأغيلمة ، وكأنى بك لو قَدْ مُتُّ أتاك حــذيفة خالك ، فعصر عينيه وقال : هلك سيدُنا ، ثم خدعك عنهم حتى تدفعهم إليــه ، فيقتلهم ، فلا شرفَ بعدها ، فإن خفْتَ ذلك فاذهب بهم إلى قومهم .

فلما ثَقُل سُبَيْع جعل حذيفة يبكى ويقول : هلكَ سيدُنا ؛ فوقع ذلك فى قَلْب مالك ، فلما هلك سبيع أطاف حذيفة بابنه مالك فأَعْظَمه ؛ ثم قال له : يامالك ؛ إنى خالك ، وإنى أسنّ منك ؛ فادفع إلىّ هؤلاء الصبيان ليكونوا عندى إلى أن ننظرَ فى أمرنا ؛ فإنه قبيحٌ أن تملك علىّ شيئاً ، ثم لم يزل به حتى دفعهم إليه باليَعْمَرِية(٢) .

وأحضر أهل الذين قُتِلوا فجعل كل يوم يُبْرِز غلاماً فينصبه غَرَضاً ويرمى

---

(١) حش الحرب يحشها إذا أسعرها وهيجها   (٢) اليعمرية : ماء بواد من بطن نخلة من الشربة .

بالنّبل ثم يقول : نادِ أباكَ ، فينادى أباه ، حتى يمزّقه النبل ، ويقول لواقد بن جندب: ناد أباكَ ، فجعل ينادى ياعمّاه ـ خلافاً عليهم ـ ويكره أن يأْبِس[1] أباه بذلك ، وقال لابن جنيدب بن عمرو بن عبد الأسلع : ناد جُنَيبة[2]، فجعل ينادى : ياعمراه! باسم أبيه حتى قُتِل ، وقتل أيضاً عتبة بن شهاب بن قيس بن زهير . ولما بلغ ذلك بنى عبس أخذوا ما كانوا جمعوا من الدّيات ، فحملوا عليه الرجالَ واشتروا السّلاح .

ثم خرج قيس فى جماعة ، فلقوا ابناً لحذيفة ، ومعه فوارس من ذبيان فقتلوهم ، فجمع حذيفة قومه وسار إلى عَبْس وهم على ماء يقال له عُرَاعر ، فاقتتلوا وكان الظفر لذُبيان ، ورجعت سالمة .

ثم جدّ حذيفة فى الحرب ، وكرهها أخوه حَمَل بن بدر ، وندم على ما كان ، وقال لأخيه فى الصلح فلم يُجِب إلى ذلك ، وجمع الجموعَ من أسد وذبيان وسائر بطون غطفان وسار نحو بنى عبس .

— ٦ —

ولما بلغ بنى عبس أنهم قد ساروا إليهم تشاوروا بينهم ، فقال قيس : أطيعونى فوالله لئن لم تفعلوا لَأَتَّكِئَنَّ على سيفى حتى يخرجَ من ظهرى . قالوا : فإنا نطيعك . فأمرهم فسرّحوا السَّوام[3] والضّعاف بليل ، وهم يريدون أن يَظْعَنُوا من منزلهم ذلك، ثم ارتحلوا فى الصبح وقد مضى سوامهم وضِعَافهم .

فلما أصبحوا طلعت عليهم الخيل ، فقال قيس : خُذُوا غيرَ طريق المال[4] ، فإنه لا حاجةَ للقوم أن يقعوا فى شَوْكتكم ، ولا يريدون بكم فى أنفسكم شرًّا من ذهاب

(١) الأبس : القهر والحمل على المكروه (٢) جنيبة : لقب أبيه (٣) السوام : الإبل الراعية (٤) المال : كل ما يملك وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل ، لأنها كانت أكثر أموالهم ، وهي المرادة هنا .

أموالكم ؛ فأخذوا غيرَ طريق المـال . ولما رأى حذيفةُ الأثر قال : أَبْعَدَهم الله ! وما خيرُهم بعد ذهاب أموالهم ؟ ثم اتّبع المـال وسارت ظعن بنى عبس والمقاتلة من ورائهم ، وتبع حذيفة وبنو ذبيان المال ؛ فلما أدركوه ردّوا أوله على آخره ، ولم يفلت منه شيء ، وجعـل الرجلُ يطرد ما قدر عليه من الإبل ، فيذهب بها ، ثم تفرّقوا واشتدّ الحرّ .

فقال قيس بن زهير : ياقوم ؛ إن القومَ قد فرّق بينهم المغنم ، فاعطفوا الخيلَ فى آثارهم ؛ فلم تشعر بنو ذبيان إلا والخيـلُ دَوَائس[1] ؛ فلم يقاتلهم كبيرُ أحد ، إذ أن همّة الرجل من بنى ذبيان كانت أن يُحْرِز غنيمته ويمضى بها ، ووضعت بنوعبس فيهم السّلاح ، وقتلوا منهم مالك بن سُبيع التغلبى سيّد غطفان وكثيراً غيره حتى ناشدتهم بنو ذبيان البقيّة ، وانهزمت ذبيان وحذيفةُ معهم .

ولم يكن لعبس همّ غير حذيفة ، فأرسلوا خيلَهم مجتهدين فى أثره ، ثم تبعه قيس ابن زهير والربيع بن زياد ، وقرواش بن عمرو ، وريان بن الأسلع ، وشداد بن معاوية وغيرهم ؛ وقال لهم قيس : كأنى بالقوم وردوا جَفْرَ الهبَاءَة ونزلوا فيـه ، وأنا أعلم أن حذيفة بن بدر إذا احتدمت الوديقة[2] مستنقعٌ فى الماء .

وكان حُذَيفة قد استرخى حزامُ فرسه ؛ فنزل عنه ووضع رِجْلَه على حَجَر مخافةَ أن يُقْتَصّ أثره ، وعرفوا حَنَفَ[3] فرسه فاتّبعوه ، ومضى حتى استغاث بجَفْر[4] الهَبَاءَةَ وقد اشْتَدَّ الحرّ ، فرمى بنفسه ومعه حمل بن بدر وجماعة من أصحابه ، وقد نزعوا سُروجَهم وطرحوا سلاحهم ، ووقعوا فى الماء ، وتمعّكت[5] دوابُّهم .

---

(١) يقال : أتتهم الخيل دوائس : أى يتبع بعضها بعضاً . (٢) الوديقة : شدة الحر
(٣) الحنف : أن تقبل إحـدى اليدين على الأخرى (٤) جفر الهباءة : مستنقع فى بلاد غطفان (وهو يوم الهباءة) (٥) تمعكت : تمرغت .

ولما اقترب منهم قَيْسُ بن زهير وأصحابه أبصرهم حَمَل بن بدر فقال لهم : مَنْ أبْغَضُ الناس أن يقفَ على رءوسكم ؟ فقالوا : قيس بن زهير والربيع بن زياد . فقال : هذا قيس بن زهير قد أتاكم ! ولم ينقض كلامُه حتى وقفَ قيسٌ وأصحابُهُ وحالوا بينهم وبين الخيل ، وحمل جنيدب على خيلهم فاطّردها، واقتحم عمرو بن الأسلع وشداد عليهم فى الجند ، وهم ينادون : لبَّيكم! لبيكم[1] ! وقال لهم قيس : كيف رأيتم عاقبةَ البغى ؟ فقال حذيفة :

يابنى عبس : فأين العقول والأحلام؟ ناشدتك الله والرحم ياقيس ! فضربه أخوه حمل بين كتفيه وقال : « اتَّقِ مَأْثُور الكلام[2] » .

ثم قال حذيفة لقيس : بنو مالك بمالك ، وبنو حَمَل بذى الصبية ورد السبَق ، قال قيس : لبيكم! لبيكم ! قال حذيفة : لئن قتلتَنى لا تصلح غطفان بعدها أبداً . فقال قيس : أبْعَدَها الله ولا أصلحها . ثم إن قرواش بن هنى جاء من خلف حذيفة ، فقال له بعض أصحابه : احذَر قرواشاً ــ وكان قد ربّاه ، فظن أنه سيشكر ذلك له ــ قال : خلّوا بين قرواش وظهرى ! فنزع له قرواش بمِعْبَلَة[3] فقصمَ بها صُلْبه ، وابتدره الحارث بن زهير وعمرو بن الأسلع ، فضرباه بسيفهما حتى ذفّفا[4] عليه .

وقتَل الحارث بن زهير حمل[5] بن بدر ، واستَبْقَوا حصن[6] بن حذيفة لصِباه ، ولما وقف قيس بن زهير على جُثَّة حذيفة بن بدر قال يرثيه ويرثى أخاه حملا :

تعلَّم أن خـيرَ الناس ميْت ... على جَفْر الهَبَاءَةِ لا يريم

---

(١) الصبيان الذين قتلوا (٢) ذهبت مثلا (٣) المعبلة : نصل طويل عريض

(٤) ذففا عليه : أجهزا عليه (٥) فى الأمثال : أخذ الحارث بن زهير سيف حذيفة ورمى جنيدب بن زيد بسهم فقتله ، وكان نذر ليقتلن بابنه رجلا من بنى بدر فأحل به نذره . وفيه أن الذى قتل حمل بن بدر هو الربيع بن زياد (٦) فى الأمثال : واستصغروا عيينة بن حصن فخلوا سبيله .

ولولا ظلمُه ما زلتُ أبكى عليه الدهرَ ما طلع النجومُ(١)
ولكن الفتى حَمَل بن بدر بَغَى والبغىُ مَرْتَعُهُ وخيمُ
أظُنُّ الحِلْم دَلَّ علىَّ قومى وقد يُسْتَضْعَفُ الرَّجل الحليم
ومارست الرجال ومارسونى فمُعْوَجٌّ علىَّ ومستقيمُ

وقال أيضاً :

شفيت النّفس من حمل بن بدرٍ وسَيْفِى من حذيفة قد شفانى
شفيتُ بقتلهم لغليل صدرى ولكنى قطعت بهم بَنَانِى
فلا كانت الغبرا ولا كان داحس ولا كان ذاكَ اليوم يومَ دهَانى

— ٧ —

ثم إن عَبْسا ندمت على ما فعلت بذُبيان يوم الهَباءة ، ولام بعضهم بعضاً . واجتمعت ذُبيان إلى سِنَان بن أبى حارثة المرى، وشكوا إليه ما نزل بهم؛ فأعْظَمَه وذَمَّ عبسا ، وعزم على أن يجمعَ العرب ويأخذَ بثأر ذُبيان ، وبثَّ رسلَه ؛ فاجتمع من الخَلْق كثير لا يحصَوْن ، ونهى أصحابَه عن التعرّض إلى الأَموال والغنيمة ، وأمرهم بالصَّبر ، وساروا إلى بنى عبس ؛ فلما بلغهم مسيرُهم إليهم قال قيس : الرأىُ أَنَّنَا لا نَلْقَاهم ؛ فإننا قد وَتَرْناهم ، فهم يطالبوننا بالذُّحول(٢) والطَّوَائل(٣) ، وقد رأوا ما نَالهم بالأمس باشتغالهم بالنَّهْبِ والمال ؛ فهم لا يتعرَّضون إليه الآن ؛ والذى ينبغى أن نفعله أننا نُرْسلُ الظَّعائن والأموال إلى بنى عامر ؛ فإن الدمَ لنا قِبَلهم ، فهم لا يتعرّضون لكم ، ويبقى أُولو القوة والجَلَد على ظهور الخيل ؛ ونُماطِلهم

(١) يشير إلى ما جرى فيهم من أمر داحس والغبراء ، وإنكاره السبق وركوبه البغى
(٢) الذحول : جمع ذحل وهو الثأر (٣) الطوائل : جمع طائلة وهى الثأر أيضا .

القتالَ ؛ فإن أبوا إلا القتالَ كنّا قد أحْرَزْنا أهْلينا وأموالنا ؛ وقاتلناهم وصبرنا لهم ، فإن ظفرنا فهو الذى نريد ، وإن كانت الأخرى كنا قد احترزنا ولحقنا بأموالنا ونحن على حامية .

ففعلوا ذلك ، وسارت ذُبيان ومن معها ولحقوا بنى عبس على ذات الجراجر ، واقتتلوا قتالا شديدا يومهم ذلك وافترقوا .

فلما كان الغد عادوا إلى اللقاء فاقتتلوا أشدَّ من اليوم الأول ، وظهرت فى هذا اليوم شجاعة عَنْتَرة بن شدَّاد ، فلما رأى الناس شدّة القتال وكثرةَ القتلى لامُوا سِنان بن أبى حارثة على مَنْعِه حذيفة عن الصلح ، وتطيَّروا منه ، وأشاروا عليه بحَقْن الدماء ومراجعة السِّلْم فلم يفعل ، وأراد مُراجعة الحرب فى اليوم الثالث ، فلما رأى فُتُور أصحابه وركونهم إلى السِّلم رحَل عائداً .

فلما رجع عنهم رحل قيس وبنو عبس إلى بنى شيبان ، وجاوروهم وبقوا معهم مدة ، فرأى قيس من غلمان شيبان ما يكرهه من التعرّض لأَخْذ أموالهم ؛ فرحلوا عنهم ، فتبعهم جمع من شيبان ، فرجعت إليهم بنو عبس واقتتلوا ، فانهزمت شيبان ، وسارت عَبْس متوجهين نحو اليمامة يطلبون أخوالهم ، فأتوا قتادة بن مسمة ، فنزلوا اليمامة زمينا[1] ، فمرّ قيس ذات يوم مع قتادة فرأى قحفا فضربه برجله ، وقال : كم من ضيْم قد أقررتُ به مخافة هذا المصرع ! فلما سمعها قتادة كرهها وأوجس منه ، وقال : ارتحلوا عنا . فارتحلوا حتى نزلوا ببنى سعد بن زيد مناة ، فمكثوا فيهم زمانًا ؛ ثم إن بنى سعد أتوا ملك هجر ، فقالوا له : هل لك فى مُهْرة شَوْهاء[2] ، وناقة حمراء ، وفتاة عذراء ؟ قال : نعم . قالوا : بنو عبس غارّون ، تغير عليهم مع جندك وتسهم لنا من غنائمهم ، فأجابهم ؛ وفى بنى عبس امرأة من سعد ، فأتاها

(١) زمنا (٢) الشوهاء من الخيل : الطويلة الرائعة .

أهلها ليضمّوها ، وأخبروها الخبر ، فأخبرت به زوجها ، فأتى قيسا فأخبره ؛ فأجمعوا على أن يُرحّلوا الظعائن ، وما قوى من الأموال من أول الليل ، ويتركوا النار فى الرِّثّة[1] ؛ فلا يُستنكر ظعنهم عن منزلهم .

وتقدّم الفرسان إلى الفَرُوق ، فوقفوا دون الظُّعُن ، وبين الفروق وسوق هجر نصف يوم ، فإن تبعوها قاتلوهم وشغلوهم حتى تعجّل الظعن ، ففعلت ذلك .

وأغارت جنود الملك مع بنى سعد فى وجه الصبح ، فوجدوا الظعن قد أسْرَين ليلتهن ، ووجدوا المنزل خلاء ، فاتبعوا القوم حتى انتهوا إلى الخيل بالفروق ، فقاتلوهم ثم خلّوا سربهم ؛ فمضوا حتى لحقوا بالظعائن فساروا ثلاثة أيام ولياليهن ، حتى قالت بنت قيس لقيس : يا أبتِ ؛ أتسير الأرضُ ؟ فعلم أن قد جَهِدْن. فقال : أنيخوا فأناخوا ، ثم ارتحل ، وفى ذلك يقول عنترة :

ونحن منعنا بالفَرُوق نساءنا[2] ... نُطرِّفُ عنها مُبْسِلات[3] غَوَاشيا

حلفت لها والخيل تَدْمَى نحورُها ... نفارقكم حتى تهزوا العواليا

ألم تعلموا أن الأسنّة أحرزت ... بقيّتنا لو أنَّ للدّهر باقيا

ونحفظ عورات النساء ونتّقى ... عليهن أن يلقَيْن يومًا مخازيا

ولحقوا ببنى ضَبّة ، فكانوا فيهم زمنا .

ثم أغارت ضَبّة على بنى حنظلة ، فاسْتاق رجلٌ من بنى عبس امرأة من بنى حنظلة فى يوم قائظ حتى نَهَرَها ولهثت ، فقال رجل من بنى ضَبّة : ارفق بها ،

---

(١) الرثة : ردىء المتاع وإسقاط البيت من الخلقان (٢) فى اللسان : نساءكم

(٣) المطرف : الذى يأتى أوائل الخيل فيردها على آخرها ، وقيل : هو الذى يقاتل أطراف الناس ، وقال المفضل : التطريف أن يرد الرجل عن أخريات أصحابه ، وأبسل نفسه للموت : وطن نفسه عليه .

فقال العبسى : إنك بها لرحيم ! فقال الضَّبى : نعم . فأهْوى العبسىُّ لعَجُزها بطرَف السِّنان ؛ فنادت يا آل حنظلة ! فشدَّ الضبى على العبسى فقتله ، وتنادى الحيّان ؛ ففارقهم عبس ، ومرّت تريد الشام .

وبلغ بنى عامر ارتفاعُهم إلى الشام ، فخافوا انقطاعهم من قيس ؛ فخرجت وفودُ بنى عامر حتى لحقتهم، فدعتهم إلى أن يَرْجعوا ويحالفوهم ، فقال قيس ؛ يابنى عبس؛ حالفوا قوماً فى صُبابة بنى عامر ، ليس لهم عدد فيبغوا عليكم بعددهم ، فإن احتجتم أن يقوموا بنصرتكم قامت بنو عامر لحالفوا معاوية بن شكل . فمكثوا فيهم .

ثم خرجوا حتى أتوا بنى جعفر بن كلاب فقالوا : نكره أن تتسامع العرب أنا حَالَفْنَاكُمْ بعد الذى كان بيننا وبينكم ، ولكنهم حالفوا بنى كلاب ، فمكثوا فيهم حتى كان يوم جَبَلة فتهايجوا فى شأن ابن الجَوْن ــ قتَله رجل من بنى عبس بعد ما كان أعتقه عوف بن الأحوص ، فقال عوف : يابنى جعفر ؛ إن بنى عبس أدنى عدوكم إليكم ، إنما يجمعون كُرَاعهم[1] ويُحِدُّون سلاحهم ، ويأْسُون قُروحهم ، فاطلبوهم وشدوا عليهم قبل أن يَنْدَملوا ، وقال :

وإنى وقيس كالسمّن كَلْبَه   فخدشه أنيابه وأظفاره

فلما بلغ ذلك بنى عبس ، أتوا أحد بنى بكر بن كلاب فحالفوه ، فقال فى ذلك قيس :

أحاول ما أحاول ثم آوى   إلى جار كجار أبى دواد
منيع وسط عكرمة بن قيس   وَهُوب للطَّريف وللتِّلاد

ثم إن ذُبيان غَزَوْا بنى عامر بن صعصعة وفيهم بنو عبس فى يوم شَعْوَاء ، فاقتتلوا وهُزِمت عامر ، وأسر طلحةُ بن سنان قرواش بن هنى العبسى ولم يَعْرِفه ، فنسبه فكنّى

(١) الكراع : السلاح .

عن نفسه ، فلما قدم به إلى أهله ، وانتهى به إلى أدنى البيوت عرفته امرأةٌ من أشجع أمّها عبسية ، فقالت لزوجها : إنى أرى قرواش مع طلحة بن سنان . قال : ومن أين تعرفينه ؟ قالت : يتّمت أنا وهو من أبوينا فربّانا حذيفة فى أيتام غطفان . فخرج زوجُها حتى أتى خزيم بن سنان فقال : أخبرتنى امرأتى أن أسير طلحة أخيك قرواش ابن هنى ، فأتى خزيم طلحة فأخبره ، فقال : ومن أين عرفت ؟ فقال : امرأةُ فلان عرفته ، فتمال فاسمع كلامها ، فأتوها ، فقال طلحة : ما علْمُكِ أنه قرواش ؟ قالت : هو ، وبه شَامة فى موضع كذا . فرجعوا إليه ففتّشوه ، فوجدوا الذى ذَكَرت. قال قرواش : مَنْ عرفنى ؟ قالوا : فلانة ! قال : ربَّ شر حملته عبسيّة ! ودُفع إلى حِصْن فقتلوه .

ثم رحلت عبس عن عامر(١) ونزلت بتيم الرباب ؛ فبغت تيم عليهم ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، وتكاثرت عليهم تيم ، فقتلوا من عبس مَقْتلة عظيمة .

ورحلت بنوعبس ، وقد ملّوا الحرب ، وقلّت الرجال والأموال ، وهلكت المواشى ؛ فقال لهم قيس : ارجعوا إلى إخوانكم من ذبيان ، فالموت معهم خير من البقاء مع غيرهم . فقالوا : سِرْ معنا ، فقال : لا والله ، لا نظرتْ فى وجهى ذبيانيّه قتلتُ أباها أو أخاها أو زوجها أو ولدها . ثم خرج على وجهه .

— ٨ —

فساروا حتى نزلوا على الحارث بن عوف بن أبى حارثة المرّى ليلا — وكان عند حصن بن حذيفة بن بدر — فلما عاد قيل له : هؤلاء أضيافُك ينتظرونك . قال : بل أنا ضيفُهم ، فحيّاهم وهشّ إليهم . وقال : مَن القوم ؟ قالوا : إخوانك من بنى عبس .

(١) لذلك سبب ذكره صاحب الأمثال صفحة ٥٩ جزء ثان لم نرد ذكره هنا ، فارجع إليه إن شئت .

وذكروا ما لقوا ، فأقرّوا بالذّنب، فقال : نعم وكرامة لكم ! أ كلّم حِصْن بن حذيفة.
وعاد إليه فقيل لحصن : هذا أبو أسماء . قال : ما وَرَد إلا لأمر ! فدخل الحارث فقال: طرقتُ فى حاجة ، قال : أُعطِيتَها . قال : بنو عبس ، وجدتُ وفودَهم فى منزلى . قال حصن : صالحوا قومكم ، أما أنا فلا أَدِى ولا أَتَّدِى ؛ قد قتل آبائى وعمومتى عشرين من عبس .

فعاد إلى عَبْس وأخبرهم بقول حِصْن وأخذهم إليه، فلما رآهم قالوا له: نحن رُكْبان الموتِ، قال : بل ركبان السلم ؛ إن تكونوا اختللتم إلى قومكم فقد اختلّ قومكم إليكم.

ثم خرج معهم الحارث بن عوف حتى أتوا سناناً(١) ، فقال له حِصْن : قم بأمر عشيرتك ، وارْأَبْ بينهم؛ فإنى سأعينك . فاجتمعت بنو مرّة فكان أول من سعى فى الحمالة حرملة بن الأشعر ، ثم مات ، فسعى فيها ابنه هاشم بن حرملة .

ولما تراضى أبناء بغيض ، اجتمعت عبس وذبيان بقَطَن ، فخرج حصين بن ضمضم بفرسه ، وهو آخذ بِرَسَنِها ، فقال الربيع بن زياد : مالى عهد بحصين منذ عشرين سنة ، وإنى لأَحْسبُهُ هذا . قم يابيحان فادْنُ منه ، وناطِقْه ، فإنّ فى لسانه حبْسَة . فقام يكلّمه ، فجعل حصين يَدْنُو منه ولا يكلمه ، حتى إذا أمكنه جَالَ فى مَتْنِ فرسه ، ثم وجّهها نحوه فلحقه قبل أن يأتى القوم فقتله بأبيه ضمضم(٢) .

فانحازت عبس وحلفاؤها . وقالوا : لا نصالحكم ، وقد غدرت بنا بنو مرّة ، وتناهض الحيّان ، ونادى الربيع بن زياد : من يُبارز ؟ فقال سنان ــ وكان يومئذ واجداً على ابنه يزيد ــ ادعوا لى ابنى ، فأتاه هرم بن سنان ، فقال : لا .

فأتاه ابنه خارجة . فقال: لا، وكان يزيد يحزم فرسه ويقول : إن أبا ضمرة غير

---

(١) فى رواية : أتوا هرم بن سنان

(٢) كان قد قتله عنترة ، وكان حصين آلى إلا يمس رأسه غسل حتى يقتل بأبيه بيحان .

غافل . ثم أتاه فبرز للربيع ، وسفرت بينهم السفراء ، فأتى خارجة بن سنان أبا بيحان بابنه فدفعه إليه ، وقال : هذا وفاء من ابنك ! قال : اللهم نعم ! فكان عنده أياماً ، ثم حمل خارجة لأبي بيحان مائتى بعير ، فاصطلحوا وتعاقدوا على أن يحتسبوا القتلى فيؤخذ الفضل مما هو عليه ، وحملت[1] عنهم الديات فكانت ثلاثة آلاف بعير فى ثلاث سنين .

وفى ذلك قال زهير بن أبى سلمى معلقته يمدح فيها الحارث بن عوف وهرم ابن سنان ، ويذكر هذه الحرب :

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لم تَكَلَّمِ ... بِحَوْمانَةِ الدَّرَّاجِ فالمُتَثَلَّمِ[2]
ودَارٌ لها بالرَّقْمَتَيْنِ كأَنَّها ... مَرَاجِيعُ وَشْمٍ فى نَوَاشِرِ مِعْصَمِ[3]
بها العِينُ والأَرْآمُ يَمْشِينَ خِلْفَةً ... وأَطْلاؤُها يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ[4]
وَقَفْتُ بها من بَعْدِ عشرينَ حِجَّةً ... فَلأْياً عرفتُ الدَّارَ بعد تَوَهُّمِ[5]
أَثَافِيَّ سُفْعاً فى مُعَرَّسِ مِرْجَلٍ ... ونُؤْياً كَجِذْمِ الحَوْضِ لم يَتَثَلَّمِ[6]

---

(١) أكثر الروايات أن الذى حملها : هرم بن سنان ، والحارث بن عوف ، وفى الأمثال : وكان الذى ولى الصلح عوف ومعقل ابنا سبيع ، فقال عوف بن خارجة : أما إذا سبقنى هذان الشيخان إلى الحمالة فهلم إلى الظل والطعام والحملان فأطعم وحمل ، وكان أحد الثلاثة يومئذ

(٢) أم أوفى : حبيبة زهير . والدمنة : ما اسود من آثار الديار . وحومانة الدارج والمتثلم : موضعان . (٣) الرقمتان : حرتان ؛ إحداهما بالبصرة والثانية بالمدينة ، ويقال للوشم الذى جدد مرجوع ، ونواشر المعصم : عروقه ، والمعصم : موضع السوار من اليد . والمراد أنها كانت تحل الموضعين عند الانتجاع (٤) العين : البقر الوحشى الواسع العين . والأرآم : جمع رئم وهو الظبى الخالص البياض . وخلفة : يخلف بعضها بعضاً ، والأطلاء : جمع طلا وهو ولد الظبية والبقرة الوحشية . والجثوم : البروك ، والمجثم : مكان الجثوم (٥) الحجة : السنة ، واللأى : المشقة

(٦) الأثافى : حجارة توضع القدر عليها . والسفع : السود . والمعرس : المنزل . والمرجل : القدر ، والنؤى : نهير يحفر حول البيت ليجرى فيه الماء الذى ينصب من البيت ولا يدخل فيه ، والجذم : الأصل .

فلما عرفتُ الدارَ قلت لرَبْعِها ... ألا أَنْعِمْ صباحًا أيها الربع واسْلَمِ (١)
تبصَّرْ خليلى هل ترى من ظعائنٍ ... تحمَّلْنَ بالعَلْياء من فوق جُرْثُمِ (٢)
جعَلْنَ القَنَانَ عن يمينٍ وحزْنَهُ ... وكم بالقَنَانِ من مُحِلٍّ ومُحْرِمِ (٣)
عَلَوْنَ بأنْماطٍ عِتَاقٍ وكِلَّةٍ ... ورادٍ حواشيها مُشَاكِهَةُ الدَّمِ (٤)
وَوَرَّكْنَ فى السُّوبانِ يَعلون مَتْنَهُ ... عليهنّ دَلُّ النَّاعِمِ المُتَنَعِّمِ (٥)
بَكَرْنَ بُكُورًا واسْتَحَرْنَ بسُحْرَةٍ ... فهنّ ووادى الرسّ كاليَدِ للفَمِ (٦)
وفيهنّ مَلْهًى للصَّديق ومنظر ... أنيقٌ لعينِ النَّاظرِ المتوسِّمِ (٧)
كأنَّ فُتَاتَ العِهْنِ فى كلِّ منزلٍ ... نزَلْنَ به حَبُّ الفَنَا لَمْ يُحَطَّمِ (٨)
فلمَّا وَرَدْنَ الماءَ زُرْقًا جِمامُهُ ... وَضَعْنَ عِصِيَّ الحَاضِرِ المتخيِّمِ (٩)
ظَهَرْنَ مِنَ السُّوبانِ ثم جَزَعْنَهُ ... عَلَى كُلِّ قَيْنِيٍّ قَشِيبٍ وَمُفْأَمِ (١٠)

***

تُذَكِّرُنى الأحلامُ ليلى ومن تُطِفْ ... عليه خيالاتُ الأحبّة يحلُمِ

---

(١) خص الصباح بالدعاء لأن الغارات والسكرات تقع صباحاً (٢) التحمل : الترحل وجرثم : موضع (٣) القنان : جبل لبنى أسد ، والحزن : ما غلظ من الأرض ، يقول : مرت بهم أشهر الحل وأشهر الحرم (٤) أنماط : جمع نمط ، وهو ما يبسط ، والعتاق : الكرام . والكلة : الستر الرقيق . وراد : جمع ورد وهو الأحمر . ومشاكهة : مشابهة

(٥) السوبان : الأرض المرتفعة . والتوريك : ركوب أوراك الدواب . يقول : وركبت هذه النسوة أوراك الدواب فى حال علوهن متن السوبان ، وعليهن دلال الإنسان الطيب العيش

(٦) بكر : سار بكرة ، واستحر : سار سحراً . يقول : ابتدأن السير وسرن سحراً وهن قاصدات لوادى الرس لا يخطئنه كاليد القاصدة للفم لا تخطئه (٧) الملهى : اللهو . واللطيف : المتأنق . والتوسم : التفرس (٨) العهن : الصوف المصبوغ . والفنا : عنب الثعلب

(٩) الزرق : شدة الصفاء ، وجمام : جمع جم وهو مجتمع الماء فى الحوض أو غيره . ووضع العصى : كناية عن الإقامة ، والتخيم : ابتناء الخيمة (١٠) جزع الوادى : قطعه ، والمراد بالقينى : الرحل ، والقشيب : الجديد ؛ والمفأم : الواسع .

سعَى ساعِياً غيظ بن مرّة بعدَ ما … تبزّل ما بين العشيرةِ بالدّمِ
فأقسمْتُ بالبيتِ الذى طافَ حولَه … رجالٌ بنَوْهُ من قُرَيْشٍ وجرْهُمِ (١)
يميناً لنعم السَّيِّدان وُجِدْتُما … على كل حالٍ من سَحِيلٍ ومُبْرَمِ (٢)
تَدارَكْتُماَ عبساً وذُبيان بعدما … تفانَوْا ودقوا بيْنَهُمْ عِطرَ مَنْشَمِ (٣)
وقد قُلتُما إن نُدْرِكِ السِّلْمَ واسعا … بمَالٍ ومعروفٍ من القولِ نَسْلَمِ
فأصبحتُما منها على خيرِ مَوْطنٍ … بَعيدينِ فيها من عُقوقٍ ومأثَمِ (٤)
عظيمين فى عَلْيَا مَعدٍّ هُديتما … ومن يَسْتَبِحْ كَنْزاً من المجد يُعْظَمِ
تُعَفَّى الكُلُومُ بالمئِينَ فأصبحت … يُنَجِّمُها من لَيْسَ فيها بِمُجرِمِ (٥)
يُنَجِّمُها قومٌ لقومٍ غَرَامَةً … ولم يُهَرِيقوا بينهم ملءَ مِحْجَمِ
فأصْبَحَ يُجْدَى فيهمُ من تلادِكم … مغانم شتّى من إفَالٍ مُزَنَّمِ (٦)

***

(١) البيت : الكعبة ، وجرهم : كانوا ولاة البيت قبل قريش (٢) السيدان : هرم بن سنان والحارث بن مرة . والسحيل : الخيط المفتول على قوة واحدة ، والمبرم المفتول على قوتين ، والمعنى : نعم السيدان وجدتما حين تفاجئان لأمر قد أبرمتماه وأمر لم تبرماه (٣) منشم : قيل إنه اسم امرأة عطارة ، اشترى قوم منها جفنة ، وتحالفوا وجعلوا آية الحلف غمسهم الأيدى فى ذلك العطر ، فقاتلوا العدو الذى تحالفوا على قتاله فقتلوا عن آخرهم ، فتطير العرب بعطر منشم

(٤) الضمير فى منها يعود إلى السلم ، وهو يذكر ويؤنث (٥) الكلوم : الجروح ، وتعفى : تمحى ، بالمئين : بالإبل ، ينجمها : يعطيها نجوماً . والمعنى : تمحى الجروح بالمئين من الإبل ، ولكن أصبحت الإبل يعطيها نجوماً من هو برىء الساحة بعيد عن الجرم فى هذه الحروب

(٦) التلاد : المال القديم الموروث ، والإفال : جمع أفيل وهو الصغير السن من الإبل ، والمزنم المعلم ، يقول : فأصبح يجرى فى أولياء المقتولين من نفائس أموالكم القديمة الموروثة غنائم متفرقة من إبل صغار معلمة ، وهو بهذا يخاطب السيدين.

أَلا أَبلغ الأَحْلَافَ عنى رِسَالةً ... وذُبْيَانَ هَلْ أَقْسَمْتُمُ كُلَّ مُقسم (١)

فلا تَكتمنَّ اللهَ ما فِى نفوسكم ... ليخفَى ومهما يُكْتَمِ اللهُ يَعْلَمِ

يُؤَخَّرْ فيوضَعْ فى كِتابٍ فَيُدَّخَرْ ... ليوم الحسابِ أو يُعَجَّل فَيُنْقَمِ

وما الحربُ إلاّ ما علمتم وذقتُمُ ... وما هُوَ عنها بالحديث المُرَجَّمِ (٢)

مَتى تَبْعَثُوها تَبْعَثُوها ذَمِيمةً ... وتَضْرَ إذا ضَرَّيْتُمُوها فَتَضْرَمِ (٣)

فتعرُكُكُمْ عَرْكَ الرَّحَى بِثِفَالها ... وتَلقَح كِشافاً ثم تُنْتَجْ فَتُتْئِمِ (٤)

فَتُنْتَج لكم غِلْمَانَ أشأم كلُّهُم ... كأَحمرِ عادٍ ثمَّ تُرْضِع فَتَفْطِمِ (٥)

فَتُغْلِلْ لَكُمْ مَالا تُغِلُّ لِأَهْلِها ... قُرًى بالعِراقِ مِنْ قَفِيزٍ وَدِرْهَمِ (٦)

لَعَمْرِى لنِعْمَ الحىُّ جَرَّ عليهمُ ... بما لا يُؤَاتِيهم حُصَيْنُ بْنُ ضَمْضَمِ (٧)

---

(١) الأحلاف : أسدوغطفان ، يقول : أبلغ ذبيان وحلفاءها وقل لهم : قد حلفتم على إبرام الصلح كل حلف فتحرجوا من الحنث ، وهل أقسمتم : قد أقسمتم (٢) الحديث المرجم : الذى يرجم فيه بالظنون (٣) المعنى : أنكم إذا أوقدتم نار الحرب ذممتم ، ومتى أثرتموها ثارت

(٤) ثفال الرحى : خرقة من جلد أو غيره توضع تحت الرحى ليقع عليها الطحين ، والباء : بمعنى مع ، واللقح : حمل الولد ؛ والكشاف : أن تلقح النعجة فى السنة مرتين ، والاتئام : أن تلد الأنثى توءمين ، : وتعرككم الحرب عرك الرحى الحب مع ثفاله ، وخص تلك الحالة لأنه لا يبسط إلا عند الطحن ، ثم قال : وتلقح الحرب فى السنة مرتين وتلد توأمين ، وكل هذا كناية عن كثرة الشر

(٥) يريد بأشأم المعنى المصدرى ، كأنه قال غلمان شؤم ، وأحمر عاد : هو عاقر ناقة صالح . قال الأصمعي : أخطأ زهير فى هذا ، لأن عاقر الناقة من ثمود ، وقال المبرد : ليس بغلط لأن ثمود يقال لها عاد الأخيرة بدليل قوله تعالى : « وأنه أهلك عاداً الأولى » (٦) قال الأصمعى : يريد أنها تغل لهم دماً ، وليست تغل لهم ما تغل قرى العراق من قفيز ودرهم ، وهو تهكم

(٧) قتل ورد بن حابس العبسى هرم بن ضمضم المرى الذبيانى قبل الصلح ، فلما وقع الصلح توارى أخوه حصين لئلا يطالب بالدخول فى الصلح ، ثم انتهز الفرصة حتى ظفر برجل من عبس فقتله بأخيه ، فركبت عبس ، ثم استقر الأمر بين القبيلتين على عقل القتيل . يقول : أقسم بحياتى لنعمت القبيلة (ذبيان) حتى عليها حصين بن ضمضم وإن لم يوافقوه فى إضمار الغدر .

وكانَ طوَى كَشْحًا على مُسْتَكِنَّةٍ ... فلا هو أبْداها ولم يَتقدَّمِ (١)

وقالَ سأَقْضِى حَاجَتِى ثم أتَّقِى ... عَدُوِّى بأَلْفٍ مِنْ وَرَائِى مُلْجِمِ

فَشَدَّ فلمْ يُفزِعْ بيوتًا كَثيرةً ... لدى حيث ألْقَتْ رَحْلَهَا أُمُّ قَشْعَمِ (٢)

لَدَى أَسَدٍ شَاكِى السِّلاح مُقَذَّفٍ ... لَهُ لِبَدٌ أَظْفارُه لم تُقلَّمِ (٣)

جَرِئٌ متى يُظْلَمْ يُعَاقَبْ بظُلْمِهِ ... سريعًا وإلاّ يُبْدَ بالظُّلْمِ يَظلمِ

رَعَوْا ظِمْأَهم حتى إذا تمَّ أوْرَدُوا ... غِماراً تفرّى بالسِّلاحِ وبالدَّمِ (٤)

فَقَضَّوْا منايا بَيْنَهُم ثم أصْدَرُوا ... إلى كَلَأٍ مُسْتَوْبَلٍ مُتَوَخَّمِ (٥)

لعمرك ما جرّت عليهم رماحُهم ... دَمَ ابنِ نَهِيكٍ أو قَتِيلِ المُثلَّمِ

ولا شَارَكَتْ فى الموتِ فى دَمِ نوفلٍ ... ولا وَهَبٍ فيها ولا ابنِ المخزَّمِ (٦)

فكُلاًّ أراهُمْ أصْبَحُوا يَعْقِلُونَهُ ... صَحيحاتِ مالٍ طالعاتٍ لِمَخْرَمِ (٧)

لحىٍّ حِلَالٍ يَعْصِمِ النّاسَ أمرُهم ... إذا طَرَقَتْ إحدى الليالى بمُعْظَمِ (٨)

---

(١) طوى كشحاً : أضمر ، والمستكنة : الغدرة . يقول : كان حصين أضمر فى صدره حقداً ، وطوى كشحه على نية مستترة ، ولم يظهرها لأحد (٢) أم قشعم : المنية ، يقول : حمل حصين على الرجل الذى رام أن يقتله بأخيه ولم يتعرض لغيره (٣) شاكى السلاح : تام السلاح ، والمقذف : يقذف به فى الوقائع ، وهذا البيت والذى يليه من صفات حصين (٤) عاد الشاعر إلى وصف الحرب . الظمء : ما بين الوردين ، والغمار : الماء الكثير ، والتفرى : التشقق : يقول : رعوا إبلهم الكلأ حتى إذا تم الظمء أوردوها مياهاً كثيرة ، وهذا استعارة ، والمعنى : أنهم كفوا عن القتال وأقلعوا عن النزال مدة معلومة ، ثم عاودوا الوقائع (٥) قضوا : تمموا . واستوبل الشىء وجده وبيلا ؛ واستوخم الشىء : وجده وخيا ، جعل اعتزامهم على الحرب بمنزلة الكلأ الوبيل (٦) يقول : أقسم ببقائك وحياتك أن رماحهم لم تجن عليهم دماء هؤلاء المسمين ، يبين براءة ذممهم عن سفك دمهم ليكون ذلك أبلغ فى مدحهم بعقلهم القتلى (٧) المخرم : أنف الجبل (٨) الحلال جمع حال ، أى أنهم يعقلون القتلى لأجل حى نازلين يعصم جيرانهم أمرهم إذا أتت إحدى الليل بأمر فظيع .

كرامٍ فلا ذُو الضِّغْن يُدْرِكُ تَبْلَهُ ولا الجارمُ الجانى عليهم بمُسْلَمِ (١)

* * *

سئِمْتُ تكاليفَ الحياة ومن يَعِشْ ثمانينَ حولا لا أبا لك . يسأمِ
وأعلمُ ما في اليومِ والأمسِ قَبْلَهُ ولكننى عن عِلْمِ مَا فى غدٍ عَمِ
رأيت المنايا خَبْطَ عشواء مَن تصب تمته ومن تخطئْ يعمّر فيهرَمِ (٢)
ومَنْ لم يُصانع فى أمورٍ كثيرةٍ يُضَرَّس بأنياب ويُوطأ بمَنْسِمِ (٣)
ومَنْ يجعلِ المعروف من دُون عِرْضِهِ يفِرْهُ ومن لا يَتّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ (٤)
ومن يك ذا فَضْل فيبخل بفضله على قومِه يُسْتَغْنَ عنه ويُذْمَمِ
ومن يُوفِ لا يُذْمَمْ ومن يُهْدَ قلبُهُ إلى مطمئِنِّ البرِّ لا يَتَجَمْجَمِ
ومَنْ هَابَ أَسْبَابَ المنايا ينلنهُ وإن يَرْقَ أَسْبابَ السماء بِسُلَّمِ
ومَنْ يجعل المعروف فى غير أهله يكن حمده ذمًّا عليه ويَنْدَمِ
ومَنْ يعصِ أطرافَ الزِّجَاج فإنّه يُطيعُ العواليَ رُكِّبَتْ كلَّ لَهْذَمِ (٥)
ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه يُهدّم ومن لا يظلم الناس يُظلمِ
ومن يَغْتَرِبْ يحسَبْ عَدُوًّا صَدِيقَهُ ومن لا يكرِّم نفسه لَمْ يكرَّمِ
ومَهما تكن عند امرئٍ من خليقةٍ وإن خَالَها تخفى على الناس تُعلمِ

---

(١) التبل : الحقد ، والجارم والجانى سواء (٢) الخبط : الضرب باليد ، والعشواء : تأنيث الأعشى ، وهو الذى لا يبصر شيئاً (٣) المنسم : للبعير بمنزلة السنبك للفرس
(٤) وفرت الشيء : كثرته (٥) الزجاج : جمع زج وهو الحديد المركب فى أسفل الرمح وعالية الرمح ضد سافلته ، وجمعها العوالى ، واللهذم : السنان الطويل . إذا التقت فئتان من العرب سددت كل واحدة منهما زجاج الرماح نحو صاحبتها، وسعى الساعون فى الصلح ، فإن أبتا إلا التمادى فى القتال ، قلبت كل واحدة منهما الرماح واقتتلتا بالأسنة ، والمعنى : من أبى الصلح ذللته الحرب .

وكائن ترى من صامت لك مُعجبٍ زيادته أو نقصه فى التكلّم
لسانُ الفتى نصف ونصفٌ فؤاده فلم يبق إلا صورةُ اللحم والدّم
وإنّ سَفَاهَ الشّيخ لا حلم بعده وإن الفتى بعد السَّفاهة يَحلم
سألنا فأعطَيْتُم وعُدْنَا فعُدْتُمُ ومَنْ أكثرَ التَّسْآل يَوْمًا سَيُحْرَم

أما قيس بن زهير فقد خرج على وجهه حتى لحق بالنمر بن قاسط ، فقال : يامعشر النمر ؛ أنا قيس بن زهير غريب حَرْب ، فانظروا إلىّ امرأة قد أدّبها الغنى وأذلها الفقر . فزوّجوه امرأة منهم ، ثم قال : لا أقيمُ فيكم حتى أخبركم بأخلاق ؛ إنى امرؤ غيور فخور أنِف ؛ ولست أفخر حتى أُبتلَى ، ولا أغار حتى أرى ، ولا آنِف حتى أظلم . فرضوا بأخلاقه ، وأقام فيهم زمانًا ، ثم أراد التحوّل عنهم ، فقال : يامعشر النمر ؛ إنى أرى لكم علىّ حقًّا بمصاهرتى لكم ومقامى بين أظهركم ، وإنى آمركم بخصال ، وأنهاكم عن خصال ؛ عليكم بالأناة فيها تُدْرَكُ الحاجة ، وتسويد من لا تُعابون بتسويده ، والوفاء ، فبه تتعايشون ، وإعطاء من تريدون إعطاءه قبل المسألة ، ومَنْع من تريدون منعه قبل الإلحاح ، وخلط الضيف بالإلزام ، وإياكم والرّهان فبه ثكلْتُ مالكا أخى ، والبَغْى فإنه صرع زهيراً أبى ، وإياكم والسرف فى الدماء ، فإن قَتْل أهل الهَبَاءة أورثنى العار ، ولا تمطوا فى الفضول فتعجزوا عن الحقوق . ثم رحل إلى عمان ، فأقام بها إلى أن مات .

(٥) يوم الرَّقَم*

غزت بَنُو عَامِر غطفان بالرّقم ، وعليهم عامر[1] بن الطفيل، شاباًّ لم يُرأّس بعد، ونذر[2] بذلك بنو مرّة بن عوف ومعهم قوم من أَشْجَع وناس من فَزارة[3] ، فخرجوا إليهم واقتتلوا قتالاً شديداً ، وانهزم بنو عامر .

وَجَعل عامرُ بنُ الطفيل يقول : ياقيس ! لا تقتلى تموتى ، وأسرت غطفان من بني عامر أربعة وثمانين رجلا دفعوهم إلى أهل بيتٍ من أَشْجَع كانت بنو عامر قد أصابوا فيهم ، فقتلوهم أجمعين .

وانهزم الحكم بن الطفيل فى نَفَرٍ من أصحابه حتى قطع العطش أَعْنَاقَهم فماتوا ، أما الحكم بن الطفيل فإنه خاف أن يُؤسَر ويُمَثَّل به ، فجعل فى عنقه حَبْلا ، وصعد إلى شجرة ، وشدّه ودلّى نفسه فاختَنق ، وفعل مثله رجلٌ من بنى غَنىّ ، فلما أَلْقَى نَفْسَه ندم فاضطرب ، فأدركوه وخلّصوه وعَيَّروه بجَزَعِه ، وقال عروة بن الوَرْد فى ذلك :

ونحن صَبَّحْنا عامراً فى ديارها عُلالَةَ[4] أرماحٍ وضرباً مذكَّراً

---

* لغطفان على بنى عامر ، والرقم جبال دون مكة بديار غطفان معجم البلدان (ضرغد) ، ابن الأثير ص ٣٩٣ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣١٨ ج ٣ ، خزانة الأدب ص ٧٠ ج ٣ ، المفضليات ص ٣٠

(١) عامر بن الطفيل : كان من أشهر فرسان العرب بأساً ونجدة وأبعدها اسما وشهرة ، أدرك الإسلام ولكنه لم يسلم ؛ ولما مات نصبت له بنو عامر أنصابا ، ميلا فى ميل حمى على قبره ؛ لا تنشر فيه راعية ، ولا يرعى ولا يسلكه راكب ولا ماش ، وله وقائع مشهورة فى مُذحج وخثعم وغطفان

(٢) نذر : علم (٣) مرة وأشجع وفزارة : من غطفان (٤) العلالة فى الأصل : ما حلب بعد الفيقة الأولى .

بكل رِقاقِ الشَّفْرَتين مُهنَّدٍ ... ولَدْنٍ من الخطِّيِّ قد طرَّ[1] أسْمرا

عجبت لهم إذ يخنقون نفوسهم ... ومقتلهم تحت الوَغى كان أجْدَرَا

وكان عامرُ بن الطفيل قبل الوقعة رأى امرأةً من فَزارة فسألها فقالت : أنا أسماء بنت نوفل الفزارى ، وبينا هى تُجيبه خرج عليه المنهزمون من قومه وبنو مرّة فى أعْقابهم ؛ فلما رأى ذلك عامر ألقى دِرْعه إلى أسماء وولّى منهزماً ، فأدّتها بعد ذلك إليه، وفيها قال بعد الوَقْعة :

ولتسألَنْ أسماء وهى حَفِيَّةٌ ... نصحاءَها أطردتُ أم لم أُطْرَدِ[2]

قالوا لها : فلقد طَرَدْنا خيلَهُ ... قَلَحَ الكلاب وكنتُ غير مطرَّدِ[3]

فلأَبغينَّكم قَنًا وعُوارضاً ... ولأُقْبلَنَّ الخيلَ لابَةَ ضَرْغَدِ[4]

بالخيلِ تعثُر بالقَصيد كأنها ... حِدَأٌ تتابعُ فى الطريق الأَقْصَدِ[5]

ولأثأرَنَّ بمالكٍ وبمالكٍ ... وأخى المَرَوْرَاةِ الذى لم يُسْنَدِ[6]

وقتيلِ مُرَّة أثأرنَّ فإنه ... فَرْغٌ وإنَّ أخاهمُ لم يُقْصَدِ[7]

ياسلْمَ أختَ بنى فَزارة إنَّنى ... غانٍ وإن المرْءَ غيرُ مُخَلَّدِ

وأنا ابنُ حربٍ لا أزالُ أشبُّها ... سَمَرًا وأُوقدها إذا لم توقَدِ[8]

(١) طر الحديدة طراً : أحدها (٢) هى أسماء بنت قدامة الفزارى . قال أبو محمد بن ابن الأعرابى : كان يهواها عامر ويشبب بها (٣) القلح : صفرة تعلو الأسنان، شبه الشاعر بها فزارة ويكون النصب على الذم وجملة (وكنت . . .) حال (٤) قنا : جبل فى ديار بنى ذبيان وعوارض : جبل لبنى أسد ، ولأقبلن الخيل : أى بالخيل، واللابة : الأرض ذات الحجارة السوداء وضرغد : أرض لهذيل (٥) القصيد : جمع قصيدة ، وهو كسر القنا (٦) المروراة : موضع بالكوفة ، ولم يسند : لم يدفن ، وترك للسباع تأكله (٧) فرغ : هدر ، ولم يقصد لم يقتل (٨) أى أدبر أمرها وقت سمرى بالليل .

ولما بلغ شعره غطفان هجاه جماعةٌ منهم ، وكان النابغةُ الذبيانى غائباً عند ملوك غسّان ، ولما عاد سأل قومه عمـا هجَوا به عامر بن الطفيل ، فأنشدوه ما قالوا فيه وما قال فيهم ، فقال : لقد أفحشتُم ، وليس مثلُ عامر يُهْجَى بمثل هـذا ، ثم قال يخَطِّئ عامراً فى ذكره امرأةً من عقائلهم :

فإن يك عامر قد قال جهلًا   فإنّ مطيّة الجهـل الشبابُ
فإنك سوف تحـلم أو تُباهى   إذا ما شِبْتَ أو شابَ الغرابُ
فـكن كأبيك أو كأبى براء   توافِقْكَ الحـكومةُ والصّوَابُ
فلا تذهبْ بِحِلْمِكَ طامثاتٌ[1]   من الْخُيَلَاءِ ليس لهن بابُ

---

(١) طامثات : فاسدات .

(٦) يوم النُّتَاءَة*

خرجت بنو عامر تريد غطفان، لتدرك بثأرها يوم الرَّقم، فأغاروا على نَعم بنى عبس وذبيان وأشجع فأخذوها ، وعادوا متوجِّهين إلى بلادهم، فضلُّوا الطريق وسلكوا وادى النُّتَاءَة ، فأمعنُوا فيه ولا طريق لهم ولا مَطْلَع ، حتى قاربوا آخره ، وكاد الجبلان يلتقيان ؛ وإذا هم بامرأة من بنى عبس تَخْبِط[1] الشجر لهم فى قُلَّة الجبل ، فسألوها عن المطلع ، فقالت : الفوارس المطلع ـ وكانت قد رأت الخيل قد أقبلت وهى على الجبل ، ولم يرها بنو عامر ؛ لأنهم فى الوادى ، فأرسلوا رجلا إلى قُلَّة الجبل ينظر لهم ، فقال : أرى قوماً كأنهم الصِّبْيَان على متون الخيل ، أسنّةُ رماحهم عند آذان خيلهم ، قالوا : تلك فزارة . قال : وأرى قومًا بيضًا جِعادًا[2] كأنّ عليهم ثيابًا حُمرًا ، قالوا : تلك أشجع . قال : وأرى قوما نسوراً قد عَلَوا خيولهم آخذين بعَوَامل[3] رماحهم يجرُّونها . قالوا : تلك عَبْس[4]، أتاكم الموت الزُّؤَام[5] .

---

* لغطفان على عامر ، والنتاءة نخيلات لبنى عطارد ، وهو النتأة كهمزة فى القاموس ، وفى ابن الأثير هو يوم النبأة ، وفى معجم البلدان والأغانى النتاءة .

العقد الفريد ص ٣١٩ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٩٥ ج ١ ، الأغانى ص ٣١٣ ج ١٠

(١) خبط الشجرة : ضربها بالعصا ليسقط ورقها (٢) الجعد : الخفيف من الرجال، وقيل المجتمع الشديد وجمعه جعاد (٣) عامل الريح وعاملته : صدره دون السنان وجمعه عوامل (٤) فزارة وأشجع وعبس: بطون فى غطفان (٥) موت زؤام : عاجل ، وقيل سريع مجهز وقيل : كريه وهو أصح .

ولحقهم الطلب بالوادى، فاقتتلوا قتالا شديداً ، وكان عامرُ بن الطفيل أولَ مَن سبق على فرسه الوَرْد[١] ، ففات القومَ .

وقُتِل كثير من بنى عامر وكانت الهزيمة عليهم ، وقتل من أشرافهم البراء بن عامر بن مالك ، ونهشل وأنس وهزار بنو مرة بن أنس بن خالد بن جعفر ، وعبد الله ابن الطفيل .

وفى تلك الموقعة قال حراشة بن عمرو العبسى :

وساروا على أَطْنَابِهم[٢] وتواعدوا مياهاً تحامتهـــا تميم وعامر
قذفتهم فى اليمّ ثم خذلتهم فلا وَأَلَتْ[٣] نفسٌ عليك تحاذر

(١) الورد : اسم فرس عامر (٢) الأطناب : الطرائق (٣) وألت : نجت .

(٧) يوم حَوْزَة الأوّل *

وَافَى معاوية بنُ عَمْرو بن الشريد السُّلَمِى عُكاظ فى مَوْسم من مواسِم العرب، فبيناهو يمشى بسوقِ عُكَاظ إذ لقى أسماء المريّة ، وكانت جميلةً ؛ فدعاها لنفسه فامتنعت عليه وقالت : أما علمتَ أنى عند سيِّد العرب هاشم بن حَرْمَلة[1] ؛ فأحفَظَتْه، فقال : أما والله لأُقَارِعَنَّه عنك ! قالت : شأنك وشأنه .

ورجعتْ إلى هاشم فأخبرته بما قال معاويةُ وما قالت له ؛ فقال هاشم : فلعمرى لا نَرِيم أبياتنا حتى ننظرَ ما يكون من جَهْدِه .

ثم التقيا ؛ فقال معاويةُ : لَوَددت والله أنى قد سمعتُ بظعائن يَنْدُبْنَك. فردّ عليه هاشم بما أحفظه .

فلما انْصَرَم الشهر الحرام وتراجعَ الناسُ عن عُكاظ ، خرج معاويةُ غازيًا فى فِرْسان قومِه من بنى سليم ، يريد هاشمَ بنَ حرملة فى قومه من بنى مرّة وفَزارة[2]، فنهاه أخوه صَخْر وقال له: كأنى بك إن غزوتهم عَلِق بِكَ حَسَكُ العُرْفُطِ[3]. فأبى معاوية وسار بقومه .

فلما كان معاوية بمكان يُدْعى الحوزة[4] دَوَّمَت[5] عليه طيرٌ ، وسَنَح[6] له

---

* لسليم على ذبيان ، وحوزة: واد بالحجاز.

الأغانى ص ٣٢٩ ج ٢ و ص ٢٨ ج ١٠ و ص ١٣٤ ج ١٣ ، العقد الفريد ص ٣٢٠ ج ٣ ، التبريزى على الحماسة ص ١١٠ ج ٣ ، الحماسة ص ٤٥٥ ج ١

(١) هاشم بن حرملة من بنى مرة (٢) فزارة ومرة : فى ذبيان (٣) العرفط : شجر الطلح وله صمغ كريه الرائحة (٤) قال بعضهم : الجوزة ، والشك من أبى عبيدة (٥) الدومان : حومان الطائر (٦) السانح : من الصيد ما أتى من المياسر إلى الميامن .

ظَبْىٌ وغُراب ؛ فتطيَّر منهما، ورجع فى أصحابه. وبلغ ذلك هاشم بن حرملة فقال : ما منعه من الإقدام إلا الجُبْن .

ولما كانت السَّنة القُبْلة خرج لغزْوِهم ، حتى إذا كان فى ذلك المكان سنح له ظَبْىٌ وغرابٌ ، فتطيَّرَ ورجع ، ومضى أصحابُه ، وتخلَّفَ فى تسعةَ عشرَ فارساً منهم لا يريدون قتالا ، وَوَرَدُوا ماء ، وإذا عليه بيتُ شَعر ؛ فصاحوا بأهله ، فخرجت إليهم امرأةٌ فقالوا : مِمَّنْ أنتِ ؟ فقالت : امرأةٌ من جهينة أحلاف بنى مرة[1] ، ثم وَردوا الماء يسقون ، فانسلّت المرأة ، وأتت هاشم بن حرملة فأخبرته بخبر هؤلاء ، وأنهم غيرُ بعيد ، وعرّفته عُدّتهم ، وقالت : لا أرى إلا معاوية بن عَمْرو فى القوم .

فقال : يالَكَاعِ[2] ؛ أمعاويةُ فى تسعةَ عشر رجلا ! شبّهت وأبْطلت[3] .

قالت : بلى ، قلتُ الحق ، وإن شئتَ لأصفنَّهم لك رجلا رجلا ، قال : هاتى . . . .

قالت : رأيتُ فيهم شابًّا عظيمَ الجُمَّةِ[4] ، جبهتُه قد خرجت من تحت مِغْفَرِه[5] ، صَبيحَ الوجه ، عظيمَ البطن ، على فرس غَرّاء[6] . قال : نعم ، هذه صفةُ معاوية بن عمرو وفرسه الشّماء .

قالت : ورأيت رجلا شديدَ الأُدْمة[7] ، شاعراً يُنْشِدهم ، قال : ذلك خُفَافُ[8] ابن عمير .

---

(١) قوم هاشم (٢) اللكاع : الحمقاء (٣) يريد : اختلط عليك الأمر وأتيت بالباطل (٤) الجمة : مجتمع شعر الرأس (٥) المغفر : زرد من الدرع ، يلبس تحت القلنسوة (٦) غراء : بيضاء (٧) الأدمة فى الإنسان: السواد (٨) هو خفاف ابن عمير بن عمرو بن الحارث بن عمر بن الشريد السلمى ، المعروف بابن ندبة ، وهى أمه ، وكانت سوداء حبشية .

قالت : ورأيت رجلا ليس يَبْرح وسطهم ؛ إذا نادَوْه رفعوا أصواتهم ، قال : ذاك عباس الأصمّ .

قالت : ورأيت رجلا طويلا يُكَنّونه أبا حبيب ، ورأيتهم أشدّ شيء له توقيراً ، قال : ذاك نُبَيْشَة بن حبيب .

قالت : ورأيت شابًّا جميــلا له وَفْرة[1] حَسَنَة ، قال : ذاك العبّاس بن مرداس السلمى .

قالت : ورأيت شيخاً له ضفيرتان ، سمعته يقول لمعاوية : بأبى أنت ! أطلتَ الوقوفَ ، قال : ذاك عبد العزى زوجُ الخنساء أخت معاوية وصخر .

فنادى هاشم فى قومه ، وخرج فى مثل عُدّته من بنى مرّة ، ولم يشعر السُّلميون حتى طلعوا عليهم ، فقال لهم خُفَاف بن عمير : لا تُنَازلوهم رجلاً رجلاً ، فإنّ خيلهم تَثْبت للطِّراد ، وتحمل ثقل السلاح ، وخيلكم قد أنْهكَها الغزْو وأصابها الحفا[2] . واقتتلوا ساعة ، ولما رأى هاشمُ بن حرملة معاويةَ قال لأخيه دريد بن حرملة — وكان هاشم ناقِهًا من مَرَض أصابه : يا دريد ؛ إن هذا إنْ رآنى لم آمن أن يشدّ علىّ ، وأنا حديث عهــد بشيكة[3] ، فاستطردْ له دونى حتى تجعلَه بينى وبينك ، ففعل ، وحمل عليه معاوية ، وأرْدَفه[4] هاشم ، فاختلفا طعنتين ، وَأردى[5] معاويةُ هاشما عن فرسه الشمّاء ، وأنفذ هاشم سنانه من مُعاوية . ثم جاء دريد بن حرملة فأجهز على معاوية وقتله[6] .

---

(١) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس (٢) الحفا : رقة القدم والخف والحافر

(٣) الشيكة : الوقوع فى الشوك ، وقد شيك الرجل أيضاً : أصابته الشوكة ؛ وهى حمرة تظهر فى الوجه وغيره من الجسد ، وقال فى اللسان : هى داء كالطاعون (٤) أردفه : تبعه

(٥) أراده : أسقطه (٦) قال فى الأغانى ص ٢٨ ج ٢ تحالف دريد بن الصمة ومعاوية بن عمرو وتواثقا إن هلك أحدهما أن يرثيه الباقى بعده ، وإن قتل أن يطلب بثأره ، فلما قتل معاوية قال دريد قصيدة يرثيه منها :

وشدّ خفاف بن عمير على مالك بن حمار الفزارى ، فقتله[1] .

ثم إن الشّماء فرس هاشم دخلت فى جيش بنى سليم ؛ فأخذوها وظنّوها فرسَ مالك بن حمار الفزارى الذى قتله خفاف بن عمير ؛ ورجع الجيش حتى دنوا من صخر أخى معاوية ، فقالوا : أنْعم صباحا أبا حسّان ! فقال : حييتم بذلك ، ما صنع معاوية ؟ قالوا : قُتِل . قال : فما هذه الفرسُ ؟ قالوا : قَتَلْنا صاحبها ، فقال : إذاً كنتم أدركتم ثأرَكم، فهذه فرس هاشم بن حرملة !

فإن الرزء يوم وقفت أدعو ... فلم أسمع معاوية بن عمرو
ولو أسمعته لأتاك يسعى ... حثيث السعى أو لأتاك يجرى
بشكة حازم لا غمز فيه ... إذا لبس الكماة جلود نمر

الشكة : السلاح . لبس جلد النمر : تنكر له

عرفت مكانه فعطفت زوراً ... وأين مكان زور يا بن بكر

الزور : اسم جمل

على إرم وأحجار ثقال ... وأغصان من السلمات سمر

الإرم : حجارة تنصب علما فى المفازة

وبنيان القبور أتى عليها ... طوال الدهر شهراً بعد شهر

(١) قال خفاف فى قتل مالك بن حمار :

أقول له والرمح يأطر متنه ... تأمل خفافاً إننى أنا ذلكا
وقفت له علوى وقد خام صحبتى ... لأبنى مجداً أو لأثأر هالكا
لدن ذر قرن الشمس حين رأيتهم ... سراعاً على خيل تؤم المسالكا
فلما رأيت القوم لا ود بينهم ... شريجين شتى طالباً ومواشكا

شريجين : صنفين

تيممت كبش القوم حين عرفته ... وجانبت شبان الرجال الصعالكا
فجادت له يمنى يدى بطعنة ... كست متنه من أسود اللون حالكا
أنا الفارس الحامى الحقيقة والذى ... به أدرك الأبطال قدما كذلكا
فان ينجج منها هاشم فبطعنة ... كسته نجيعاً من دم الجوف صائكا

صائكا : لاصقا

ولما دخل رجب ركب صَخْر بن عمرو الشماء صبيحة يوم حَرَام، حتى أتى بنى مرّة؛ فلما رأوه قال لهم هاشم : هـذا صَخْر فحيّوه وقولوا له خيراً ـ وهاشم مريض من الطَّعنة التى طعنه معاوية ، فقال : مَنْ قتـل أخى ؟ فسكتوا ، فقال هاشم : هلمّ أبا حسّان[١] إلى مَنْ يخبرك ، فقال : مَنْ قتل أخى ؟ فقال هاشم : إذا أصَبْتَنى أو دُرَيداً فقد أصبتَ ثَأرك ، قال : فهـل كفّنتموه ، قال : نعم فى بُرْدين أحدهما بخمس وعشرين بكرة ، قال : فأرونى قبْره فأروه إياه . فلما رأى القبر جَزِع عنده ، ثم قال : كأنكم قد أنكرتم ما رأيتم من جزَعى ، فوالله ما بِتُّ منذ عقلت إلا واتراً أو موتوراً ، طالبا أو مطلوبًا حتى قتـل معاوية ، فما ذُقْتُ النومَ بعده[٢] .

* * *

وقال صخر بن عمرو أخو معاوية يرثيه :

وعاذلةٍ هبّتْ بليـــلٍ تلومنى ... ألا لا تلومينى كفى اللّوم ما بيا
وقالوا:ألا تَهْجُو فوَارِسَ من هاشمٍ ... ومالى وإهداء الخَنَا ثم ماليا[٣]
أبى الهجوَ أنى قد أصابُوا كَرِيمتى ... وأن ليس إهداء الخنا من شِماليا[٤]
إذا ما امرؤٌ أهـــدى لميْتٍ تحيةً ... فحيّاكَ ربُّ الناس عنى مُعاويَا

---

(١) أبو حسان : كنية صخر (٢) لما رجع صخر إلى قومه قالوا له : اهجهم ، فقال : إن ما بيننا أجل من القذع ، على أننى أكف نفسى عن هجائهم رغبة عن الخنا

(٣) الخنا : الفحش ، وهذه رواية الحماسة ، ورواية الأغانى للبيت :

تقول ألا تهجو فوارس هاشم ... ومالى إذن أهجوهم ثم ماليا

(٤) يريد بكريمتى : حرمتى ، والشمال : الخصلة ، وفى رواية « من سماتيا » .

لَنِعْمَ الفتى أدّى ابنُ صِرْمَةَ بَزَّهُ   إذا راح فَحْلُ الشَّوْلِ أَحْدَبَ عَارِيا[1]
إذا ذُكِرَ الإخوانُ رَقْرَقْتُ عَبرةً   وحيَّيْت رَمْسًا عند لِيَّةَ ثَاوِيا[2]
وطيَّبَ نفسى أننى لم أَقُلْ له   كذَبْتَ ولم أَبْخَلْ عليه بمالِيَا
وذى إخوةٍ قطَّعْتُ أقرانَ بَيْنِهِم   كما تركونى وَاحِداً لا أخاليا[3]

(١) ابن صرمة: هو هاشم بن حرملة قاتل معاوية ، والبز : السلاح ، والشول: النوق التى خف لبنها وارتفع ضرعها ، وأحدب عار : هزيل ، وقوله : « إذا راح ظرف » لما دل عليه لنعم الفتى
(٢) لية : اسم موضع ، والثاوى : المقيم (٣) أقران بينهم : وصل بينهم ، وأصل الأقران الحبال . قال فى الأغانى : قال هذا البيت بعد أن أوقع ببنى مرة قاتلى أخاه .

(٨) يوم حَوْزَة الثانى*

تذكَّر صخر[1] بن عمرو الشَّريد السُّلمى مَقْتَل أخيه معاوية، وهاجت به الذِّكرى؛ فخرج لِقتال بنى مُرَّة، وركب الشَّماء ــ وكانت غَرَّاء مُحجَّلة، فسوَّد غُرَّتها وتحجيلها ــ فرأته بنتٌ لهاشم بن حرملة، فذهبت إلى عمِّها دريد بن حرملة وقالت: أين الشَّمَّاء[2]؟ قال: هى فى بنى سليم، قالت: ما أشبهها بهذه الفرس! فاستوى جالساً، ولما رآها قال: هذه فرس بَهِيم[3]، والشَّماء غرّاء محجَّلة؛ وعاد فاضْطَجع ولم يشعر حتى طعنه صخْر.

فثارَ وتنادَرُوا، وولَّى صَخْر، وطلبته غطفان عامَّةَ يومها، ووقف دونه شجرة ابن عبد العزى، فردّ الخيلَ عنه حتى أَرَاح فَرَسه ونجا إلى قومه.

ثم إن هاشم بن حرملة خرج يوماً مُنْتَجِعاً، فلقيه عمرو بن قيس الجشمى،

---

* لسليم على بنى مرة (من ذبيان)

الأغانى ص ١٤٠ ج ١٣، العقد الفريد ص ٣٤٠ ج ٣، لسان العرب مادة (غربل ــ نام)، الكامل للمبرد ص ٢٨١ ج ٢

(١) هو أحد بنى سليم، وكان شاعراً حليما جواداً، محبوباً فى عشيرته، شريفاً فى قومه، وكان أبوه يأخذه بيده ويد أخيه معاوية ويقول: أنا أبو خيرَى مضر، فتعترف العرب له بذلك، وكان أخا الخنساء لأبيها، قاسمها ماله مرات كثيرة، وكان يعطيها فى كل مرة خير النصفين، ولما لامته زوجه فى ذلك قال:

وإلله لا أمنحها شرارها ولو هلكت قددت خمارها
واتخذت من شعر صدارها

فلما قتل لبست عليه الصدار، وقالت فيه خير المراثى (٢) الشماء: فرس هاشم بن حرملة

(٣) البهيم: الأسود، ومالا شية فيه من الخيل للذكر والأنثى.

ثم تبعه وقال : هذا قاتلُ مُعاوية ، لا وألَتْ نفسي إن وَأَل(١) ، ولما نَزَلَ كمن له بين الشجر ، حتى إذا دنا منه أرسل عليه مِعْبَلة(٢) ، ففَلَقَ قِحْفَه(٣) فمات(٤) ، وقال في ذلك :

إني قتلت هاشم بن حَرْملة   إذا الملوك حَوْلَهُ مُغَرْبَله(٥)

يَقْتُلُ ذا الذَّنْبِ ومَنْ لا ذنبَ له

ولما بلغ الخنساء قَتْلُ هاشم قالت :

فِدًا للفارس الجشمى نفسى   وأفديه بمن لى مِنْ حميم

أفديه بكلِّ بنى سليم   بظاعنهم وبالأَنَس(٦) المقيم

كما مِنْ هاشم أَقْرَرْتَ عينى   وكانت لا تَنامُ ولا تُنيم(٧)

---

(١) وأل : نجا   (٢) النصل : العريض الطويل   (٣) القحف : ما انفلق من الجمجمة ولا يدعى قحفاً حتى يبين أو ينكسر منه شيء   (٤) قال الأصمعى : مررت بأعرابى وهو يخضد شجرة ويرتجز ويقول :

لو كنت إنساناً لكنت حاتماً   أو الغلام الجشمى هاشما

قلت : من هاشم هذا ؟ قال : أولا تعرفه ؟ قلت : لا ، قال : هو الذى يقول :

وعاذلة هبت بليل تلومنى   كأنى إذا أنفقت مالى أضيمها

دعينى فإن الجود لن يتلف الفتى   ولن يخلد النفس اللئيمة لومها

وتذكر أخلاق الفتى وعظامه   مفرقة فى القبر باد رميمها

سلى كل قيس هل أبانى خيارها   ويعرض عنى وغدها ولئيمها

وتذكر قيس منتى وتكرمى   إذا ذمنى فتيانها وكريمها

قلت : لا أعرفه ، قال : لا عرفت ! هو الذى يقول فيه الشاعر :

أحيا أباه هاشم بن حرمله   يقتل الذنب ومن لا ذنب له

ترى الملوك حوله مغربله

(٥) المغربل : المقتول المنتفخ   (٦) الأنس : الحى المقيمون   (٧) قال فى اللسان : يقال : أصاب الثأر المنيم ، أى الذى فيه وفاء طلبته ، وفلان لا ينام ولا ينيم ، أى لا يدع أحداً ينام ، وأنشد البيت (مادة — نام) .

فقالت الخنساء ترثيه :

أعينيّ جُودا ولا تجْمُدَا   ألا تبكيان لصخْر النّدَى
ألا تبكيان الجرىء الجميـل   ألا تبكيان الفتى السَّيِّدَا
طويل النِّجادِ رفيع العِمَا   دِ سادَ عشيرتَه أمْرَدَا
إذا القومُ مدّوا بأيديهمُ   إلى المجـدِ مدّ إليـه يدَا
فنال الذى فوقَ أيديهم   من المجدِ ثم مضَى مُصْعِدَا
يكلّفُه القومُ ما عالَهم   وإن كان أصغرَهم مَولدا
ترى المجـدَ يهوى إلى بيتهِ   يرَى أفضلَ الكسب أن يُحْمَدَا

ومن جيّد قولها :

أبعـدَ ابن عمرو من آلِ الشَّـ   ـريد حلّت[1] به الأرض أثقالها
لعمرُ أبيـه لَنِعْمَ الفتى   إذا النفسُ أعجبهَا مالُهـا
فإن تلكُ مرّةَ أودتْ به   فقد كان يُكثِرُ تقتالَهـا
فخرَّ الشوامخُ[2] من فَقْدِهِ   وزُلزلت الأرضُ زِلزالَهـا
همَمْتُ بنفسى كلّ الهموم   فأوْلى لنفسى أوْلَى لهـا
لأحمـل نفْسى على آلةٍ[3]   فإمّا عليهـا وإمَّا لهـا

وقالت ترثى معاوية :

أريقى من دُموعك واسْتَفيقى[4]   وصبْرٌ إن أطقْتِ ولن تُطيقى

---

(١) حلت : من الحلى ، تقول : زينت به الأرض الموتى   (٢) الشوامخ : الجبال
(٣) على حالة ، وعلى خطة وهى الفيصل ، فإما ظفرت وإما هلكت   (٤) فى الكامل : معنى هذا : أن الدمعة تذهب اللوعة .

وقولى : إنَّ خيرَ بنى سُلَيْم وفارسَها بصحراءِ العقيق
ألاَ هل ترجعَنّ لنا الليالى وأيامٌ لنا بِلِوَى الشَّقيق
وإذْ نحنُ الفوارسُ كلَّ يوم إذا حضروا وفتيانُ الحقوق
وإذ فينا معاويةُ بنُ عمرو على أدْمَاءَ كالجَمَلِ الفَنِيق
فبَكِّيهِ فقد أوْدَى حميداً أمينَ الرأىِ محمودَ الصَّديقِ
فلا واللهِ لا تَسْلاكَ نفسى لفاحِشَةٍ أتيتَ ولا عُقُوقِ (١)
ولكنى رأيتُ الصبرَ خيراً من النَّعْلَيْنِ والرأسِ الحليقِ (٢)

---

(١) أى لا أجد فيك ما تسلو نفسى عنك له (٢) قال فى الكامل : تأويل النعلين أن المرأة كانت إذا أصيبت بحميم جعلت فى يديها نعلين تصفق بهما وجهها وصدرها .

(٩) يومُ اللِّوَى*

غزا عبـد الله بن الصِّمة[1] ـ ومعه بنو جشم وبنو نصر أبناء معاوية بن بكر ابن هوازن ـ غطفانَ ، فظفر بهم ، وساق أموالهم فى يوم يقال له : يوم اللِّوى ، ومضى بها .

ولما كان منهم غيرَ بعيد قال : انزلوا بنا ، فقال له أخوه دُريد : النَّجاءَ يا أبا فُرْعان[2] ! نَشَدْتُكَ اللهَ ألّا تنزل ، فإنَّ غطفان ليست بغافلة عن أموالها وقد ظفرتَ ؛ فأقسم لا يَرِيم حتى يأخذ مِرْباعه[3] ، وينقع نقيعتهِ[4] ، فيأكل ويطعم ، ويقسم البقيَّة بين أصحابه .

وبينماهم على ذلك ، وقـد سطعت الدَّوَاخن[5] ، إذا بغُبار قد ارتفع أشدَّ من دخانهم ، وإذا عبس وفزارة وأشجع[6] قد أقبلت ، فقالوا لرَبيئتهم[7] : انظر ماذا ترى؟

---

* لغطفان على هوازن ، واللوى : واد من أودية بنى سليم

الأغانى ص ٦ ج ١٠ ، العقد الفريد ص ٣٢٣ ج ١ ، شرح التبريزى على ديوان الحماسة ص ٣٠٥ ج ٢ ، جمهرة أشعار العرب ص ٢٢٦

(١) سبي الصمة ريحانة بنت معديكرب فأولدها بنيه الأربعة : عبد الله وقد قتلته غطفان، وعبديغوث وقد قتلته بنو مرة، وقيس قتله بنو أبى بكر بن كلاب، وخالد قتله بنو الحارث بن كعب، وفى ريحانة يقول أخوها عمرو بن معديكرب حين سبيت :

أمن ريحانة الداعى السميع ... يؤرقنى وأصحابى هجوع

إذا لم تستطع شيئاً فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع

(٢) كان لعبد الله ثلاثة أسماء وثلاث كنى ، فاسمه عبـد الله وخالد ومعبد ، وكنيته أبو فرعان وأبو دفافة وأبو وفاء (٣) المرباع : ربع الغنيمة ، وهو حظ الرئيس فى الجاهلية

(٤) النقيعة : ناقة ينحرها الرئيس من وسط الإبل ، ويصنع منها طعاماً لأصحابه

(٥) جمع دخان (٦) عبس وفزارة وأشجع : من غطفان (٧) الربيئة : الطليعة .

فقال : أرى قوماً جِعَاداً(١) كأنَّ سرابيلهم قد غُمست فى الجادىّ(٢) ، قال : تلك أشجع، ليست بشىء ! ثم نظر فقال : أرى قوماً كأنهم الصبيان ، أسنَّتهم عند آذان خيلهم . قال : تلك فزارة . ثم نظر فقال : أرى قوماً أُدْماناً(٣) ، كأنما يحملون الجبل بسوادهم ، يَخُدُّون(٤) الأرض بأقدامهم خدًّا ؛ وهم يجرُّون رماحهم جرًّا ، قال : تلك عبس والموت معهم !

ثم تلاحقوا بالمُنعَرج من رُميلة اللِّوى ، فاقتتلوا ، فقتل رجلٌ من بنى عبس عبدَ الله بن الصِّمّة ، فتنادوا : قُتل أبو ذُفافة ! فعطف دريد أخوه فذَبَّ عنه ؛ فلم يُغنِ شيئاً ، وجرح دريد وسقط ، فكفُّوا عنه وهم يرون أنه قتل واستنقذوا المال ، ونجا مَنْ هرب .

فمرّ زَهْدَم العبسى وكَرْدَم الفزارى بدريد وهو مرتثٌ(٥) فى القتلى ؛ قال دريد : فسمعت زهدماً العبسى يقول لكردم الفزارى : إنى لأحسَب دريداً حيًّا ، فانزل فأجْهِز عليه ، قال : قد مات ، قال : انظر إلى سُبَّته(٦) هل ترمِزُ(٧) ؟

قال دريد : فسددت من حِتَارِها(٨) ، فنظر فقال : هيهات ! قد مات ! ثم مَالَ بالزُّج(٩) فى الشَّرَج فطعن فيه ؛ فسال دم كان قد احتقن فى جوفى ، فعرفت الخِفَّة حينئذ، وأمهلت حتى إذا كان الليل مشيتُ وأنا ضعيف قد نَزَفنى(١٠) الدم، حتى ما أكاد أبصر ، وما شعرتُ إلا وأنا بين عُرْقوبَىْ بعيرِ ظَعينة(١١) ، فنفر البعيرُ ؛ فنادت :

---

(١) جعاد : جمع جعد ، وهو الرجل المجتمع بعضه إلى بعض ، أو الشديد (٢) الجادى : الزعفران ، منسوب إلى قرية بالشام تنبت الزعفران ، اسمها جادية (٣) أدمانا : جمع آدم ، والآدم من الناس: الأسمر (٤) يخدون : يشقون (٥) المرتث : من حمل من المعركة وبه رمق (٦) السبة : الاست (٧) ترمز : تضطرب (٨) الحتار : الشرج (٩) الزج : الحديدة فى أسفل الرمح (١٠) يقال : نزف الدم فلاناً ، فهو منزوف ونزيف أى سال منه دم كثير (١١) الظعينة : المرأة ما دامت فى الهودج .

نعوذُ بالله منك مَنْ أنتَ؟ قلت : لا ، بل من أنتِ؟ ويلك ! فقالت: امرأة من هوازن. قلت : وأنا من هوازن ، وأنا دريد بن الصمة ؛ فأعلمت الحىَّ بمكانى ؛ فغسل عنى الدم وزُوِّدْتُ زاداً وسقاء ونجوت .

* * *

وفى موت عبد الله بن الصمة قال دريد أخوه يرثيه :

أرَثَّ جديدُ الحبلِ من أمّ معبد[1] ... بعاقبة وأخلفتْ كلَّ موعدِ
وباتَتْ ولم أحمَد إليك جوارها ... ولم تَرْجُ منا ردَّة اليوم أو غدِ
أعاذلتى كلُّ امرئٌ وابنُ أمّه ... متاعٌ كزاد الراكب المتزوِّد
أعاذل إن الرّزءَ أمثالُ خالدٍ ... ولا رزء مما أهلك المرء عن يدِ[2]
نصحتُ لعارضٍ[3] وأصحابِ عارضٍ ... ورهط بنى السَّوْداء والقومُ شُهَّدِى
فقلت لهم : ظُنُّوا بألفَىْ مُدَجّج ... سَرَاتُهم فى الفارسىِّ المسرَّدِ[4]
أمرتهمُ أمرى[5] بمنعرَج اللوى ... فلم يستبينوا الرُّشدَ إلا ضُحَى الغدِ
فلما عَصَوْنى كنتُ منهم وقد أرَى ... غَوايتَهمْ وأننى غيرُ مُهتدِ
وهل أنا إلا من غَزِيّة[6] إن غوَت ... غويْتُ ، وإن ترْشُدْ غَزِيّةُ أرْشُدِ
دعانى أخى والخيلُ بينى وبينه ... فلما دعانى لم يجدْنى بقُعْدُدِ[7]

---

(١) قال فى الأغانى : كانت أم معبد امرأته فطلقها ، لأنها رأته شديد الجزع على أخيه فعاتبته على ذلك وصغرت شأن أخيه وسبته فقال هذه القصيدة (٢) خالد من أسماء عبد الله
(٣) عارض : من أسماء عبد الله أيضاً ، ورهط بنى السوداء أصحاب عبد الله (٤) ظنوا : أيقنوا ، أو ماظنكم بألفى مدجج ، والمدجج : التام السلاح ، وسراتهم : خيارهم ، والفارسى المسرد: الدروع (٥) أمرى أى مأمورى (٦) غزية : قبيلة من هوازن ، وهى رهط الشاعر
(٧) القعدد : الجبان اللئيم القاعد عن المكارم .

تنادوا فقالوا : أرْدَتِ الخيـل فارساً   فقلتُ أعبدُ الله ذلكم الرّدى(١)
فإن يكُ عبـدُ الله خلَّى مكانَه   فلم يكُ وقّافاً ولا طائشَ اليد(٢)
ولا بَرِما إذا الرياح تَنَاوَحَت   برَطْبِ العِضاهِ والهشيم المعضَّدِ(٣)
كميشُ الإزَارِ خارجٌ نصفُ ساقهِ   بعيد من الآفاتِ طلاَّعُ أَنْجد(٤)
قليـل التشكّى للمصيبات حافظٌ   من اليوم أعقَابَ الأحاديث فى غد(٥)
تَرَاه خَمِيصَ البطن والزادُ حاضرٌ   عَتيدٌ، ويغْدُو فى القميص المقدّد(٦)
وإنْ مسّه الإقواء والجَهْدُ زادَهُ   سماحاً وإتلافاً لمـا كان فى اليَدِ
صبا ما صَبا حتى علا الشيبُ رأسَه   فلما علاه قال للباطل : ابْعد(٧)
وطيَّب نفسى أننى لم أقُلْ له   كَذَبْتَ ولم أبْخَل بما مَلَكَتْ يدى
نظرتُ إليـــه والرِّماح تَنُوشُه   كوقع الصّياصى فى النسيج المُمدَّدِ(٨)

---

(١) أى : أعبد الله ذلكم الهالك ؟ وإنما دعاه إلى هـذا القول أمران : سوء ظن الشقيق ، والثانى علمه إقدامه فى الحرب (٢) خلى مكانه : مضى لسبيله ، والوقاف : الهيابة ، والطائش : الذى لا يصيب (٣) البرم : الضجر ، وتناوحت الرياح : هبت صبا مرة ، وشمالا مرة، وذلك آية الجدب ؛ والعضاه : كل شجر يعظم وله شوك . والهشيم: النبت اليابس المتكسر، والمعضد : المقطع (٤) كميش الإزار : مثل فى الجد والتشمير، والكميش : الخفيف السريع الحركة ، وبعيد من الآفات : يريد أنه لا داء به ، وهو سليم الأعضاء (٥) المعنى : أنه لا يتألم للنوائب تنزل بساحته ، وأنه يحفظ من يومه ما يتعقب أفعاله من أحاديث الناس فى غده

(٦) يصفه بقلة الطعام ، والزهد فى اللباس ، مع اتساع الحال ، لأنه يؤثر غيره على نفسه ، والعتيد المعد ، والمقدد : المقطع (٧) « صبا » الأول من الصبي وهو صغر السن؛ وصبا الثانى من الصباء بمعنى الفتاء ، المعنى : تعاطى اللهو صغيراً ، فلما اكتهل وظهر الشيب فى رأسه ، نحى الباطل عن نفسه

(٨) تنوشه : تتناوله، والصياصى: جمع صيصة، وهى شوكة الحائك التى يسوى بها السداة واللحمة.

وكنتُ كذات البوّ ريعت فأقبلتْ إلى جَلَدٍ من مَسْكِ سَقْبٍ مُقدَّدِ (١)

فطاعنتُ عنه الخيلَ حتى تبدَّدَتْ وحتى علانى حالكُ اللون أسودى (٢)

فما رِمْتُ حتى خرّقتنى رماحُهم وغُودرتُ أكبُو فى القنا المُتقصّد (٣)

قتال امرئٍ واسى أخاه بنفسه وأيقن أن المرءَ غيرُ مخلّدِ

قليل التشكّى للمصيبات حافظٌ من اليوم أعقابَ الأحاديثِ فى غدِ

وقال أيضاً :

تقول : ألا تبكى أخاك ! وقد أرى مكان البُكا، لكن بنيتُ على الصبر

فقلت أعبدَ الله أبكى أم الذى له الجدث الأعلى قتيلَ أبى بكر (٤)

وعبدَ يغوث تحجلُ الطيرُ حوله وعزّ المصابُ حثوُ قبرٍ على قبرِ (٥)

أبى القتلَ إلا آلُ صِمَّةَ إنّهم أبوا غيرَه والقدْرُ يجرى إلى القدْرِ (٦)

فإما ترينْا لا تزال دماؤُنا لدى واترٍ يَشقَى بها آخرَ الدهر (٧)

فإنا لَلَحْمُ السَّيفِ غيرَ نكيرةٍ ونَلْحَمُه حينا وليس بذى نُكْرِ (٨)

---

(١) ذات البو : ناقة يذبح ولدها أو يموت ، فيحشى لها جلده فترأمه ، أى كنت من الوله عليه مثل ذلك. والجلد ما جلد من المسلوخ، وألبس غيره، لتشمه أم المسلوخ فتدر عليه ، والمسك : الجلد ، والسقب : ولد الناقة (٢) أسودى : كما يقال فى الأحمر أحمرى ثم خففت ياء النسب بحذف إحداها (٣) المتقصد : المتكسر (٤) قتيل أبى بكر بن كلاب هو أخوه قيس، ارجع إلى الأغانى صفحة ١٤ ففيه تفصيل لسبب قتله (٥) عبد يغوث : أخوه أيضاً ، وقد قتلته بنو مرة ، وحثو بدل من المصاب ، ومفعول عز محذوف ، كأنه قال : وعز الشاعر المصيبة ، حثو قبر على قبر ، أى حصول الواحد بعد الواحد (٦) يريد : أنهم قدروا للقتل (٧) يقول : إنا أبداً تكون دماؤنا عند من قتلنا له قتيلا يطلبنا بدمه ، ويسعى بما يطلبه من دمائنا (٨) لحمه : أطعمه اللحم، يقول : إنا نخطر بأنفسنا فنقتل ونقتل ، وليس ذلك فينا ومنا بمنكر .

يُغَارُ علينا واترين فيُشْتَفَى بنا إنْ أُصِبْنَا أو نُغِيرُ على وِتْرِ
قسمنا بذاكَ الدّهر شطرين بيْننا فمـــا ينقضي إلاّ ونحن على شَطْرِ

* * *

ثم أغارَ دُرَيْد بن الصِّمَّة بعد مَقْتَل أخيه عبد الله على غَطَفَان ، يطالبهم بدَمه ؛ فاستقْرَاهم[1] حيًّا حيًّا ، وقتل من بنى عَبْس ساعِدَة بن مُرّ ، وأسرَ ذُوَاب بن أسماء ابن زيد بن قارب ، أسره مُرّة بن عوف الُجشَمِي . فقالت بنو جُشَم : لو فادَيْنَاه[2] ! فأبى ذلك دُرَيد عليهم ، وقتَله بأخيه عبـد الله . وقتلَ من بنى فزارةَ رجـلاً يُقال له حِزَام وإخوَةً له ، وأصابَ جماعةً من بنى مرّة ومن بنى ثَعْلَبَة بن سَعْد ومن أحياء غَطَفَان ، وذلك فى يوم الغدير . وفى هذا اليوم وفى مَنْ قُتِل فيه منهم يقول :

تأبَّدَ[3] من أهله معشَرٌ فجوُّ سُوَيقةَ فالأصفَرُ
فجِزْعُ[4] الحَلِيف إلى واسطٍ فذلك مَبْدًى وذَا مَحضَرُ
فأبْلغ سُلَيْمَى وألْفَافَها[5] وقد يَعْطِف النسبُ الأكبر
بأنى ثأرتُ بإخْوانكم وكنتُ كأنى بهم مُخْفِرُ[6]
صبحنا فزارةَ سُمْرَ القنَا فَمَهْلاً فزارةُ لا تضجرُوا
وأبْلغْ لديكَ بنى مازِنٍ فكيف الوعيدُ ولم تَقْدِرُوا

(١) استقراهم : تتبعهم (٢) فاداه : أطلقه ، وقبل فديته (٣) تأبد : أقفر ، ومعشر وجو سويقة والأصفر : أسماء مواضع (٤) الجزع : منعطف الوادى ، والحليف وواسط : موضعان (٥) ألفافها : قومها المجتمعون حولها ، مفرده لف (بالكسر) (٦) أخفره : نقض عهده .

فإنْ تقتُلوا فِتْيَةً أُفردوا   أصابهم الحين ُ أو تظفَروا
فإنّ حزامًا لدَى مَعْرَكٍ   وإخوتَه حولهم أنْسرُ
ويومَ يزيدٍ بنى ناشبٍ   وقبلُ يزيدكُمُ الأكبرُ
أثَرْنَا صَرِيخَ بنى ناشبٍ   ورهطَ لقيطٍ فلا تَفْخَروا
تجرُّ الضِّباعُ بأوصالهم[1]   ويلْقَحْنَ منهم ولم يُقبَروا

(٧) فى نهاية الأرب : إن الضبع إذا لقيت قتيلا بالعراء وورم وانتفخ غرموله تأتيه فتركبه ثم تأكله .

(١٠) حديث ابن ضَبا *

قد كان من حديثِ الحرْب التي وقعت بين أبي بكر بن كلاب ، وبين بني جَعْفر [١] أن سعد بن ضبا الأَسَدى كان جاراً لعُتْبة بن مالك بن جعفر ، وكان يُرعى [٢] عليه ـ وبنو جعفر يزعمون أنه كان أسيراً عنـد عُتْبة بن جعفر ـ وكانت بنو أسدٍ قد قتلت من بني أبي بكرٍ قتيلا ، فقالت بنو أبي بكر : علام تَدعون ابنَ ضبا وأنتم تطلبون بني أسد بما تَطْلُبونهم ، فعمدوا إليه فقتلوه ، وبنو جعفر عنه غُيَّب .

فلما بلغ ذلك بني جعـفر غضبوا ، وكان في بني جعفر رجـلٌ من بني أبي بكر يقال له مالك بن قحافة ، فقال ـ وهو صهر بني جعـفر ـ لا يَسُؤْكم الله ؛ إنمـا هذا رجل من بني أسـدٍ ، وقد كنّا نطلبهم بدَم ، وقد علمتم ذلك ، فـلا تسفكوا دماءنا ودماءكم فيه ، فهذا ابني لكم بدِيَته ، ولا تقتلوا قومَـكم . قالوا : نعم؛ فأخذوا ابنه فحبسوه بالدِّية .

فبينماهم كذلك إذ أقبل بعضُ بني جعفر فلَقُوا ربيعةَ الشرّ بن كعب بن عبد الله ابن أبي بكر ، ومعه وطْبان من لَبنٍ يريد بهما أهلَه ، فقالوا : هل أنت ساقِينا من هذا اللبن ؟ قال : نعم ، فنزل عن قَعوده ليسقيَهم ، فأخذوه فشدّوه وثاقاً ، وقد تروّى من اللبن ، ثم طردوا به فسلَح ، ثم شدّوه مع ابن مالك بن قحافة .

---

* لبني أبي بكر بن كلاب على بني جعفر بن كلاب (كلاهما من عامر) . وابن ضبا : رجل من بني أسد .

النقائض ص ٥٣٣ طبع أوربا .

(١) بنو جعفر بن كلاب ، وبنو أبي بكر بن كلاب : بطنان في بني عامر (٢) يقال : أرعيت عليه ؛ أي بقيت عليه ورحمته .

فلما رأى ذلك مالكٌ قال لامرأته : احتملى . فاحتملت ، فلما سارت ركبَ فرسَه ثم أقبل عليهم فقال : يابنى جعفر ؛ لا آتى قومى أبداً حتى أقتلَ بعضكم أو تقتلونى ، أو أرجع بأحد الأسيرين ، فعندكم أسيرُ لبنٍ وأسيرُ دَمٍ . فأعطوه ابنه ، وحبسوا ربيعة موثقاً أربع ليال حتى أدّى بنو بكر عَقْل ابن ضبا ؛ فبعث بهما بنو جعفر إلى بنى أسد .

فلما أدّوْها قال عامر بن كعب أخو ربيعة الشرّ : أدّوا إلىّ يابنى جعفر إسار أخى وما صنعتُم به حتى كان منه ما كان ، أو حكّمونى . فأبى ذلك بنو جعفر . فقال عوف ابن الأحوص : هذا ابنى دأبُ بن عوف ، فليس بشرٍّ من أخيكم فاصنعوا به ما صُنِعَ بصاحبكم !

فأبى ذلك بنو أبى بكر ، واجتمع القومُ بعضهم إلى بعض ، فلما لقحت الحربُ بين بنى جعفر وبنى أبى بكر قَتَل رجل من بنى جعفر ــ يقال له مَنيع ــ رجلاً من بنى أبى بكر ؛ فأقبلت غَنِىّ ــ وقد كانوا قتلوا ابناً لعروة بن جعفر قبيل ذلك ــ حتى نزلوا على مالك بن كعب بن عبيد بن أبى بكر ؛ فقال مالك : قد أصابت غنِىّ منكم دماً ، وأصبتُم منا دماً فبوّئوا أحدَ القتيلين بالآخر ؛ فقالت بنو جعفر : نحن نعطيك الدمَ الذى أصبنا من ابنك ، وخلّ بيننا وبين ثأرنا من غنىّ ؛ فإنّا لا نرضى منهم بدون دِية الملوك ، فأذنوا بحرب .

فسارت بنو جعفر إلى بنى أبى بكر ، وسار معهم سائر بنى كلاب ، حتى إذا تراءى الجمعان خذلت بنو جعفر .

فلما رأت بنو جعفر أنهم قد خُذِلوا ، وقد كان طُفَيْل الغَنَوى قال لبنى أبى بكر : ادفعونى إلى بنى جعفر ، فوالله لا يتعدّون علينا ولا يظلموننا حقًّا هو لنا عندهم ،

فإن جعفراً لا تُقِرُّ على هذا ، فأبوا ، وخرج بنو جعفر متوجهين إلى بنى الحارث ابن كعب ليحالفوهم .

فنزلوا فيهم وحالفوهم وأقاموا فيهم حولا ، فقالت بنو الحارث بعضها لبعض : ما يمنع أن نتزوّج من بنى جعفر عشرين امرأة ، ونزوّجهم عشرين امرأة ، وتشتبك الأرحام بيننا وبينهم ؟ فإنهم الأشراف والأكفاء ، ولا نُبالى إذا فعلنا ذلك مَنْ أَجْلَبَ[1] علينا من العرب ؛ فمشوا إلى عامر بن مالك ، فذكروا ذلك له ، فرضيت بنو جعفر ، وعامرٌ ساكتٌ لا يتكلم .

فلما انصرف القومُ نادى عامرٌ فى بنى جعفر : لا يَبْقَيَنَّ أحدٌ له فرسٌ إلا ركبه ولا سلاحٌ إلا لبسه ، وأخذ رُمْحه . ففعلوا ، ثم نادى أن احتملوا بأثقالكم ونسائكم ، ثم قال : سيروا حتى تقطعُوا ثنيَّةَ[2] القَهْر ، فإذا قطعتموها فانزلوا ، ففعلوا ، ووقف عليهم عامر بن مالك ، حتى جازُوا الثنيّة ، ثم أتاهم ، فقال : هل أخذتُ لكم دِيَةً أو أبيتكُم على خَسْفٍ قطُّ ؟ قالوا : لا ، قال : والله لتطيعُنّى أو لأتكِئَنّ على سيفى حتى يخرج من ظَهْرِى .

ثم قال : أتدرون ما أرادَ القوم ؟ أرادوا أن يرتبطوكم فتكونوا فيهم أذْنابًا ، ويستعينوا بكم على العَرَب ، وأنتم سادةُ هوازن ورءوسهم فسيروا .

فخرجوا سائرين ، وخرج عامرٌ وطفيل وعبيدة ومعاوية ــ وهم بنو أم البنين ــ وسلمى بن مالك ، وحنظلة وعامر ابنا طفيل ، ولبيد بن ربيعة ، ونزلت بنو جعفر فى ناحية أرض قشير ، ثم قصدوا إلى بنى أبى بكر يريدون مالك بن كعب بن عبيد بن أبى بكر ، فوجدوه يَميح[3] رَكِيًّا فنزلوا حتى خرج منها .

---

(١) أجلب عليه : أعان عليه ، ويقال : أجلبوا عليه إذا تجمعوا وتألبوا (٢) ثنية باليمن
(٣) الميح : أن تدخل البئر فتملأ الدلو لقلة مائها . والركية : البئر .

فلما رآهم رحّب بهم ، ودعا بلَقْحَةٍ(١) ، ثم أمر حالباً فحلبها ، فقال : اسْقِ سَيِّدَ بنى عامر ، فسقى عامر بن مالك . ثم قال : اسق سيد بنى عامر ، فسقى بعده طفيلا . ثم قال : اسق سيد بنى عامر ، فسقى معاوية . ثم قال: اسقني، ثم سألهم: ما حاجتكم ؟ فقالوا : أردنا أن نبوءَ بحقكم ، ونرجع إلى قومنا ، فقال مالك : اختاروا منى خَلَّتين ، ثم حُكْمى بعدهما ، قالوا : قد قَبِلْنا إحداهما وقبلْنا حكمك . قال : إن شئتم أن تَظْعنوا على حَرْب مُجْلِيَةٍ أو تُقيموا على سِلْمٍ مُخْزِية ، فقالوا : أرِنَا حُكْمك . قال : ما كان لكم عندى من غائلةٍ أو خُمَاشَةٍ(٢) أو دمٍ ، ما قلّ من ذلك وما كثُر فهو لكم ، ودمُ صاحبكم ابن عُروة فهو على أفضل الدِّيات دِيات أهل بيته فى مالى ، وما كان لغَنِيٍّ فهو علىّ ، وبرئتم منه ؛ فذلك حيث يقول لبيد ، وغاظه ما يرى :

أبنى كِلَابٍ كيف تُنْفَى جعفرٌ ... وبنو ضَبِيْنَةَ حاضرو الأجْبَاب(٣)

قتلوا ابنَ عُرْوَةَ ثم لطّوا(٤) دُونَه ... حتى نحا كِمَهُم إلى جَوّاب(٥)

---

(١) اللقحة : الناقة الحلوب (٢) الخماشة : ما هو دون الدية لقطع يد أو أذن
(٣) الأجباب : منازل لبنى جعفر التى نفيت عنها وأقامت بها غنى (٤) لطوا : استتروا
(٥) جواب: لقب مالك بن كعب الكلابى المذكور .

(١١) يوم هَرَاميت*

كان بَدْء الحرب يوم هَرَاميت أن الجَلِيح بن شُدَيد الجعفرى[١] نزل فى بئر بناحية هَراميت ليحتفرها ، فنزل عليه الأسْود بن شقيق الضِّبابى[٢] فمنعه ، فانحدرا فى البئر ، فضربه الأسودُ على أذنه فحذمها[٣] وشجّه شجّةً ، واجتمع الناسُ برأس البئر ، فأنزلوا عليهما الرجالَ حتى خلّصوا بينهما ؛ فقالت الضِّباب : دونكم صاحبَنا فاقتصُّوا ، وخذوا أَرْشَ[٤] جراحةِ صاحبكم .

فقالت بنو جعفر — وفيهم بَذَخٌ[٥] شديد — لا نأخذُ حقّنا أبداً إلا عَنْوَةً .

فانصرف القوم ، وكلٌّ محتملٌ على صاحبه ، فقال رجلٌ من بنى جعفر : ياجَلِيح؛ أنتَ اليومَ الجليح ، وغداً المحذوم ؛ فشحذ بنى جعفر وأحْمَشَهم[٦] ، وكانوا مع بنى الضباب فى محلة واحدة .

ثم التقوا على هَراميتَ فاقتتلوا ، ثم تحاجزوا واحتمل الحيّانِ ، وافترقوا بعد الألْفَة .

فنزلت الضِّباب على غَوْلٍ والخِصافة[٧] ، ونزل جعفر الشَّبَكَةَ[٨] ومعروفاً ،

---

* للضباب على بنى جعفر (كلاهما من بنى عامر) . والهراميت : آبار مجتمعة بناحية الدهناء معجم البلدان ص ٤٥٠ ج ٨ ، النقائض ص ٩٣٧ طبع أوربا

(١) بنو جعفر ، هم أبناء جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة (٢) الضباب : ولد معاوية بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وإنما سموا الضباب ، لأن عمرو بن معاوية كان ولده ضبا ومضبا وضبابا وحسيلا (٣) حذمها : قطعها (٤) الأرش : الدية

(٥) البذخ : الكبر (٦) أحمشهم : أغضبهم (٧) الغول والخصافة : ماءان للضباب

(٨) الشبكة : من مياه بنى قشير ، ومعروف من مياه بنى جعفر .

فمكثوا يسيراً ، والضِّباب متوقعةٌ للشرّ ، قد أذكت العيون فليست تنام؛ ثم إن بني جعفر سارت إلى الضِّباب .

وبينما الضباب فى بعض الطريق إذ لقيهم مزيد بن سهم الغَنَوى راكباً ، فقالوا : هذا راكبٌ فاسألوه عن بنى جعفر ، فأتوه ، فقالوا : ما الْخَبر ؟ فقال لهم الغَنَوىّ : ما أدرى ما أقول لكم إلا أن النَّعَم منكم قريب[1] .

فخرجت الضِّباب مبادرةً إلى النَّعم مخافةَ الغارةِ ، وخلَّفوا أبا لطيفة بن الخطيم ابن الأعرف ، وهو يومئذ سيدُ الضِّباب وابنَ أخ له وأربعة نفر .

وأقبلَ جمعُ بنى جعفر فتلقّاهم زُيَيْنٌ الضِّبابى فى مِعْزى له يسوقُها؛ فقال زاجرُ[2] بنى جعفر : ياقوم؛ قد لقيتم زَابِناً[3] وزاجراً وناطحاً، فارجعوا ، فوالله لا تصيبون فى وجوهكم هذه خيراً فأطيعونى ؛ فأبَوْا عليه .

فبيناهم فى مَسيرهم إذْ لَقِيهم مالك بنُ الربيع وشُرَيك بن الهَيْثَم الضِّبابيّان ، فقتلوهما. فقال أهلُ الرأى منهم : ارجعوا فقد أصبتم بصاحبكم ، وأدركتُم ثأركم فى عافية ؛ فأبتْ جماعتُهم إلا المَسير ، وقالوا : يابنى جعفر ؛ اجعلوه يوماً من أيّامكم ، فساروا حتى انتهوا إلى محالِّهم ؛ فوجدوا أبا لطيفة بنَ الخطيم وأصحابه فقتلوهم ، وفيهم رجلان يقال لهما الأشْهَبان من فُرسانهم ، فقتلوهما ، ونزل أبو لَطيفة بن الخطيم وبه رمَقٌ فقطعوا أنفَه ، وعَمَدُوا إلى مِلْحَفَةٍ حمراءَ فصَبَغوها بدم أبى لطيفة ، وبعثوا بها مع بشيرٍ إلى نسائهم .

---

(١) قال ذلك يكيد للضباب تعصباً لبنى جعفر ؛ لأن ولادته كانت فيهم (٢) الزاجر : من يصطنع الزجر ، وهو العيافة والتكهن (٣) الزبن : الدفع ، ومنه حرب زبون ؛ أى يدفع بعضها بعضاً كثرة .

وفى بنى جعفر وَجْزَة بنت الخطيم أختُ أبى لطيفة ؛ فلما جاء البشيرُ بقَتْل أبى لطيفة صرخت بناتُ وَجْزَة على خالهنّ ، فقالت أمهنّ : اسكُتْن ، فوالله لئِنْ كان ظَنّى ببنى عمرو (وهم الضِّباب) ليبيتَنّ الليلةَ فى بنى جعفر نَوْحٌ كثير .

وانتهت الضِّباب إلى النَّعم ، ثم عادوا فوجدوا أبا لَطيفة ، وبه رَمَق وإذا القومُ قتْلى ، فقالوا له : مَنْ أصابك ؟ قال : أصابنى خَيْشَنَةُ وهو أحدُ الرِّدْفين على الجمل الأسود ، فاتّبعتهم الضِّباب ، فلحقتهم على الثنيّة فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقُتِل من الفريقين من هؤلاء وهؤلاء ، وقَصَدَ هُرَيْم بن الخطيم ـ أخو أبى لطيفة ـ قَصْدَ خَيْشَنَةَ قاتلِ أخيه فقتله وقطع أنْفَه ، وبعث به مع بشير إلى أبى لطيفة .

فلما أتاه البشيرُ قال : وصلتْكم يابنى عمرو رَحِمٌ ! الآن ذهب غَليلى ، لستُ أبالى متى مِتُّ .

وانهزمت بنو جعفر ، وطردتهم الضِّباب بعيداً خمسةَ أميال أو نحو ذلك ، وحجزَ بينهم الليلُ ، ورجعت الضباب فاحتملت قَتْلاها ، وهابت بنو جعفر أن تنقلَ قتلاها حتى بعثوا النساء يحملن القتلى ؛ فمشت السُّفَراء بينهم ، ففَضَل لبنى جعفر على الضِّباب خمسةٌ بعد البَوَاء .

وقال الأَجْلَحُ[1] الضِّبابى ، وكان فارساً شديداً ، فاتّبع القوم وهو يقول :

لا تَسْقِه حَزْرا ولا حليبا إنْ لم تجدْه سابحاً يَعْبُوبا[2]

---

(١) نسب هذا الشعر فى اللسان : للخطيم الضبابى (لسان مادة جون) ، وقال فى حاشية اللسان : فى الصاغانى: هو للأجلح بن قاسط الضبابى (٢) يصف فرساً يقول : لا تسقه شيئاً إن لم تجدفيه هـذه الخصال ، والحزر من اللبن : الذى أخذ شيئاً من الحموضة ، والسابح : الشديد العدو ، واليعبوب : الكثير الجرى .

ذا مَيْعَةٍ[1] يَلْتَهِمُ الجَبُوبَا[2] يترُكُ صَوّانَ[3] الصُّوَى رَكُوبَا
بزَلِقَاتٍ[4] قُعِّبَتْ تَقْعِيبَا يترُكُ في آثارِهِ لُهُوبَا[5]
يبادرُ الآثارَ أنْ تَؤُوبَا[6] وحاجبَ الجَوْنَةِ[7] أن يَغيبَا
كالذئبِ يَتْلُو طمعاً قَرِيبَا[8] على هراميتَ ترى العجيبَا
أنْ تدْعُوَ الشيخَ فلن يُجيبَا

فقاتل يومئذ فأبلى ، وكان ممّن قتل الكَرَوّسُ ومِعْتَرٌ ضربه ضربةً بالسيف أشْرِعَت في شِقِّه ، فنادى مِعْتَرٌ : يابنى جعفر ؛ إن شَدَدْتمونى بثوبٍ فلا بأسَ علىَّ ، فلم يلبثْ أنْ مات ، فقال فى ذلك الأشتَرُ بن عُمارة الضبابى :

عشيَّةَ يَدْعُو مِعْتَرٌ يالَ جَعْفَرٍ أخوكُم أخوكم أجْدَلُ الشّقِّ مائِلُهْ

ولحق الأَجْلَحُ بن قاسط ابنى حُمَيْضَةَ بن بَحير ، وهما يَسْرِيانِ بأبيهما من آخر الليل ، فقال لها : أَجْزِرانى الشيخَ ، فقالا : لقد استعرضْتَ منذ اليوم جَزَراً كثيراً وما لهذا ربّانا . وقد كان الأجْلَح لما لبس دِرْعه ترك جُرُبّانَها[9] لم يَشُدَّه عليه من العَجَلةِ ، فقالت له ابنتُه : شُدَّ عليكَ الجُرُبّان ، فقال : إن الذى يُبْصر هذا الموضع لبصير ا

---

(١) الميعة : النشاط والحدة ، ويلتهم : يبتلع (٢) الجبوب : الأرض الغليظة ، وقيل الأرض الغليظة من الصخر لا من الطين ، وقيل هى الأرض عامة ، وقيل وجه الأرض

(٣) الصوان : الصم من الحجارة ، والصوى : الأعلام ، والركوب : المذلل ، ورواية النقائض : يترك صوان الحصى ركوباً (٤) يعنى حوافره ، والتقعيب : أن يكون الحافر مقبباً كالقعب لاستدارته (٥) اللهوب : جمع لهب ، ورواية النقائض : ألهوبا (٦) الأوب : الرجوع يقول : يبادر آثار الذين يطلبهم ليدركهم قبل أن يرجعوا إلى قومهم ، ويبادر ذلك قبل مغيب الشمس (٧) الجونة : الشمس (٨) شبه الفرس فى عدوه بذئب طامع فى شىء يصيده عن قرب فقد تناهى طمعه (٩) جربان السيف : حده وغمده .

فلما حَمَل على ابنى حُمَيضةَ نظر حاجبُ بن حميضةَ إلى موضع الجُرُبَّان لم يشده فطعنه فى لَبَّته فقتله ، وأخذا فرسه فركباه ونَجَوا بأبيهما .

فلما قدم الحجّاج المدينةَ بعد قتل ابنِ الزبير ، واجتمع الناسُ على عبد الملك وجّه إليهم عثمانَ بن عبد الله بن سُرَاقة القُرَشى أحدَ بنى عَدِىّ بن كعب ؛ فلما قدم عليهم جمعَ الفريقين ، ثم نادى : مَن جاء بحُزْمة حطب فله بعير . فجىء بحَطَبٍ كثير ، فنضَدَ بعضَه إلى بعض حولهم ، ثم أشْعَلَ فيه النار ؛ فلما لَحِقَتِ القومَ النارُ ، وظنُّوا أنه الموتُ نادى : من أطْفَأَها فلَهُ بعير ، فأطفأها الناسُ ، فأخرجهم ، وقد كادوا يحترقون ، ثم دعا بالصَّخْرِ ليحطّم أذْرُعَهم فضجُّوا إليه ، فقال : أتعُودون لأمر الجاهلية أبداً ؟ فقالوا : لا تعودُ بعد اليوم . فضَمن الضِّبابيّون للجعفريين ما يطلبون ، وأخذ دَرّاج بن زُرْعَة بن قَطَن بن الأعْرَف الضِّبَابى فوجّه به إلى عبد الملك ، وكان هو صاحبَ الأفاعيل فقتله عبد الملك، فقال درّاج فى السجن :

ألا ياغرابَ البيْنِ أسْمعتَ فارْبَع ... وطِرْ بالذى قد حُمَّ ويْحَكَ أوْقَع
فطار بتحقيقٍ وجُدْتُ بعَبْرَةٍ ... أتاها رَشاشُ العينِ من كلِّ مَدْفع
فليس ليالِينا بِطِخْفَةَ والحِمى ... بِمُرْتَجِعات فابْكِ شجوكَ أو دَع
إذا أُمُّ سِرْبَاحٍ(١) غدَتْ فى ظَعَائنٍ ... جَوَالسَ(٢) نجْدًا فاضتِ العينُ تَدْمع
فبلِّغْ بنى عَمْرو سلاماً ورحمةً ... بآياتِ شدَّاتى إذا الخيلُ تُقْدَع
بآية أنى لم أكن قد علمتُمُ ... أُهَلِّلُ(٣) عن ضَرْبِ الكَمِىِّ(٤) المُقَنَّع
فقد كنتُ أعطيكم طَرِيفى وتَالدى ... وأدفعُ عن أحسابكم كل مَدْفع

(١) السرباح : الجراد ، وأم سرباح : امرأة مشتق منه (٢) الجالس : الآتى نجـداً ، ورواية النقائض : عوامد نجد كانت العين تدمع (٣) هلل : فزع وجبن
(٤) الكمى : الشجاع .

فلا تخشوا للقوم من خَشْيَةِ الرَّدى ... لكلّ امرئٍ يوماً حِمامٌ ومَصْرَع
وإنى لأَخْشَى من رجالٍ تركتُهُمْ ... وَرَائِى أن يُعْطُوا الذى كنتُ أمنَع
فإن يكُ ظنى بالحجازىّ صادق ... يقاتلهم فرداً ولا يتخشَّع
ويَسْقِيهمُ كأساً مِنَ الموتِ مُرَّةً ... كما قد سَقَوْهُ مثلَهـا فتضَلَّع
ولما دخلتُ السِّجْنَ أيقنتُ أنّه ... هو البينُ لا بينُ النوى ثم يجمع
وما السوطُ أبكانى ولا السجنُ شفّنى ... ولكننى من رَهْبَةِ الموتِ أجزَع

٧ ـ أيام قيس وكنانة

١ — يوم الكديد .

٢ — « برزة .

٣ — حرب الفجار .

(١) يوم الكَدِيد*

— ١ —

خرج دُرَيد[١] بن الصِّمّة فى فوارس بنى جُشَم[٢] ، يريد الغارة على بنى كِنانة ؛ فلما كان بواد لبنى كنانة رُفع له رجل من ناحيـة الوادى ومعه ظعينة[٣] . فلمّا نظر إليه قال لفارسٍ من أصحابه : صِحْ به أنْ خَلِّ عن الظَّعينة وانْجُ بنفسك ـ وهو لا يعرفه ـ فانتهى إليـه الرجل وألحَّ عليه ، فلمـا أبى ألقى زِمام الراحلة وقال للظعينة :

سِيرِى على رِسْلِكِ سيرَ الآمنِ . سيرَ رَداحٍ[٤] ذاتِ جَأْشٍ ساكنِ
إنَّ انْثِنَائى دون قِرْنِى[٥] شائنى أَبْلِى بلائى واخبُرِى وعَايِنى

ثم حمل على الفارس فَصَرعه ، وأخذ فرسه فأعطاه الظعينة .

فبعث دُريد فارساً آخر لينظرَ ما صنع صاحبُه ؛ فرآه صريعاً ، فصاحَ به ، فتصامَّ عنه ، فظنَّ أنه لم يسمع فغشيه ، وألقى زمام الراحلة إلى الظَّعينة ، ثم حمل على الفارس فصرعه ، وهو يقول :

---

* لبنى سليم (بطن فى قيس عيلان) على كنانة ، والكديد : موضع على اثنين وأربعين ميلا من مكة العقد الفريد ص ٣٢٤ ج ٣ ، الأغانى ص ١٢٩ ج ١٤ ، الأمالى ص ٢٧١ ج ٢ ، سمط اللآلى ص ٩١٠ ج ٢ ، قصص العرب ص ٢٤٦ ج ٤ ، بلوغ الأرب ص ١٤٤ ج ١ .

(١) دريد بن الصمة : سيد بنى جشم وفارسهم وقائدهم ، كان مظفراً ميمون النقيبة ، غزا نحو مائة غزوة ما أخفق فى واحدة منها ، وأدرك الإسلام ولم يسلم (٢) جشم : بطن فى هوازن ، ودريد كان من حى فيهم يقال لهم بنو جداعة (٣) الظعينة : المرأة ما دامت فى الهودج (٤) امرأة رداح : عجزاء ثقيلة الأوراك تامة الخلق (٥) القرن : الكفء .

خلِّ سبيلَ الحرَّةِ المنيعهْ   إنك لاقٍ دونَها ربيعَهْ
فى كفه خَطِّيَّة(١) مُطيعَه   أَوْلا فَخُذْها طَعْنَةً سريعه
فالطَّعْنُ منى فى الوَغَى شرِيعَه

ثم حمل عليه فصرعه .

فلما أبطأ على دُريد بعث فارساً آخر ، لينظرَ ما صنعا ، فانتهى إليهما ، فرآهما صَريعين ، ونظر إليه يقودُ ظعينَتَه، ويجرّ رُمْحَه ، فقال له الفارس : خلّ عن الظعينة. فقال لها ربيعة : اقصدى قَصْدَ البيوت ، ثم أقبل عليه فقال :

ماذا تريدُ من شتيمٍ(٢) عابس   ألم ترَ الفارسَ بعد الفارس
أَرْدَاهما عاملُ رمح يابِسِ

ثم طعنه فصرَعه ، فانكسر رُمحه .

ولما أبطأ عن دريد ارتاب ، وظنّ أنهم قد أخذوا الظَّعينة وقتلوا الرجل ، فلحق بهم ، فوجد ربيعة(٣) بن مكدَّم لا رمح معه ، وقد دنا من الحىّ ؛ ووجد أصحابه قد قُتلوا ، فقال له دريد : أيّها الفارس؛ إن مثلك لا يُقتل ، وإن الخيل ثائرةٌ بأصحابها، ولا أرى معك رمحاً ، وأراك حديثَ السنّ ؛ فدونَك هذا الرمح ؛ فإنى راجع إلى أصحابى فثبِّطهم عنك .

---

(١) الرماح الخطية : تنسب إلى الخط ، وهو مرفأ فى بلاد البحرين (٢) الشتيم : الأسد العابس (٣) ربيعة بن مكدم: أحد فرسان كنانة المعدودين وشجعانهم المشهورين ، وهو من قبيلة فراس بن غنم بن مالك بن كنانة ، وكان بنو فراس أنجد العرب ، كان الرجل منهم يعدل بعشرة من غيرهم ، وفيهم يقول على بن أبى طالب لأهل الكوفة : وددت والله أن لى بجمعكم وأنتم مائة ألف ثلاثمائة من بنى فارس .

وأتى دُرَيد أصحابه ، فقال : إن فارسَ الظَّمينة قد حَماها ، وقتل فُرْسانَكم ، وانتزع رُمْحى ، ولا طَمع لكم فيه ؛ فانصرف القومُ ، وقال دريد :

ما إنْ رأيتُ ولا سمعتُ بمثله حامى الظعينةِ فارساً لم يُقتل
أردى فوارس لم يكونوا نُهزةً[1] ثم استمرّ كأنه لم يفعل
متهلّلاً تبدُو أسِرَّةُ وجهه مثل الحسام جَلَتْهُ أيدى الصَّيْقَلِ[2]
يُزجي ظعينته ويَسحب رُمحه متوجِّهًا يمناهُ نحوَ المنزل
وترى الفوارس من مخافة رُمحه مثلَ البُغاث خَشِينَ وَقْعَ الأَجْدَل[3]
ياليتَ شعرى مَنْ أبوه وأمُّه ؟ ياصاحِ مَنْ يكُ مثلَه لم يُجهل

وقال ربيعة :

إنْ كان ينفعُك اليقينُ فسائلى عنِ الظعينة يوم وادى الأخْرَم[4]
إذ هِي لأوّل من أتاها نُهْبَةٌ لو لا طعانُ ربيعة بن مُكَدَّم
إذ قال لى أدنى الفوارس ميتةً خلِّ الظعينة طائعًا لا تندم
فصرفتُ راحلة الظعينة نحوه عَمْدًا ليعلمَ بعضَ ما لم يعلمِ
وهتكتُ بالرُّمْح الطويل إهابَه[5] فهوى صريعًا لليدين وللفم
ومنحت آخر بعده جيّاشةً نجلاءَ فاغرةً كشِدْقِ الأضجم[6]
ولقد شَفَعْتُهُما بآخر ثالثٍ وأبَى الفِرارَ لىَ الغداة تكرُّمى

(١) النهزة: الشىء الذى هو لك معرض كالغنيمة ، يقال: فلان نهزة المختلس ، أى صيد لكل أحد
(٢) الصيقل : جلاء السيوف (٣) البغاث : طائر أغبر ، والأجدل : الصقر
(٤) الأخرم : جبل فى طرف الدهناء (٥) إهابه : جلده (٦) الضجم : عوج فى الفم ، ويشبه الجرح الواسع بالفم الأضجم .

— ٢ —

وقام نزاع بين نَفَر من بنى سُلَيم[1]، ونفرٍ من بنى فراس بن مالك بن كنانة، فقتلت بنو فراس رجلين من بنى سُلَيْم، ثم إنهم وَدَوْهُما، ثم ضرب الدهرُ ضَرَبَه، وخرج نُبَيْشَة بن حبيب السلمى غازياً، فلقى ظُعُنًا من بنى كنانة بالكَديد، ومعهم قومُهم من بنى فراس بن مالك بن كنانة، وفيهم عبد الله بن جِذْل الطعان والحارث ابن مكدَّم، وأخوه ربيعة بن مكدَّم، فلما رآهم الحارث قال: هؤلاء بنو سليم يَطْلُبُون دماءهم، فقال أخوه ربيعة: أنا أذهب حتى أعلمَ عِلْمَ القوم، فآتيكم بخبرهم، وتوجَّه نحوهم.

فلما ولَّى قال بعض الظّعن: هرب ربيعة! فقالت أخته عزة بنت مكدَّم: أين تنهى تِرَةَ الفتى؟ فعطف ـ وقد سمع قول النساء ـ فقال:

لقد علمْن أننى غـــير فَرِق[2] ... لأطعَنَنَّ طعنةً وأعْتَنِق[3]

أصْبحهم صاحٍ بحمرّ الحدَق ... عَضْبا[4] حُسَامًا سِنانا[5] يأتلِقْ

ثم انطلق يَعْدُو به فرسُه، فحمل عليه بعضُ القوم، فاستَطْرَد[6] له فى طريق الظعن حتى قتله، وتبعه نبيشة ثم رماه فلحق بالظُّعن يَسْتَدْمِى، حتى انتهى إلى أمّه أم سنان فقال: اجعلى على يدى عِصابة وهو يرتجز:

شدّى علىّ العَصْبَ أم سيَّارْ ... فَقَدْ رُزِيت فارساً كالدينار

يطعن بالرُّمح أمَامَ الأدْبار

(١) سليم: بطن فى قيس عيلان، وهم قوم دريد (٢) الفرق: الخائف
(٣) الاعتناق فى الحرب: مثل العناق فى غيره (٤) العضب: السيف (٥) السنان: طرف الرمح (٦) استطرد: تقهقر، وكأنه يخدع.

فقالت أُمُّه :

إنا بنو ثعلبة بن مالكْ مرور أخْبارٍ لنا كذلك

من بين مقتول و بَيْنَ هالك ولا يكون الرُّزْءُ إلا كذلك

وشدَّت عليه عِصابة ، فاستسْقَاها ماء ، فقالت : إن شرْبتَ الماء مُتَّ ؟ فكرَّ راجعاً على القوم، ينْزفه الدم[1]، حتى أُثخن[2] ، فقال للظُّعُن : أَوْضِعن[3] رِكابكُنَّ حتى ينتهينَ إلى أدنى البيوت من الحيّ ، فإنى لما بى سوف أَقِف دونكُنَّ لهم على العقبة، فأعتمد على رمحى فلا يقدمون علِيكنّ لمكانى . ففعلن ذلك[4] .

قال أبو عبيدة : وإنّه يومئذ غلام له ذُؤابة ، فاعتمد على رُمحه وهو واقفٌ لهن على مَتْن فرسه حتى بلغ مَأْمَنهنَّ ، وما يُقْدِم القوم عليه .

ورآه نُبيشَة بن حبيب فقال : إنه لمائِلُ العنق ، وما أظُنُّهُ إلاّ قد مات ، وأمر رجلا من خُزَاعة كان معه أن يَرْمِي فرسه ، فرماها ، فقَمَصَتْ[5] ، فمال عنها ميّتاً .

ثم لحقوا الحارث بن مُكدَّم فقتلوه ، وألقَوْا على ربيعة أحْجَاراً ، فمرَّ به رجل من بنى الحارث بن فهر ، فنفَرت ناقتُه من تلك الأحجار التى أهيلت على ربيعة ، فقال يرثيه ، ويعتذر ألّا يكون عَقَرَ ناقته على قبره ، وحضَّ على قَتلته ، وعيّرَ مَن فرَّ وأسلمه من قومه :

نَفَرتْ قَلُوصى[6] من حجارة حَرَّةٍ[7] بُنيت على طَلْق اليدين وَهُوب

---

(١) ينزفه الدم : يسيل منه الدم . (٢) أثخن: ضعف من الجراحة (٣) أوضعن ركابكن : حثوهن على السير السريع (٤) قال أبو عمرو بن العلاء : لا نعلم قتيلا ولا ميتاً حمى الأظعان غيره (٥) يقال قمصت الفرس : إذا رفعت يديها وطرحتهما معاً

(٦) القلوص من الإبل : الشابة (٧) الحرة : الحجارة السوداء ، والمراد قبر ربيعة .

لا تنفِري يا ناقُ منــه فإنه سبّاءُ[1] خمرٍ مِسْعَرُ[2] لحروب
لولا السِّفَارُ وبُعْدُ خرق[3] مَهْمَهٍ لتركتها تَحْبُو على العُرْقوبِ
فرَّ الفوارسُ عن ربيعة بعد مَا نجّاهُمُ من غَمرة المكروب
لا يبعدنَّ ربيعةُ بن مكدَّم وسقى الغوادى قبره بذَنُوب[4]

وقالت أخته ترثيه :

ما بالُ عينِك منها الدمع مُهْراق سحًّا فلا عازبٌ كلاًّ ولا راق
أبكى على هالك أوْدَى فأوْرثنى بعد التفرّق حُزْنًا حرُّه بَاق
لو كان يُرْجع مَيْتا وجْدُ ذى رحمٍ أبقى أخى سالمًا وَجْدِى وإشفاق
أو كان يُفْدى لكان الأهل كلهم وما أثمّر من مال له واق
لكنْ سهام المنايا من نُصِبْنَ له لم يُغْنِه طِبٌّ ذى طبٍّ ولا رَاقى
فاذهب فلا يبعدنْك الله من رجلٍ لاقى الذى كلُّ حىٍّ مثله لاق
فسوف أبكيك ما ناحت مطوّقة وما سَرَيْتُ مع السّارى على ساق
أبكى لذُكْرَتِهِ عَبْرَى مُفَجّعة ما إنْ يجف لها من ذُكْرَة ماق[5]

— ٣ —

ثم لم يلبث بعد ذلك بنو مالك بن كنانة رهط ربيعة أن أغاروا على بنى جُشم رهط دُرَيد ، ففتكوا وأسروا وغنموا ، وأسروا دُريد بن الصمة ، فأخفى نَسَبَه ..

---

(١) سباء خمر : مشتريها (٢) مسعر الحرب : موقدها (٣) الخرق : الفلاة الواسعة تنخرق فيها الرياح ، أى يشتد هبوبها ، والمهمه : الفازة المقفرة ، والسفار : السفر

(٤) الذنوب : الدلو فيه ماء ويقال : إنه لما بلغ شعره بنو كنانة قالوا : والله لو عقرها لسقنا إليه ألف ناقة سود الحدق (٥) هو مأق العين .

وبينما هو عندهم إذ جاء نسوة يتهادَيْن إليه ، فصرخت امرأةٌ منهنّ فقالت : هلكتم وأهلكتم ، ماذا جرَّ علينا قومنا ؟ هذا والله الذى أعطى ربيعة رُمْحه يوم الظعينة ، ثم ألقت عليه ثوبها وقالت : يالَ فِراس ، أنا جارةٌ له منكم ، هذا صاحبُنا يوم الوادى، فسألوه مَنْ هو؟ فقال : أنا دُريد بن الصِّمة ! فمَنْ صاحبي؟ قالوا: ربيعة بن مكدّم ؟ قال : فما فعل ؟ قالوا : قتلتْه بنُو سُليم . قال : فمن الظعينة التى كانت معه ؟ قالت المرأة : ريطة بنت جذل ، وأنا هى ؛ فحبسه القوم ، وآمَروا أنفسهم ، وقالوا : لا ينبغي أن تكفر نعمة دُريد عندنا ، وقال بعضهم : والله لا يخرج من أيدينا إلا برضا المخارق الذي أسرَه ، فانبعثت المرأة فى الليل فقالت :

سنجزى دريداً عن ربيعةَ نعمةً ... وكل فتى يُجزى بما كان قدّما
فإن كان خيراً كان خيراً جزاؤُه ... وإن كان شرّاً كان شرّاً مُذمّما
سنجزيه نُعمى لم تكن بصغيرة ... بإعطائه الرمح السَّديدَ المقوّما
فقد أدركت كفّاهُ فينا جزاءه ... وأهلٌ بأن يجزى الذى كان أنعما
فلا تكفروه حقَّ نُعماه فيكم ... ولا تركبوا هلكَ الذى ملأ الفما
فإن كان حيًّا لم يضق بثوابه ... ذراعاً غنيًّا كان أو كان مُعدما
ففكّوا دريداً من إسار مُخارقٍ ... ولا تجعلوا البؤسى إلى الشَّرِّ سُلّما

فأصبح القوم ، وتعاونوا بينهم وأطلقوه ، وكسته رَيْطة وجهّزته ، ولحق بقومه ولم يزل كافًّا عن غزو بنى فِراس حتى هَلك .

(٢) يوم بُرْزة*

لما قَتَلَتْ بنو سُلَيم ربيعة بن مكدَّم فارس كنانة (يوم الكَديد) رجعوا وأقاموا ماشاء الله؛ ثم إن مالك بن خالد بن صخر بن عمرو بن الشريد ـ وكانَ بنو سليم قد أمَّروه عليهم ـ بدا له أن يَغْزُو بنى كِنانة، فأغار على بنى فِراس ببُرْزة(١)؛ ورئيسُ بنى فِراس يومئذ عبد الله بن جِذْل.

ولما التقى الجمعان دعا عبدُ الله إلى البراز، فبرز إليه هند بن خالد بن صخر، فقال له عبدُ الله: من أنتَ؟ فقال: أنا هندُ بن خالد بن صخر، فقال عبد الله: أخوكَ أسنُّ منكَ ـ يريد مالكا ـ فرجع وأحضر أخاه، فبرز عبد الله، وجعل يرتجز ويقول:

اقتربُوا قِرْفَ القِمَعْ(٢) إنى إذا الموتُ كَنَعْ(٣)

لا أتوقَّى بالجزَعْ

وشدَّ على مالكٍ فقتله. فبرز إليه أخوه كُرز بن خالد بن صخر، فشدَّ عليه عبدالله فقتله أيضا، فخرج إليه أخوهما عمرٌو بن خالد، فتخالفا طَعْنَتَين، فجرح كلٌّ واحد منهما صاحبَه، وتحاجزا.

---

* يوم برزة لبنى فراس (من كنانة) على بنى سليم، وبرزة: موضع، وقد اتصل به يوم الفيفاء، وهو لبنى سليم على بنى فراس، وأصل الفيفاء: المفازة لا ماء فيها وأطلقت على موضع.
العقد الفريد ص ٣٢٦ ج ٣، معجم البلدان ـ برز.

(١) برزة: ضبطه صاحب معجم البلدان (بالضم) وقال: إنه رآه (بالفتح) بخط بعض الأدباء. وقال: إنه موضع به وقعة تذكر فى أيام العرب (٢) القرف فى الأصل: الوسخ الذى ينتج عن اللبن، والقمع: ما يوضع فى فم السقاء والزق، وكأنه يقول: أنتم كذلك فى الوسخ (٣) كنع: دنا.

فقال عبد الله :

تجنّبت هندا رغبةً عن قتاله … إلى مالك أعشو[1] إلى ضوء مالك
فأنفذته بالرمح حين طعنته … معانقة ليست بطعنة باتك[2]
وأثنى لكرز فى الغبار بطعنة … علت جلده منها بأحمر عاتك[3]
قتلنا سُليما غثّهـــا وسمينَها … فصبرا سُليما قد صبرنا لذلك
فإن تك نِسْوانى بكين فقد بكت … كما قد بكت أمٌّ لكرز ومالكِ

وقال :

قتلنا مالكا فبكوا عليــــه … وهل يُغنى من الجزع البكاء
وكُرْزا قد تركناه صريعا … تسيل على ترائبه[4] الدماء
فإن تجزع لذاك بنو سُليم … فقدْ وأبيهم غلب العزاء
فصبراً ياسليم كما صبرنا … وما فيكم لواحدنا كِفاءُ
فلا تبعد ربيعة من نديم … أخو الهلّاك إن ذُمَّ الشتاء
وكم من غارة ورَعيل خيلٍ[5] … تداركها وقد حَمِسَ اللقاء

— ٢ —

ثم إن بنى الشريد حرّموا على أنفسهم النِّساء والدُّهن حتى يدركوا ثأرهم من بنى كنانة ، فأغار[6] عمرو بن خالد بن صخر على بنى فِراس ، فقتل منهم نفراً ؛ منهم عاصم بن المعلَّى ، ونضلة ، والمعارك ، وعمرو بن مالك ، وحصن ، وشريح ، وسبى سبياً فيهم ابنة مكدّم .

---

(١) أعشو : أقصد (٢) السيف الباتك : القاطع (٣) يقال : قوس عاتكة ، إذا قدمت واحمرت (٤) الترائب : عظام الصدر (٥) الرعيل : القطعة من الخيل
(٦) هذا هو يوم الفيفاء .

فقال عباس بن مرداس فى ذلك يردّ على ابن جذل كلمته التى قالها يوم برزة :

أَلا أَبْلِغَنْ عنى ابنَ جِـذل ورهطَه ... فكيف طلبنـاكم بكُرْزٍ ومالك
غداة فَجَعنا كم بحصنٍ وبابنه ... وبابن المعلّى عاصم والمعـارك
ثمـانية منهم ثأرناهم به ... جميعاً وما كانوا بَوَاء[1] بمـالك
نذيقكم ـ والموت يبنى سرادقاً ... عليكم ـ شَبا حدّ السيوف البَوَاتك
تلوح بأيدينـا كما لاح بارق ... تَلألأَ فى داجٍ من الليـلِ حالكِ
صَبَحْناكم لعوْجِ العَنَاجيج[2] بالضُّحَى ... تمرُّ بنا مرّ الرياحِ السَّواهك[3]
إذا خرجت من هَبْوَةٍ[4] بعد هَبْوَةٍ ... سَمَتْ نحو مُلْتَفّ من الموتِ شائك

وقال هند بن خالد بن صخر بن عمرو بن الشريد :

قتلت بمـالك عمراً وحِصْنًا ... وخلّيت القتام على الخدود
وكُرْزًا قد أَبَأْتُ به شريحًا ... على إثر الفوارس بالكديد
جزيناكم بمـا انتهكوا وزِدنا ... عليـه ما وجدنا من مزيد

(١) البواء : الكفء. (٢) العناجيج جمع عنجوج : الرائع من الخيل، وقد استعملوا العناجيج فى الإبل أيضا. (٣) ريح ساهك : عاصف شديدة المرور. (٤) الهبوة : الغبرة .

(٣) حروب الفجار*

أيام الفجـــــــار الأول

اليوم الأول

كان بَدْرُ بن معشر الغفارى[1] رجلا منيعًا مستطيلا بِمَنَعَتِهِ على مَنْ وَرَد عُـكاظ . وفى أحدِ المواسم بعُـكاظ اتّخذ مجلسًا بها ، وقعد فيه ، وجعل يتطاول على الناس ويقول :

نحن بنو مُدركة بن خِنْدِفِ[2] من يَطعنوا فى عينه لا يَطْرِف
ومن يكونوا قومَه يُغطْرِف[3] كأنهم لُجَّة بحرٍ مُسدِفِ[4]

ثم مدّ رجله وقال : أنا أعزّ العرب ، فمن زعم أنه أعزُّ منى فلْيضربها بالسيف ! فوثب رجل من بنى نصر[5] بن معاوية ، فضربه بالسيف على ركبته فأندرها[6] ،

* بين كنانة وقيس ، سميت الفجار ؛ لأنهـا كانت فى الأشهر الحرم ، وهى الشهور التى يحرمونها ففجروا فيها ، وهى فجاران ؛ الفجار الأول ثلاثة أيام ، والفجار الثانى خمسة أيام فى أربـع سنين ، وقد حضر النبى صلى الله عليـه وسلم يوم عكاظ مع أعمامه وكان يناولهم النبل ، وانتهت سـنة ٥٨٩ م

ابن الأثير ص ٣٥٩ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣٦٨ ج ٣ ، تاريخ العرب فى الجاهلية لجورجى زيدان ص ٢٤١ ، الأغانى ص ٧٤ ج ١٩ ، سرح العيون ص ٥٨ ، شواعر العرب ص ٦١

(١) ينتهى نسبه إلى عبد مناه بن كنانة (٢) خندف : زوج إلياس بن مضر ، وإليها نسب أولاد إلياس جميعا (٣) قال فى اللسان : الغطريف والغطارف : السيد الشريف السخى الـكثير الخير ، وأنشد :

* ومن يكونوا قومه تغطرفا *

(٤) مسدف : مظلم (٥) اسمه الأحمر بن مازن (٦) أندرها : قطعها .

ثم قال : خُذْها إليك أيها الخندف ـ وهو ماسك سيفَه ـ ثم قام رجلٌ من هوازن فقال :

أنا ابنُ همـدان ذو التّغطرُف بحر بحور زاخر لم يُنزَف

نحن ضَرَبنَا رُكْبَة الخنـدفِ إذ مدَّها فى أشهر المعرّف[1]

قال أبو عبيدة : فتحاور الحيّان عند ذلك، حتى كاد أن يكون بينهما الدماء ، ثم تراجَعُوا ورأوا أن الخطبَ يسير.

(١) المعرف : الموقف بعرفات .

اليوم الثانى *

قالوا: إن شباباً من قُرَيش وكِنانة كانوا ذوى غرام ، فرأوا المرأةَ من بنى عامر وضيئة حُسَّانة[1] بسوق عُكاظ جالسة ، وهى فُضُل[2] عليها بُرْقع لها ، وقد اكتنفها شبابٌ من العرب وهى تحدّثهم.

فجاء الشباب من قريش وكِنانة ، وأطافُوا بها وسألوها أن تُسْفِر ، فأبت ، فقام أحدهم فجلس خَلْفَهاَ وحلّ طرف ردائهـا ، وشدّه إلى فوق حُجْزَتها[3] بشَوْكة — وهى لا تعـلم — فلما قامت انـكشف دِرْعُها[4] عن ظَهْرِها؛ فضحكوا وقالوا : منعتِنا النَّظَرَ إلى وجهك ، وجُدْتِ لنا بالنَّظر إلى ظَهْرِك .

فنادت: يالَ عَامر ! فساروا وحملوا السلاحَ ، وحملته كِنانة ، واقتتلوا ، ووقعت بينهم دماء يسيرة ، فتوسَّط حَرْبُ بن أُميّة ، واحتمل دماء القوم ، وأرضى بنى عامر من مُثْلة صاحبتهم .

---

* بين قريش وكنانة وقيس ، وانتهى بصلح توسط فيه حرب بن أمية

(١) الحسانة : المرأة الحسنة (٢) يقال امرأة فضل: فى ثوب واحد (٣) الحجزة : معقد الإزار من السراويل (٤) الدرع : القميص .

اليوم الثالث *

كان لرجل من بنى جُشَم بن بكر بن هوازن دَيْنٌ على رجل من كِنانة ، فلَوَاه به[١] ، وطال اقتضاؤُه إياه ، فلم يُعْطه شيئاً ، فلما أعياه وافاه الجشمى فى سوق عُكاظ بِقِرْد وجعل ينادى : مَن يبيعنى مِثْل هـذا الرُّبَّاح[٢] بمالى على فلان بن فلان الكنانى ! من يعطينى مِثْل هذا بمالى على فلان بن فلان الكنانى ! رافعاً صوته بذلك ؛ فلما طال نِدَاؤُه بذلك ، وتعييرُه به كنانة مرّ به رجلٌ منهم ؛ فضرب القِرْد بسيفه فقتله ، فهتف الجشمى : يا آل هوازن ! وهتف الكنانى : يا آل كنانة ! فتجمَّع الحيّان حتى تحاجزوا ، ولم يكن بينهم قتْلى ، ثم كفّوا وقالوا : أفى رُبّاح تُريقون دماءكم ، وتقتلون أنفسكم ! وأصلح عبد الله بن جُدَعان بينهما .

---

* بين كنانة وقيس ، وتحاجز الحيان ، وأصلح بينهما عبد الله بن جدعان .

(١) لواه : ماطله (٢) الرباح : القرد .

أيام الفجار الثـــانى

١ — يوم نخلة*

كان البَرّاض[١] بن قيس الـكنانى سكّيراً فاسقاً ، خلَعه قومُه وتبرّءوا منه ، فشربَ فى بنى الدِّيل[٢] فخَلَعُوه ، فأتى مكة وأتى قريشًا ، فنزل على حَرْب بن أُميّة ، فحالفه وأحْسَن جواره ، وشرب بمكّة حتى هَمّ حَرْب أن يخلَعه ، فقال لحرب : إنه لم يبقَ أحدٌ مِمّن يعرفنى إلا خَلَعنى سواكَ ، وإنك إن خلعتنى لم يَنظُر إلىّ أحدٌ بَعْدَك ، فدَعْنى على حِلْفِك وأنا خارج عنك؛ وتركه وخرج .

وكان النُّعْمان بن المنذر قد بعث إلى سوق عكاظ إذ ذاك بلَطيمة[٣] يُجيزها له سيِّد مُضَر ، فتُباع ويُشترى له بثمنها الأَدَم والحرير والوِكاء[٤] والبرُود من العَصْب[٥] والوَشْى والمسيّر[٦] والعدنى .

وكانت سوقُ عكاظ فى أول ذى القعدة ، فلا تزال قائمة[٧] يباع فيهـا ويشترى إلى حضور الحج .

---

* لقيس عيلان على كنانة وقريش ، ونخلة: موضع قريب من مكة فيه نخل وكروم

(١) كان يضرب المثل بفتـكه ، فيقال : أفتك من البراض ، قال بعضهم :

والفتى من تعرفته الليـالى ... فهو فيها كالحية النضناض

كل يوم له بصرف الليـالى ... فتكة مثـل فتكة البراض

(٢) بنى الديل : حى من عبد قيس (٣) اللطيمة : العير التى تحمل الطيب وبز التجار

(٤) الوكاء : رباط القربة وكل ما شد رأسه من وعاء ونحوه (٥) العصب من الثياب : اليمانية (٦) المسير : نوع من البرود فيها خطوط تعمل من القز (٧) كان قيامها فيما بين النخلة والطائف ، وبها نخل وأموال لثقيف .

وجهز النعمان لطيمةً له وقال : من يُجيزها ؟ فقال البرّاض : أنا أجيزها على بنى كنانة(١) . فقال النعمان : إنما أريد رجلا يُجيزها على أهل نجد ، فقال عروة(٢) الرّحال ـ وهو يومئـذ رجلُ هوازن ـ أكَلْبٌ خليع يجيزُها لك ؟ أبيتَ اللعن ! أنا أجيزُها لك على أهل الشِّيح والقَيْصُوم(٣) فى أهل نجد وتهامة !

فقال له البرّاض : أعَلَى بنى كنانة تجيزها ياعُرْوَة؟ فقال عُروة : وعلى الناس جميعا !

فدفعها النعمان إلى عُروةُ ، وخرج بها ، وتبعه البرّاض ، وعُروة يَرى مكانه ولا يَخشاه ، حتى إذا كان بأرْض يقال لهـا : أُوارة(٤) نزل عُروة وشرب من الخمر ، وغنّته قَيْنَة ، ثم قام فنام .

فجاء البرّاض فدخل عليه ، فناشده عروة وقال : « كانت منى زَلّة ، وكانت الفعلة منى ضلّة » ؛ ولـكن البرّاض قتله(٥) ، وهرب عَضَاريط(٦) الإبل ، واستاق البرّاض اللطيمة إلى خَيْبَر .

(١) يريد أهل الحجاز (٢) هو عروة بن عتبة بن جعفر ، من بنى عامر بن صعصعة ، وأهل بيته ينتسبون إلى جعفر فيقال الجعفريون ، وكان يعرف بعروة الرحال ـ لرحلته إلى الملوك ، وكان من ذوى العقل والشهامة ، وهو من أرداف الملوك فى الجاهلية (٣) الشيح والقيصوم : نبتان وهو يريد أنه يجيزها على العرب جميعاً (٤) أوارة : ماء لبنى تميم (٥) وقد ارتجز البراض فى قتل عروة :

قد كانت الفعـلة منى ضلة هلا على غيرى جعلت الزلة
فسوف أعلو بالحسام القـلة

وقال أيضاً :

وداهية يهال النـاس منها شددت لها بنى بكر ضلوعى
هتـكت بها بيوت بنى كلاب وأرضعت الموالى بالرضوع
جمعت لها يدى بنصل سيف أفل فخر كالجذع الصريع

سيف أفل : ذو فلول .

وقال :

نقمت على المرء الـكلابى فخره وكنت قديماً لا أقر فخاراً
علوت بحد السيف مفرق رأسه فأسمع أهل الواديين خواراً

(٦) العضاريط : الخدم القائمون على الإبل .

وتبعه رجلان من قيس ليأخذاه ؛ أحدهما من غنيّ ، والآخر من غطفان ، ولما وصلا إلى خيبر كان البرّاض أوّلَ من لقيهما ، فقال لهما : مَن الرجلان ؟ قالا : مِنْ قيس ؛ واحدٌ منا من غطفان ، والآخر من غنيّ ؛ فقال البرّاض : وما شأن غطفان وغنى بهذه البلدة ؟ فقالا : ومَنْ أنت ؟ فقال : من أهل خيبر ، قالا : ألك علم بالبرّاض بن قيس ؟ فقال : دخل علينا طريداً خليعا فلم يؤوه أحدٌ من خيبر ، ولا أدخله بيتا . قالا : فأين يكون ؟ فقال : وهل لكما به طاقة إن دَلَلْتُكما عليه ؟ قالا : نعم . قال : فانزلا واعقلا راحلتيكما ، ففعلا .

ثم قال : فأيُّكما أجرأ عليه وأمضى مَقْدما ، وأحدّ سيفًا ؟ فقال الغطفانى: أنا ! قال البرّاض : فانطلق أدُلّك عليه ، ويحفظ صاحبُك راحلتيكما ، ففعل .

وانطلق البراض يمشى بين يدى الغطفانى حتى انتهى إلى خَرِبة فى جانب خَيْبر ، خارجةٍ عن البيوت .

فقال البرّاض : هو فى هذه الخربة وإليها يأوى ، فأنظرنى حتى أنظر أهو فيها أم لا ؛ فوقف له ودخل البرّاض ، ثم خرج إليه وقال : هو نائمٌ فى البيت خَلْف الجدار عن يمينك إذا دخلت ؛ فهل عندك سيفٌ فيه صَرامة ؟ قال : نعم ، قال : هات سيفَك أنظرُ إليه أصارم هو ؟ فأعطاه إياه ، فهزّه البرّاض ثم ضربه به حتى قتله ، ووضع السيف خَلْف الباب .

وأقبل على الغنوى فقال له[1] : ما وراءك ؟ قال : لم أر أجْبَن من صاحبك ؛ تركتُه قائما فى الباب الذى فيه الرجل ، والرجل نائم، لا يتقدّم إليه ولا يتأخر عنه. فقال الغنوى : يالهفاه ! لو كان أحدٌ ينظر راحلتينا ؟ فقال البرّاض: هما علىّ إن ذهبتا.

وانطلق الغنوى والبرّاض خَلْفه، حتى إذا جاوز الغنوى باب الخربة أخذ البراض السيفَ من خلف الباب ، ثم ضربه حتى قتله ، وأخذ سلاحيهما وراحلتيهما وانطلق.

(١) أى للبراض .

ولقى البرَّاض بشرَ بن أبى خازم فقال له : هذه القلائص[1] لك على أن تأتى حرب بن أمية وعبد الله بن جُدعان وهشاما والوليد ابنى المغيرة فتخبرهم أن البرَّاض قتل عُروة ، فإنى أخاف إن يَسْبق الخبرُ إلى قيس[2] أن يكتموه حتى يقتلوا به رجلا من قومك عظيما . فقال له : وما يؤمنك أن تكون أنتَ ذلك القتيل . قال : إنّ هوازن لا ترضى أن تقتلَ بسيدها رجلا خليعا مثلى .

وكانت العرب إذا قدمت عُكاظ دفعت أسلحتها إلى عبد الله بن جُدعان[3] حتى حتى يفرَغوا من أسواقهم وحَجِّهم ، ثم يردّها عليهم إذا ظعنوا — وكان سيّدا حكيما مُثريًا من المال — فجاء القومُ وأخبروه خبرَ البرَّاض وقتلِه عروة ، وأخبروا حرْب ابن أمية وهشاما والوليد ابنى المغيرة .

وجاء حربٌ إلى عبد الله بن جدعان فقال له : احتبس قِبَلك سلاحَ هَوازن . فقال له ابن جُدعان : أَبِالغَدْر تأمرنى يا حرب ! والله لو أعلم أنه لا يبقى منها سيف إلا ضُربتُ به ، ولا رمح إلا طعِنت به ما أمْسَكْتُ منها شيئا ؛ ولكن لكم مائة دِرْع ، ومائةُ رمح ، ومائة سيف فى مالى تستعينون بها .

ثم صاح ابنُ جُدعان فى الناس : مَن كان له قِبَلى سِلَاحٌ ، فليَأْتِ وليأخذه . فأخذ الناس أسلحتهم .

وبعث ابن جُدعان وحَرْب بن أمية وهشام والوليد إلى أبى براء زعيم هوَازن : إنه قد حدث فى قومنا بمكة حَدَث أتانا خبره ، وقد خفنا تفَاقُمَ الأمر ، فلا تنكروا خروجنا ولا يرد عَنْكم تحمّلنا . وساروا على كل صَعْب وذَلُول راجعين إلى مكة .

---

(١) القلائص : جمع قلوص ، وهى الشابة من الإبل (٢) قيس : قوم عروة وهو ينتهى إلى عامر فهوازن فقيس عيلان (٣) كانت له جفنة يأكل منها القائم والراكب لعظمها ، وربما كان يحضر النبى صلى الله عليه وسلم طعامه .

فلما كان آخر النهار أتى عامرَ بن مالك مُلاَعِب الأسنّة الخبرُ ، فقال : غَدَرَت قريش ، وخدعنى حربُ بن أُمية ، والله لا تنزل كنانةُ عكاظَ أبداً ، ثم ركبوا فى إثرهم حتى أدركوهم بنخلة ، فاقتتلوا حتى دخلت قريش الحرم ، وجنّ عليهم الليل ؛ فكفّوا .

ونادى أحد بنى عامر[١] : يامعشر قريش ؛ ميعاد ما بيننا هـذه الليلة من العام المقبل بعُكاظ .

(١) اسمه الأدرم بن شعيب .

٢ — يوم شَمْطَة*

تجمَّعت قريشٌ وكنانة بأَسْرِها والأحابيش(١) ومَنْ لحق بهم من بنى أسد بن خزيمة ؛ وسلَّح يومئذ عبد الله بن جُدْعان مائةَ كَمِىّ(٢) بأداةٍ كاملة ، سِوَى من سلَّح من قومه ، وجمعت سليم وهوازن(٣) جموعَها وأَحْلافَها غير كلاب وبنى كعب(٤) ؛ فإنهما لم يشهدا يوماً من أيام الفجار غير يوم نَخْلة .

فاجتمعوا بشَمْطَة من عكاظ فى الأيام التى تَوَاعدوا فيها على قَرْن الحَوْل ؛ وعلى كلٍّ قبيلة من قريش وكنانة سيِّدُها ، وكذلك على قبائل هوازن وسليم ؛ غير أنّ أمر كنانة كلها إلى حرب بن أمية . وعلى إحدى مُجَنِّبَتَيْهَا(٥) عبد الله بن جُدعان وعلى الأخرى هشام بن المغيرة ، وأمرهوازن وسليم كلها إلى مَسْعُود بن معتِّب الثَّقفى .

وتناهَض النـاس ، وزحف بعضُهم إلى بعض ؛ فكانت الدائرةُ فى أول النهار لكنانة على هوازن ؛ حتى إذا كان آخرُ النهار تداعت هوازن ، وصابرت ، وانقشعت كنانة ، واستحرّ(٦) القتْل فى قريش ، ولمـا رأى ذلك أبو مُساحق بلعاء بن قيس

---

* لقيس على كنانة وقريش ، وشمطة : موضع قريب من عكاظ

(١) الأحابيش : يسمون أحابيش قريش ، وسموا كذلك لأنهم تحالفوا بالله أنهم ليد على غيرهم ، ماسجاليل وما وضح نهار ، ومارسا حبشى (جبل بأسفل مكة) (٢) الـكمى : الشجاع

(٣) كان على بنى عامر ملاعب الأسنة أبو براء ، وعلى بنى نصر وسعد وثقيف سبيع بن ربيع . وعلى بنى جشم الصمة (والد دريد) وعلى غطفان عوف بن أبى حارثة . وعلى بنى سليم عباس بن زغل . وعلى فهم وعدوان كدام بن عمرو ، وجميعهم من قيس عيلان (٤) كعب وكلاب : حيان فى بنى عامر (٥) المجنبة اليمنى : هى ميمنة العسكر ، والمجنبة اليسرى : هى الميسرة ، وهما مجنبتان بكسرالنون ، وقيل : هى الـكتيبة التى تأخذ إحدى ناحيتى الطريق، قال فى اللسان : والأول أصح (٦) استحر : اشتد .

قال لقومه : الحقوا برَخم[1] ؛ ففعلوا وانهزم الناس ، وفى ذلك يقول خِداش[2] ابن زهير :

ألا أبلغ إن عرضْت به هشاماً وعبد الله أبْلغ والوليـــدا
أولئك إن يكن فى الناس خيرٌ فإنّ لديهمُ حسَبًا وجُودا
همُ خـيرُ المعاشر مِنْ قريشٍ وأوْرَاها إذا قدحت زُنُودَا
بأنا يوم شَمْطَةَ قد أقمْنَا عمود المجد إن له عمودا
جلبنا الخيـلَ ساهمةً إليهم عوَابس يدَّرِعْن النقع قُودا[3]
فبِتْنَا نعقد السِّيما[4] وباتُوا وقلنا صبحوا الأَنَس[5] الجديدا
فجاءوا عارضًا بَرَداً وجئنا كما أضرمتَ فى الغاب الوَقودا[6]
ونادوا يالعمروٍ لا تفرُّوا فقلنا لا فرار ولا صُدودا[7]
فعارَكْنا الكُماة[8] وعاركونا عراكَ النُّمْرِ عاركت الأسودا
فولّوا نضرب الهـــاماتِ منهم بما انتَهَكُوا المحارمَ والحدودا

---

(١) رخم : موضع قريب من مكة (٢) هو خداش بن زهير بن عمرو ، من عامر بن صعصعة (٣) قود : جمع أقود ، وهى الخيل السلسة القياد . والنقع : الغبار الساطع . والخيل الساهمة : التى تتغير ألوانها مما بها من الشده ، ومنه قول عنترة :

والخيل ساهمة الوجوه كأنمـــا يسقى فوارسها نقيع الحنظل

(٤) السيما : العلامات (٥) الأنس : الحى المقيمون (٦) العارض : السحاب، والبرد : المطر، كأنهم أمطروا سهاما (٧) لاصدودا : لايصدهم أحد (٨) الكماة : جمع كمى وهو الشجاع .

٣ — يوم العَبْلاء*

عادت هَوَازن وكنانة إلى الحرب ، والتقوا على قرن الحَوْل في اليوم الثالث من أيام عُكاظ ، واقتتلوا وكانت الهزيمةُ على كِنانة(١) ، فقال خِداش بن زهير :

ألم يبلغك بالعَبْـــلاء أنّا ضربنا خِندِفا حتى استقادوا
نبنّي بالمنــازل عزّ قيسٍ ووَدّوا لو تَسيخُ بنا البـلاد

وقال أيضا :

ألم يبلغْك ما قالت قريش وحيّ بني كنانة إذ أُثِيروا
دهمناهم بأرْعَن مكْفهَرّ فظلّ لنـا بعَقْوَتهم زئير(٢)
نُقَوّم مَارِن الخطّى فيهم يجيء على أسنتنا الجريرُ

---

* لقيس على كنانة وقريش ، والعبلاء: علم على صخرة بيضاء إلى جنب عكاظ

(١) وفي هذا اليوم قتل العوام بن خويلد (والد الزبير بن العوام) ، قتله مرة بن معتب الثقفي وفي ذلك يقول رجل من ثقيف :

منا الذي ترك العوام مجندلا تنتاب الطير لحمـاً بين أحجار

(٢) الأرعن : الأنف العظيم من الجبل ، وشبه به الجيش ، يقال : جيش أرعن ، أي له فضول كرعان الجبل ، والمكفهر: السحاب الغليظ المسود الراكب بعضه بعضا ، شبه به الجيش، والعقوة: الساحة والمحلة .

٤ — يوم عُكاظ *

التقت كِنانة وقيسُ على رأس الحول من اليوم الرابع من أيام عُكاظ ، وقد جمع بعضُهم لبعض ، واحتشد الرؤساء بحالهم[1] ؛ وحمل عبدُ الله بن جُدعان يومئذ ألفَ رجل من بني كنانة على ألف بعير ، وخشيت قريش أن يجريَ عليها ما جرى يوم العَبْلاء ، فقيّد حرب وسفيان وأبو سفيان[2] بنو أُمية بن عبد شمس أنفسَهم وقالوا : لا نبرح حتى نموت مكاننا ، أو نظفر !

واقتتل الناسُ يومئذ قتالا شديداً ، وثبت الفريقان حتى همّت بنو بكر بن عبدمناه وسائر بطون كنانة بالهرَب ، وكانت بنو مخزوم تَلِي كِنانة فحافظت حفاظًا شديداً، وكان أشدَّهم يومئذ بنو المغيرة ؛ فإنهم صبروا وأبْلَوْا بلاءً حسنًا ؛ فلما رأت ذلك بنو عبد مناه بن كنانة تذامروا[3] فرجعوا ، وحملتْ قريش وكِنَانة على قيس من كل وَجْه حتى انهزمت .

---

* لكنانة وقريش على هوازن

(١) لما خرجت قريش للموعد ، كان على كل بطن رئيس ، فكان على بني هاشم الزبير بن عبد المطلب ، ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإخوته أبو طالب وحمزة والعباس ، وعلى بني أمية وأحلافها حرب بن أمية ، وعلى بني عبد الدار عكرمة بن هاشم ، وعلى بني أسد خويلد ابن أسد ، وعلى بني مخزوم هشام بن المغيرة (والد أبو جهل) ، وعلى بني تيم عبدالله بن جدعان، وعلى بني جمح معمر بن خبيب ، وعلى بني سهم العاص بن وائل ، وعلى بني عدى زيد بن عمرو، وعلى بني عامر بن لؤى عمرو بن عبد شمس (والد سهيل بن عمرو) ، وعلى بني فهر عبد الله بن الجراح (والد أبي عبيدة) ، وعلى بني بكر بن عبد مناه بلعاء بن قيس ، وعلى بني أسد بشر بن أبي خازم ، وعلى بني فراس بن غنم عمير بن قيس

(٢) في ابن الأثير : أبو العاص

(٣) تذامروا : تلاوموا على ترك الفرصة . وقد تكون بمعنى تحاضوا على القتال .

ولما رأى أبو السيد النصرى[1] ما تَصْنَعُ كِنانةُ من القتل نادى : يامعشر بنى كنانة ؛ أسرفتم فى القتل . فقال ابن جُدعان : إنا معشرٌ يُسْرِف . ولما رأى سبيع بن ربيع هزيمةَ قبائل قيس عَقَل نفسه واضطجع وقال : يامعشر بنى نصر ؛ قاتلوا عنى أو ذَرُوا ؛ فعطفت عليه بنو نصر وجشم وسعد بن بكر وفهم وعدوان[2] ، وانهزم باقى قبائل قيس ، وقاتل هؤلاء ولكنهم لم يغنوا شيئاً .

وكان مسعود بن معتب الثَّقَفى قد ضرب على امرأته سبيعة بنت عبد شمس ابن عبد مناه خِباء ، وقال لها : مَنْ دَخَله من قريش فهو آمن ، فجعلت توصل فى خبائها ليتّسع؛ فقال لها : لا يتجاوزنى خباؤك، فإنى لا أُمضى إلا مَن أحاط به الخباء. فأَحْفَظَها ، فقالت : أما والله إنى لأَظُنُّ أنك سَتَوَدُّ أن لو زدْت فى تَوْسِعَته .

فلما انهزمت قَيْس دخلوا خباءها مستجيرين بها ؛ فأجار لها حَرْب بن أمية جيرانها ، وقال لها : ياعمّة ؛ من تمسّك بأطناب خبائك أو دار حوله فهو آمن . فنادت بذلك ، فاستدارت قيسٌ بخبائها حتى كثروا ، فلم يبق أحدٌ لا نجاة عنده إلا دار بخبائها ، فقيل لذلك الموضع : مَدار قيس ، وكان يضرب به المثل ، فتغضب قيس[3] .

* * *

وفى هذا اليوم قال ضرار بن الخطاب الفِهرى :

ألم تسأل الناس عن شأننا ولم يُثْبِتِ الأمرَ كالخابر

غداة عكاظ إذ استكملت هوازن فى كفها الحاضر

---

(١) من قيس ، وهو عم مالك بن عوف (٢) قبائل فى قيس (٣) كان مسعود بن معتب قد أخرج معه يومئذ بنيه : عروة ولوحة ونويرة والأسود ، فكانوا يدورون وهم غلمان فى قيس يأخذون بأيديهم إلى خباء أمهم ليجيروهم فيسودوا ، بذلك أمرتهم أمهم أن يفعلوا .

وجاءت سليم تَهزُّ القنـــا على كل سَلْهبة[١] ضامر
وجئنا إليهم على المضمرات بأرعن ذى لَجَب زَاخر[٢]
فلمـــا التقينا أَذَقْنَاهُمُ طِعانا بسُمْرِ القنَا[٣] العـائرِ
ففرّت سليم ولم يصبروا وطارت شَماعا[٤] بنو عامر
وفرت ثقيف إلى لَاتِهـا[٥] بمنقلب الخـائب الخاسر
وقاتلت العنْس[٦] شطر النهـا ر ثم تولّت مع الصادر

(١) السلهبة : الفرس الجسيمة ، والضامر : الفرس الدقيق الحـاجبين (٢) الأرعن : الجيش ، واللجب : الصياح (٣) السهم العائر : الذى لا يدرى من أين يأتى (٤) شماعا : متفرقين (٥) اللات : صنم (٦) العنس : قبيلة .

٥ — يوم الحُرَيرة*

ثم جَمع هؤلاء وأولئك ، والتقوْا على رأس الحول بالحرَيرة ، والرؤساء بحالهم إلا بلْعاء بن قيس فإنه قد مات ، فصار أخوه جُثامة بن قيس مكانه على عشيرته ، واقتتلوا ؛ فانهزمت كنانة .

ثم كان الرجلُ بعد ذلك يَلْقَى الرجلَ ، والرجلانِ يلقيان الرجلين ؛ فيقتل بعضهم بعضاً .

ثم تداعَوْا إلى الصلح على أن يعدّوا القتلى ، فأىّ الفريقين فضل له قتلى أخذ ديتَهم من الفريق الآخر ، فتعادّوا القتلى فوجدوا قريشاً وبنى كنانة قد أفضلوا على قيس عشرين رجلا .

فرهن حرب بن أمية ابنَه أبا سفيان، ورهن الحارث بن كلْدَة العبدى ابنه النضر، ورهن سفيان بن عوف ابنه الحارث . ولما رأت قيس رهائنَ قريش بأيديهم رغبوا فى العفْو فأطلقوهم ، وانصرف الناس بعضهم عن بعض ، ووضعوا الحرب .

وفى تلك الوقعة قال خِداش بن زهير :

لقدْ بلوكُمْ فأبلوكم بلاءهمُ ... يومَ الحُريرة ضَرْبًا غير تكذيب
إن توعدونى فإنى لَابْنُ عمكمُ ... وقد أصابوكُمْ منه بشؤبوبِ
وإنَّ ورقاء قد أودى أبا كَنفٍ ... وابنَىْ إياس وعَمرا وابن أيوب
وإن عثمان قد أودى ثمانيةً ... منكم وأنتم على خُبْرٍ وتجريب

(*) لقيس على كنانة وقريش ، والحريرة موضع بين الأبواء ومكة قرب نخلة .

وقالت أُميمة بنت أُميّة بن عبد شمس ترثى أخاها أبا سفيان بن أمية ومن قتل من قومها :

أبَى ليلكَ لا يذهبْ ونِيطَ الطرف بالكوكبْ (١)
ونجمٌ دونَه النسران بين الدلو والعقرَبْ (٢)
وهـذا الصُّبْحُ لا يأتِي ولا يدنُو ولا يقرُبْ
بِعُقَرٍ عشيرة منَّا كرام الخِيم والمنصب (٣)
أحال (٤) عليهمُ دهرٌ حديدُ النَّابِ والمخلب
فحـلَّ به وقد أمِنُوا ولم يُقصَرْ ولم يُشطب (٥)
وما عَنْـه إذا ما حلَّ م مِنْ منجًى ولا مَهرَبْ
ألا ياعينِ فابكيهمْ بدمعٍ منك مستغرِب (٦)
فإن أبكى فهم عزِّى وهم ركنى وهم منكِب (٧)
وهم أصلى وهم فرعى وهم نسبِىَ إذا أُنْسَبْ
وهم مجدى وهم شرَفِى وهم حِصْنِى إذا أرْهَبْ
وهم رُمْحى وهم تُرْسى وهم سيفى إذا أغْضَبْ
فكم من قائلٍ منهمْ إذا ما قال لم يكذبْ

---

(١) تريد أن ليلها قد طال لفرط حزنها على القتلى (٢) الدلو والعقرب: من مناطق البروج والنسران هما : النجم الطائر والنجم الواقع وهما اسمان لنجمين ، وهى تزعم أن النجم لا يبرح مكانه كناية عن طول الليل (٣) التقدير : أبكى لعقر ، والخيم : الطباع (٤) أحال عليهم : انتابهم (٥) أقصره : كفه . وشطبه : قطعه؛ تقول أصابهم الدهر بضرباته حين كانوا يأمنون منها فلم يدفعها عنهم دافع (٦) استغوب الدمع : سال (٧) تريد أنهم فخرى وسندى .

وكم من ناطقٍ فيهمْ خطيب مِصْقَعٍ مُعْرِبِ[١]
وكم من فارس فيهمْ كَمِيٍّ مُعْلَمٍ مِحْرَبِ[٢]
وكم من مِدْرَهٍ فيهمْ أريب حُوَّلٍ قُلَّبْ[٣]
وكم من جَحْفَلٍ فيهمْ عظيمِ النَّارِ والمَوْكِبْ[٤]
وكم من خِضْرِمٍ فيهمْ نجيبٍ ماجدٍ مُنْجِبْ[٥]

***

وقالت فاطمة[٦] بنت الأحجم ترثى الجرّاح[٧] زوجها :

ياعين بكّى عنـــد كل صباح[٨] جودى بأربعـة[٩] على الجرّاح
قد كنتَ لى جبَـلا ألوذُ بظلّه فتركتنى أَضْحَى بأجْرَدَ ضاح[١٠]
قد كنتُ ذاتَ حِميَّة ما عشتَ لى أَمْشى البَرَازَ وكنتَ أنتَ جَناحى[١١]
فاليوم أَخضع للذليـــل وأتقى مِنْه وأدفع ظالمى بالرّاح[١٢]

(١) المعرب : الفصيح (٢) الـكمى : الشجاع ، والمعلم: الفارس الذى يجعل لنفسه علامة الشجعان فى الحرب . والمحرب : الـكثير الحروب (٣) المدره : السيد المتولى أمر قومه ، والأريب : المـاهر الحاذق ، والحول : الشديد الاحتيال (٤) الجحفل : الجيش الـكبير ، والموكب : الجماعة (٥) الخضرم : السيد الجواد (٦) أمها خالدة بنت هاشم بن عبدمناف نبغت فى أواخر القرن السادس للمسيح (٧) حكى أن فاطمـة الزهراء كانت تتمثل بهـذه الأبيات بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم (٨) اختصت الصباح لأنه كان وقت نكايته بأعدائه (٩) لعلها تريد الموقين واللحاظين (١٠) قال فى التبريزى عند شرح هذا البيت : الأجرد : الأملس والضاحى : البارز للشمس ، أى انـكشفت بعـد أن كنت فى ستر (١١) يقال : فلان حمى الأنف ، أى لا يحتمل الضيم ، والبراز : الفضاء ، وهى تريد أن حياتك كانت تشد أزرى (١٢) تريد أنه لا ناصر لها ، ولا سلاح عندها تدفع به عن نفسها من يظلمها ، وتـكتفى برد من يظلمها بدفعه بالراح ١٠

وأغُضُّ مِنْ بصرى وأعلم أنَّه   قد بانَ حدُّ فوارسى ورِمَاحى (١)
وإذا دعت قُمريَّةٌ شجناً لهـا   يوماً على فَنَنٍ دعوت صَبَاحى (٢)
أمست ركابك يابْنَ ليلى بدَّناً   صنفين بين مَوَاخِضٍ ولقاحى (٣)
ولقد تظل الطَّيْرُ تَخْطَفُ جُنَّحًا   منها لُحومُ غواربٍ وصِفَاحِ (٤)
ومطوَّحٍ قَفْرٍ دعوتُ نعامه   قبـل الصباح بِضُمَّرٍ أطْلَاحِ (٥)
وخطيب قومٍ قدَّموه أمامَهم   ثقةً به مُتَخَمِّطٍ (٦) تيَّاحِ (٧)
جاوَبْتَ خطبته فظلَّ كأنَّه   لمَّا نطقتَ مملَّحٌ بِمِلَاحِ (٨)

***

(١) بان : بعد ؛ تقول : احتمل الظلم وأحتمل الضيم لعلمى بأن قد ابتعدت أسنة الرماح التى كان يدافع بها الفرسان عنى (٢) قال التبريزى فى شرح هذا البيت : أى أقول : واسوء صباحاه ! والشجن معناه : الحزن (٣) الركاب : الإبل لا مفرد لها من لفظها ، وليلى أمه، والبدن : جمع بادن وهو عظيم البدن ، واللقاح : الإبل بأعيانها، الواحدة لقوح ، وهى الحلوب، تمدحه بسعة ثروته والمواخض : المقرب من النوق ، ونصب شجنا لأنه مفعول له ؛ لأن الشجن يحملهـا على الدعاء ، (٤) الجنح: جمع جانح، أى مائل، ومنها تعود إلى الركاب، والغوارب : جمع غارب وهو الـكاهل وسنام البعير والصفاح : جمع صفح وهو الجنب ، تريد : أنه يضحي لضيفه وللمحتاجين ضحايا ، ولـكثرتها ينال منها الطيور (٥) المطوح : المفازة الواسعة يتيه بها السالك فيها، والاطلاح : جمع طلح ، وهو المهزول كالضامر ، تقول إنه يسلك فى الصحارى القفرة ويسير فيها غدوة قبل النعام ، لرباطة جأشه ، ويركب خيلا خفيفة قليلة اللحم ، أهزلها بكثرة ركوبها (٦) المتخمط : المتـكبر (٧) التياح : من يتعرض لما لا يعنيه (٨) الملاح : جمع ملح ، تمدحه بالبـلاغة واللسن ، تقول فى البيتين : ربمـا أتاك خطيب مدره اختاره قومه ، واثقين بفصاحته ، وهو يعظم نفسه ، ويتعرض لأمور ليست من شأنه ، فأفحمته بجوابك له ، فـكان أمامك كأنه تفه لا طعم له ، فملحته بملاح ، أى عمل كلامك فيه فبين نقصه .

وقالت ترثى إخوتها :

إخوتى لا تبعَدوا أبداً ... وبلَى والله قد بَعِدوا[1]
لو تملَّتْهم عشيرتُهم[2] ... لاقتناء العزّ أو وَلَدُوا
هان من بعض الرزيّة أو ... هان من بعض الذى أجِد[3]
كل ما حىٌّ وإن أُمِروا ... وارِدُو الحوض الذى وَرَدُوا[4]

(١) لا تبعدوا : أى لا تهلكوا ، وهى فى هـذا البيت تتحسر وتوجع (٢) تملتهم : تمتعت بهم (٣) هان : جواب لو ، والرزية : المصيبة ، ومعنى البيتين : لو تمتعت بهم عشيرتهم زمناً طويلا حتى حازت العز ، أو خلفوا أولادا لخف بعض المصيبة ، أو بعض ما أجده من الحزن (٤) ما : زائدة وأمروا : عمروا ، والضمير فيه يرجع إلى كل ، والمعنى كل الأحياء وإن عمروا طويلا لا بد أن يردوا الحوض الذى ورده إخوتى .

٨ ـ أيام قيس وتميم

١ — يوم زحرحان .

٢ — « شعب جبلة .

٣ — « ذى نجب .

٤ — « الصرائم .

٥ — « الرغام .

٦ — « جزع ظلال .

٧ — « المرّوت.

(١) يوم رَحْرَحان *

لما قَتل الحارثُ بن ظالم المرّى خالدَ بن جعفر الكلابى غدراً عند النعمان[١] تشاءم قومُه به ، ولاموه ، فكره أن يكون لهم عليه منّة ، فهرب ونَبَتْ به البلادُ .

ثم لحق بتميم واستجار بهم فأجارُوه ، وأبوا أن يُسلموه أو يُخرجوه من عندهم، وعلم بهذا بنو عامر[٢] ، فخرجُوا إليه ، وفيهم كثيرٌ من وجوههم يَزْعمهم الأحْوص ابن جعفر الكلابى أخو خالد بن جعفر ؛ ولما صاروا بأدنى مياه بنى دارم[٣] رأوا امرأةً منهم تجنى الكَمْأَة[٤] ، ومعها جمل لها ، فأخذها رجل منهم وسألها عن الخبر ، فأخبرته بمكان الحارث بن ظالم عند حاجب[٥] بن زُرَارة ، وما وعده من نصره ومنعته .

فلما كان الليل نام ، وقامت المرأة إلى جملها فركِبَتْهُ ، وسارت حتى صبّحت بنى دارم ، وقصدت سيدهم حاجب[٦] بن زرارة بن عُدُس، فأخبرته الخبر ، وقالت : أخذنى أمس قومٌ لا يريدون غيرك ولا أعرفهم . قال : أخبرينى ، أىّ قوم هم ؟ قالت : قوم يُقبلون بوجوه الظباء ، ويُدْبرون بأعجاز النساء . قال : أولئك بنو عامر، فصِفِيهم لى .

---

* لعامر على تميم ، ورحرحان: اسم جبل قريب من عكاظ ، خلف عرفات
ابن الأثير ص ٣٤١ ج ١ ، العقد الفريد ص ٣٦٠ ج ٣ ، النقائض ص ٢١٤ ج ١ ، الأغانى ص ٣٠ ج ١٠ ، معجم البلدان (رحرحان) .

(١) ارجع إلى يوم بطن عاقل صفحة ٢٤٢ من هذا الكتاب (٢) بنو عامر : قوم خالد ابن جعفر الكلابى (٣) دارم : حى من تميم (٤) الكمأة : نبات (٥) هو حاجب ابن زرارة بن عدس بن عبد الله بن دارم (٦) رواية ابن الأثير أن هذا الحديث كان مع زرارة ، وأسنده إلى حاجب صاحب الأغانى .

قالت : رأيت رجلا قد سقط حاجباه فهو يرفعهما بِخرْقة، صغيرَ العينين ، وعَنْ أَمْره يَصْدرون . قال : ذاك الأحوص ، وهو سيِّد القوم .

قالت: ورأيت رجلا قليلَ المنطق، إذا تكلّم اجتمع القومُ كما تجتمع الإبل لفَحْلها؛ أحسنُ النـاس وجهاً ، ومعه ابنان له يلازمانه . قال : ذاك مالك بن جعفر وابناه عامر وطفيل .

قالت : ورأيت رجلا جسيما كأنّ لحيته مُعَصْفَرَة ؛ قال : ذاك عوف بن الأحوص .

قالت : ورأيت رجلاً هِلْقاما[1] جسيما ، قال : ذاك ربيعةُ بن عبد الله .

قالت : ورأيت رجلا أَخْنَس[2] قصيراً ، قال : هذا ربيعة بن قرط .

قالت : ورأيت رجلاً أقْرَن الحاجبين ، كثيرَ شعْر السَّبَلة[3] ، يسيل لُعابُه على لحيته إذا تـكلّم . قال : ذاك جُنْدُج بن البكاء .

قالت : ورأيت رجلا صغيرَ العينين ضيِّق الجبهة ، يقود فرساً له، معه جفير[4] له لا يكاد يفارقُ يَده ، قال : ذاك ربيعة بن كعب .

قالت : ورأيت رجلا معه ابنان أَصْهَبان ، إذا أقبلا رماهما الناسُ بأبصارهم ، وإذا أدبرا كانا كذلك . قال : ذاك الصَّمق بن عمرو بن خويلد ، وابناه يزيد وزرعة.

قالت : ورأيتُ رجلا لا يقول كلمة إلّا وهى أحدُّ من شفْرة[5] ، قال : ذاك عبد الله بن جَعْدة بن كعب . ثم أمرها حاجب فدخلت بيتَها .

ودعا حاجبُ الحارثَ بن ظالم فأخبره بخبَرِ القوم ، وقال : يابنَ ظالم ؛ هؤلاء

---

(١) الهلقام : الضخم الطويل (٢) الخنس : تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل فى الأرنبة (٣) السبلة : ما على الشارب من الشعر (٤) الجفير : الجعبة من الجلد
(٥) الشفْرة : السكين العظيم أو جانب النصل .

بَنُو عامر قد أتوْك ، فما أنت صانع ؟ قال الحارث : ذاكَ إليك ؛ فإن شئتَ أقمتُ فقاتلتُ القومَ وإن شئتَ تنحّيتُ ، قال حاجب : تنحَّ عنى غير مَلوم ! فغضب الحارث من ذلك وقال :

لعمرى لقد جاورتُ فى حىِّ وائلٍ ومن وائلٍ جاورتُ فى حىِّ تغلب
فأصبحت فى حىّ الأراقم[1] لم يَقُل لى القوم ياحار بن ظالم اذهب
وقد كان ظنى إذ عدلتُ إليكم بنى عُدُس[2] ظنى بأصحاب يَثْرِب
غداةَ أتاهم تُبَّعٌ فى جنوده فلم يُسلموا الرَّأين من حَىّ يَحْصِب
فإن تك فى عُليا هَوازن شَوْكَةٌ تُخاف ففيكُمْ حدّ نابٍ ومِخْلب
وإن يُسلم المرء الزُّرارى جارَه فأَعْجِبْ بها من حاجب ثم أعجب

فغضب حاجب وقال :

لعمر أبيكَ الخير ياحار إننى لأَمْنَعُ جاراً من كليب بن وائل
وقد علم الحىُّ المعدّى أننا على ذاك كنّا فى الخطوب الأوائل
وأنا إذا ما خاف جارٌ ظلامةً لبسنا له ثوبى وفاء ونائلِ
وأن تميماً لم تحارب قبيلةً من الناس إلا أولِعَتْ بالكواهل
ولو حاربتنا عامر يابن ظالمٍ لعضّت علينا عامرٌ بالأَنَامِلِ
ولاَ سْتَيْقَنَتْ عليا هوازن أننا سنُوطِئُها فى دارها بالقبائل
ولكننى لا أبْعَثُ الحرب ظالما ولو هِجتُها لم أُلْفَ شحمةَ آكِلِ

(١) الأراقم : حى من تغلب (٢) عدس : جد حاجب .

فتنحّى الحارث[١] عن بنى تميم، ولحق بعروض اليمامة.

ثم أرسل حاجب إلى الرِّعاء يأمرُهم بإحضار الإبل ففعلوا، وأمرهم فحملوا الأهل والأثقال وساروا نحو بلاد بنى بغيض، ولبث هو مع بعض القوم ينتظر بنى عامر.

وأصبح بنو عامر — وقد علموا حالَ المرأة وخبرَها وهربَها — فسُقِط فى أيديهم، واجتمعوا يُديرون الرَّأى. قال بعضهم: كأنى بالمرأة أتت قومَها، فأخبرتهم الخبر، فحذروا وأرسلوا أهليهم وأموالهم إلى بلاد بنى بغيض، وباتوا مُعِدِّين لكم فى السلاح. فاركبوا بنا فى طلب نَعَمهم وأموالهم؛ فإنهم لا يشعرون حتى نصيبَ حاجتَنا، وننصرفَ. وركبوا يطلبون ظُعُنَ[٢] بنى تميم.

فلما أبْطَأَ بنو عامر عن حاجب قال لقومه: إنَّ القومَ قد توجّهوا إلى ظُعُنِكم وأموالكم، فسيروا إليهم؛ فساروا مجدين حتى التقوا برَحْرَحان؛ فاقتتلوا قتالا شديداً، وانهزمتْ بنو تميم، وأُسر معبد بن زرارة، أسره عامر والطفيل ابنا مالك ابن جعفر بن كلاب.

فوفد لَقيط بن زرارة فى فِدائه[٣] فقال لهما: لكما عندى مائتا بعير. فقالا: يا أبا نهشل؛ أنت سيِّدُ الناس، وأخوك معبد سيد مُضر، فلا نُقْبَلُ فيه إلا دِية ملك. فأبى أن يَزِيدهم، وقال لهم: إن أبانا أوصانا ألّا نزيد أحداً فى دِيته على مائتى بعير.

فقال معبد للقيط: لا تَدَعْنى يالقيط، فوالله لئن تركْتَنى لا ترانى بعدها أبداً.

---

(١) كذا فى الأغانى، ورواية النقائض: أن الحارث قاتل مع بنى تميم، ولكن لم يكن له بلاء يذكر

(٢) الظعن: جمع ظعينة، وهو الهودج، فيه المرأة أم لا، والمراد هنا الإبل

(٣) فى فداء معبد أقوال كثيرة للرواة، والمثبت هنا رواية العقد الفريد.

فقال لقيط : صَبْرًا أبا القعقاع ؛ فأين وَصاة أبينا : ألا تُؤكلوا العرب أنفسكم ، ولا تزيدوا بفدائكم على فداء رجل منكم فتذؤُب[1] بكم ذؤبان العرب .

ورحل لقيطٌ[2] عن القوم ؛ ومنع بنو عامر معبداً عن الماء وضارّوه حتى مات هزالا[3] .

---

(١) ذؤب: خبث وصار كالذئب (٢) وقد عير لقيط بتهاونه فى افتداء أخيه . قال شريح ابن الأحوص :

لقيط وأنت امرؤ ماجد ولكن حلمك لا يهتدى
ألما أمنت وساغ الشرا ب واحتل بيتك فى ثهمد

ثهمد : اسم موضع .

رفعت برجلك فوق الفرا ش تهدى القصائد فى معبد
وأسلمته عنـد جد القتال وتبخل بالمال ألا تفتدى

(٣) وفى بعض الروايات : إن معبداً أبى أن يطعم شيئاً أو يشرب حتى مات هزالا ، وفى بعضها إن بنى عامر بعثوه إلى رجل بالطائف كان يعذب الأسرى ، فقطعه إربا إربا حتى قتله .

(٢) يوم شِعْب جَبَلة *

— ١ —

لمـا نشبت العداوةُ بين عبس وذبيان ابنى غطفان فى حرب داحس[١] والغبراء، خرج بنو عبس من ديارهم ، وعلى رأسهم الربيعُ بن زياد العَبْسىُ وأخوه عامر[عمارة] وقيس ابن زهير بن جذيمـة ؛ وفيما هم سائرون قال لهم الربيع : أما والله لأرمينّ العرب بحَجَرها ، اقْصِدوا بنى عامر[٢] .

وساروا حتى نزلوا مَضِيقا من وادى بنى عامر ، ونزلوا على ربيعة بن شكل بن كعب ـ وكان العقد من بنى عامر إلى كعب[٣] بن ربيعة ـ فقال ربيعةُ بن شكل : يابنى عبس ؛ شأنـكم جليل ، وذَحْلـكم[٤] الذى يُطْلَب منكم عظيم ، وأنا والله أعلم أن هـذه الحربَ أعزّ حرب ، ما حاربَتْهَا العرب قطّ ، ولا بدّ من بنى كلاب ، فأمهلونى حتى أستطلعَ طِلْعَ[٥] قومى .

---

* لعامر (من قيس) وخلفائهم من عبس، على تميم وحلفائهم من ذبيان وأسد وغيرهما . وجبلة: جبل طويل له شعب عظيم واسع لا يرق الجبل إلا من قبـله . ويوم جبلة من أعظم أيام العرب وأشدها ، وكان قبل الإسلام بسبع وخمسين سنة

معجم البلدان ص٥٠٠ ج ٣ ، النقائض ص ١١٥ ج ٢ ، الأغانى ص ٣٣ ج ١٠ ، العقد الفريد ص ٣٠٧ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٥٥ ج ١ ، شواعر العرب ص ٤٨

(١) ارجع إلى صفحة ٢٤٦ من هذا الـكتاب (٢) بنو عامر : من قيس عيلان وفيهم بطون كثيرة : منهم كعب وكلاب وعمر والحريش وجعدة وقد شهدوا جميعاً جبلة إلا هلال بن عامر وعامر ابن ربيعة . (٣) بطن فى بنى عامر (٤) الذحل : الثأر (٥) أطلعته طلع أمرى : أبثثته سرى .

وخرج فى قوم من بنى كعب حتى جَازُوا[1] بنى كلاب ، فلقيهم عوف[2] بن الأحوص ، فحدَّثوه فى أمر بنى عبس ، فقال : ياقوم ؛ أطيعونى فى هذا الطَّرف من غطفان ، فاقْطَعوهم واغْنَموهم لا تفلح غطفان بعده أبداً ، ووالله لا تَزِيدون على أن تسمِّنوهم وتمنعُوهم ؛ ثم يصيروا لقومكم أعداء .

فأبَوْا عليه ، وانقلبوا حتى نزلوا على أبيه الأحوص بن جعفر ، فذكروا له من أمرِ عبس ، فقال الأحوص لربيعة بن شكل : أظلَلْتهم ظلّك ، وأطعمتَهم طعامك ؟ قال : نعم ، قال : قد والله أجَرْتَ القوم !

ثم جاء الربيِّع بن زياد وقيس بن زهير إلى الأحوص — وكان رجلا شيخاً — فتقدَّم إليه قيس وأخذ بمجامع ثوبه من وراء فقال : هذا مقامُ العائذ بك ، قتلتُم[3] أبى فما أخذتُ له عقلا[4] ، ولا قَتَلْت به أحداً ، وقد أتيتُك لتُجيرنا . فقال الأحوص : نعم ؛ أنا لك جارٌ مما أُجير منه نفسى .

ولما سمع عوف بذلك — وكان غائباً — أتى الأحوص — وعنده بنو جعفر — فقال : يامعشر بنى جعفر ؛ أطيعونى اليومَ واعصُونى أبداً ، وإن كنت والله فيكم معصيًّا ؛ إن عبساً والله لو لقوا بني ذبيان لولّوْكم أطراف الأسنة فابدءوا بهم فاقتلُوهم ، واجعلوهم مثل البرغوث دماغه فى دمه ، فأبوا عليه وخالفوهم ، وأنزلوهم بحبوحةَ دارهم .

— ٢ —

وكان لقيطُ بن زرارة سيدُ بنى تميم قد عزمَ على غزْوِ بنى عامر للأخذ بثأر أخيه

---

(١) يقال : جاز الموضع ، أى سار فيه (٢) عوف ابن الأحوص بن جعفر بن كلاب ابن عامر (٣) قتله خالد بن جعفر العامرى فى يوم النفراوات (٤) العقل : الدية .

مَعْبَد(١) ، وبينما هو يتجهزُ إذ أتاه الخبرُ بحلف بنى عبس وعامر .

وكان لقيطٌ وجيهاً عند الملوك ، فذهب إلى النُّعْمان بن المنذر يستنجده ، وأطمعه فى الغنائم فأجابه ؛ ثم ذهب إلى الجون الكلبى ملك هَجر ، فقال له : هل لك فى قوم قد ملئوا الأرضَ نَعَماً وشاء ، فترسل معى ابنيك ، فما أصبْنا من مال وسَبْى فلهما ، وما أصبنا من دم فَلِى ؟ فأجابه الجون إلى ذلك ، وجعل له مَوْعداً رأس الحَوْل .

ثم أرسل إلى كلّ من كان بينه وبين عبس ذَحْل ، يسأله الحَوْل والتظاهر على غَزْو عبس وعامر ؛ فاجتمع إليه بنو ذُبيان لعداوتهم لبنى عبس بسبب حرب داحس والغبراء ، وبنو أسد لِحلْفٍ كان بينهم وبين بنى ذبيان .

ولما كان على رأْس الحول من يوم رَحْرَحان انهلّت الجيوش على لقيط : أرسل الجون جيشاً وعليه ابناه عمرو ومعاوية ، وأرسل النعمان جيشاً وعليه أخوه لأُمّه حسّان بن وبرة الكلبى ، وأقبل الحليفان أسد وذبيان وعليهم حِصْن بن حذيفة ، وأقبل شرحبيل بن أخضر بن الجون بن آكل المرار فى جمع من بنى كندة .

— ٣ —

وسار بنو تميم فى رُؤسائهم: حاجب بن زرارة، ولقيط بن زرارة، وعمرو بن عمرو، والحارث بن شهاب ؛ ومعهم أحلافُهم ، وتبعهم غُثَاء(٢) من الناس يُريدون الغنيمة ، وتمّ لَهُم جمعٌ لم يكن فى الجاهلية أكثر منه ؛ فلم تشكّ العرب فى هلاك بنى عامر .

---

(١) قتله بنو عامر يوم رحرحان (٢) الغثاء : ما يجىء فوق السيل مما يحمله من الزبد وورق الشجر البالى ، يريد أرذال الناس وسقطهم .

ولما سمعت بنو عامر بمسيرهم اجتمعوا إلى الأحوص ـ وهو يومئذ شيخٌ كبير ، قد وقع حاجباه على عينيه ، وقد ترك الغزو ، غير أنه يدبِّرُ أمرَ الناس ، وكان مجرِّباً حازماً ميمون النّقيبة(١) ؛ فأخبروه الخبر ، فقال لهم الأحوص : قد كبرتُ فما أستطيع أن أجيء بالحزْم ، وقد ذهب الرأيُ منى ؛ ولكن إذا سمعتُ عرفت ، فأجْمِعوا آراءكم ، ثم بِيتوا ليلتكم هذه ، ثم اغدُوا علىّ ، فاعْرِضوا علىَّ آراءكم .

ففعلوا ، فلما أصبحوا غَدَوْا عليه ، فوُضعت له عباءة بفنائه فجلس عليها ، ورفع حاجبيه عن عينيه بعِصابة ، ثم قال : هاتُوا ما عندكم ، فقال قيس بن زهير العبْسى : بات فى كنانتى اليوم مائةُ رأى ، فقال له الأحوص : يكفينا منها رأى واحد حازم صَلِيب مُصيب ؛ هات فانثُرْ كِنانتك . فجعل يعرض كلَّ رأْى رآه حتى أنفد(٢) . فقال له الأحوص : ما أرى أنه بات فى كنانتك الليلة رأىٌ واحد .

وعرض الناسُ آراءهم حتى أنفدوا . فقال : ما أسمعُ شيئاً ، وقد صِرتم إلىّ ؛ اجْمَعُوا أثقالكم وضعفاءكم . ففعلوا ، ثم قال : حمّلوا ظُعُنَكم ؛ فحملوها . ثم قال : انطلقوا حتى تعلُوا فى اليمين ؛ فإن أدْرَكَكم أحدٌ كررتم عليه ، وإن أعجزتموهم مضيتُم . فسار الناس حتى أتوا وادى نُجار(٤) ضَحْوة .

ثم رُئى الناسُ يَرْجع بعضهم على بعض ، فقال الأحوص : ما هذا ؟ قيل : هذا عمرو بن عبد الله بن جَعدة ، قدم فى فتيانٍ من بنى عامر يمدُّون بمن أجاز بهم ، فقال الأحوص : قدِّمونى ، فقدَّموه حتى وقف عليهم ، فقال : ما هـذا الذى تصنعون ؟ فقال عمرو : أردتَ أن تفضحنا وتخرجنا هارِبين من بلادنا ، ونحن أعزُّ العرب ،

---

(١) ميمون النقيبة : محمود المختبر (٢) يريد حتى انتهى ، ويقال : أنفد القوم ؛ إذا نفد زادهم أو مالهم (٤) نجار : موضع فى ديار بنى تميم .

وأكثرُ عدداً وجلداً وأحدُّ شوكةً ! تريد أن تجعلنا موالى فى العرب إذ خرجتَ بنا هارباً .

قال : فكيف أفعل وقد جاءنا مالا طاقةَ لنا به ؟ فما الرأى ؟ قال : نرجع إلى شِعْب جبلة ، فنحرز النساء والضَّعفة والذَّرارى والأموال فى رأسه ، ونكون فى وسطه ففيه ثَمل[1] ، فإن أقام من جاءك أسفل أقاموا على غير ماء ، ولا مُقام لهم ، وإن صعدوا عليك قاتَلْتَهم من فوق رءوسهم بالحجارة ، فكنت فى حِرْز ، وكانوا فى غير حِرْز ، وكنتَ على قتالهم أقْوَى منهم على قتالك . قال : هذا والله الرأى ! فأين كان هذا حين استشرتُ الناس ؟ قال: إنما جاءني الآن، فقال الأحوص للناس: ارجعوا ، فرجعوا[2] .

ودخلوا شعب جَبَلة ، وحصّنوا النساء والذّرارى والأموال فى رأس الجبل ، وحَلَّئُوا[3] الإبل عن الماء ، واقتسموا الشِّعب بالقِداح والقُرَع بين القبائل فى شظاياه[4] ؛ ثم عمى عليهم الخبر ، فجعلوا لا يدرون ما قُرْب القوم من بُعْدِهم .

— ٤ —

وأقبلت تميم وأَسَد وذبيان ولِفُّهم نحو جبَلة ، فلقوا فى طريقهم كَرِب بن صفوان

---

(١) الثمل : الخصب والماء

(٢) وفى ذلك يقول النابغة الجعدى ، وهو أحد شعراء بنى عامر :

ونحن حبسنا الحى عبساً وعامراً ... لحسان وابن الجون إذ قيل أقبلا

وقد صعدت وادى نجار نساؤهم ... كإصعاد نسر لا يرومون منزلا

عطفنالهم عطف الضروس فصادفوا ... من الهضبة الحمراء عزاً ومعقلا

الضروس : الناقة العضوض .

(٣) حلئوا الإبل : منعوها

(٤) الشظايا : القطع من رءوس الجبال .

السعدى ـ وكان شريفاً ـ فقالوا له : ما منعك أن تسيرَ معنا فى غزاتنا ؟ قال : أنا مشغول فى طلب إبل لى ، فقالوا : لا ، بل تريد أن تُنذر بنى عامر ، ولا نتركك حتى تعطينا عَهْدًا وموثقاً ألّا تفعل ؛ فحلف لهم .

ثم خرج عنهم وهو مُغْضَب ، ومضى مُسْرِعاً على فرس له عُرْيٍ(١) ، حتى إذا نظر إلى مجلس بنى عامر نزل تحت شجرةٍ حيث يرونه ، فأرسلوا إليه يدْعُونه ، فقال : لست فاعلاً ؛ ولكن إذا رحلت فائتوا منزلى فإنّ الخبرَ فيه .

فلما جاءوا منزله ، إذا تراب فى صُرّة وشوك قد كُسّرَ رءوسه ، وفرّق جهته ، وإذا حنْظَلَةٌ موضوعة ، وإذا وَطْبٌ معلّقٌ فيه لبن ؛ فقال الأحوص : هـذا رجل قد أُخِذت عليه المواثيق ألاّ يتكلم ، وهو يخبركم أن القوم مثلُ التراب كثرةً ، وأن شوكتهم كليلة ، وجاءتكم بنو حنظلة . انظروا ما فى الوطب ، فاصطبُّوه(٢) ، فإذا فيه لبن قارص(٣) . فقال : القوم منكم على قدر حِلاب اللبن إلى أن يَحْزُر(٤) .

---

(١) فرس عرى : لا سرج عليه (٢) اصطبوه : أراقوه (٣) قارص : حامض

(٤) هذه رواية الأغانى ، وفى ابن الأثير : لقى لقيط فى طريقه كرب بن صفوان ـ وكان شريفاً ـ فقال : ما منعك أن تسير معنا فى غزاتنا ؟ فقال : أنا مشغول فى طلب إبل لى ، فقال : لا ، بل تريد أن تنذر بنا القوم ، ولا أتركك حتى تحلف أنك لا تخبرهم ، فحلف له ، ثم سار عنه وهو مغضب ، فلما دنا من عامر أخذ خرقة فصر فيها حنظلة وشوكا وتراباً وخرقتين يمانيتين وخرقة حمراء وعشرة أحجار سود ، ثم رمى بها حيث يسقون . ولم يتكلم ، فأخذها معاوية بن قشير ، فأتى بها بن الأحوص ابن جعفر ، وأخبره أن رجلا ألقاها وهم يسقون ، فقال الأحوص لقيس بن زهير : ما ترى فى هذا الأمر ؟ قال : هذا من صنع الله لنا ، هذا رجل قد أخذ عليه عهد على ألا يكلمكم ، فأخبركم أن أعداءكم قد غزوكم عدد التراب ، وأن شوكتهم شديدة ؛ وأما الحنظلة فهى رؤساء القوم ، وأما الخرقتان اليمانيتان فهما حيان من اليمن معهم ، وأما الخرقة الحمراء فهى حاجب بن زرارة ، وأما الأحجار

ثم دعا الأحوصُ قيسَ بن زهير العبسى ، فقال له : ما ترى ؟ فإنك تزعم أنه لم يعرض لك أمران إلا وجدت فى أحدهما الفرَج ؟ فقال قيس : فإذْ قد رجعتم إلى رأيى فأدْخِلوا نَعَمَكم شِعْبَ جبلة ، ثم أظْمِئوها هذه الأيام ولا تُوردُوها الماء ، فإذا جاء القوم فإن لقيطاً فيه طيش وسيقتحم الجبـل ، وحينئذ أخرجوا عليهم الإبل ، وانخُسُوها بالسيوف والرماح ، فتخرج مَذَاعير عِطَاشاً ، فتشغلهم ، وتفرِّق جَمْعَهم ؛ واخرجوا أنتم فى آثارها ، واشْفُوا نفوسكم .

فقال الأحوص : نِعْمَ ما رأيت ؛ وأخذوا برأيه .

وعاد كرب بن صفوان فلقى لقيطاً ، فقال له : أأنْذَرْتَ القوم ؟ فأعاد الحلف له أنه لم يكلّم أحـداً منهم ؛ فخلّى سبيله ، فقالت له ابنته دختنوس ــ وكان لقيط يصحبها فى غزواته ، ويرجع إلى رأيها : رُدَّنى إلى أهلى ، ولا تُعَرِّضْنى لعبس وعامر فقد أنذرهم لا محالة ، فاستحمقها ، وساءه كلامُها ، وردَّها .

وفيماهم سائرون قابلهـم غلامٌ أعْسَر[1] ؛ فتشاءمت بنو أسَـد ، وقال بعضهم لبعض : ارجعوا عنهم ، فرجعوا ، ولم يسر مع لقيط منهم إلا نفيرٌ يسير .

— ٥ —

ولما وصل بنو تميم وأحْلافُهم إلى شعبِ جَبَلة حيث بنو عامر وعَبْس قال الناس للقيط : ما ترى ؟ فقال : أرى أنْ تَصْمِدُوا إليهم ؛ فقال شاس بن أبى ليلى : لا تدخلوا

فهى عشر ليال يأتيكم القوم إليها . قد أنذرتكم فكونوا أحراراً ، واصبروا كما يصبر الأحرار الكرام (ابن الأثير ص ٣٥٦ ج ١) .

(١) الأعسر : الذى يعمل بيده الشمال خاصة .

على بنى عامر ؛ فإنى أعلمُ الناس بهم ، قد قاتلتُهم وقاتلونى وهزمتُهم وهزمونى ؛ فما رأيت قوماً قطّ أقْلَقَ بمنزلٍ من بنى عامر ، ووالله ماوجدتُ لهم مثلا إلا الشُّجاع[(١)] فإنه لا يقرّ فى جُحْره قلقا ، وسيخرجون إليكم ، والله لئن بِتُّمْ هذه الليلة لا تشعرون بهم إلا وهم منحدرون عليكم .

فقال لقيط : لندخلنّ عليهم ، فأتوهم وقد أخذوا حِذْرَهم ؛ وجعل الأحوص ابنه شُريحا على تعبية الناس .

وأقبل لَقِيط وأصحابه مدلّين[(٢)] ، فأسْنَدُوا[(٣)] إلى الجبل حتى ذرَّت الشمس ، ثم أخذوا فى الصعود . فقالت بنو عامر للأحوص : قد أتَوْكَ ، فقال : دَعُوهم ؛ حتى إذا أنْصَفُوا[(٤)] الجبل وانتشروا فيه قال الأحوص : حلّوا عُقُل الإبل ثم اتبعوا آثارها ، وليُتبع كل رجل منكم بعيرَه حجرين أو ثلاثة .

ففعلوا، ثم صاحوا بها فخرجت تحطِّمُ كلَّ شيء مرَّت به وخَبطت تميما ومن معها وانحطّوا منهزمين فى الجبل حتى السهل ، ولما بلغوا السهل لم يكن لأحدٍ همَّةٌ إلاّ أن يذهبَ على وجهه ، وجعلت بنو عامر يقتلونهم ، ويصرعونهم بالسيوف فى آثارهم، وانهزموا شرَّ هَزِيمة[(٥)] .

---

(١) الشجاع : الحية الذكر (٢) مدلين : مجترئين (٣) أسندوا : صعدوا فى الجبل
(٤) أنصفوا الجبل : وصلوا إلى نصفه (٥) وفى ذلك يقول أحد بنى أسد :

زعمت أن العير لا تقاتل ... بلى إذا ما قعقع الرحائل
واختلف الهندى والذوابل ... وقالت الأبطال من ينازل
بلى وفيها حسب ونائل

— ٦ —

وجعل لقيط لا يمرُّ به أحدٌ من الجيش إلا قال : أنت والله قتلتَنا ! فجعل يقول :

ياقوم قد أحرقتمونى باللَّومْ ولم أُقاتل عامراً قبل اليومْ
فاليوم إذ قاتلتهمْ فلا لومْ تقدموا وقدِّمونى للقومْ

فقال له شاس بن أبي ليلى :

لكن أنا قاتلتها قبل اليومْ إذ كنتُ لا تعصى أموري فى القومْ

ثم ركب لقيط فرسَه ، وزجَّ بنفسه للعِراك ، فطعنه شريح ، وارتُثَّ وبه طعنات، وبقى يوماً ثم مات[1] .

وأما حاجبُ بن زُرارة فقد ولَّى منهزماً ، فتبِعه زَهْدَم وقيس ابنا حزن العبسيان ، وجعلا يطرُدانه ، ويقولان له : استأْسِر ــ وقد قدرا عليه ــ فقال : من أنتما ؟ فقالا : نحن الزَّهْدمان[2] ، فقال : لا أستأْسر اليوم لموليَيْن .

وبينما هم كذلك إذ أدركهم مالك ذو الرُّقَيبة العامري . فقال الحاجب : استأسر ، قال : ومن أنت ؟ قال : أنا مالك ذو الرُّقيبة . فقال : افعلُ لعمري، ما أدركتنى حتى كِدتُ أن أكون عبداً ، وألقى إليه رُمْحَه، واعتنقه زَهْدَم فألقاه عن فرسه . فصاح

(١) قيل إن لقيطاً ارتث وحمل وهو مجروح ، وبقى يوماً ومات ، فلما أحس بالموت أنشد قائلا :

ياليت شعرى اليوم دختنوس إذا أتاها الخبر المرموس
تحلق القرون أو تميس لا بل تميس إنها عروس

دختنوس : بنته

الخبر المرموس : الذى يستر عنها ويكتم . والقرون : الذوائب .

(٢) الزهدمان : زهدم وقيس ابنا حزن ، وفيهما يقول قيس بن زهير :

جزانى الزهدمان جزاء سوء وكنت المرء يجزى بالكرامه

حاجب : ياغَوثاه ! وجعــل زَهْدم يُرَاوغ قائم السيف ، فنزل مالك واقتلع زهدما عن حاجب .

فمشى زَهْدَم وأخوه حتى أتيا قيس بن زهير فقالا : أَخَذَ مالكٌ أسيرَنا من أيدينا. فقال : ومَنْ أسيرُكما ؟ قالا : حاجب بن زرارة .

فخرج قيس حتى وُقف على بنى عامر فقال : إنَّ صاحبكم أخذ أسيرنا . قالوا : مَنْ صاحبنا ؟ قال : مالك ذو الرقيبة أخذ حاجبا من الزهدَمين .

فجاءهم مالك فقال : لم آخذه منهما ؛ ولـكنه استأسر لى وتركهما ؛ فلم يبرحوا حتى حكَّموا حاجباً فى ذلك — وهو فى بيت ذى الرقيبة — فقالوا : مَنْ أَسَرَكَ ياحاجب؟ فقال : أمّا مَنْ ردّنى عن قَصْدى ومنعنى أن أنجوَ ورأى منى عَوْرَةً فتركها فالزهدمان(١) ، وأما الذى استأسرتُ له فمالك ؛ فحكِّمونى فى نفسى .

فقال له القوم : قد جعلنا إليك الحكم فى نفسك ، فقال: أما مالك فله أنفُ ناقة، وللزَّهْدَمان مائة .

— ٧ —

قال الراوى : وزعم علماؤنا أنه لمـا انهزم الناسُ خرجت بنو عامر وحلفاؤهم فى آثارهم يقتلون ويأسرون ويسلبون ، فلحق قيس بن المُنْتَفِق(٢) عمرو بن(٣) عمرو التميمى فأسره ، فأقبل الحارث بن الأبرص فى سَرَعان(٤) الخيل ، فرآه عمرو مُقْبِلا ، فقال لقيس : إن أدركنى الحارث قتلنى ، وفاتَكَ ما تلتمسُ عندى ؛ فهل أنت محسنٌ إلىّ وإلى نفسك ؛ تجزّ ناصيتى فتجعلها فى كِنانتك ، ولك العهدُ لأَفِيَنَّ لك ! ففعل ،

---

(١) الزهدمان : زهدم وقيس ، كما فى اللسان (٢) قيس بن المنتفق من بنى عامر
(٣) هو عمرو بن عمرو بن عدس من تميم ، وهو زوج دختنوس بنت لقيط (٤) سرعان الخيل : أوائلها .

وأدركهما الحارث وهو ينادى قيساً ويقول : اقتل، اقتل ! ولكنّ قيساً أطلق عمراً، ولحق عمرٌو بقومه(١) .

ونزل حسانُ بن عامر بن الجون وصاح : يا آل كندة ! فحمل عليه شريح ابن الأخوص ، فاعترض دون ابن الجون رجلٌ من كندة ، فضربه شريح فى رأسه فانكسر السيف ، فخرج يعدو بنصف السيف .

---

(١) روى صاحب الأغانى أنه لما كان الشهر الحرام خرج قيس بن المنتفق إلى عمر بن عمرو يستثيبه، وتبعه الحارث بن الأبرص حتى قدما على عمرو بن عمرو ، فأمر عمرو ابنة أخيه آمنة وقال لها : اضربى على قيس الذى أنعم على عمك هـذه القبة — وقد كان الحارث قتل أباها زيداً يوم جبلة — فجاءت بالقبة فرأت الحارث أحياها وأجلهما ، فظنته قيساً ، فضربت القبة وهى تقول : هذا والله رجل لم يطلع الدهر عليه بما اطلع به على .

فلما رجعت إلى عمها عمرو قال : يابنة أخىَ ، علىَّ من ضربت القبة ؟ فنعتت نعت الحارث ، فقال: ضربتها والله على رجل قتل أباك ، وأمر بقتل عمك ، فجزعت مما قال عمها ، فقال الحارث :

أما تدرين يابنــة آل زيد ... أمين بما أجن اليوم صدرى

أمين : يا أمينة

فكم من فارس لم ترزئيه ... فتى الفتيــان فى عيس وقصر

رأيت مكانه فصددت عنـه ... فأعيا أمره وشددت أزرى

أمرت به لتخمشى ختناه ... فضيع أمره قيس وأمرى

الختة : الزوجة

ثم إن عمراً قال : ياحار ما الذى جاء بك ؟ فوالله مالك عندى نعمة ، ولقد كنت سيىء الرأى فى ، وقتلت أخى ، وأمرت بقتلى . فقال : بل كففت عنك ولو شئت إذ أدركتك لقتلتك . قال : مالك عندى من يد ، ثم تذمم منه فأعطاه مائة من الإبل ، ثم انطلق وذهب .

ولما جاء قيس عمراً أعطاه عمرو إبلا كثيرة ، فخرج قيس بها ، حتى إذا دنا من أهله سمع به الحارث بن الأبرص ، فخرج فى فوارس من بنى أبيه حتى عرض لقيس ، فأخذ ما كان معه ، فلما أتى قيس بنى أبيه من بنى المنتفق اجتمعوا إليه ، وأرادوا الخروج ، فقال : مهلا ! لا تقاتلوا إخوتكم فإنه يوشك أن يرجع ، وأن يئول إلى الحق ، فإنه رجل حسود . فلما رأى الحارث أن قيساً قد كف عنه رد إليه ما أخذ منه .

وشدّ طفيل بن مالك، فأسر حسان بن الجَوْن ، وشدّ عوف بن الأحوص على معاوية بن الجون ، فأَسَرَه وجزّ ناصيته وأَعْتَقَه على الثّواب[1] .

وانصرف سنان بن أبي حارثة المرّى فى بنى ذبيان على حاميته، ومعه مالك بن حمار الفزَارى ، فلحق بهم معاوية بن الصموت الكلابى ومعه حَرْمَلة العكلى ونفر من الناس ؛ ولما رآهم سنان قال لمالك : يامالك ؛كرّ وَاحْمِنَا ، ولك خولة ابنتى أزوِّجُكَها ؛ فكرّ مالك فقتل معاوية ، ثم قتل حرملة واثنين من قيس . ومضى بعد ذلك مالك وهو يقول :

ولقد صَدَدْتُ عن الغنيمة حَرْمَلًا ... وبغيته لَدَدًا[2] وخيلى تطرد
أقبلته صدرَ الأغرّ وصارمًا ... ذكراً فخرّ على اليدين الأبْعَدُ
وابن الصّموت تركت حين لقيته ... فى صدر مارنة[3] يقوم ويَقْعُدُ
وابنا ربيعة فى الغبار كلاهما ... وابنا غنىّ عامر والأسود
حتى تنفس بعد نَكْظ[4] مُجْحِراً ... أذهبتُ عنه والفرائص تُرْعدُ

---

(١) حدث بعد هذا أن قيس بن زهير العبسى لقى معاوية فقتله ، فأتى عوف بن الأحوص بنى عبس فقال : قتلتم طليقى فأحيوه أو ائتونى بملك مثله ، فتخوفت بنو عبس شره — وكان مهيباً — فقالوا : أمهلنا ، وانطلقوا حتى أتوا أبا براء وعامر بن مالك بن جعفر يستغيثونه على عوف ، فقال : دونكم سلمى بن مالك فإنه نديمه وصديقه ، وكان فى سلمى حياء فقال : سأكلم لكم طفيل بن مالك أخاه ليسلم إليكم حسان بن جون ، وانطلقوا إليه ، فقال طفيل لسلمى : قد أتونى بك ، ما أعرفنى بما جئتم له : أتيتمونى تريدون منى حسان بن الجون — وكان قد أسره — وتسلمونه إلى عوف . خذوه ، فأعطاهم إياه ، فأتوه ، فجز ناصيته وأعتقه ، ولذلك سمى عوف الجزاز .

(٢) اللدد : الخصومة (٣) يقال : رمح مارن ؛ صلب لين (٤) النكظ : الجهد ، والمجحر : المضطر الملجأ ، والمضيق عليه .

يعـدو ببزّى سابحٌ ذو ميعة ... نَهْد المراكل ذو تليـل أقْوَد(١)

— ٨ —

وفي ذلك اليوم قالت دختنوس ترثى أباها لقيط بن زرارة ، وقد ضربه بنو عبس بعد موته :

ألا يالهَا الوَيْلَاتُ وَيْلَة مَنْ بَكَى ... لِضَرْبِ بنى عَبْسٍ لقيطًا وقد قَضَى(٢)

لقد ضربُوا وجهاً عليـه مَهَابَةٌ ... ولاتَحْفِلُ الصُّمّ الجنادلُ مَنْ ثَوَى(٣)

فلو أنـكم كنتم غــداة لقيتُمُ ... لقيطاً ضربتُم بالأَسنَّةِ والقَنَا(٤)

غدرتم ولـكن كنتم مثل خُضَّبٍ ... أضاءت لها القُنَّاص من جانب الشَّرَا(٥)

فمـــا ثارهُ فيـكم ولـكنَّ ثارَهُ ... شريح أأردته الأسنة أم هوى(٦)

---

(١) البز : السلاح ، يريد يعدو بي سابح ـ فرس ـ يمد يديه في الجرى ، والميعة : أول الجرى وأنشطه ، ونهد : مرتفع ، والمركل من الفرس : حيث تصيب برجلك ، والتليل : العنق ، وأقود سلس القياد (٢) الضمير في لهـا يعود إلى بنى عبس ، تقول : لتحل ببنى عبس الويلات ، وتريد بمن بكى: نفسها (٣) تحفل : تضم ، والصم الجنـادل : الصخور العظيمة ، وثوى : مات ، تريد : أن الصخور التي تغطى جسمه في قبره ، لا تـكاد تضمه لعلو شأنه (٤) جواب الشرط محذوف تقديره : لو قاتلتم لقيطاً بالأسنة والرماح لرأيتم بأسه وفررتم من وجهه (٥) الخضب: كأنه جمع خاضب، وهى النعامة، وفى اللسان أن جمعه خواضب، والقناص: جمع قانص وهو الصياد ، وأضاءت له : أوقدت ناراً . والشرى : مكان . تقول : غلبتموه بالغدر ولـكنـكم قد فررتم قبل ذلك من وجهه كالنعام متى أحس بالصيادين ، وهم قد أوقدوا له ناراً ليقتنصوه (٦) أرداه : أهلـكه ، والثأر هنا : المطلوب بدم القتيل ، وشريح بن الأحوص العامرى : قاتل لقيط ، وهوى : سقط ومات ؛ تقول : ليس لـكم الفخر يابنى عبس ، فإنمـا قاتله والمطلوب بدمه هو شريح بن الأحوص العامرى ، سواء قتل لقيط بالأسنة فى ساحة الحرب ، أو حمل وبه طعنات فمـات بعد ذلك .

فإن تعقب الأيام من فارسٍ تكنْ عليكم حريقاً لا يُرام إذا سَمَا[١]

لنُجْزِيَكم بالقتْلِ قتـــلاً مُضعَّفاً وما فى دماء الخَمْسِ يامالِ مِنْ بَوَا[٢]

ولو قَتَلَتْنَا غالبٌ كانْ قتلُها علينا من العار المجدّعِ للعـلا[٣]

لقد صبرتْ للموت كعْبٌ وحافظت كلابٌ وما أنْتُم هناك لمن رأى[٤]

وقالت أيضاً :

لعمرى لقد لاقت من الشّق دارم عناء وقد رابَتْ حميداً ضرابُها[٥]

فما جَبُنُوا بالشِّعْب إذ صبرتْ لهم ربيعة يُدعى كعبها وكلابُهـا[٦]

عَصَوْا بسيوف الهنـد واعتقلت لهم بُرَاكاء موتٍ لا يَطيرُ غُرابها[٧]

وقالت فى لقيط أيضاً :

بكر النَّعِيُّ بخير خِنْـــدفَ كَهْلِها وشبابِها[٨]

---

(١) تقول : إذا دارت الأيام فأمكنتنا من شريح وقومه فسترونا لسعر نار حرب لا تطفأ إذا ما علا ضرامها وانتشر سعيرها (٢) تريد بالخمس ، أشراف بنى تميم الذين قتلوا ، ومال : ترخيم مالك . البوا : السواء والكفء ، تقول: سوف نقتل منكم أضعاف ما قتلتم ، ولا نجد منكم يامالك أحدا يساوى بالقدر والشأن الخمسة الذين قتلوا منا فنقتلهم بهم (٣) بنو غالب بطن من بنى عامر وهم أنذلهم ، والمجدع للعلا : القاطع له ، المانع من الوصول إليه ، تقول : يسرنا أن القتلى لم يقتلهم أحد من بنى عامر ، ولو كان ذلك لحل بنا عار لا يمحى (٤) تخاطب بنى غالب فتقول : إنا رأينا بنى كعب وبنى كلاب يبلون فى الحرب البلاء الحسن ، ولكنا لما طلبنا كم لم نجدكم هناك (٥) تريد بالشق مدخل جبلة ، ودارم : حى من تميم وهو قوم دختنوس ، وحميد قوم من بنى عامر (٦) تقول : لم يفشل بنو دارم لما تألب عليهم بنو ربيعة ، وربيعة أبو كعب وكلاب . وتريد بالشعب شعب جبلة (٧) عصوا : دافعوا عن أنفسهم بسيوف مهندة قاطعة وبراكاء : الثبات فى الحرب والجد ، ويقال للرجل إذا وقع فى خطب : لا يطير غرابه ، وهى تريد أن سعدهم المعتاد فى الحروب اعتقل لهم ، أى امتنع عنهم فى هذه الوقعة .

(٨) بكر : أتى باكراً . وخندف : أم مدركة بن إلياس ، وإليها تنسب قبائل مضر ، ومنها تميم قوم الشاعرة .

وبخيرِها نسبًا إذا عُدَّتْ إلى أنسابها[١]
وأَضَرِّها لعدوِّهــا وأفكِّها لرقابهــا[٢]
وقريعِهــا ونجيبِهــا في المطبِقاتِ ونابِها[٣]
ورئيسِها عند الملو كِ وزينِ يومِ خِطابها
فَرْعٌ عمودٌ للعشــيرة رافعًا لنصابها[٤]
فيعولُهــا ويحوطُهــا ويذبُّ عن أحسابها[٥]
ويطا مواطِئ للعــدّ وّ وكان لا يمشى بها[٦]
فعلَ المدلّ من الأسو دِ لحَيْنِهَا وتَبابِها[٧]
كالكوكبِ الدُّرِّيِّ في الظَّــلْماء لا يخفى بها[٨]
عبث الأغرّ به وكلّ منيّة لكِتابهــا[٩]
فرّت بنو أسد فرا رَ الطير عن أربابها[١٠]
وهَوَازن أصحــابهم كالفأر في أذنابها[١١]
لم يحفظوا حسبًا ولم يأووا لفيْءِ عُقَابِها[١٢]

---

(١) رواية ابن الأثير : وأتمها نسباً إذا رجعت إلى أنسابها (٢) أي أنه يحرر رقاب قومه من الأسر (٣) القريع : السيد ، وأصله الغالب في المقارعة . والمطبقات : الشدائد ، والسنون المجدبة ، وناب القوم: سيدهم (٤) الفرع : الابن . والعمود : السند (٥) ذب عن الأمر : دافع عنه (٦) تريد أنه يتعقب آثار العدو في مسالك لم يتعود أن يجرى فيها

(٧) المدل : الواثق من نفسه . والحين : الهلاك ، والتباب : الفساد (٨) الدرى : الشبيه بالدرة (٩) الأغر : السيد، تكنى به عن قاتل لقيط وهو شريح بن الأحوص ، وكتابها : إبانها ووقتها ، كما قال تعالى: « لكل أجل كتاب » (١٠) بنو أسد: من حلفاء تميم يوم شعب جبلة ، وهى بهذا تهجوهم (١١) وهوازن من حلفاء تميم أيضاً شبهتهم بالفأر لجبنهم

(١٢) تريد بالعقاب لقيطاً ، والمعنى : أنهم بفرارهم فقدوا شرفهم ، ولم يجتمعوا بلقيط على العدو ، بل تركوه يقاتل وحده .

وقالت تهجو النعمان بن قَهْوَس التميمي ، وكان حاملاً — في يوم شعب جَبلة — لواء بني تميم ، وهو من أشرافهم ، ففرّ هاربًا :

فرّ ابنُ قَهْوَسَ الشُّجَا ع ُ بكفِّه رُمْحٌ مِتَلُّ(١)
يَعْدُو به خَاظِي البَضِيـ ـعِ كأنه سِمْعٌ أزلُّ(٢)
إنك من تَيْمٍ فَدَعْ غطفان إن سلوا وحلّوا(٣)
لا منك عـدُّهم ولا آباك إن هلكوا وذلّوا(٤)
فَخْرُ البغيّ بِحدْج ربَّتِهَا م إذا النـاسُ استقلُّوا(٥)
ولقـد رأيت أباك وسط م القوم يَرْبُو أو يَجِـلُّ(٦)
متقـلّداً ربق الفرا د كأنه في الجيد غلّ(٧)

(١) المتل : الشديد (٢) الخاظى : المكتنز ، والبضيع : ما انحاز من لحم الفخذ الواحد بضيعة ، والسمع: ولد الضبع ، تقول : تحمله فرس مكتنز اللحم يشبه السمع ، والأزل : السريع
(٣) تيم : فرع من تميم ، تقول : إنك من قوم جبناء ، فلا تسر مع غطفان أصحاب الشدة
(٤) تقول : لو حل الذل بغطفان فإنهم يستغنون عنك وعن آبائك (٥) البغى : المرأة الفاجرة ، والحدج من مراكب النساء ، واستقلَّ الناس : ذهبوا ، ضربت هـذا مثلا ، وأرادت بالبغى بنى التيم ، وعنت بربة الحدج — وهى السيدة — غطفان (٦) يربو : كناية عن الجبن ، ويجل : يجمع الجلة وهى البعر (٧) الربق : المقود ، تريد : أن أباه لا يصلح إلا لرعاية الغنم حين يضع حبالها فى عنقه كأنها أغلال تغلها .

(٣) يوم ذى نَجَب *

لما كان العامُ التابع من يوم جَبَلة خرج ناسٌ من بنى عامر بن صَعْصَعَة إلى حسان ابن كَبْشة الكندى (١) ؛ منهم عامر بن مالك بن جعفر مُلَاعِبُ الأسنَّة ، وطفيل بن مالك بن جعفر ، وعمرو بن الأحوص بن جعفر ، ويزيد بن الصَّعِق ، وقُدامة بن سلمة ابن قُشير ، وعامر بن كعب بن أبى بكر بن كلاب ؛ واستنجدوه على بنى حَنْظَلَة (٢) ابن مالك ، وقالوا : هل لك فى إبلٍ عَكَر (٣) ، ونساء كالبقَر ، وتسير مُبْرِدًا (٤) ، وترجع سالما غانماً من قوم قد أوْقعْنا بهم حديثاً ، وقتلنا فُرْسانهم ورؤساءهم !

فأقبل معهم بصنائعه ومن كان معه ، ومرّ على بنى عامر ؛ فسار معه من خفَّ منهم.

وبلغ الخبر بنى حَنْظَلَة فقال عمرو بن عمرو بن عُدُس (٥) : يابنى مالك ؛ إنه لا طاقةَ لكم بهذا الملك ومَنْ معه ؛ فخِفُّوا من مكانكم هذا — وكانوا يومئذ فى أعلى الوادى مما يلى مجىء القوم وكانت بنو يربوع فى أسفله — ودعُوا بنى يربوع فإنهم حىٌّ مُصْرِمٌ نَكِد (٦) ، فإنْ ظهرَ الملكُ عليهم سالمتُم ؛ فبقيّةُ السّلمِ خيرٌ من بقيةِ الحرب، وإن ظهرت يربوع عليهم كنتم مع إخوتكم . ففعلوا .

---

* لبنى تميم على بنى عامر (من قيس) . وذو نجب ذكره ياقوت فقال : موضع كانت فيه وقعة لبنى تميم على بنى عامر بن صعصعة . وكان هذا اليوم بعد مرور عام على يوم جبلة .
النقائض ص ٣٠٢ ، ٥٨٧ ، ٩٣٢ ، ١٠٧٩ (طبع أوربة) ، ابن الأثير ص ٣٦٣ ج ١ ، معجم البلدان ص ٢٥٢ ج ٨

(١) حسان بن كبشة ملك من ملوك اليمن (٢) بنو حنظلة : حى فى تميم
(٣) العكر : ما فوق خمسمائة من الإبل (٤) يقال : أبرد : دخل فى آخر النهار
(٥) عدس فى بنى تميم بضم الدال، وفى سائر العرب بفتحها (٦) نكد الرجل فهو منكود : إذا كثر سؤاله وقل خيره ، ورجل نكد : أى عسر .

وأقبلَ حسانُ ومَنْ معه من الجيش فى وجه الصبح ، والتقَوا ببنى يربوع ، فاقتتلوا ، فضرب حُشَيش[1] بن نمران الريَّاحى حسان بن كبشة الملك على رأسه فقتله ، وانهزم أصحابُه .

وأسر ثعلبة بن الحارث اليربوعى يزيد بن الصَّعق ، فأبصره فى يده ثعلبة بن الحارث بن عمرو، فضربه على رأسه فأمَّه، وانهزم طفيل بن مالك على فرسه قُرْزُل[2]، وضرب زنباع بن الحارث أحد بنى رياح عبيدة بن مالك على هَامَتِه فمات فى يده ؛ فقال فى ذلك سُحَيم بن وَثِيل الرِّياحى :

ونحنُ ضربْنا هامةَ ابن خُوَيلد[3] يزيد وضرَّجْنا عبيدةَ بالدمِ
بذى نَجَبٍ إذ نحن دون حريمنا على كل جَيَّاش الأجارىّ[4] مِرْجَم[5]

***

وقتل خالد بن مالك النهشلى ـ رئيس بنى عامر ـ عمرو بن الأحوص ، وقد كانَ بعضُ أصْحَابه قال له : ياخالد ؛ اقتــلْ بأبيك[6] ، وانهزمت بنو عامر وصنائع ابن كبشة ، فقال أوس بن حُجْر :

كان بنو الأبْرَص[7] أقْرانــكم فأدركوا الأحْدَثَ والأقْدَمَا
إذ قال عمرٌو لبنى مالكٍ لا تُعْجِلوا المِرَّة أن تُحْكَمَا

(١) فى رواية : جشيش بالجيم (٢) اسم فرسه ، وقال ابن الأعرابى : هو اسم فرس عامر ابن الطفيل . وقال أبو عبيدة : كانت فرس الطفيل ، وكذلك قال الجوهرى
(٣) ابن خويلد : يزيد بن الصعق (٤) الأجارى : ضروب من الجرى
(٥) مرجم : شديد (٦) كان عمرو بن الأحوص قتــل أبا خالد يوم جبلة
(٧) بنو الأبرص : بنو يربوع بن حنظلة .

واللهِ لولا قُرْزُلٌ[1] إذ نجَا   لَكان مَثْوَى خدِّكَ الأخْرَمَا[2]

نَجّاك جياشٌ[3] هَزِيمٌ كما[4]   أَحْمَيْتَ وسْطَ الوَبَرِ المِيْسَمَا

---

(١) فرس طفيل بنى مالك بن جعفر وقد فر به من بنى يربوع كما سبق (٢) الأخرم : الجبل : وهو منقطع أنفه وهو يريد : لثوى خدك فى الأرض . وأخرما الكتفين أيضاً : رءوسهما من قبل العضدين مما يلى الوابلة ، وقيل : هما طرفا أسفل الكتفين اللذان اكتنفا كعبرة الكتف ، فالكعبرة بين الأخرمين ، والمعنى : لقتلت فسقط رأسك عن أخرم كتفك

(٣) الجياش : الشديد الجرى السريع كأنه مشتق من القدر إذا جاشت بالغلى والهزيم كذلك ، يقول : يجيش ويهزم يعنى يصوت صوتاً كغلى المرجل (٤) كما أحميت : يعنى به السرعة . يقول هذا الفرس يلتهب فى عدوه كما يلتهب الميسم وهى الحديدة تحمى بالنار حتى تصير كالجمرة ثم توضع على جلد البعير علامة ، والأصمعى يقول معناه : إنه سريع الجرى ، فسرعة هذا الفرس كسرعة مر هذا الميسم فى جلد البعير ووبره .

(٤) يوم الصرائم*

أغارت بنو عَبس على ربيعة بن مالك بن حنظلة ، فأتى الصريخُ بنى يربوع ، فركبوا فى طلب بنى عَبْس ، فأدركوهم بذات الجَرْف[1] ، فقتلوا شُرَيحاً وجاراً ابنى وهب ، وأسروا فروة وزِنْباعا ابنى الحكم بن مروان بن زنباع ، وأسَرَ أُسيد بن حِنَّاءَة الحكم ابن مروان بن زنباع العبسى . وقتل عِصْمَة بن حَدْرة الرياحى سبعين رجلاً من بنى عبس — وقد كان العَفّاق بن العَلاق بن قيس خرج فى طلب إبل له ، فمرّ ببنى عبس ، فأخذه شريح وجابر إبنا وهب فقتلاه ، فنذر عِصمة ألا يطعم خمراً ، ولا يأكل لحماً ، ولا يقرب امرأة ، ولا يغسل رأسه ، حتى يقتل به سبعين رجلا من بنى عبس ، فقال لما قتلهم :

اللهُ قد أمكننى من عَبْسِ ساغ شَرابى وشَفَيْتُ نفسى
وكنتُ لا أقرب طُهرَ عُرْسِى ولا أشُدُّ بالوِخَافِ[2] رأسى
ولمأ كنْ أشربُ صَفْوَ الكأْسِ

وقال سُحَيْم بن وَثيل :

وافى ابنُ زنباع وفروةُ عَقْدَنا وفيهم دماءُ الحىّ لما تُصَرَّمِ

* بين عبس ويربوع ، ويسمى يوم بنى جذيمة وذات الجرف أيضاً ، والصرائم : اسم موضع كما فى معجم البلدان

النقائض ص ٢٤٨ ، ٣٣٦ (طبع أوربة)

(١) الجرف : موضع فى نواحى اليمامة (٢) الوخف : ضربك الخطمى فى الطشت يوخف ليختلط ، وتقول : أما عندك وخيف أغسل به رأسى ، والوخيف والوخيفة : ما أوخفت به ، ويقال : أتاه بلبن مثل وخاف الرأس .

وفى هذا اليوم قال الحطيئة ، وقد كان فى الجيش فهرب :

ما أدرى إذا لاقيتُ عمراً ... أ كَلْبَى(١) آلُ عمرٍو أم صِحَاحُ
لقد بلغوا الشّفاء فأخبرونا ... بقتْلى من تُقَتِّلُنا رياحُ
حَوَتْنَا منهمُ لما التقيْنَا ... رماحٌ فى مراكزها رِمَاح
وجُرْدٌ فى الأعنّةِ مُلْجَماتٌ ... خِفَافُ الطَّرْف كأنّهَا السِّلَاحُ
إذا ثار الغبارُ خرجْنَ منه ... كما خرجَتْ من الغَدَرِ(٢) السِّرَاحُ
وما بَاءوا كبَأْوِهم(٣) علينا ... بفَضْلٍ دمائهم حتى أراحوا

وفى هذا اليوم قال : شُمَيث بن زنباع بن الحارث بن ربيعة الرياحىّ :

سائِلْ بنا عبساً إذا ما لقيتَها ... على أى حىٍّ بالصرائم دُلَّتِ
قتلْنَا بها صبْرًا شريحًا(٤) وجابراً ... وقد نَهِلتْ منها الرماحُ وعَلَّتِ
جزينا بما أَمَّتْ أُسَيْدَةَ حقبَةً ... خُوَيْلَةَ إذ آذَنَّهـا فاستقلَّتِ
فأبلغ أبا حُمْرَان أن رِمَاحَنَا ... قَضَتْ وطراً من غالبٍ وتَغَلَّتِ(٥)
فِدًى لرياحٍ إذ تَدَارَكَ رَكْضُها ... ربيعةَ إذ كانت بها النعلُ زَلَّتِ
فَطِرْنَا عَجالى للصريخ ولا ترى ... لنا نَعَمًا من حيثُ يُفزِع شُلَّتِ(٦)
وما كان دَهْرِى إن فخرتُ بدولةٍ ... من الدَّهْرِ إلا حاجةَ النفس سُلَّتِ

---

(١) كلب الرجل : عضه الـكلب الـكلب ، فأصابه مثل ذلك ، ورجل كلب من رجال كلبين ، وكليب من قوم كلبى (٢) الغدر : الحجارة والشجر وكل ما واراك ، والسراح : جمع سرحان وهو الذئب ، قال الأزهرى : وأما السراح فى جمع السرحان ، فغير محفوظ عنـدى

(٣) البأو : الـكبر (٤) شريح وجابر : ابنا وهب ، وهما من بنى عوذ بن غالب (٥) تغلت : يريد من الغلو وهو الزيادة ، وأبو حمران : عروة بن الورد العبسى (٦) شلت : يريد لا يهمون طرد إبلهم إذا فزعوا ولـكنهم يقيمون ثقة منهم بأنفسهم والشلل والطرد سواء .

(٥) يوم الرَّغام *

أغار عُتَيْبة بن الحارث بن شهاب فى بنى ثَعْلَبَة[١] بن يربوع على طوائف من بنى كلاب[٢]؛ فطردوا[٣] إبلهم ، وكان أنس بن عباس الأصمّ أخو بنى رِعْل[٤] مُجاوراً فى بنى كلاب ، وكان بين بنى ثعلبة بن يربوع ، وبين بنى رِعْل عَهْدٌ ألّا يُسْفَك دمٌ ، ولا يُؤْكل مالٌ .

فلما سمع الكلابيون الدّعوى يا آل ثعلبة ، يا آل عُبَيد ، يا آل جَعْفَر ! عرفوهم ، فقالوا لأنس بن عبّاس : قد عرفتَ ما بين رِعْل وبين بنى ثعلبة بن يربوع ، فأَدْرِكْهم فاحْبِسهم علينا حتى نَلْحَق .

فخرج أنسٌ فى آثارهم حتى أدركهم ، فلما دنا منهم قال عتيبة لأخيه حنظلة ابن الحارث : أَغْنِ[٥] عنّا هذا الفارس ؛ فاستقبله حنظلة فقال له أنس : إنما أنا أخوكم وعَقيدكم[٦] ، وكنتُ فى هؤلاء القوم ؛ فأغرْتُم على إبلى فيما أغرْتُم عليه ، فهى معكم .

فرجع حنظلة إلى أخيه فأخبره الخبر ، فقالوا : حيّاك الله ! هَلُمّ فوالِ[٧] إبلك . قال : والله ما أعرِفُها ، وبنو أخى وأهل بيتى معى ، وقد أمرتُهم بالركوب فى أثرى ، وهم أعرفُ بها منى .

---

* لبنى يربوع (من تميم) على كلاب (من قيس) . والرغام : اسم رملة بعينها من نواحى اليمامة . النقائض ص ٤١٠ طبع أوربة

(١) بنو ثعلبة بن يربوع : حى فى تميم (٢) بنو كلاب : حي فى عامر (٣) يقال : طرد الإبل : إذا ضمها من نواحيها (٤) رعل : بطن فى سليم ، وسليم فرع من قيس عيلان

(٥) يقال : أغن عنى شرك أى اصرفه وكفه ، ومنه قوله تعالى : « لن يغنوا عنك من الله شيئاً » ، وفى حديث عثمان أن علياً رضى الله عنهما بعث إليه بصحيفة فقال للرسول : أغنها عنا ، اصرفها وكفها (٦) العقيد : المعاقد (٧) اعزلها .

ثم جاء فوارس بنى كلاب فاستقبلهم حنظلة بن الحارث ، فقال أنس : إنما هُمْ بنىّ وبنو أخى — وإنما كان يُرِيثُهم[١] لتلحق جماعةُ فوارس بنى كلاب — فلحقوا، فحمل الحَوْثَرة بن قيس[٢] على حنْظلة فقتله ، وحمل لأْم بن سَلَمة على الحوثرة هو وابن مزنة فأسراه ، ودفعاه إلى عُتَيْبَة فقتله صبراً[٣] ، وهُزِم الكلابيون .

ومضى بنو ثعلبة بالإبل ، وفيها إبل أنس بن عباس ، فلم تُقِرَّ أنساً نفسُه حتى اتّبعهم رجاء أن يصيبَ منهم غِرّة وهم يسيرون فى سَخْوَاء[٤] .

ثم تخلّفَ عُتَيْبَة فى قضاء حاجته ، وأمسك برأس فرسه ، فما شعر إلا بأنس قد مرّ فى آثارهم فتغفّله عتيبة حتى وثب عليه فأسره وأتى به أصحابَه ، فقال له بنو عُبَيد : قد عرفتَ أن لأْم بن سَلِمة وابن مُزْنة قد أسَرَا الحَوْثرة ؛ فدفعاه إليك فضربْتَ عُنُقَه ، فأعْقِبْهُما منه أنس بن عباس ؛ فهو خيرٌ منه ، فأبى عُتيبة أن يفعلَ ذلك ، حتى افْتَدَى أنسٌ نفسَه بمائتى بعير ، فقال العباس بن مِرْداس[٥] يعيِّر عُتيبة أخْذَه أنساً وبينهم ما بينهم من الميثاق :

كَثُرَ الضَّجَاجُ[٦] وما سُمِعتُ بغادرٍ ... كعُتَيْبَةَ بنِ الحارث بن شهابِ

جَلَّلتَ حنْظَلَةَ[٧] الخَانَةَ والخنا ... ودَنِسْتَ آخرَ هذه الأحْقَابِ

وأجرْتمُ أنسًا فما حاولتُمُ ... بإسارِ جارِكُمُ بنى المِيقَابِ[٨]

فِخُّوا[٩] بأطراف الأنوف وأَمْهِلُوا ... عنكم قوادِمَ صِرْمَةِ الأعرابِ

---

(١) يريثهم : يبطئهم (٢) الحوثرة بن قيس : من بنى كلاب (٣) يقال للرجل يقدم فيضرب عنقه: قتل صبراً (٤) السخواء : الأرض السهلة الواسعة (٥) العباس بن مرداس : من بنى سليم قوم أنس ، شاعر جاهلى وأدرك الإسلام ثم أسلم ، وهو أحد أغربة العرب وقد جعله ابن سلام فى الطبقة الخامسة من الشعراء (٦) الضجاج : الصياح (٧) حنظلة: قوم عتيبة إذ هو من يربوع بن حنظلة (٨) الميقاب : التى تلد الحمقى ، والوقب الأحمق (٩) الفخ : أن ينام الرجل وينفخ فى نومه ، وفخ النائم يفخ (بكسر الفاء)

فقال عتيبة :

غدرتُم غدرةً وغدرتُ أُخْرى فليسَ إلى توافينا سَبِيلُ
كأنكم غداة بنى كلابٍ تفاقدتُم[1] علىَّ لكم دَليلُ

وقال مالك بن نُوَيرة[2] لما أبى عُتيبة أن يدفعَ إليهم أنسًا ، يَمُنُّ عليه بدفع بنى عُبَيْد الحَوْثَرَة إليه حتى قتله :

ونحن ثأَرْنا قبْلَها بابنِ أُمّه غَداة الكلابيِّين والخيلُ تَشهَدُ
فجئنا به صبراً إليك تَقُودُه وأنتَ ضعيفُ الصوت قلبك يُرْعَدُ
قيادَ ذليلٍ لا يُنازِعُ رأسَهُ وقُلْنا لك اقْتُلْه وقد كدت تبْلُدُ

(١) يقال تفاقد القوم ؛ أى فقد بعضهم بعضاً (٢) مالك بن نويرة : من ثعلبة بن يربوع أحد الشعراء المخضرمين ، قتله خالد بن الوليد فى حروب الردة .

(٦) يوم جَزْع ظِلَال*

أغارت بنو فزارة ، ورئيسهم عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنِ بن حُذَيفة بن بدر، ومعه مالك ابن حِمار الشَّمْخيّ متساندَيْن؛ هذا من بنى عدى بن فزارة ، وذلك من بنى شَمْخ بن فَزَارَة[١]، على التَّيْم وعديّ وثور أَطْحَل من بنى عبد مَناة[٢]، فملئوا أيديهم غنائم وإبلا ونساء ، وأخذ يومئذ شريك بن مالك بن حُذَيفة أربعين امرأةً من التَّيم وعُكْل فأطلقهن وردّهن ، وأخذ خارجة بن حصن نفراً من التَّيْم فأطلقهم بغير فِدَاء .

فادّعت بعد ذلك بنو يربوع أن عُتَيْبَة بن الحارث بن شهاب وبنى يربوع أدركوهم بحَقيل[٣] فاستنقذوهم[٤] .

ثم إنه ضَرَب الدهرمن ضَرَبانه[٥]، فبلغ بنى فزارة أن النعمان بن جساس التَّيْمى وعوف بن عطية وسبيع بن الخطيم ــ وهم سادة التَّيم ــ وابن الخيط ، وهو سيدُ بنى عديّ تيم[٦] انطلقوا إلى بنى سعد بن زيد مناه[٧] وضبّة[٨] يستمدُّونهم ،

---

* لفزارة (من قيس) على تميم . وجزع ظلال: موضع
معجم البلدان ص ٣٠٨ ج ٣، النقائض ص ٣٠٢ ، ١٠٦٧ (طبع أوربة)

(١) فزارة : حى فى ذبيان ، وذبيان فرع من قيس عيلان (٢) يسمى بعض النسابين هذه الأحياء بالرباب (٣) حقيل : واد فى ديار بنى عكل (٤) فى ذلك يقول جرير وهو يفخر على التيم :

تداركنا عيينة وابن شمخ ... وقد مرا بهن على حقيل
فردوا المردفات بنات تيم ... ليربوع فوارس غيرميل

(٥) ضرب الدهر من ضربانه وضربه : مر من مروره وذهب بعضه (٦) عدى تيم : حى فى تميم (٧) بنو سعد : حى فى تميم (٨) ضبة : تنسب إلى ضبة بن أد بن طابخة ابن الياس .

ويَسْألونهم النَّصْر ، فركبت بنو فَزارة ورأْسُهم أيضا عيينة بنُ حِصْن ، فأغاروا على التَّيْم ، فقتلوهم قتلاً لم يَقْتُلوه أحداً ، وأخذوا مائةَ امرأة من التَّيم ، فقسَّمهن عُيينة بين بنى بدر[١] ، وأَخذوا سَبْياً كثيراً فقتلوهم .

فلما نزلوا اشترت بنو فزارة الخمور ليشربوا ، فقال عيينة : ابعثوا بناتِ تيم فلْينْقُلْنَ زِقاقكم . فانطلق نساء تيم ومن كان معهن من رجالهن ينقلون زِقاق الخمر إليهم ، ثم أمروهنّ فجعلْنَ يمزُجْن فيشربون ولا يسقون تَيْماً مَحْقَرَةً لهم ، فأتى كذلك زمان .

ثم إن عُيينة سأل قومه أن يردّوا بنى تيم ففعلوا ، فردّوا السَّبْى إلى تيم ، وأطلقوا الرجال بغير فداء[٢] .

ثم إن بنى مرّة[٣] أغاروا على التيم ورئيس بنى مرّةَ يومئذ سنان بن سنان بن أبى حارثة ، فقتلوا التيم وعديًّا وعُكْلاً ، وأخذوا سَبْياً كثيراً ، فلم يُعْتِقوا منهن شيئاً واستخدموهن .

---

(١) بدر : قوم عيينة (٢) فذلك قول جرير :

خدمن بنى غيظ بن مرة بعدما ... خدمن الندامى من شروب بنى بدر
إذا ما اشتروا خمراً نقلن زقاقهم ... إليهم ولا يسقون تيما من الخمر

(٣) مرة : حى فى ذبيان .

(٧) يوم المَرُّوت*

كان من حديث هذا اليوم أن قَعْنَب بن الحارث بن عمرو بن همام بن يربوع التقى هو وبُجَير[١] بن عبد الله العامرى بعكاظ ، والناس متواقفون ، فقال بُجَير : ياقَعْنَب ما فعلتِ البيضاء فرسُك ؟ قال : هى عندى . قال : فكيف شُكْرك لها ؟ قال : وما عسَيْتُ أن أشكرها به ؟ قال : وكيف لا تشكرها وقد نجّتْك منى ! قال قعنب : ومتى كان ذلك ؟ قال : حيث أقول :

لو أمكنتنى من بَشَامَةَ[٢] مُهْرَتى ... لَلاقى كما لاقت فوارسُ قَعْنَبِ

تمطّتْ[٣] به البيضاء بعداخْتِلاسِهِ ... على دَهَشٍ وخِلْتُنى لم أُكَذَّبِ

فأنكر ذلك قعنب، وتلاعنَا وتداعيا أن يقتلَ الصادقُ منهما الكاذب ، ونذر قعنبُ أن لا يَراه بعد هذا الموقف إلاَّ قتله أو ماتَ دونه .

فضربَ الدهرُ من ضَرَبَانه ، ثم إن بُجَيراً أغار على بنى العنبر يوم إِرَمِ الكَلْبَةِ[٤] وهم خُلوف ؛ فأصاب منهم ناساً، وانفلَتَ منهم مُنْفَلِتُون ، وأتى الصريخ بنى حنظلة ، وبنى عمرو بن تميم وبنى العنبر فركبوا فى أثرِ بُجَير ، وقد سار بِمَنْ أخذ من بنى العنبر فكان أول مَن لحق بنو عمرو بن تميم ، فقال بُجَير لأصحابه من بنى عامر : انظروا ما ترون ؟ قالوا : نرى خيلا عارضَة رماحها على كواهل خيلها . قال : أولئكم بنو عمرو

---

* لتميم على عامر (من قيس) والمروت : موضع فى ديار بنى تميم
ابن الأثير ص ٣٨٦ ج ١ ، النقائض ص ٧٠ (طبع أوربة) ، بلوغ الأرب ص ١٠٨ ، معجم البلدان (المروت)

(١) فى النقائض : بجير بفتح الباء وكسر الجاء ، وهذا الضبط عن اللسان ـ مادة نكد

(٢) بشامة : اسم رجل (٣) تمطت به : سارت سيراً ممدوداً (٤) موضع بين البصرة والحجاز .

ابن تميم، وليست بشيء . فلحقوا بِبُجَير وهو بالمرّوت، فاقتتلوا شيئاً من قتال؛ ثم لحق بنو مالك بن حنظلة ، فقال بُجَير لأصحابه : انظروا ما ترون ؟ قالوا : نرى خيلاً ناصِبَةَ الرماحِ . قال : أولئكم بنو مالك بن حنظلة، وليست بشيء . فلحقوا وقاتلوا شيئاً من قتال، ثم لحقت خيلٌ شَماطيط[1] ، فقال بُجَير : ما ترون ؟ قالوا : نرى خيلا شَماطيط ليس معها رماح وكأنما عليها الصبيان . قال : أولئكم بنو يربوع ، رماحُهم عند آذان الخيل ، إيا كم والموت الزؤام ! فاصبروا ، وما قوتلتم منذ اليوم إلا الساعة .

فكان أول من لحق من بنى يربوع نُعَيْم[2] بن عتّاب ، فطعن المُثَلَّم بن قُرط أخا بنى قُشَير فصرعه وأسره ، ثم لحق قَعْنَب بن عَصَمة بجيراً فطعنه فأرداه عن فرسه، فوثب عليه كَدّام بن بجيلة[3] المازنى ، فأبصره قَعْنَب بن عتّاب ، وهو فى يد كَدّام فحمل عليه ، فأراد كدّام منعه ، فقال قعنب : مَازِ[4] رأسك والسَّيفَ ! فخلّى عنه كدّام ، فضربه قَعْنَب بن عتّاب فأطارَ رأسه ، وانهزم بنو عامر .

واستنقذت بنو يربوع أموال بنى العنبر وسبيهم من بنى عامر وعادُوا .

---

(١) متفرقة أرسالا (٢) كان يسمى الواقعة لبليته (٣) فى النقائض : بن نخيلة بالنون والخاء (٤) أى يامازنى رأسك والسيف . قال فى اللسان : ولم يكن اسمه مازناً وإنما كان اسمه كداماً ، وإنما سماه مازناً لأنه من بنى مازن ، وقد تفعل العرب مثل هذا فى بعض المواضع .

٩ ـ أيام ضبة وغيرهم

١ — يوم النسار .

٢ — « الشقيقة .

٣ — « براخة .

٤ — « دارة مأسل .

٥ — « النقيعة .

(١) يوم النِّسَار*

أَجْدَبَتْ أرضُ مُضَر وأَخْصَبَتْ بلادُ بنى سعد(١) والرِّباب(٢) وجادَها الغيثُ ؛ فلما وقع ذلك الغيثُ أقبلت عامرُ بن صعصعة ومَنْ معهم من هوازن إلى بنى سعد ، وكانوا يواصلونهم بالنَّسب ؛ فسألوهم أن يُرْعُوهم ومَنْ معهم من هوازن ، ففعلوا .

فلما اجتمعت بنو سعد والرِّباب وهوازن ومَنْ معها قال بعضهم لبعض : إنه ما اجتمعَ مثل عِدَّتِنا قطّ إلاَّ كانت بينهم أَحْدَاث ؛ فليضْمَن رجلٌ من هوازن ما كان فيهم ، وليضمن رجلٌ من سعد والرِّباب ما كان فيهم ؛ فكان الضامن لِمَا كان فى سعد والرِّباب الأُهْتَمَ(٣) ، وكان الضَّامِن على هَوازِن قُرَّة بن هُبَيْرة بن عامر ابن صَعْصَعَة ؛ فرعَوْا ذلك الغيثَ ما شاء الله .

ثم إن رجلا من بنى ضبّة يقال له الحُنْتَف أغار على خيلٍ لمالك ذى الرُّقَيبة بن سلمة بن قُشَير(٤) ، فلستودَعَها رجلاً من بنى أسد بن خزيمة يقال له خالد بن عمرو ، وكان غيَّبها قبل ذلك عند عوف بن عطية التَّيْمى(٥) .

---

* لضبة وتميم على بنى عامر . والنسار: جبال صغار ، وقال بعضهم : هو ماء لبنى عامر ابن الأثير ص٣٧٦ ج ١ ، العقد الفريد ص٣٦٦ ج ٣ ، النقائض ص ٢٣٨ ، ٧٩٠ ، ١٠٦٤ (طبع أوربة) ، شرح المفضليات صفحة ٣٦٤

(١) بنو سعد أحياء فى تميم (٢) الرباب: أحياء ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس ؛ سموا كذلك لأنهم أدخلوا أيديهم فى رب وتعاقدوا (القاموس) (٣) الأهتم : اسمه سنان بن سمى بن خالد ، وهو من بنى سعد بن زيد بن مناه بن عمرو بن تميم ، وقف خلاف بينه وبين قيس بن عاصم المنقرى يوم الكلاب الثانى ، فرفع قيس قوسه فضرب فم الأهتم بها ، فهتم أسنانه ، فسمى بالأهتم من يومئذ (٤) من بنى قشير ، وقشير : بطن فى بنى عامر ، ومالك هذا هو الذى أسر حاجب بن زرارة يوم شعب جبلة (٥) من ضبة .

فلما فَقَدَ مالك ذو الرُّقَيْبَة خيلَه أقبل هو وقُرَّةُ بن هُبَيرة إلى الأهتم فقالا : ضمانَك . قال : وما ذاك ؟ قالا : عُدِى على خيلنا فذُهِب بها . فقال : هل تدرون مَنْ أخَذَها ؟ قالا : لا . قال : فاطلُبوا واسألوا ونطلب ونسأل ، فإن يكن أصابها رجلٌ من سعدٍ والرّباب فأنا لها ضامنٌ حتى أردَّها .

وطلبوا وسألوا فذكر لهم رجلٌ أنها رُئِيت عند عوف بن عطيّة التّيمى ، فسألوه فأنكر أن يكونَ رآها أو علم منها عِلماً ، وسأل الأهتم فوجدَها قد كانت عنده ، فاحتبس إبلَ عَوْف حتى أرْضَى ذا الرقَيْبَة من خَيْله ، وأخذ منه شَرْوَاها[1] .

فانطلق عوف إلى الحَنْتَف فأخبره الخبر ، فردّ عليه عِدّة ما أَخذَ منه ، ورغب الحنتف فى الخيل فأمسكها ، فقال عَوفُ بن عَطِيَّةَ فى ذلك :

يا قُرَّ يابنَ هبيرةَ بن قُشَيْرٍ ... ياسيِّدَ السَّلِماتِ إنك تظلِمُ
يا قُرَّ إن تشعُرْ فإنى شاعِرٌ ... أو إن تُكَارِمْنى فغيرُكَ أكرمُ
هل أغْرَمَنَّ لعامرٍ من عامرٍ ... ولم ألاقِهمُ ولم أتكلّمِ
أو أغرَمَنَّ لذِي الرُّقَيْبَةِ خيلَهُ ... إن كانَ دَلَّهُمُ علىَّ الأهتَمُ

ثم أظهر الحَنْتَفُ الخيل ؛ فبينما هو يورِدُها غَديراً يَسقيها إذ لقيه رجلٌ من بنى قُشَير فنازعه فيها ؛ فضرب القُشَيْرِىُّ الحَنْتَفَ على ساعده وضربه الحنتف فقتله ووقع الشرّ ؛ وجاءت بنو عامر[2] إلى بنى سعد فقالوا : نحن إخوتكم وفى جِوارِكم ، وقد فُعِل بنا ما ترونَ ، فخذوا لنا بحقّنا . فكلَّموا بنى ضَبّة ، فقالوا : إنما أقْبَلَ رجلان فأراد كلٌّ واحدٍ منهما صاحبَه ، فمات صاحبهم وخُطِّئَ عن صاحبنا ، فنحن نعطيهم الديّة .

(١) شروى الشيء : مثله (٢) قوم القشيرى المقتول .

فأبى العامريُّون أن يقبلُوا الدِّيَةَ ، وقالوا : نقتلُ بصاحبنا ، فأبت بنو ضبَّة ، ووقعت الحربُ، وغضبت بنو سعد فاجتمعوا مع بنى عامر، وتواعدوا أن يلتقوا بالنِّسار، واستمدُّوا بنى أسدٍ فأمدُّوهم ؛ فالتقوا بالنِّسار فاقتتلوا ، فصبرت عامر واستحرَّ بهم الشرّ ، وانفضّت بنو سعد فواءلت[1] لم يُصَب منهم كبير . أما بنو عامر فهُزموا وقُتلوا وسُبوا ؛ فقُتِل شريح بن مالك القُشَيرى رأسُ بنى عامر ، وصارتْ سَلْمَى بنت المحلّق لعُرْوَة بن خالد بن نَضْلة ، وصارت العَنْقاء بنت همام من بنى أبى بكر بن كلاب لزياد بن زُبَير الأسدى ، وصارت أم خازِم بنت كلاب لأَرْطَاة بن مُنْقِد الأسدى ، ورمْلةُ بنت صُبيح للحارث بن جَزْء الأسدى ، وهند بنت وقّاص لقيس ابن عبد الله الفقْعسى ، وأُمامة بنت العدّاء لأُسامة بن نمير الوالبى ، فقالت سلمى المحلّق تعيّر مالك بن كعب بفرّته والطّفيلَ :

لَحَى الإلهُ أبا ليْلى بِفرَّتِهِ ... يومَ النِّسار وقُنْبَ العَيْرِ جوّابا[2]
كيف الفخارُ وقد كانت بمعتَرَكٍ ... يوم النِّسار بنو ذُبْيانَ أرْبابا
لم تمنعوا القوم إذ شلُّوا سوامَكمُ ... ولا النساءَ وكان القومُ أحْزابا

فبعثت بنو كلاب إلى القوم فشاطروهم سبْيَهم، فقالت الفارعةُ بنت معاوية من بنى قُشَير تُعيّرُ كِلَابًا بمشاطرتِهم الأحاليف سباياهم يومئذ :

منا فوارسُ قاتلوا عن سبْيِهم ... يومَ النِّسار وليس منا أشْطُرُ
ولبئسَ ما نصرَ العشيرةَ ذُو لحىً[3] ... وحفيفُ نافجةٍ بليلٍ مُسْهِرُ[4]

---

(١) هربت، وفى النقائض: فانفضت بنوتميم (٢) جواب : لقب مالك بن كعب؛ لأنه كان يجوب الآبار يحفرها ويتخذها لنفسه (٣) ذو لحى : أى ذو اللحيـة بن عامر بن عوف بن أبى بكر بن كلاب ، ونفجت الريح إذا جاءت بقوة (٤) مسهر بن عبد قيس بن ربيعة ين أبى بكر بن كلاب .

زَعمَتْ بزُوخُ[1] بنى كِلابٍ أنّهم   منعُوا النساء وأن كعباً أدبروا
كَذَبَتْ بزُوخ بنى كلابٍ إنّها   تمشى الضَّرَاء[2] وبولهـا يتقطّر
حَاشَى بنِى المجنونِ إن أباهُمُ   صَاتٌ[3] إذا سطَـع الغبارُ الأكْدَرُ
لولا بيوتُ بنى الحَرِيش تقسَّمَتْ   سَبْيَ القبـائلِ مازنٌ والعنبَرُ

(١) البزوخ : التى تدخل ظهرها وتخرج بطنها   (٢) الضراء : ما سترك وواراك
(٣) صات : له صوت فى الناس وذكر، والصيت: الشديد الصوت ، وفى رواية: لولا بنو نبت، ريطة بنت الحريش ، وبنوها بنو خويلد بن نفيل ، وبنو المجنون: من بنى أبى بكر ،

(٢) يوم الشَّقيقة*

قال بِسْطامُ بْنُ قيس سـيِّدُ بنى شيبان (١) لأمّه ليلى بنت الأحوص : إنى قد أُخْدَمْتُك من كلِّ حىّ أَمَة ، ولستُ منتهياً حتى أخدمك أمةً من بنى ضَبَّةَ (٢) ، فقالت له أمّه : يابنىّ لا تفعل ؛ فإن بنى ضبّة حىّ لا يَسْلَمُ ولا يَغْنَمُ منهم مَن غزاهم .

ولـكنه خرج لغزْوهم ، ومعه رجلٌ يَزْجُر الطير من بنى أسد بن خزيمة يُسَمَّى نقيداً .

فلما دنا من نقاً(٣) يقال له نَقَا الحَسَن فى بلادبنى ضَبَّة صَعِدَه ليرْبَأ(٤) ، فإذا هو بنعم قد مَلأ الأرض فيه ألفُ بعير لمـالك بن المُنْتَفِق الضَّبّى قد فقأ عينَ فحلها — وكذلك كانوا يفعلون فى الجاهلية إذا بلغَتْ إبلُ أحدِهم ألف بعير ، تُفْقَأُ عين أحدها لِيُرَدّ عنها الحسد — وإبلُ مَنْ تبعه وجميعها إبل مُرتَبِعة ، ومالك بن المُنتَفِق على فرس له جواد .

فلمّا أشرف على النقّا تخوّف أن يَرَوْه فينذِروا(٥) به ، فاضطجع بطنُه لظهره ،

---

* لضبة على شيبان . والشقيقة : كل جمد بين حبلى رمل ، وقيـل الشقيقة: فرجة فى الرمال تنبت العشب ، وهو يسمى أيضاً نقا الحسن ، والحسن اسم رمل بعينه

التقائض ص ١٩٠ ، ٢٣٣ طبع أوربة ، العقد الفريد ص ٣٤٢ ج ٣ ، ابن الأثير ص ٣٧٦ ج ١ معجم البلدان (مادة حسن) ، شرح ديوان الحماسة للتبريزى ص ٥٢ ج ٣

(١) شيبان : بطن فى بكر (٢) ضبة : حى فى مضر (٣) النقا : القطعة من الرمل المحدودبة (٤) يقال : ربأهم وربأ لهم ؛ صار ربيئة لهم ، أى طليعة (٥) ينذرون : يعلمون .

وانْحَدَر حتى أَسْهل بمستوى من الأرض ، وقال: يابنى شيبان؛ لم أر كاليوم فى الغِرّة وكثرة النَّعَم .

فلما نظر نقيد الأسدى إلى لِحْيَةِ بسطام مُعفّرة بالتراب حين أسهل تطيّر له ، وقال :

والذى يُحلف به ؛ لئن صدَق طائرُك لتعفرنَّك بنو ضبّة اليومَ بالتراب ، فأطِعْنى وانْصَرِف .

فقال له بسطام : أأرجع وقد بلغتُ غايتى وأشرفتُ على الغنيمة ! فقال الأسدى: إنى لستُ لك بصاحب ، وأنا منصرف عنك وتاركُك ، ثم أخذته رِعدة تهيّبا لفراقه، وقال له : ارجع يا أبا الصَّهْبَاء ؛ فإنى أتخوّف عليك القتـل ، فعصاه ، وركب نقيد الطريق وفارقه .

وركب بسطام وأصحابُه وأغاروا على الإبل وطَردوها ، وفيها فحلٌ لمالك يقال له أبو شاغِر ـ وكان أعمى ـ ونجا مالك بن المُنْتَفق على فرسه إلى قومه من ضبّة ، واستصرخهم قائلا : ياصباحاه[1] ! فأجابوه ، ثم عاد ومعه فوارس منهم أدركوا القوم وهم يطردون النَّعم، فجعل فحله أبو شاغِر يشذّ من النعم ليرجعَ، وتتبعه الإبل، فكلما تبعته ناقةٌ عقَرها بسطام . فلما رأى مالك ما يصنع بسطام وأصحابه قال : ماذا السَّفَهُ يابسطام ! لا تعْقِرْها لا أبا لك ! فإمّا لنا وإمّا لك .

ثم إن رجلا من بنى ثعلبة يقال له أرطاة بن ربيعة لحق بنى ضبّة ومعـه قوسه وأسْهُمه وقال : يابنى ضبّة ؛ بأبى أنتم وأمّى ! مُرونى بأمركم وما تريدون أن أصنع ،

---

(١) ياصباحاه : كلمـة تقولها العرب إذا صاحوا للغارة ؛ لأنهم أكثر ما يغيرون عند الصباح ، ويسمون يوم الغارة يوم الصباح ؛ فكأن القائل : يا صباحاه ! يقول : قد غشينا العدو (لسان العرب ـ مادة صبح) .

فقالوا : عليك بِرَاوية[1] القوم فإنما هى أنْفُسهم، وقد اشتدّ الحر ـ وكانوا قد جمعوا ما كان معهم من ماء على جمل لهم ـ فأهوى أرطاة للجمل الذى عليه المـاء بسَهْم ، فوضعه فى سالفته[2] فقطع نخاع الجمل ، فتجَبّ[3] الجمل على جِرَانه[4] ، وانقَدّت المزادتان اللتان عليه .

فلما رأى أصحاب بِسطام من شيبان أن المـاء قد هُريق سُقِط فى أيديهم ، واستأمروا ثم ألقوا السلاح .

وكان عاصم بن خليفة الصّباحى أحـد بنى ضبة رجلا طُرْقة[5] ، وكان يصنع حديدة له قبل الغزو ، فيُقال له : ما تصنعُ بها ياعاصم ؟ فيقول : أقتُلُ بها بسطاماً ، فيهزءون منه. فلما جاء الصريخ بنى ضبة أسْرج أبو عاصم فرسه ، ثم جعل يشدُّ أزرار الدّرع عليه ، فبادره ابنُه عاصم وركب فرسَ أبيه فناداه أبوه مراراً ، فجعل لا يلتفتُ إليه ولا يجيبه ، وسار حتى لحق الفرسان ، ثم سأل رجـلاً من فرسان بنى ضبّة : أيّهم الرئيس؟ بأبى أنت ؟ فقال : حاميتُهم صاحبُ الفرس الأدهم ـ وكان بسطام يحمى قومه فى أخريات الناس على فرس يقال له الزعفران ـ فعارضه عاصم حتى حاذاه ، ثم حمل عليه فطعنه بالرمح فى صماخ أُذنه، وأنفذ الطعنة إلى الجانب الآخر ، وهو مُتجِر بمُلاءة صفراء ، ثم نزل إليه عاصم ليسلبه ، فقال له بسطام : إنك قد أحرزت سَلبى فعليك غيرى . ثم وقع رأسه على ألآءة[6] من شجر الرمل فمات .

فلما رأت ذلك بنو شيبان خلّوا سبيل النّعم ، وولّوا الأدبار ، فمن قتيل وأسير .

***

---

(١) الراوية : المزادة فيها المـاء ، والبعير والبغل والحمار يستق عليه (٢) السالفة : ماتقدم من العنق (٣) تجعب : انقلب (٤) جران البعير : مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره (٥) طرقة : أحمق (٦) الألاء : شجر مر .

وكان عبدُ الله بن عَنَمة الضّبى مُنقطعًا إلى بنى شيبان بمودّته، لأنهم كانوا أخواله وكان يَغْزُو معهم المغازى ، فلما مات بِسْطام خاف أن يُقتل، فقال يرثيه :

لأُمِّ الأَرْضِ وَيْلٌ ، ما أَجَنَّتْ ؟ بحَيْثُ أَضَرَّ بالحسَنِ السَّبيلُ (١)

يُقَسِّمُ مَالَهُ فينَا ونَدْعُو أَبَا الصَّهْباء إذْ جَنَحَ الأَصِيلُ (٢)

أَجِدَّكِ لن تَرَيْهِ ولَنْ نَرَاهُ تَخُبُّ به عُذَافِرَةٌ ذَمُولُ (٣)

حَقِيبَةُ رَحْلِها بَدَنٌ وَسَرْجٌ تُعَارِضُها مُرَبَّبَةٌ دَءُولُ (٤)

إلى مِيعادِ أَرْعَنَ مُكْفَهِرٍّ تُضَمَّرُ فى جَوَانِبِهِ الْخُيُولُ (٥)

لَكَ المِرْبَاعُ مِنْهَا وَالصَّفَايَا وحُكْمُكَ والنَّشِيطَةُ والفُضُولُ (٦)

أَفَاتَتْهُ بَنُو زيد بن عمرٍو ولا يُوفِى ببسطام قتيـــلُ (٧)

---

(١) ما : استفهامية ، وأجنت : سترت ، أضر : دنا ، والحسن : جبل رمل . والمعنى : ويل للأرض كيف سترت رجلا عظيا بمكان قرب فيه الطريق من الجبـــل المسمى الحسن

(٢) أبا الصهباء : كنية بسطام ، والأصيل : العشية ، وهو وقت الأضياف (٣) أجدك : أجد منك ، وتخب : تمشى الخبب ، والعذافرة : الغليظة ، والذمول : السريعــة ، والنفى الأول لرؤيته فى السلم ، والثانى لرؤيته فى الحرب (٤) الحقيبة : ما يجعل وراء الرحل ، والبدن : الدرع ، والمربية : السمينة ، والدءول : من الدؤلان ، وهو نوع من السير . والمعنى : وراء رحل هذه الناقة درع وسرج ، تعارضها ناقة سمينة (٥) الأرعن : الجيش الـكثيف كأنه أنف فى الجبل ، والمـكفهر : الـكريه المنظر ، وتضمر : تعلف القوت القليل بعد السمن ، والمعنى تسير الناقة به إلى ميعاد جيش كثيف (٦) المرباع : ربع الغنيمة ، وكان الرئيس يأخذه حقاً له عند الغزو ، والصفايا : جمع صفية ، وهى أشياء كان يصطفيها الرئيس لنفسه من خيار ما يغنم ، والنشيطة: ما أصابه الجيش فى طريقه من قبل أن يصل إلى مقصده ، والفضول: ما فضل ولم ينقسم ، والمعنى أن المفقود كانت له إمارة تسوغ له مالا تسوغ لغيره (٧) أفات : متعد إلى مفعولين ، واحدهما محذوف ، كأنه قال : أفاتت الناس بنو زيد بن عمرو بسطاماً ، أى الانتفاع به ، وكأنهم ضيعوا دمه ولا يوفى بدمه دم قتيل .

وخَرَّ على الْأَلَاءَةِ لَمْ يُوَسَّدْ　　كَأَنَّ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَقِيلُ[(١)]

فإن تجزع عليـــه بنو أبيه　　فقد فُجِعُوا وفاتهمُ جليـــلُ

بِمِطْعَامٍ إِذا الْأَشْوالَ[(٢)] راحَتْ　　إلى الحُجُراتِ ليس لها فَصِيلُ

***

وقالت شَمْعَلة بنت الأخضر بن هبيرة :

ويومَ شقيقة الحسنين[(٣)] لاقَتْ　　بنو شيبانَ آجالاً قِصَارا

شكَكْنَا بالأسنَّةِ وهْىَ زُورٌ[(٤)]　　صِمَاخَى كَبْشِهِم حتى استدَارَا

وأَوْجَرْنَاهُ[(٥)] أَسْمَرَ ذا كُعُوبٍ　　يُشَبَّهُ طُولُه مَسَداً[(٦)] مُغارا

فخرَّ على الألاءَةِ لم يُوَسَّدْ　　وقد كان الدماء له خِمَارا

وقال مُحرِز بن المكَعْبَر الضَّبي ، يفخر بفعال بنى ضبة :

أَطْلَقْتُ من شَيْبَانَ سبعين رعَانِياً　　فآبوا جميعاً كلُّهم ليس يَشْكُرُ

إذا كنتَ فى أَفْنَاءِ شيبان مُنْعِما　　فجُزَّ اللِّحَى إن النَّوَاصِىَ تُكْفَرُ

فَمَلَّ تميما أن تُغِيرَ عليكم　　بجَيْشٍ وعَلَىَّ أن أُغِيرَ فأَقْدِرُ

فلا شُكْرُكُمْ أَبْغِى إذا كنتُ مُنْعِمًا　　ولا وُدَّكُمْ فى آخرِ الدَّهْرِ أُضْمِرُ

---

(١) الألاءة : شجرة ، وشبه جبينه لصفائه وانحسار الشعر عنه بسيف مصقول ، أى لم يكن أغم ، والغمم عندهم مذموم　(٢) الأشوال : الشول من النوق التى خف لبنها وارتفع ضرعها ، وأتى عليها سبعة أشهر من يوم نتاجها أو ثمانية فلم يبق فى ضروعها إلا شول من اللبن : أى بقية مقدار ثلث ما كانت تحلب حدثان نتاجها ، واحدتها شائلة والأشوال جمع الجمع　(٣) الحسنان : نقوان من رمل بنى سعد ، وهذه رواية اللسان ، ورواية النقائض : ويوم شقائق الحسنين　(٤) رواية النقائض : * شككنا بالرماح وهن زور *　وهي زور : يعنى الخيل ، وزور : جمع أزور من الزور ، وهو الميل　(٥) أوجره الرمح : طعنه به فى فيه　(٦) مسدا مغارا : حبلا شديد الفتل .

وقالت أمُّ بِسْطام :

لبَيْكِ ابنَ ذى الجدَّين بكر بن وائل   فقد بان منها زينُها وجمالُها

إذا ما غدا فيهم غدوْا وكأنهم   نجومُ سماء بينهنَّ هِلالُها

فلله عينًا من رأى مثلَهُ فتى   إذا الخيلُ يوم الرَّوْع هبَّ نِزالُها

عزيزُ المكرّ لا يُهَدُّ جناحه   وليث إذا الفتيان زلّت نِعالها

وحمّال أثقالٍ وعائذُ مُجْحِرٍ[1]   تحل إليه كل ذاك رِحالُها

سيبكيك عانٍ لم يجدْ مَن يفُكُّه   ويبكيك فرسانُ الوغى ورجالُها

وتبكيك أسرى طالما قد فككتَهم   وأرملة ضاعتْ وضاعَ عيالها

مفرّج حَوْمات الخطوب ومدرك الـ   حروب إذا صالت وعزَّ صِيالُها

(١) المجحر : المضطر الملجأ .

(٣) يوم بُزَاخَة*

أغار مُحَرِّق الغسّانى ، وأخوه فى إيادٍ[1] وطوائف من العرب من تغلب وغيرهم على بنى ضَبَّة بن أُدّ بِبُزَاخَة، فاستاقوا النَّعَم، فأتى الصريخُ بنى ضَبَّةَ فركبوا فأدركوه، واقتتلوا قتالاً شديداً ؛ ثم إن زيدَ الفوارس حمل على مُحَرِّق فاعتنقه وأسره ، وأسَرُوا أخاه[2] حُبَيْش بن دلَف السِّيدىّ ، فقتلتهما بنو ضَبّة ، وهُزِمَ القومُ ، وأُصيب منهم ناسٌ كثير ، فقال فى ذلك ابنُ القائِف أخو بنى ثعلبة ثم أحد بنى معاوية بن كعب بن ثعلبة بن سعد بن ضَبَّة :

نِعْمَ الفوارسُ يوم جيْشِ مُحَرِّقٍ   لحقوا وهُمْ يَدْعُون يَالَ ضِرَارِ
زيدُ الفوارسِ كرّ وابنَا مُنْذِرٍ   والخيـلُ أَوْجَفَهَا[3] بنو جَبَّارِ
حتى سَمَوْا لِمُحَرِّقٍ برِمَاحِهِمْ   بالطّعْن بين كتائبٍ وغُبَارِ

* * *

يَرْمِى بغُرَّةِ كامِلٍ وبنَحْرِه   خَطرَ النُّفُوسِ وأىّ حين خِطَار
لمـــا رأوا يومًا شديداً بأسُه   كرِهَ الحيـــاةَ وشُقّةَ الأسْفَار
وكأنّ زيداً زيدَ آلِ ضِرَارٍ   ليثٌ بكفّيه المنيّـــة ضَارِ

---

* لضبة على إياد ، وبزاخة : ماء
النقائض ص ١٩٥ طبع أوربة
(١) أياد: شعب عدنانى ، أبوهم إياد بن معد بن عدنان، وليست لهم قبائل مشهورة
(٢) كان يقال لأخى محرق فارس مردود   (٣) أوجف دابته : إذا حثها .

وكأن آثارَ الغريبِ عليهمُ ومكرَّهُ يومًا مُطَافُ دُوارِ
جعلوا لِعَافِي الطيْرِ منهم وقْعَةً صَرْعَى تَضَوَّرُ فى قنًا أكْسَارِ (١)
لو لا فوارسُهُنَّ قِطْنَ عوَاطِلًا فى غير ما نَسَبٍ ولا إصْهَارِ

---

(١) العوار : الضعيف الجبان السريع الفرار .

(١) يوم دارة مَأْسَل *

غزا عُتبة بن شُتَيْر بن خالد الكلابي بنى ضَبَّة ، فاستاقَ نَعَمهم ، وقتل حصنَ ابنَ ضرار الضبي زيدُ[١] الفوارس ـ وكان يومئذ حدَثًا لم يُذكر .

فجمع أبوه ضرار قومه، وخرج ثائراً على بنى عَمْرو بن كلاب ، فأفلت منه عتبة ابن شُتَير ، وأسر أباه شُتَير[٢] بن خالد ـ وكان شيخاً كبيراً ـ فأتى به قومه وقال : ياشُتَيْر ؛ اخْتَرْ واحدةً من ثلاث ، قال : اعْرِضها علىّ ، قال : إما أن تردّ ابنى حصيناً قال : فإنى لا أَنْشُرُ الموتى ، قال : وإما أن تَدْفع لى ابنك عُتْبة أقتله به ، قال : لا تَرْضَى بذلك بنو عامر أنْ يدفعوا فارسَهم شابًّا مقتبلاً بشيخ أعْور ، هامةِ[٣] اليوم أو غد . قال : وإما أن أقتلكَ ، قال : أما هذه فنعم . فأمر ضرارٌ ابنَه أدْهم أن يقتله ، فلما قدّمه ليضرب عنقه ، نادى شُتَير : ياآل عامر ؛ صَبْرًا[٤] بصبيٍّ ! كأنه أَنِفَ أن يُقْتَل بصبي .

فقال فى ذلك شمعلة :

وخيّرنا شُتَيْرًا من ثلاثٍ ... وما كان الثلاث له خِيَارا
جعلت السيف بين اللِّيتِ منه[٥] ... وبين قُصَاص لمَّتِهِ عِذَارا[٦]

---

* لضبة على بنى عامر ، ودارة مأسل : ماء لعقيل
العقد الفريد ص ٣٣٠ ج ٣ ، معجم البلدان (مادة دارة مأسل) .

(١) زيد الفوارس : شاعر جاهلى ، وكان فارساً رئيساً على قومه ، شهد يوم القرنتين ، ومعه ثمانية عشر من ولده يقاتلون معه ، وزيد الفوارس كان فارسهم ؛ ولذا قيل : زيد الفوارس

(٢) فى اللسان: شتير بن خالد : رجل من أعلام العرب كان شريفاً قال :

أوالب لا فانه شتير بن خالد ... عن الجهل لا يغرركم بأثام

(٣) يقال : فلان هامة اليوم أو غد ؛ إذا أشرف على الموت (٤) أى أقتل صبراً بصبي

(٥) الليت بالكسر : صفح العنق . (٦) وفى ذلك يقول عمرو بن لجأ :

لا تهج ضبة ياجرير فإنهم ... قتلوا من الرؤساء ما لم يقتل
قتلوا شتيراً بابن غول وابنه ... وابنى هشيم يوم دارة مأسل

(٥) يوم النَّقيعة*

كان المُثَلَّم بن المشَخَّرة العائذى الضبى (١) مجاوراً لبنى عبس، فتقامر (٢) هو وعُمارة ابن زياد العبسى بالقِداح (٣)، فقمره (٤) عُمارة، حتى حصّل عليه عشرة بكار (٥)، فقال له المثلَّم : هلمَّ أزايدكَ فى المقارعة حتى تزيدَ علىَّ ، أو أحطَّ بعضَ ما علىَّ ! فقال له عمارة : ما أنا بفاعلٍ؛ ما أُريدُ أن أزيدَ عليك ، وقد عجزتَ ، وما أُريد أن أحطَّ عنك شيئاً قد ركبتَه عليك .

فقال له المُثلَّم : خلِّ عنى حتى آتىَ قومى فأبعثَ إليك بالذى لك علىَّ ؛ فأبى عمـارة إلا أن يرتهنَه . فرهنه ابنه شِرْحاف ، وخرج حتى أتى قومه ، فأخذ البِكار فأتى بها عُمارة ، وافتكَّ ابنَه .

فلمـا انطلق بابنه قال له فى الطريق : يا أبتاه ؛ مَنْ مِعْضَال ؟ قال : ذلك رجلٌ من بنى عمِّك ذهب فلم يوجد إلى الساعة ، ولم يحسس له أثر . قال شِرْحاف : فإنى قد عرفتُ قاتله . قال أبوه : ومَنْ هو ؟ قال : هو عمـارة بن زياد العبسى،

---

* لضبة على عبس ، والنقيعة : أرض تنبت الشجر ، بين بلاط سليط وبنى ضبة . ويسمى هـذا اليوم أيضاً يوم أعيار .

النقائض ص ١٩٣ طبع أوربة ، ابن الأثير ص ٣٩٤ ج ١

(١) من ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مدركة (٢) تقامر : تراهن

(٣) القداح : جمع قدح وهو ما كان يلعب به الميسر (٤) قمره : غلبه

(٥) البكار : جمع بكرة ، وهى الفنية من الإبل .

سمعتُه يحدّث القوم يوماً ـ وقد أخذ فيه الشراب ـ أنه قتله ثم لم يكن له ناشدٌ.

ولبثوا بعد ذلك حيناً ، وشبّ شرحاف ؛ ثم إن عُمارة بن زياد جمع جمعاً عظيما من بنى عبس ، فأغار بهم على بنى ضَبَّة ، فأَطْرَدُوا إبلهم ، وركبت عليهم بنو ضبّة ، فأدركوهم فى المَرْعى ؛ فلما نظر شرحاف إلى عُمارة قالَ : يا عمارة ؛ أتعرفنى ؟ قال : ومن أنت ؟ قال : أنا شرحاف بن المثلّم ، أدّ إلىّ ابنَ عمى مِعْضالا لا مثْله يوم قَتَلْته .

قال عُمارة : ياشرحاف ؛ اذكر اللُّبْن[1] ، قال شرحاف : الدّم أحبّ إلىّ من اللُّبْن ، ثم حمل عليه فقتله ، وهزم جيشه واستنقذ الإبل .

فنى ذلك يقول المثلّم بن المشَخّرة :

إنْ تُنكِرونى فأنا المُثَلَّمْ   فارسُ صِدْقٍ يوم تَنْضَاح الدّم
بشِكَّتِى[2] وفرس مُصَمّمْ[3]   طعْنًا كأفواهِ المزادِ[4] المُعْصَمْ

وقال شرحاف :

ألا أبلغ سراةَ بنى بغيضٍ[5]   بما لاقت سَرَاةُ بنى زيادِ[6]
وما لاقت جذيمة إذ تُحَامِى   وما لاقى الفوارس من بِجاد[7]

---

(١) اللبن : إبل لها لبن ، وهو يريد الدية ، وفى حديث أمية بن خلف لما رآهم يوم بدر يقتلون قال : أما لكم حاجة فى اللبن ، أى تأسرون فتأخذون فداءهم إبلا لهم (٢) الشكة : السلاح (٣) المصمم : الفرس الشديد الصلب ، والذكر والأنثى فيه سواء

(٤) المزاد : جمع مزادة ، وهى الراوية ، ولا تكون إلا من جلد (٥) بغيض بن ريث ابن غطفان (٦) بنو زياد : الربيع بن زياد العبسى وإخوته ، ويسمون الكملة

(٧) جذيمة وبجاد : بطنان فى عبس.

تركْنا بالنقيعة آلَ عَبْسٍ شَعَاعًا يُقتَلونَ بكلِّ واد
وما إنْ فاتَنَا إلاَّ شريدٌ يؤُمُّ القفْرَ فى تِيهِ البـــلادِ
فَسَلْ عنا عُمــارةَ آلِ عَبْسٍ وسَلْ وَرْدًا وما كلٌّ بَدَادِ(١)
تركتهمُ بوادى البطْنِ وهْنًا لِسِيْدَانِ القَرَارة والجـلادِ(٢)

---

(١) بداد : أى متبددين (٢) السيدان : جمع سيد وهو الذئب . والقرارة : المطمئن من الأرض . والجلاد : جمع جلد ، وهى الأرض الصلبة المستوية المتن .

١٠ ـ أيام متفرقة

١ — يوم جديس .

٢ — « ذات الأثل .

٣ — « صوءر .

(١) يوم جَدِيس*

كانت منازلُ طَسْم فى موضع اليمـامة ، وكان يملـكهم عِمْليق ، وكانت معهم جَدِيس ، ولـكنّ عِمْليقاً فى أول مماـكته قد تمادَى فى الظُّلْم والغَشْم(١) والسيرة بغير الحق .

وكانت امرأةٌ من جَدِيس يقال لها هَزِيلة ، ولهـا زوج يقال له ماشق ، فطلّقها وأراد أَخْذَ وَلَدِها منها ، فخاصمتْه إلى عمليق ، فقالت : « يا أيها الملك ؛ إنى حملتُه تسعاً ، ووضعتُه دَفْعاً ، وأرْضَعْتُهُ شَفْعا ؛ حتى إذا تمّتْ أَوْصَالُه ودنا فِصَاله ، أراد أن يأخذه منى كرهاً ، ويتركنى من بعده وَرْها(٢) » .

فقال لزوجها: ما حُجَّتُكَ ؟ قال : « حُجَّتى أيها الملك أنى قد أعطيتُها المَهْرَ كاملا ، ولم أُصِبْ مِنْها طَائلا ، إلا وليداً خَاملا ، فافعل ما كنت فاعلا » . فأمر بالغلام أن يُنزع منهما جميعاً ، ويجعل فى غلمانه . فقالت هزيلة :

أَتَيْنَا أَخَا طَسْمٍ ليحكمَ بيننا   فأَنْفَذَ حُـكْمًا فى هزيلة ظالمَا
لعمرى لقد حُـكِّمت لا متورِّعا   ولا كنت فيما يُبْرِمُ الحكم عالما
ندمت ولم أندم وأَنَّى لعثرتى   وأصبح بَعْلِى فى الحـكومة نادما

فلما سمع عمليق قولَها أمر ألاّ تُزَوَّج بِكر من جَديس وتُهْدَى إلى زوجها حتى يَرَاها هو قبل زوجها ، فلقُوا من ذلك بلاء وجهداً وذُلاًّ ، فلم يزل يفعل هذا حتى

---

* لجديس على طسم ، وطسم وجديس ؛ من العرب البائدة

قصص العرب ص ٢٣٤ ج ٤ ، ابن الأثير ص ٢٠٣ ج ١ ، خزانة الأدب ص ٢٣٥ ج ٢ ، مهذب الأغانى ص ١ ج ١

(١) الغشم الظلم   (٢) وره ـ كفرح : حمق .

زُوجت الشَّموس ، فلما أرادوا حَمْلها إلى زوجها انطلقوا بها إلى عمليق ومعها القِيان يتغنَّين :

ابْدَىْ بعمليق وقومى فاركبى ... وبادِرِى الصبحَ لأمرٍ مُعْجب

فسوف تلقَيْنَ الذى لم تطلُبى ... وما لِبِكْرٍ عنده من مَهْرَب

فدخلت عليه، ثم خلَّى سبيلَها ، فخرجت إلى قومها شاقَّةً دِرْعها وهى فى أقبح منظر ، وهى تقول :

لا أحدٌ أذلّ من جديس ... أهكذا يُفْعَل بالعروس !

يرضى بهـــذا ياالقوى حرّ ... أهدى وقد أعطى وسيقَ المهرْ

لأَخْذَةُ الموتِ كذا لنفسه ... خيرٌ من أن يفعلَ ذا بِعِرْسِه

وقالت تحرّض أهلها فيما أتى إليها :

أيجمُـلُ ما يُؤْتَى إلى فتياتـكم ... وأنتم رجالٌ فيكم عدد النَّمْل

وتصبحُ تمشى فى الدماء عُفَيْرَة(١) ... عشية زُفَّتْ فى النساء إلى بَعْل

ولو أننا كنا رجالاً وكنتمُ ... نساءً لكنا لا نُقرُّ بذا الفعلِ

فموتُوا كِرامًا أو أميتوا عدوَّكم ... ودِبُّوا لنارِ الحربِ بالحطَبِ الجَزْلِ

وإلا فخلُّوا بطنَها ، وتحمَّلُوا ... إلى بلدٍ قَفْرٍ وموتوا من الهزْل

فَلَلْبَيْنِ خيرٌ من تمادٍ على أذى ... وللموتُ خيرٌ من مقامٍ على الذُّل

وإن أنتمُ لم تغضبوا بعد هـذه ... فكونوا نساءً لا تعابُ من الكُحْل

ودونكمُ طيبُ العَروس فإنما ... خُلِقْتم لأثواب العروس وللنَّسْل

فبُعْدًا وسُحْقًا لِلَّذِى ليس دافعًا ... ويختال يمشى بيننا مِشْيَةَ الفَحْل

فلما سمع أخوها الأسود ـ وكان سيِّدًا مُطَاعا ـ قال لقومه : يامعشر جديس ؛

(١) قد كان يقال لها الشموس أيضاً .

إن هؤلاء القوم ليسوا بأعزّ منكم فى داركم إلّا بما كان من مُلك صاحبهم علينا وعليهم ، ولولا عجزُنا وإدْهانُنا[1] ما كان له فضلٌ علينا ، ولو امتنعنا لكان لنا منه النّصَف ؛ فأطيعونى فيما آمركم به، فإنه عزُّ الدهر، وذهاب ذلّ العمر، واقبلوا رأيى.

وقد أحمى جديسًا ما سمعوا من قولها ، فقالوا : نُطيعك، ولكنّ القوم أكثرُ وأحْمى وأقوى . قال : فإنى أصنعُ للملك طعاما ، ثم أدعوهم له جميعا ، فإذا جاءوا يرفلونَ فى الحُلَل ثُرْنا إلى سيوفنا ، فأَهْمَدْنَاهُم بها . قالوا : نفْعل .

وصنعَ طعامًا كثيراً، وخرج به إلى ظَهْر بلدهم، ودعا عمليقا، وسأله أن يتغدّى عنده هو وأهل بيته ، فأجابه إلى ذلك ، وخرج إليه مع أهله يرْفلون فى الحلى والحُلَل ، حتى إذا أخذوا مجالسهم ، ومدُّوا أيديَهم إلى الطعام أخذوا سيوفهم من تحت أقدامهم؛ فشدّ الأسود على عِمليق فقتله، وكلُّ رجلٍ منهم على جليسه حتى أماتوهم ؛ فلما فرغوا من الأشراف ، شدوا على السّفلة فلم يدَعوا منهم أحداً، وقال الأسود فى ذلك :

ذوقى ببَغْيك يا طسم مجللةً . فقد أتيتِ لعمرى أعجبَ العجبِ
إنّا أتينا فلم ننفكّ نقتلهم والبغْىُ هيّجَ منا سَوْرَةَ الغضب
ولن يعودَ علينا بغيُهُمْ أبداً ولن يكونوا كذِى أنفٍ ولا ذنَب
وإن رعيتم لنا قُرْبى مؤكدة كنا الأقاربَ فى الأرْحام والنّسَب

---

(١) الإدهان : إظهار خلاف ما يضمر و الغش .

(٢) يوم ذات الأثل

غزا صخر بن عمرو بن الشريد السلمىّ بنى أسد بن خزيمة ، واكتسح إبلهم ، فأتى الصّريخ[١] بنى أسد ، فركبوا حتى تلاحقوا بذات الأثل[٢] فاقتتلوا قتالا شديداً ، وطعن ربيعةُ بن ثور الأسدى صَخْراً فى جنبه وفات القومُ بالغنيمة ، وجَوِىَ[٣] صخر من الطّعْنَة ، فكان مريضا قريبًا من الحول ، حتى ملّه أَهْلُه .

وفى أحَدِ الأيام سمع امرأةً من جاراته تسألُ سلمى امرأته : كيف بَعْلُك ؟ قالت: لا حىٌّ فيرجى ، ولا ميتٌ فينْسَى ؛ لقد لقينا منه الأمَرَّين[٤] . ثم سمعها تسأل أُمه كيف صَخر ؟ فتقول : أرجو له العافية ، فقال فى ذلك :

أرى أُمَّ صَخر لا تَمَلّ عِيادتى ... وملّت سُلَيْمى مضجعى ومكانى
وما كنت أخشى أن أكون جنَازَةً[٥] ... عليكِ ومَنْ يَغْتَرّ بالحدَثَان ؟
أَهُمُّ بأَمْرِ الحزم لو أستطيعه ... وقد حِيل بين العَيْرِ والنَّزَوان[٦]

---

* لأسد على سليم ، وذات الأثل : موضع فى بلاد تيم الله بن ثعلبة

العقد الفريد ص ٣٢٢ ج ٣ ، الأغانى ص ١٣٠ ج ١٣ ، خزانة الأدب للبغدادى ص ٣٩٣

(١) الصريخ : المستغيث (٢) ذات الأثل : موضع فى بلاد تيم الله بن ثعلبة وقد عناها الشاعر بقوله :

فإن ترجع الأيام بينى وبينكم ... بذى الأثل مثل صيفى ومربعى
أشد بأعناق النوى بعد هذه ... مرائر إن جاذبتها لم تقطع

(٣) الجوى مقصور : كل داء يأخذ فى الباطن لا يستمرأ معه الطعام ، وقيل هو داء يأخذ فى الصدر ــ جوى (كفرح) (٤) الأمران : الشر والأمر العظيم ؛ كما فى اللسان (مادة مر)

(٥) إذا أثقل المريض على قومه يقال : هو جنازه عليهم ، جاء هذا المعنى فى لسان العرب مادة (خبز) وأورد هذا البيت شاهداً على ذلك المعنى (٦) العير : الحمار الوحشى والأهلى . والنزوان : الوثب .

لعمرى لقد نبّهتُ من كان نائمًا   وأسمعتُ من كانت له أُذُنان
وللموتُ خـــيرٌ من حياةٍ كأنها   مَحِلّةُ يَعْسُوب برأس سنان[١]
وأى امرئٍ ساوى بأمّ حليـلة[٢]   فلا عاش إلا فى شقًا وهوان

فلما طال عليه البلاء ـ وقد نتأت قطعة مثل الكبد فى جبنه فى موضع الطعنة ـ قالوا له : لو قطعتَها لرجوتَ أن تبرأ ، فقال : شأنكم ، فأشفق عليه بعضهم ؛ فنهوه فأبى . وقال: الموت أهون علىّ مما أنا فيه ؛ فأحموْا له شَفْرَة ، ثم قطعوها من نفسه، ثم جاءت أخته الخنساء فقالت : كيف صبرُه ، فقال صخر فى ذلك :

أجارتنا إن الخطوب تنوب   على الناس كل المُخْطِئين تصيب
فإن تسأليني هل صبرتُ فإننى   صبورٌ على رَيب الزمان صليبُ
كأنى وقد أدنوا إلىّ شِفَارهم   من الصبر دامى الصَّفْحَتَيْنِ[٣] رَكُوبُ
أجارتنا لست الغداة بظاعنٍ   ولكنى مقيم ما أقام عسيبُ[٤]

ثم لم يلبث أن مات ، ودفن بعَسيب .

---

(١) اليعسوب السيد والرئيس . قال فى اللسان : المعنى أن الرئيس إذا قتل جعل رأسه على سنان يعنى : إن العيش إذا كان هكذا فهو الموت (٢) الحليلة : الزوجة (٣) الصفحة من الرجل : جنبه . والركوب : كثير الركوب (٤) عسيب : اسم جبل بعالية نجد .

(٣) يوم صَوْءَر

أَجْدَبَت بلادُ بنى تميم ، وأصابت بنى حَنْظَلَة[١] سَـنَةٌ ، فبلغهم خِصْبٌ بلاد كَلْب[٢] بن وبَرَة ، فانْتَجَعَها بنو حنظـلة ، فنزلوا صَوْءَر ، وكانت بنو يربوع قُدَّام الناس ، فنزلوا أقْصَى الوادى ، وتسرّع غالب[٣] بن صَعْصَعَة فيهم وحده ، دون بنى مالك بن حنظلة ، فلم يكن مع بنى يربوع من بنى مالك غـيرُ غالب ، فلما نزلوا وردتْ إبلُ غالب فحَبس منها ناقةً كَوْمَاء[٤] فنحرَها وأطعمها .

فقال أُناس: ليس فينا من بنى مالك غيرُ رجل واحدٍ وقد نحر ولم نَنْحر ؛ فقالوا لسُحيم بن وَثِيل[٥] الرِّياحىّ: انْحَرْ ، فلما وردتْ إبلُ سُحَيم حبَس منها ناقةً فنحرها من الغدِ فأطعمها .

---

* لبنى حنظلة على بنى رياح (كلاهما من تميم) . وصوءر: ماء لـكلب فوق الـكوفة مما يلى الشام، وهو من الأيام التى آثرنا ذكرها فى هذا الجزء ، وإن كانت تتصل من حيث الزمن بالإسلام .
خزانة الأدب ص ٢٤٣ ج ١ و ص ٥٢ ج ٣ ، الأغانى ص ٥ ج ١٩ ، النقائض ص ٤١٤ ، ١٠٧٠ طبع أوربة ، ذيل الأمالى ص ٥٣ ، بلوغ الأرب ص ٣٠ ج ٣ ، قصص العرب ص ١١٦ ج ٣ ، معجم البلدان ص ٣٩٥ ج ٥

(١) هم بنو حنظلة بن مالك بن زيد مناة (من تميم) (٢) كلب بن وبرة : قبيلة فى قضاعة، وقضاعة من حمير فى رأى بعض النسابين (٣) غالب بن صعصعة أبو الفرزدق الشاعر ، من بنى مالك بن حنظلة ، وأبوه صعصعة محيى الموءودات ، وخبره فيها مشهور ، وقد وفد غالب على النبى صلى الله عليه وسلم ، وعمر حتى لحق على بن أبى طالب بالبصرة ، ومات فى إمارة يزيد وملك معاوية (٤) الـكوماء : الناقة الضخمة السنام (٥) رياح : قبيلة فى يربوع ، وسحيم ابن وثيل : شاعر معروف فى الجاهلية والإسلام ، وعده ابن سلام فى الطبقة الثانية من شعراء الإسلام ، وقال عنـه : شاعر خنذيذ شريف مشهور الذكر فى الجاهلية والإسلام ، جيد الموضع فى قومه .

فقيل لغالب : إنما نحر[١] سُحيم مواءمَةً[٢] ؛ فضحك غالب ، وقال : كلاّ ، ولكنه امرؤٌ كريم ، وسوف أنظر .

فلما وردت إبلُ غالب حبس منها ناقتين فنحرهما فأطعمهما ، فلما وردت إبلُ سُحَيم نحر ناقتين فأطعمهما ، فقال غالب : الآن علمتُ أنّه يُوَائِمُني .

فلما وردت إبلُ غالب حبسَ منها عَشْرًا فعقلها ، ثم أخذ الحَرْبة فجعل ينحرها فانفلتَتْ ناقةٌ منها ، فانشامَتْ[٣] في بني يربوع ، فركبَ غالبٌ فرسه ، فأدركها عند بيت الخَرْماء[٤] ، وكانت امرأةَ الهِذْلق بن ربيعة بن عُتَيبة ، فعقرها ، ثم كَتَبَ[٥] في سَبَلتِهَا . فقالت الخَرْماء : مالك قطع اللهُ يَدَكَ ؟ فقال: دونك فاحْتَزِريها ، فإني لا أُشتمُ ابْنَةَ العمّ ، ولكن أجْزِرُها ، فسألتْ مَنْ هذا ؟ فقالوا : هذا غالبُ بنُ صَعْصَعَة . فقالت: واسَوْءتاه !

ورجع غالب فنصب قُدُورَه ، وغاظ ذلك بني يَرْبُوع ، فأتوا سيِّدَهُم الهِذْلق ، فتجمّعوا إليه ، فقالوا : ما ترى ؟ قد فَضَحَنَا هـذا ، وصنع ما ترى ، فما الرأيُ ؟ قال الهِذْلق : أرى أن تأتوه فتأكلوا من طَعَامه ، وتنحروا كما نَحَر ، وتصنعوا مثلَ صُنْعِه . قالوا : لا ، بل إذا فرغ من قُدُوره عَدَوْنا فكفأناها بما فيها فَفَضَحْناهُ ؛ وإن بني مالك حُلَمَاء رُجُحٌ فنأتيهم ، فنقرُّ لهم بحقّهمْ فيغفرون لنا .

قالوا ذلك بمَسْمَع من الخَرْماء ؛ فتقنّعتْ بِمِلْحَفَتِهَا، وخرجت من كِسْر بيتها ،

---

(١) روى أن امرأة من بني رياح نذرت إن زوجت ابنها مجرداً أن تنحر جزورين فزوجته فنحرت جزورين لنـذرها ، فوافق ذلك نحر غالب فظن أنه مواءمة فتح الأمر . وفي ذلك يقول الأحوص :

فكنا بخير قبل قبة مجرد ... وقبل جزوري أمه يوم صوءر

(٢) مواءمة : مباهاة (٣) انشامت : دخلت (٤) هي أسماء بنت عوف بن القعقاع

(٥) كتب وجأر ، والسبلة : موضع النحر وذلك المكان لا يخلو من شعرات هناك .

فأنتْ غالباً ، فقالت له : قد سير بك وأنتَ لا تشعر ! ثم أخبرته بما يريدون به .

قال : ومن أنتِ ؟ قالت : أسماء بنت عوف ، وإنهم يريدون أن يكفئوا قُدُورك بما فيها ، فيقمّوك خِزْيةً . فقال : هل شعرَ بك أحدٌ ؟ قالت : لا . قال : فارجعى بأبى أنت وأمى !

فحمل ابنه وابنَ أخٍ له على فرسين ، ثم قال لهما : خُذا أعداء[1] الوادى ، فانظرا أولَ صرْم[2] تريانه من بنى مالك ، فعلىَّ به ، واحشرا مَن لقيتما منهم ، فلقى أحدُهما صرْماً من بنى فُقَيْم ، ولقى الآخر صرْماً من بنى سُبَيْع ، ثم من بنى طُهَيّة ، فحشراهم ، فأقبلوا على كل صَعْبٍ وذَلول ، حتى نزلوا حَوْل غالب ، واستيقظ الهذْلقُ فقام من آخر الليل ، فإذا أبياتٌ ورجالٌ لم يكن عَهِدهم من أوّل النهار ، فقال : إنى لأتعرّفُ وجوهاً لم أرَها أول الليل وأبنيةً ورجالا ؛ فبعث إلى بنى يربوع ، فقال : أترون ما أرى ؟ قالوا : نعم . قال : جاءكم قومٌ يمنعون قدورَهم؛ أليس هذا فلان ؟ وهذا فلان ! أفترَوْنَ أن تقتلوا هؤلاء فى غير جُرم ! قالوا : فما الرأى ؟ قال : أرى أن تأكلوا من طعامه ، وتنحروا كما ينحر ، وتصنعوا مثلَ ما يصنع .

فقعدوا فأكلوا من طعامه ، ثم قالوا لسُحيم : اعقِرْ . فقال : والله إنى ما أقوم انحارى بنى مالك ، إنما أقومُ لنَوْكاهم ، قالوا: إنا نُرْفِدُك[3] . قال: فعلى بنى مالك تعوّلُون بالرِّفْد ، وهم أكثرُ منكم أموالا .

ثم وردت إبلُ سُحيم، فعقر منها خمسَ عشرةَ أوعشرين فضحك غَالِب؛ وكانت إبل غالب تَرِدُ الخِمْسَ[4]، فجاء غِلْمَتُه قد جبَوْا[5] فى حياضهم أنصافها ، فقال لهم:

---

(١) أى ناحيتيه أى أنت عن يمين وأنت عن شمال هاهنا وهاهنا (٢) الصرم : الجماعة
(٣) أرفده : أعانه (٤) الخمس : من أظماء الإبل ، وهى أن ترعى ثلاثة أيام وترد الرابع
(٥) قال فى اللسان : الجبا ؛ أن يتقدم الساقى للإبل قبل ورودها بيوم فيجبى لها الماء فى الحوض ثم يوردها فى الغد .

قَدْ كُمُ(١) الآن ، فقد أرويتم . قالوا له : وكيف أروَينا ؟ وإنما جَبَيْنَا فى أنصاف الحياضِ وكنّا نعلوُها ثم لانضبِطُها حتى نأخذَ عليها قبَلًا(٢) سقيًا على رُءوسها فنسقيها! فقال : بلى قد أرويتم فحسْبُكم .

فلما حان وِرْدُها لبس حُلّته ، وأخذ سيفَه وانطلق معه الفرَزْدَق..

قال الفرزدق : فعلَونا صوْءر ، وجاءت الإبل فأمهل حتى إذا أدبرت فلم يَبْقَ منها شيء انتضى سيفَه فأهْوَى لعُرْقُوبَىْ آخرِها ، فنفرْنَ لمّا رأيْنَ الدّمَ ، ووجَدْنَ رِيحه ؛ فَذُعِرْنَ فأقْبَلْنَ حتى أطَفْنَ بالحياض نوافِرَ عِطاشًا ، وأقبل فى أثرها ؛ فلما لحقها جعلَ يقولُ : عقرًا عقرًا ، ويقول للفرزدق : ردّها يا هُمَيْم(٣) ، فجعل الفرزدق يقول : إيهِ عقرًا ! إيهِ عقرًا !

فجعل يحول بينها وبين الحياض ، فكلما ورد بَعيرٌ عقره ، حتى اضطرّها إلى بيتِ أم سُحيم ـ ليلى بنت شدّاد ـ فعقر عن يمينه وشماله ومن ورائه ، حتى قُطِعت أطنَابُه ، فوقع عليها فخرجت عليه فسبّتْه ودعَتْ عليه ، وقالت : ياغالب ؛ إنَّ عَقرَكَ لَنْ يُذْهِب لؤْمك ، فقال: إنى لا أشتم ابنةَ العمِّ ، ولكنْ كُلُوا من هذا شَحْمًا ولحمًا.

وجعل يعقرها ويرتجز :

خَذَلَنِى قَوْمِى وحانَ وِرْدِى أسوقُه بذى حُسَامٍ فَرْدِ
هل أنتَ يا سُحَيْمُ غيرَ عَبْدِ أسْوَدَ كالفِلْذِ(٤) من المُغِدِّ

(١) حسبكم. (٢) القبل : أن تشرب الإبل الماء وهو يصب فيه فيصيبها شيء منه ، ومنه قول الشاعر :

بالريث ما أرويتها لا بالعجل وبالجبا أرويتها لا بالقبل

(٣) : تصغير همام ، وهو إسم الفرزدق (٤) الفلذ فى الأصل : القطعة من الكبد ، وغد البعير فأغد فهو مغد ، أى به غدة ، والأنثى مغد أيضاً بغير هاء .

وقال :

آل رياحٍ إنّه الفِضَاحُ وإنها المخـــاضُ واللّقاحُ
قد شاع فى أسوُقها[1] الجِراحُ فلا تضجّى واصْبرى رِياحُ

قال سُحيم[2] : فلم أزل أطمع أن يكفّ حتى مرّ بفَحْل منها ثمنه أربعة آلاف درهم فعقَرَه ؛ فلما عقره علمت أنه لن يستبقى شيئاً .

فذهب سُحيم يكفّه عنه فأهوى إليـه السيفُ فأصاب ركبته ، فقطع إحدى رجليه .

فعقر أربعمائة بعير ، فطلبه عثمان[3] رضى الله عنـه ليعاقبَه ، فركب إلى أبيه صعصعة فرحّب به ، وقال : حاجتَك ! قال : جئتُ لتخْلف علىّ ما عقرتُ ، فقد رحَضْتُ[4] عنك الذّم والعار ، فأخْلِف لى . قال : نعم وكرامةً ! أخلف ما عقَرْتَ ، وأشترطُ عليك ألّا تَعْقِرَ بعيراً ولا بهيمةً ولا تعذّبها ولا تمثّل بها . قال غالب : لا أعطيك هذا الشرطَ أبداً . قال : فلا ، إلاّ على هذا الشرط .

فلحق بالبصرة فأتى منزل الُحتات بن زيد فالْتَزَمه وقبّله ، وقال : أقِمْ تخرج أعطيةُ الحىّ ، وفيهم ثمانون على ألفين ، فنقاسمك من أعطيتهم ، ففعـل ، فأخذ ما أعطاه ، فارتحل بحمل ورِقٍ[5] ، فأتى الموسم براحلةِ دراهم ؛ فلمـا قضى نُسُكه زار البيت فى أول الناس ، ثم ركب بين خُرجَيْه بعيراً نجيباً لا يُجارَى ، ثم نادى

---

(1) أسوق : جمع ساق (2) غلام لغالب كان أبصر الناس بالإبل وأرعاهم

(3) وفى خزانة الأدب : إنه لما انقضت المجاعة ، ودخل الناس الكوفة قالت بنو رياح لسحيم : جررت علينا عار الأبد . هلا نحرت مثل ما نحر غالب ، وكنا نعطيك مكان كل ناقة ناقتين ؛ فاعتذر أن إبله كانت غائبة ، ونحر نحو ثلاثمائة ناقة ، وكان فى خلافة على بن أبى طالب ، فمنع الناس من أكلها وقال : إنها مما أهل لغير الله به ، ولم يكن الغرض منه إلا المفاخرة والمباهاة ، فجمعت لحومها على كناسة الكوفة ، فأكلها العقبان والرخم (4) رحضت : غسلت

(5) الورق : الدراهم المضروبة .

بالبطحاء يأيها النـاس ؛ أنا غالبُ بن صعصعة ، فمن أخذ شيئاً فهو له ، ثم فتح الُخرْجين، ثم جثَا أمامَه، وعن يمينه وعن شمالِه ووراءه ، حتى إذا فرّغ الخرجيْن من الوَرِق أحال السَّوْط فى بطنْ البعير ثم نجا .

فقيل لُثْمان : عتبتَ على غالب فى العَقْر وأخفتَه وطلبتَه لتعاقبَه ، فهاهو ذلك قد أنْهبَ مالَه ، فبعث فى طلبه ، فهرب ، فأعْجزَهم .

فقال فى ذلك ذو الخِرَق الطُّهَوِى :

أبلغ رياحاً على نأيِهـا ورهْط الُمحلِّ شُفَاةَ الـكَلَبْ
فلا تبعثوا منكمُ فَارطًا قصيرَ الرِّشَاء صغيرَ الغرَب[(١)]
يُعَارضُ بالدَّلْو فيضَ الفُرَاتِ تَصُكُّ أواذيَّه[(٢)] بالخشَبْ
فـما كان ذنْبُ بنى مالكٍ بأن سُبَّ منهم غلام فَسَبْ
عراقيبَ كُومٍ طِوَالَ الذُّرَى تخرُّ بوَائِكُهَا[(٣)] للرُّكَبْ
بأبيضَ يهتزُّ فى كفِّهِ يَقُطُّ[(٤)] العظامَ ويبرى العَصَبْ
يُسَامِى قرومَ[(٥)] بنى دارمٍ يُسَامِى لَهُمْ غالباً قد غلَبْ
فأبْقَى سُحَيْمٌ[(٦)] على مالِهِ وهاب السُّؤالَ وخاف الهرب[(٧)]

---

(١) الغرب : الدلو ، والفارط : المتقدم السابق إلى المـاء ، يتقدم الواردة فيهيء لهم الأرسان والدلاء ويملأ الحياض ويستقى لهم ، فرطت القوم أفرطهم فرطاً : سبقتهم إلى الماء ، فأنا فارط والقوم فراط (٢) الأواذى : جمع الآذى : الموج (٣) بوائك الإبل : سمانها

(٤) القط : القطع عامة ، وقيـل : قطع الشىء الصلب (٥) القرم: الفحل الذى يترك من الركوب والعمل ويودع للفحلة وجمعه قروم ، والقرم من الرجال : السيد المعظم على المثل بذلك

(٦) هو سحيم بن وثيل الرياحى (٧) فى رواية : الحرب .

ملحق

فى أنساب العرب

أنساب العرب*

العرب العاربة

ويقال فيهم العرب العرباء ـ وهم بنو قحطان بن عابر بن شالَخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام . والمشهورُ منهم شَعْبانِ : الشَّعْبُ الأوّل : جُرْهُم[(١)] ، والشعب الثانى يَعْرُب[(٢)] .

ويعرب هو أَصْلُ عرب اليمن ـ ومنه تناسلوا ـ وَوُلِدَ له يَشْجُب ، وولد يشجب سبأ ـ ومنه تفرعت جميع قبائلهم .

ومرجع المشهور فيه إلى جِيلين عظيمين : حِمْيَر[(٣)] وكَهْلَان[(٤)] :

١ ـ حمير

هو حِمْيَر بن سَبَأ ، وله عشرة أولاد من عَقِبه ، ولكن النسب يرجع إلى اثنين

---

* رجعنا فى تحرير هذه الأنساب إلى المعارف لابن قتيبة ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، ونسب قحطان وعدنان للمبرد ، وصبح الأعشى للقلقشندى ، ونهاية الأرب للنويرى ، وقد أثبتنا هذه الأنساب هنا تسهيلا لقارئ هذا الكتاب حتى يستطيع متابعة تفرع القبائل ، وإن كنا قد أشرنا فى كل مناسبة إلى فروع هذه القبائل إشارات مختصرة فى حواشى الكتاب

(١) وهناك جرهم المذكورة فى العرب البائدة ، وقد كانت منازلهم باليمن ، ثم انتقلوا إلى الحجاز فأقاموا به حتى كان نزول إسماعيل على أبيه بمكة (٢) يقال إن العرب سموا عربا ، مشتقاً من يعرب (٣) ويقال إن اسمه العرنجج ، وكانت بلادهم مشارف الشام ، فظفار وما حولها

(٤) كانت كهلان فى أول أمرها قد تداولت الملك مع بنى حمير ، ثم انفرد بنو حمير بالملك وبقيت بطون كهلان على كثرتها تحت حكمهم ، ثم تقاصر ملك حمير .

منهم : الهمَيْسَع ومَالك ، ومن مالك كان قُضاعة[١] ، وإلى قضاعة ينسب جلُّ قبائل حِمْيَر . .

والمشهور من قُضَاعة سبعة أحياء : بليّ[٢] ، « ومن بطونهم بنو ناب » ، وجُهينة[٣] ، وكَلْب[٤] ، وعُذْرة[٥] ، وبَهْرَاء[٦] ، ونَهْد[٧] ، وجَرْم (ومنهم بنو جُشَم وبنو قدامة وبنو عوف) .

٢ — كهلان

هو كَهْلان بن سَبَأ ، وحيٌّ من أعظم أحياء اليمن ، وأكثرهم قبائل ، والمشهور منهم إحدى عشرةَ قبيلة :

١ — الأزد ، وهم ثلاثة أقسام : أَزْدُ شَنُوءَة[٨] وأَزْد السَّرَاة[٩] ، وأَزْد عَمَان[١٠] .

---

(١) ذهب بعض النسابين إلى أن قضاعة من قبائل عدنان ، وحقق السهيلي فقال : الصحيح أن أم قضاعة مات عنها زوجها مالك بن عمرو بن مُرّة بن زيد بن مالك بن حمير وهي حامل ، فتزوجها معد بن عدنان ، فولدت له قضَاعة على فراشه ، فتبناه ، فنسب إليه . قال بعض رجازهم :

قُضاعة بن مالك بن حمير   النسب المعروف غير المنكر

(٢) والنسب إلى بلي بلوى (٣) والنسب إلى جهينة جهني (٤) هم بنو كلب بن وبرة ومنهم حارثة الكلبي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) إلى عذرة هذه ينسب العشق والتتيم ومنهم عُروة بن حزام صاحب عفراء ، وجميل صاحب بثينة (٦) كانت منازلهم من ينبع إلى عقبة أيلة ، ومنهم المقداد بن الاسود صاحب رسول الله (٧) كانت منازلهم باليمن ، وإليهم كتب رسول الله كتابه المشهور (٨) هم بنو نصر بن الأزد ، وشنوءة لقب لنصر غلب على بنيه (٩) السراة : موضع بأطراف اليمن نزل به فرقة منهم فعرفوا به (١٠) عمان : مدينة بالبحرين ، نزلها قوم منهم فعرفوا بها .

وبطونهم كثيرة : منهم غَسَّان(١) والأَوْس والخَزْرَج(٢)

وفى الأوس والخزرج بطون كثيرة ، فمن بطون الأوس : بنو النَّبيت ، وبنو عمرو(٣) بن عوف وبنو السَّميعة وبنو عبد الأشهل وبنو ظَفَر وبنو جَحْجَبَى . ومن بطون الخزرج : بنو النجار وبنو بَيَاضَة وبنو ساعدة(٤) وبنو سَالم ، وبنو عوف(٥) ابن الخزرج .

٢ — طيء(٦) : ومن بطونهم بنو تيم(٧) بن ثعلبة ، وبنو نَبْهَان ابن عمرو ، وثُعَل(٨) بن عمرو ، وجَرْم بن عمرو ، وجَدِيلة ، وبَوْلَان وهِناء(٩) ، وسُدُوس(١٠) ، وبُحْتُر(١١) ، وزَبِيد ، وسِنْبِس ، وَغَزِيَّة ، ولَام(١٢) ، والغوث .

---

(١) غسان : ماء نزلوا عليه فشربوا منه ، فسموا به ، ولغسان كان ملك العرب بالشام بعد سليح إلى أن انتهى بإسلام آخر ملوكهم جبلة بن الأيهم ، ثم ارتداده ولحوقه ببلاد الكفر (٢) الأوس والخزرج : ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء ابن حارثة الغطريف ؛ ابن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن بن الأزد . وكانت منازلهم بيثرب ومنهم كان أنصار النبي صلى الله عليه وسلم (٣) أهل قباء (٤) قوم سعد ابن عبادة (٥) رهط عبد الله بن أبي بن سلول (٦) كانت منازل طيء فى اليمن ، ثم خرجوا منها على إثر خروج الأزد عند تفرقهم بسيل العرم فنزلوا بنجد والحجاز ، ثم غلبوا بنى أسد على جبلى أجأ وسلمى من نجد ونزلوها ، ثم عرفا بعد ذلك بجبلى طيء

(٧) فيهم يقول امرؤ القيس :

أقر حشا امرئ القيس بن حجر بنو تيم مصابيح الظلام

(٨) منهم عمرو بن عبد المسيح ؛ كان أرمى العرب ؛ وإياه يعنى امرؤ القيس بقوله :

رب رام من بنى ثعل مخرج كفيه من ستره

(٩) منهم إياس بن قبيصة الذى ملك بعد النعمان بن المنذر (١٠) بضم السين

(١١) ومنهم أبو عبادة البحتري الشاعر (١٢) منهم أوس بن حارثة سيد طيء .

٣ — مَذْحِج[١] ؛ ومن بطونهم خَوْلان ، وجَنْب[٢] (وهم بنو منبّه والحارث والغِلِيّ وسَيْحَان وشِمْرَان وهِفّان) وسَعْد[٣] العشيرة (وهم أَوْد[٤] وجُعْفِيّ[٥] وزُبَيْد[٦]) والنَّخَع[٧] وعَنْس[٨] وبنو الحارث[٩] ، وصُدَاء .

٤ — مُرَاد[١٠] .

٥ — هَمْدان[١١] .

٦ — كندة ، ومن بطونهم بنو مُعاوية[١٢] والرائش[١٣] والسَّكون والسَّكاسك وبنو حُجْر[١٤] وبنو الجون .

٧ — جُذَام[١٥] .

---

(١) سموا بمذحج لشجرة تحالفوا عندها اسمها مذحج (٢) قيل : سموا جنباً لأنهم جانبوا أخاهم صداء وحالفوا سعد العشيرة ، وحالفت صداء بنى الحارث بن كعب ، ومنهم معاوية الخير الجنبي صاحب لواء مذحج فى حرب ابنى وائل ، ولهم يقول المهلهل :

أنكحها فقدها الأراقم فى جنب وكان الحباء من أدم

(٣) سمى بذلك لأنه لم يمت حتى ركب معه من ولده وولد ولده ثلاثمائة رجل ؛ فكان إذا سئل عنهم يقول : هؤلاء عشيرتى — دفعاً للعين عنهم — فقيل لهم سعد العشيرة (٤) منهم الأفوه الأودى الشاعر (٥) إليهم ينسب الإمام البخارى (٦) منهم عمرو بن معديكرب (٧) منهم الأشتر النخعى والى على بن أبى طالب على مصر (٨) منهم عمار بن ياسر الصحابى ، والأسود العنسى المتنبئ (٩) منهم عبد يغوث الشاعر قتيل يوم الكلاب الثانى (١٠) يقال : اسمه يحابر فتمرد فسمى مراداً (١١) وكان شيعة على بن أبى طالب ، وفيهم يقول يوم الجمل : لو تمت عدتهم ألفاً لعبد الله حق عبادته . ومنهم مالك بن حريم الذى يقول :

وكنت إذا قوم غزونى غزوتهم فهل أنا فى ذيالك همدان ظالم

متى تجمع القلب الذكى وصارماً وأنفاً حمياً تجتنبك المظالم

(١٢) ويسمون معاوية الأكرمين ، وفيهم يقول الأعشى :

وإن معاوية الأكرمين حسان الوجوه طوال الأمم

(١٣) رهط شريح القاضى (١٤) هم ملوك كندة ، وفيهم امرؤ القيس الشاعر

(١٥) هم فى كهلان على المشهور ، وبعضهم يردهم إلى معد ، وبعضهم ينسبهم إلى مدين .

٨ — أنمار(١) ، وولد له بَجيلة(٢) وخَثْعَم(٣) .

٩ — لَخْم(٤) .

١٠ — عاملة .

١١ — الأشعَرِيُّون(٥) .

العرب المستعربة (المدنانية)

ويقال لهم العرب المتعربة(٦) ، وهم بنو إسماعيل بن ابراهيم ـ عليهما السلام ـ والموجودون من العرب من ولد إسماعيل ، وكلهم من بنى عدنان بن أدد ؛ والباقون قد انقرضوا ولم يبق لهم عقب ، ولذلك عرف هؤلاء العرب بالعدنانية .

وولد لعدنان : عَكّ ومعَدّ ، والنسب فيه يتحدر من معد ، وولد لمعد ثمانية منهم قنص(٧) ، ونزار(٨) ، والنسب فى ولده إلى نزار .

---

(١) بعضهم ينسب أنمار إلى عدنان ويقول : إن نزار بن معد بن عدنان ولد له مضر وربيعة وإياد وأنمار ، وولد لأنمار بجيلة وخثعم ، فصاروا إلى اليمن (٢) منهم جرير بن عبد الله البجلى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم يقول الشاعر :

لو لا جرير هلكت بجيله نعم الفتى وبئست القبيله

(٣) منهم حمران الذى يقول :

أقسمت لا أموت إلا حرا وإن وجدت الموت طعماً مرا

أخاف أن أخدع أو أغرا

(٤) منهم ملوك الحيرة اللخميون رهط النعمان بن المنذر (٥) الأشعريون : رهط أبى موسى الأشعرى (٦) سموا بذلك لأن لسان إسماعيل ـ عليه السلام ـ كان العبرانية أو السريانية فلما نزلت جرهم (وهم من القحطانيين) عليه وعلى أمه بمكة تزوج منهم ، وتعلم هو وبنوه العربية منه (٧) فى المعارف لابن قتيبة : يزعم قوم أن آل المنذر ملك الحيرة منهم (٨) وفى المعارف ذكر منهم قضاعة وأنها صارت إلى حمير ، والصحيح ما ذكرناه أنها فى حمير نسباً ووطناً ، وذكر أيضاً إياداً منهم .

وولد لنزار أربعة : إياد وأنمار وربيعة ومضر ، وإلى ربيعة ومضر ينسب ولد نزار وهو الصريح من ولد إسماعيل – عليه السلام –

وأما إياد فليست لهم قبائل مشهورة ، وينسبون إلى القبيل الأكبر[١] .

وأما أنمار فولد له خثعم وبجيلة ، ثم صاروا إلى اليمن .

ربيعـــــة

هو ربيعة[٢] بن نزار بن معد بن عدنان ، والمشهور من أولاده ضبيعة وأسد .
وضبيعة قبيلة لم تكثر بطونها ، ومنها بنو أحمس[٣] وبنو الحارث وبنو دوفن[٤]

***

وأسد قبيلة تعددت بطونها وأفخاذها ، ومنها بنو عنزة وعميرة وجديلة .

ومن جديلة عبد القيس ، وبنو النمر بن قاسط ، ووائل بن قاسط .

فمن عبد القيس : صباح[٥] بن لكيز ، وبنو غَنْم بن وديعة ، وعجل بن عمرو[٦] ومحارب بن عمرو[٧] ، وجذيمة بن عوف[٨] .

---

(١) يذكر قوم أن ثقيفاً منهم ، والأرجح أنه من قيس غيلان كما سيأتى . ومنهم قس بن ساعدة وكعب بن مامة ؛ وقد جعله ابن قتيبة ابناً لمعد كما سبق . (٢) ويعرف بربيعة الفرس ؛ لأن أباه نزاراً أوصى له من ماله بالخيل (٣) إلى بنى أحمس ينسب المسيب بن علس الشاعر

(٤) منهم المتلمس الشاعر والحارث بن عبد الله الأضجم ، وكان سيد ضبيعة فى الجاهلية

(٥) منهم كعب بن عامر بن مالك ، وكان ممن وفد على النبى عليه الصلاة والسلام (٦) منهم صعصعة بن صوحان وزيد بن صوحان من أصحاب على بن أبى طالب (٧) منهم عبد الله بن همام ، وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم (٨) رهط الجارود العبدى .

وعصر[١] بن عوف ، وشنّ بن أفصى ، وثعلبة بن أنمار ، ونكْرَة[٢] بن لكيز والديل[٣] بن عمرو .

وأما النمر بن قاسط فمن ولده تيم[٤] الله ، وأوس[٥] مناة ، وعبد مناة ، وقاسط ، ومنبه .

وأما وائل فقد ولد له بكر وتغلب ، وعنهما تفرعت بطون كثيرة .

* * *

فمن بكر : يشكر بن بكر ، وعجل بن لجيم بن صعب ، وحنيفة بن لجيم بن صعب وقيس وعائذ (تيم الله) ، وذهل وشيبان [بنو ثعلبة بن عكابة بن صعب]

فيشكر : من بطونهم بنو غُبَر بن غنم ، وبنو كنانة بن يشكر ، وحرب[٦] بن يشكر ، وذبيان[٧] بن كنانة بن يشكر .

وعجل بن[٨] لجيم : من بطونهم بنو حاطب بن جذيمة ، وسيار بن الأسعد ، وكعب بن الأسعد ، وبنو دلف بن جشم ، وعبد العزى بن دلف ، وضبيعة بن عجل وسعد بن عجل

---

(١) هم رهط الأشج ، وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : إن فيك لخصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة (٢) منهم المثقب العبدى والممزق العبدى الشاعران (٣) منهم سحيم بن عبد الله بن الحارث ، كان أحد السبعة الذين عبروا الدجلة مع سعيد بن أبي وقاص (٤) منهم الضحيان بن النمر ، وهو رئيس ربيعة قبل بنى شيبان ، وسمى الضحيان لأنه كان يجلس لهم وقت الضحى فيقضى بينهم (٥) منهم صهيب بن سنان بن مالك ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . كان أصابه سباء فى الروم ، ثم وافوا به الموسم فاشتراه عبد الله بن جدعان فأعتقه (٦) رهط ابن الكواء (٧) رهط سويد بن أبى كاهل (٨) منهم حنظلة بن ثعلبة بن سيار ، وكان سيدهم يوم ذى قار ، ومنهم الأغلب وأبو النجم الراجزان ، والعديل بن الفرخ الشاعر .

وحنيفة[١] بن لجيم : ومن بطونهم الدول بن حنيفة ، وعبد الله بن الدول ، وسحيم بن مرة بن الدول ، وعدى بن حنيفة ، وعامر بن حنيفة .

وقيس بن ثعلبة : من بطونهم ، تيم وسعد (وهما الحرقتان) وبنو جحدر[٢] (ربيعة بن ضبيعة) ومنهم المسامعة وعُبَاد بن ضبيعة ، وسعد بن ضبيعة وسعد ابن مالك .

وتيم الله بن ثعلبة[٣] : من بطونهم عامر ، والحارث بن تيم الله وعائش بن مالك ، وبنو زِمَّان بن تيم الله ، وبنو هلال بن تيم الله وبنو حنْتَم .

وذهل بن ثعلبة : من بطونهم سدوس ومازن بن شيبان وبنو رقاش[٤] وبنو عامر ابن ذهل وبنو عمرو بن شيبان بن ذهل .

وشيبان بن ثعلبة[٥] : من بطونهم بنو محلم ، وبنو الحارث وربيعة ، وبنو مرة ، وبنو الورثة ، وبنو هند ، وبنو الشقيقة ، وبنو أسعد بن همام بن مرة ، وبنو الحارث ابن ذهل .

* * *

---

(١) منهم هوذة بن على ، ممدوح الأعشى ، وشحر بن عمرو قاتل المنذر بن ماء السماء يوم عين إباغ . ومنهم مسيلمة الكذاب ، ونجدة الحرورى (٢) منهم الأعشى ميمون بن قيس وربيعة الجحدرى فارس بكر يوم تحلاق اللمم ، والحارث بن عباد فارس النعامة ، وكان على جماعة بكر يوم قضة وطرفة الشاعر (٣) يطلق عليهم اللهازم ، وكانوا حلفاء بنى عجل

(٤) رهط الحصين بن المنذر والقعقاع بن شور ودغفل النسابة (٥) منهم بسطام بن قيس فارس بنى شيبان فى الجاهلية ، وقد ربع الذهليين واللهازم اثنى عشر مرباعاً ، وهانئ بن قبيصة الذى أجار عيال النعمان بن المنذر وماله عن كسرى وبسببه كانت وقعة ذى قار ، وعوف ابن محلم وفيه يقال : لا حر بوادى عوف ، وجساس بن مرة قاتل كليب ، وهمام بن مرة ، والضحاك بن قيس ، والمثنى بن حارثة ، والحوفزان .

تغلب : وأما تغلب فمن بطونها الأراقم(١) [وهم جشم(٢) ومالك وعمرو وثعلبة ومعاوية والحارث] وعِكَبّ ، وبنو عدىّ بن أسامة ، وبنو فدوكس(٣) وبنو عتاب ابن سعد بن زهير(٤) .

قيس عيلان

من مضر بن نزار تحدر حيان عظيمان : خندف(٥) وقيس(٦) عيلان .
وولد قيس عمراً وسعداً وخَصفة(٧) .

١ — عمرو بن قيس عيلان

ولد له فهم(٨) وعدوان(٩) .

* * *

٢ — سعد بن قيس عيلان

ولد له أعصر وغطفان .

---

(١) سموا الأراقم ؛ لأن عيونهم كعيون الأراقم (٢) منهم كليب سيد ربيعة كلها ، وأخوه المهلهل ، وهو الذى هاج الحرب بين بكر وتغلب (٣) رهط الأخطل الشاعر النصرانى (٤) منهم عمرو بن كلثوم الشاعر ، أحد أصحاب المعلقات
(٥) خندف هى امرأة إلياس بن مضر ، وقد نسب ولد إلياس إليها وهى والدتهم
(٦) فى نسب قحطان وعدنان للمبرد أن قيساً هو الناس بن مضر ، وأن عيلان كان عبداً لمضر حضن ابنه النـاس ، فنسب إليه قيس ، وذكر ابن قتيبة أن اسمه قمة (٧) زاد ابن قتيبة عكرمة وأعصر (٨) منهم تأبط شراً العداء (٩) منهم عامر بن الظرب حاكم العرب .

ومن أعصر : غنيٌّ وباهلةُ والطُّفاوة .

فغني : من بطونها عبيـد وزبان ، وصريم وضَبِينة ، وبنو عتريف ، ومعظم النسب إلى الأب الأكبر .

وباهلة[١] : من بطونها بنو قتيبة (ومنهم بنو سهم وبنو أصمع) ووائل بن معن وفرّاص بن معن ، وأبو عُلَيْم بن معن ، وبنو أودّ بن معن ، وبنو جآوة بن معن ، وهلال بن معن .

والطُّفاوة : منهم بنو جسر وبنو سنان .

ومن غطفان : عبس بن بغيض ، وذبيان بن بغيض ، وأنمـار[٢] بن بغيض ، وعبد الله بن غطفان ، وأشجع[٣] بن ريث .

فعبس[٤] : من بطونهم بنو جذيمة ، وبنو جِرْوَة ، وبنو هَرِم وبنو بِجاد .

وذبيان[٥] : من بطونهم ثعلبـة وفزارة (ومنهم شَمْخ وهدىّ وبنو غراب ومازن) ومرة (ومنهم غَيْظ وسهم ومالك وبنو صِرْمة) .

***

(١) هم بنو مالك بن أعصر ؛ نسبوا إلى أمهم باهلة ؛ منهم قتيبة بن مسلم والأصمعي وحي بنت قرط ؛ أم الأحنف بن قيس (٢) عددهم قليل ، ومنهم فاطمة بنت الخرشب أم الربيع بن زياد ؛ وإخوته الـكملة (٣) منهم بنو دهمان ، وكانوا ممن أعان على عثمان يوم الدار ، ومنهم فروة بن نوفل (٤) هي إحدى جمرات العرب ؛ منهم زهير بن جذيمة ، وكان سيد عبس ، وابنه قيس بن زهير فارس داحس والغبراء ، وعنـترة الفوارس ، والحطيئة ، وعروة بن الورد ، وزياد بن الربيع وإخوته الـكملة ، وحذيفة بن اليمـان (٥) منهم الحارث بن ظالم وزياد النابغة الشاعر ، وهاشم بن حرملة ، وحذيفة بن بدر ، والشماخ الشاعر وأخوه مزرد ابنا ضرار ، وسنان بن أبي حارثة وابنه هرم ، وعامر بن ضبارة والحصين بن همام ومسلم بن عقبة صاحب جيش الحرة .

٣ — خَصَفة بن قيس عيلان

ولد خَصفة محارباً وعكرمة .

فمن محارب بنو جَسْر[1] وبنو طريف (ومنهم بنى الخضْر) .

ومن عكرمة سليم وهوازن .

سليم[2] : من بطونهم بنو حرام بن سمَّال ، وبنو عميرة بن خفاف ، وبنو عصبة ابن خفاف ، وبنو يربوع بن سمَّال ، ورِعْل ومطرود وقُنفُذ (بنو نُشْبَة بن مالك) وبنو بَهْز بن امرئ القيس ، وبنو الحارث بن بُهْثه (ومنهم بنو رفاعة وبنو ذكوان ابن ثعلبة ، وبجلة بن ثعلبة) وبنو الشَّريد .

هوازن : من عقبه ثقيف وبكر .

فثقيف[3] : من بطونهم بنو مُعَتِّب ، وبنو غِيرَة ، وبنو عُقْدَة ، وبنو حبيب ابن الحارث ، وبنو اليسار بن مالك .

وبكر بن هوازن : من بطونهم سعد[4] بن بكر ، ومعاوية بن بكر .

ومن معاويه بن بكر : جشم (ومنهم[5] غزية) ، ونصر[6] ، وصعصعة .

---

(١) حلفاء بنى عامر بن صعصعة (٢) منهم العباس بن مرداس الشاعر ، وصخر ومعاوية ابنا عمرو ، والخنساء أختهما ، وخفاف بن عمير ، وبيشة بن حبيب قاتل ربيعة بن مكدم ، وعتبة ابن غزوان مؤسس البصرة (٣) منهم عروة بن مسعود الصحابى عظيم القريتين ، والحارث ابن كلدة طبيب العرب ، وعبد الوهاب بن عبد المجيد الفقيه ، والحجاج بن يوسف

(٤) هم أظآر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسبيت هوازن فجاءته أخته من الرضاعة ، فأعتقهم أجمعين (٥) منهم دريد بن الصمة فارس العرب (٦) منهم مالك بن عوف وكان على هوازن يوم حنين .

ومن صعصعة : مرة (ويعرفون ببنى[1] سلول) وعامر .

***

ومن عامر بن صعصعة : نمير وربيعة ، وهلال وسواءة .

فنمير : من بطونهم قريع بن الحارث ، وعبد الله[2] بن الحارث ، وجَعْونة ابن الحارث ، وبنو قَطَن[3] بن ربيعة ، وبدر بن ربيعة ، وبنو عمرو بن نمير .

وربيعة : من ولده كلاب وكعب بن ربيعة وعامر بن ربيعة[4].

فمن كلاب بن ربيعة[5] : الوحيد بن كعب ، وبنو أبى بكر بن كلاب (ومنهم بنو هِصَّان) وجعفر بن كلاب ، وكعب بن كلاب ، وربيعة بن كلاب ، والضِّباب[6] ووبْر بن الأضبط ، وعبد الله بن كلاب ، ونُفَاثَة بن عبد الله ، ورُؤاسْ بن كلاب ، وعمرو بن كلاب ، وجميعهم ينسبون إلى الأب الأكبر .

ومن كعب بن ربيعة[7] : عقيل (ومنهم خفاجة والأخيل) ، وقُشير (ومنهم عطيف وعطفان وبنو ضمرة) والحريش وجَعْدَة ، وعبد الله بن كعب (ومنهم بنو العجلان) وحبيب .

---

(١) سلول أمهم ، ومنهم العجير وعبد الله بن همام الشاعران (٢) كان فيهم العدد والشرف (٣) رهط عبيد الراعى الشاعر (٤) من ولده عمرو بن عامر فارس الضحياء ، وخداش ابن زهير الشاعر ، وخرقاء صاحبة ذى الرمة (٥) منهم عامر ملاعب الأسنة ، ولعيد بن ربيعة الشاعر ، ووكيع بن الجراح الفقيه ، ويزيد بن الصعق ، وزفر بن الحارث ، والطفيل فارس قرزل (٦) هم حسل وحسيل وضب (٧) منهم ابن مقبل الشاعر ، ومالك ذو الرقيبة وليلى الأخيلية وتوبة بن الحمير صاحب ليلى الأخيلية والمجنون الشاعر ، والنابغة الجعدى الشاعر .

خنـــــدف

فى خندف فرعان كبيران : طابخة ومدركة .

طابخـــــة

من قبائل بنى طابخة : بنو أد بن طابخة ، وهم بنو عمرو بن أد ، وضبة بن أد ، وعبد مناة بن أد ، وبنو مر بن أد .

فعبد مناة بن أد : من بطونهم (تيم ، وعدى ، وعكل ، وثور أطحل) [١] .

وضبة [٢] بن أد : من بطونهم (نصر ، ومازن ، والسيل ، وذهل ، وعائدة ، وتيم اللات ، وزبان ، وعوف ، وشيم) .

وعمرو بن مناة هم مزينة [٣] .

***

تميم

تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس . ولد عمرا وزيد مناة والحارث [٤] .

فعمرو بن تميم [٥] : من بطونهم العنبر ، وأسيِّد والهجَيْم ، والقليب ، وكعب ،

---

(١) فى رأى بعضهم هم الرباب ، سموا كذلك لأنهم تحالفوا فوضعوا أيديهم فى جفنة فيها رب

(٢) منهم زيد الفوارس ، وسعد بن ضبة قاتل بسطام (٣) منهم النعمان بن مقرن ومنهم معقل بن سنان ، ومنهم زهير بن أبى سلمى ، ومعن بن أوس ، وإياس بن معاوية

(٤) يلقب أبا شقرة (٥) منهم أكثم بن صيفى حكيم العرب ، وأبو هالة زوج خديجة قبل النبى صلى الله عليه وسلم وأوس بن حجر الشاعر ، وحنظلة بن الربيع الصحابى

ومالك والحارث الحبِط[١] .

وزيد مناة : منهم مالك وسعد .

فمالك بن زيد مناة : من بطونهم ربيعة[٢] الجوع ، والبراجم (وهم عمرو وقيس وكُلْفة والظليم وغالب) ويربوع[٣] بن حنظلة (ومن يربوع الأحمال[٤] ، وبنو غُدانة ، وكليب بن يربوع وحرام بن يربوع ورياح بن يربوع والعنبر بن يربوع) وبنو دارم ابن مالك (ومن دارم عبد الله بن دارم[٥] ، ونهشل ومجاشع ومناف وأبان وفُقَيْم وجرير)وبنو العَدَوِيَّة[٦]) وهم زيد والصُّدَىّ ويربوع) وبنوطهيّة[٧]) وربيعة[٨] ابن مالك .

وسعد بن زيد مناة : من بطونهم عوافة بن سعد ، وعمرو بن سعد ، وعبشمس ابن سعد وهبيرة بن سعد وكعب بن سعد (ومنهم مقاعس وعبيد وصريم وعُمَيْر[٩] ورُبَيْع ، وبنو مِنْقَر[١٠] ، وبنو مرّة[١١] بن عبيد ، وعوف وعامر[١٢] وعبد عمرو)[١٣] وعوف بن سعد (ومنهم بَهْدَلة[١٤] وقريع[١٥] وآل عطارد وآل صفوان) والأجارب (وهم حرام وربيعة وعبد العزى ومالك وجشم والحارث الأعرج) .

---

(١) يقال لولده الحبطات ، رهط عباد بن الحصين ، وكان يعدل بألف فارس (٢) رهط علقمة بن عبيدة الفحل وعلقمة الخصى (٣) منهم الأحوص الشاعر وسجاح المتنبئة ووكيع بن أبي الأسود (قاتل قتيبة بن مسلم) وعتاب بن ورقاء أحد أجواد الإسلام ومالك ومتمم ابنا نويرة وعتيبة ابن الحارث وجرير بن الخطفى الشاعر (٤) هم ثعلبة وعمرو والحارث أبو سليط وحبير وأمهم السفعاء كانت الردافة فيهم (٥) رهط حاجب بن زرارة (٦) نسبة إلى أمهم من بنى عدى (٧) هم بنو عوف ومالك ، وأمهما طهية بنت عبد شمس

(٨) رهط الحنتف بن سجف صاحب جيش الربذة وقاتل حبيش بن دلجة القينى .

(٩) رهط السليك (١٠) منهم قيس بن عاصم (١١) منهم الأحنف بن قيس

(١٢) رهط زيد بن جلبة وكان شريفا ، كان الأحنف يقول: كنا نخرق النعال فى طلب المروءة من بيت زيد (١٣) رهط سلامة بن جندل الشاعر (١٤) منهم الزبرقان بن بدر

(١٥) رهط المخبل وبنى أنف الناقة الذين مدحهم الحطيئة .

مُدْرِكة

من مدركة هذيل وخزيمة .

فهذيل[١] : من بطونهم لحيان بن هذيل ، وسعد بن هذيل ، وخزاعة بن سعد ابن هذيل ، وتيم بن سعد ، ومنمة بن سعد ، وحريث بن سعد بن هذيل ، وجهامة ابن سعد ، وغنم بن سعد ، وكاهل بن سعد بن هذيل ، وصاهلة بن كاهل ، وكعب ابن كاهل .

***

ومن خزيمة : أسد ، والهون ، وكنانة .

فأسد[٢] : من بطونهم دودان[٣] بن أسد ، وكاهل بن[٤] أسد ، وعمرو بن أسد ، وحلمة بن أسد[٥] ، ومنهم أيضاً بنو الصيدا[٦] ، وبنو نصر بن قعين ، وبنو الزينة ، وبنو غاضرة ، وبنو نعامة .

---

(١) منهم عبد الله بن مسعود الصحابي ، وأبو ذؤيب الهذلي الشاعر ، وثابت بن عبدشمس الشاعر

(٢) منهم الصامت بن الأفقم قاتل ربيعة بن مالك أبا لبيد الشاعر ، ودواب بن ربيعة قاتل عتيبة ابن الحارث اليربوعي ، وبشر بن أبي خازم وعبيد بن الأبرص الشاعران ، وعمرو بن شأس أبو عرار ، والكميت بن زيد الشاعر ، والحسحاس بن هند الذي ينسب إليه عبد بني الحسحاس ، وزينب بنت جحش زوج النبي عليه الصلاة والسلام ، وأيمن بن خزيم والأقيشر الشاعران

(٣) فيهم يقول امرؤ القيس :

قولا لدودان عبيد العصا ... ما غركم بالأسد الباسل

(٤) منهم علباء بن الحارث الذي يقول فيه امرؤ القيس :

وأفلتهن علباء جريضا ... ولو أدركنه صفر الوطاب

(٥) أفناهم امرؤ القيس بأبيه (٦) وفيهم يقول الشاعر :

يابني الصيداء ردوا فرسي ... إنما يفعل هـذا بالذليل

والهون : من بطونهم القارة[١] (ومنهم عضد والديش) .

***

وكنانة : من بطونهم مَلْكان[٢] ، وعبد مناة[٣] (ومنهم غِفَار[٤] ، والدُّيل[٥] وبنو ليث[٦] ، وبنو الحارث[٧] ، وبنو مدلج[٨] ، وبنو ضمرة[٩] ، وبنو عريج ، وبنو جذيمة[١٠] ، وعمرو بن كنانة ، ومالك[١١] بن كنانة (ومنهم بنو فراس[١٢] ابن غَنم ، وبنو فقيم[١٣]) والنضر .

***

ومن النضر (وهو قريش[١٤]) : الصلت[١٥] ومالك .

***

---

(١) هم أرمى العرب (٢) قال ابن قتيبة فى المعارف : لهم بقية ، وليس فيهم شرف بارع (٣) اسمه على وربما قالوا مسعود (المعارف) (٤) رهط أبى ذر الغفارى ، وفى الحديث غفار غفر الله لها (٥) رهط أبى الأسود الدؤلى (٦) منهم عبيد بن عمير وعبد الله ابن شداد (٧) ويقال فيهم بلحارث (٨) هم قافة العرب ، ومنهم سراقة بن جشعم المدلجى (٩) رهط عمرو بن أميـة الضمرى الصحابى (١٠) منهم خالد بن الوليـد بالقميصاء فوداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (١١) منهم ربيعة بن مكدم

(١٢) وفيهم يقول على بن أبى طالب لأهل الكوفة : وددت والله لو أن لى بمائة ألف منكم ثلاثمائة من بنى فارس بن غنم (١٣) هم نسأة الشهور (١٤) قيـل فى تسميته بذلك أنه كان فى سفينة ببحر فارس فخرجت عليهم دابة عظيمة يقال لهـا قريش ، فخافها أهل السفينة على أنفسهم فأخرج سهماً من كنانته فأثبتها ، ثم قربت السفينة منها فأمسكها وقطع رأسها وحملها معه إلى مكة فسمي باسمها (صبح الأعشى ١ : ٣٥٢) (١٥) صاروا إلى اليمن ، وقيـل إنه أبو خزاعة .

ومن مالك : بنو الحارث[1] بن مالك (ومنهم بنو الجراح[2]) وفهر بن مالك .

***

ومن فهر[3] : محارب[4] بن فهر وغالب بن فهر .

***

ومن غالب : تيم (ويطلق عليهم بنو الأدرم[5]) ولؤى[6] .

***

ومن لؤى : عامر بن لؤى ، وسامة بن لؤى ، وسعد بن لؤى ، وخزيمة بن لؤى والحارث بن لؤى ، وعوف بن لؤى ، وكعب بن لؤى .

***

---

(١) فى صبح الأعشى : هم بنو الحارث بن فهر وهم من المطيبين . ويقال إن الخلج منهم ، ويقال كانوا من عدوان فألحقهم عمر بن الخطاب بالحارث ، وسموا خلجاً لأنهم اختلجوا من عدوان .

(٢) منهم أبو عبيدة بن الجراح الصحابى المشهور وسهيل بن صفوان (٣) منه تفرقت قبائل قريش فقيل لهم بنو فهر (٤) منهم ضرار بن الخطاب شاعر قريش فى الجاهلية ، والضحاك ابن قيس الذى قتله مروان يوم مرج راهط . وبنو الحارث بن مالك وبنو محارب بن فهر يطلق عليهم قريش الظواهر ؛ لأنهم نزلوا حول مكة وليست لهم ، وما سوى هؤلاء من بطون قريش يقال لهم قريش البطاح ؛ لأنهم سكنوا بطحاء مكة (٥) هم من أعراب قريش ، ولم يكن بمكة منهم أحد ، وفيهم يقول الشاعر :

إن بنى الأدرم ليسوا من أحد ليسوا إلى قيس وليسوا من أسد
ولا توفاهم قريش فى العدد

(٦) إلى لؤى ينتهى عدد قريش وشرفها .

فعامر بن لؤى[١] : من بطونهم معيص[٢] ، وحسل (ومنهم سهل وسهيل والسكران بنو عمرو ، وبنو مالك[٣] بن حسل) .

وسامة بن لؤى : من بطونهم بنو ناجية[٤] .

وسعد بن لؤى : من بطونهم بنو بُنَانة (وهم عمار ، وعمارى ، ومخزوم[٥]) .

وخزيمة بن لؤى : من بطونهم عائذة[٦] .

* * *

وكعب بن لؤى : من بطونهم هصيص (ومنهم سهم[٧] ، وجُمَح[٨] ، وعدىّ[٩] ، ومرة .

* * *

---

(١) منهم سهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزى (من المؤلفة قلوبهم) ، وعبد الله بن أبى سرح ، ونوفل بن مساحق وعبد الله بن مخرمة (٢) منهم ابن قيس الرقيات ، وابن العرقة الذى رمى سعد بن معاذ يوم الخندق فأصاب أكحله فقال : خذها وأنا ابن العرقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عرق الله وجهك فى النار (٣) رهط سودة بنت زمعة زوج الرسول عليه الصلاة والسلام (٤) رهط عباد بن منصور قاضى البصرة

(٥) ينسبون إلى أمهم بنانة ، ومنهم أبو الطفيل الصحابى (٦) اندمجوا فى شيبان ومقاس العائدى الشاعر منهم (٧) منهم الحارث صاحب حكومة قريش ، وعمرو بن العاصى ، وقيس ابن عدى ، وحبيش بن حذافة (٨) منهم صفوان بن أمية من المؤلفة قلوبهم ، وأمية بن خلف قتل يوم بدر وأبو عزة الجمحى وعثمان بن مظعون وأبو محذورة مؤذن الرسول علية الصلاة والسلام (٩) منهم عمر بن الخطاب وسعيد بن زيدوزيد بن عمرو بن نفيل ، وعبدالله بن مطيع ، وأبو جهم بن حذيفة ،وخارجة بن حذافة ، وكان قاضياً لعمرو بن العاص ، فقتلهالخارجى يظنه عمراً ، وفيه قال : أردت عمراً وأراد الله خارجة .

ومن مرة : تيم بن[١] مرة ، وبنو مخزوم[٢] بن يقظة بن مرة ، وكلاب بن مرة

* * *

ومن كلاب بن مرة : بنو زهرة[٣] بن كلاب ، وبنو قصى بن كلاب .

* * *

ومن قصى[٤] بن كلاب : عبد العزى (ومنهم بنو أسد[٥]) ، وعبد الدار[٦] ، (ومنهم آل أبي طلحة بن عثمان) وعبد مناف .

* * *

ومن عبد مناف : المطلب[٧] ، ونوفل[٨] ، وعبد شمس ، وهاشم ،

---

(١) منهم أبو بكر الصديق ، وعبد الله بن جدعان ، وطلحة بن عبيد الله ، وعبيد الله بن معمر

(٢) منهم أبو جهل بن هشام بن المغيرة ، وخالد بن الوليد ، والمغيرة بن عبد الله ، وعمر بن عبد الله بن أبي ربيعة (الشاعر) ، وإسماعيل بن هشام بن المغيرة ، وسعيد بن المسيب (الفقيه)

(٣) منهم عبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وآمنة بنت وهب أم النبي عليه الصلاة والسلام

(٤) كان قصى عظيما فى قريش ، وهو الذى جمعهم بعد التفرق ، وفى ذلك يقول الشاعر :

أبوكم قصى حين يدعى مجمعا ... به جمع الله القبائل من فهر

وارتجع مفاتيح الكعبة من خزاعة بعد أن كانوا انتزعوها من بنى إسماعيل

(٥) منهم ورقة ابن نوفل ، ويزيد بن زمعة ، والزبير بن العوام ، والعاص بن هشام . وخويلد بن أسد أبو خديجة بنت خويلد وحزام بن خويلد

(٦) كانت بيدهم مفاتيح الكعبة دون سائر بنى قصى . ومنهم عثمان بن طلحة صاحب الحجابة ، وشيبة بن عثمان بن طلحة ، والحارث بن علقمة ، والنضر بن الحارث قتله النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأثيل

(٧) منهم عبيدة بن الحارث المقتول يوم بدر والإمام الشافعي

(٨) منهم نافع بن طريب الذى كتب المصاحف لعمر بن الخطاب ، وجبير بن مطعم والحارث بن عامر صاحب الرفادة ، ومسلم بن قرظة ؛ قتل يوم الجمل .

ومن عبد شمس : حبيب[١] بن عبد شمس ، وربيعة[٢] بن عبد شمس ، وعبد[٣] العزى بن عبد شمس ، وأمية بن عبد شمس الأكبر ، وأمية بن عبد شمس الأصغر .

ومن أمية الأكبر : العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص (ويسمون الأعياص[٤]) ، وحرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو أبو عمرو (ويسمون العنابس[٥]) .

ومن أمية الأصغر : العبلات[٦] .

* * *

ومن هاشم بن عبد مناف : نضلة ، وأسد وصيفى ، وأبو صيفى[٧] ، وعبد المطلب

* * *

وولد لعبد المطلب اثنا عشر ولداً منهم : أبو طالب ، والزبير ، وعبد الكعبة ، والعباس وضرار ، وحجْل ، وأبو لهب ، وقُثَم ، والغيْدَاق[٨] ، وعبد الله (أبو النبى ﷺ) .

---

(١) منهم عامر بن كريز (٢) هو أبو عتبة وشيبة ابنى ربيعة (٣) رهط أبى العاصى ابن الربيع ، وزوج ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) من الأعياص عثمان بن عفان ، وعتاب بن أسيد عامل النبى صلى الله عليه وسلم على مكة وآل سعيد من العاصى (٥) ومن العنابس آل سفيان بن حرب : معاوية وولده وإخوته (٦) منهم الثريا بنت عبد الله التى كان يشبب بها عمر بن أبى ربيعة (٧) نضلة وأسد وصيفى وأبو صيفى لم يشتهروا (٨) لقبه الحارث .

فهرس الأعلام

(غ)

(ى)

الأمم والقبائل

الأماكن

استدراك

وقع فى أثناء الطبع غلطات مطبعية ، نذكرها هنا ليستدركها القارئُ قبل أن يمضى فى قراءة الكتاب :

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣	١١	يكبُر	يكبَر
٥	١٢	أسرى	أسارى
٦	٢	محرُف	محرُوف
٦	٢١	القنة	القينة
١٢	١	١١٢	١٢
١٣	١٢	من	عن
٢٢	١٧	زينت	زينب
٢٤	٦	ولألحقنّك	ولَا لحقنّك
٢٤	١٤	فوطنته	فوطئته
٢٤	١٦	مخاطبه	مخالبه
٢٤	١٩	بطل	بكل
٢٤	٢١	امرّا	امرأً
٢٦	١٧	مطاليبهم	مطالبيهم
٢٧	١٩	مسلمة	مسلحة
٢٨	١٨	يرجى	يزجى
٣١	١٣	دراع	ذراع
٣٣	٩	فأهدى	فأهوى
٣٣	٢٠	المرّ	المهر
٣٤	٨	لقوْا	لقوا
٣٦	٣	الهامُرز	الهامَرْز

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٩	٢	الأمَن	الأمْن
٣٩	١٢	فيها	(تحذف)
٤٢	٢٠، ٢١	إناس	أناس
٤٥	٥	ضرعه	صرْعه
٤٦	١٦	٢٣١	٣٣١
٤٨	١٦	حرَب	عمرو
٤٨	٦	التباب	القباب
٤٩	١٧	عمر	عمرو
٥٦	١١	دمَن	دمْن
٦٦	١٠	قيس	امرئُ القيس
٦٨	١١	غرْبَةً	غربةٌ
٧١	١	ورأساه	وارأساه
٨٢	٥	فلبّت	فليت
٨٢	٥	جرّ	جُرّ
٨٦	١٠	ألْهَفَى	ألَهَفَى
٩٧	١٥	لِقَاح	لَقَاح
٩٧	١٥	هُيِّجُوا	هِيجوا
٩٧	١٩	اللقاح:ذوات الخ	اللقاح : الذين لم يدينوا للملوك
١٠١	١١	جارُكم	جارَكم

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٠٧	١٥	كأنْ	كان	١٩٧	٣	بنى بنى تميم	بنى تميم
١٠٧	١٩	حاشية ١ يضاف:	ورواية الأمثال نساء	١٩٧	٩	حباءة	حناءة
١٠٨	٧	وإن الشر	إن الشر	٢٣٣	١٥	لا مكذوبة	لا مكذبة
١٠٩	٢	لقاحًا	لَقَاحًا	٢٣٥	٥	بالإتارة	بالإتاوة
١١٨	١	شَقَرات	شفرَات	٢٦٤	١٣	فمصم	فقصم
١٢٤	١	الحجى	الحجا	٢٦٦	١٣	فرجعب	فرجعت
١٢٤	٢٠	الآمال	الأمالى	٢٧٢	٤	وَراد	وِرَادٍ
١٤٣	١١	بن	بنت	٢٨٦	٢٥	ينجح	ينج
١٤٩	١١	ما دراك	ما وراءك	٣٠٠	٥	غيِّب	غيَّب
١٤٩	٢٠	تغتلى	تفتلى	٣٠٠	٢٠	بقيت	أبقيت
١٥٢	١٨	١	٢	٣٤٠	٣	مواخض ولقاحى	مخائض ولقاح
١٥٢	١٨	٢	١	٣٤٠	١٤	مُسنام	سنام
١٦٦	٢٠	هِبلْتنِى	هَبِلْتَنِى	٣٤١	١٠	وردوه	ورده
١٧١	١	وليرعُوا	وليرعَوْا	٣٤٥	١١	جندج	حندج
١٧٢	١١	مسريه	سر به	٣٤٩	١٠	خلفائهم	حلفائهم
١٧٣	١٥	المحسل	المحل	٣٨٦	١٠	رعانيا	عانيا
١٧٣	٢١	غادرن	غادرنا	٣٨٨	١٥	أياد	إياد
١٧٤	١٠	وزر	وزار	٣٩٩	٢٠	خبز	جنز
١٧٥	١٣	بن ربيعة	من ربيعة	٤٠٠	٢	محلّة	مَحَلّة
١٨٠	٨	كمهوءة	كمهنوءة	٤٠٢	١٨	فلجّ الأمر	فلجّ فى الأمر

تنبيهات

١ — وضع « يوم سحبل » فى الباب الثانى صفحة ٨٥، والصواب أن يوضع فى الباب الثالث.

٢ — ذكرت قصيدة للخنساء فى رثاء صخر فى يوم حوزة الثانى صفحة ٢٩١، والصواب ذكرها بعد يوم الأثل صفحة ٤٠٠

٣ — وقع اضطراب فى شرح البيت الثانى صفحة ٣٤٠ والصواب هكذا:

قال التبريزى فى شرح هذا البيت: أى أقول: واسوء صباحاه. ونصب شجناً؛ لأنه مفعول له؛ لأن الشجن يحملها على الدعاء؛ هذا إذا جعلت الشجن الحزن والحاجة، وإن جعلته الحبيب نصبته لأنه مفعول به.

٤ — سقط من قصيدة ابن القائف فى يوم براخة صفحة ٣٨٨ البيت الرابع وهو:

ولعمرُ جدك ما الرقاد بطائش   رعش بديهته ولا عوّار

وإليه يرجع شرح رقم ١ صفحة ٣٨٩

دار إحياء الكتب العربية



تأليف

محمد أحمد جاد المولى بك
المفتش الأول للغة العربية

علي محمد البجاوي
المدرس بالمدارس الأميرية

محمد أبو الفضل إبراهيم
المدرس بالمدارس الأميرية

الطبعة الأولى

١٣٦١ هـ - ١٩٤٢ م

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر

مراجع الكتاب

الأغانى	: لأبى الفرج الأصفهانى
بلوغ الأرب فى أحوال العرب	: الالوسى
تاريخ الأمم والملوك	: لابن جرير الطبرى
تاريخ العرب قبل الإسلام	: لجورجى زيدان
تاريخ العرب القدامى	: للشيخ محمد فخر الدين
جمهرة أشعار العرب	: لأبى زيد محمد بن الخطاب القرشى
خزانة الأدب	: للبغدادى
ديوان امرئ القيس	:
ديوان الحماسة	:
ديوان علقمة الفحل	:
رغبة الآمل من كتاب الكامل	: للمرصفى
سرح العيون	: لابن نباتة المصرى
شرح ديوان الحماسة	: للتبريزى
شرح المفضليات	: لابن الأنبارى
الشعر والشعراء	: لابن قتيبة
شعراء النصرانية	: للويس شيخو
شواعر العرب	: «
العقد الفريد	: لابن عبد ربه
العمدة	: لابن رشيق
قصص العرب	: للمؤلفين
الكامل (فى الأدب)	: للمبرد

الكامل (فى التاريخ)	: لابن الأثير
لسان العرب	: لابن منظور
مجمع الأمثال	: للميدانى
المختار من نوادر الأخبار	: لمحمد بن أحمد الأنبارى
المزهر	: للسيوطى
المضاف والمنسوب	: للثعالبى
معجم البلدان	: لياقوت الحموى
معجم ما استعجم	: لأبى عبيد البكرى
نقائض جرير والفرزدق	: لأبى عبيدة معمر بن المثنى

الفهرس

١ — أيام العرب والفرس

— أيام القحطانية فيما بينهم

٣ — أيام القحطانيين والعدنانيين

٤ — أيام ربيعة فيما بينها

٥ — أيام ربيعة وتميم

٦ — أيام قيس فيما بينها

٧ — أيام قيس وكنانة

٨ — أيام قيس وتميم

٩ — أيام ضبة وغيرهم

١٠ — أيام متفرقة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تعتبر أيام العرب فى الجاهلية مصدراً خصيباً من مصادر التاريخ ، وينبوعاً صافياً من ينابيع الأدب ، ونوعاً طريفاً من أنواع القصص ؛ بما اشتملت عليه من الوقائع والأحداث ، وما روى فى أثنائها من نثر وشعر ، وما تدمّى خلالها من مأثور الحكم وبارع الحيل ، ومصطفى القول ورائع الكلام .

فهى توضح شيئاً من الصلات التى كانت قائمة بين العرب وغيرهم من الأمم كالفرس والروم ، وتروى كثيراً مما كان يقع بين العرب القحطانيين والعدنانيين من خلاف ، وبين العدنانيين أنفسهم من أسباب النزاع ؛ بل إنها سبيل لفهم ما وقع بين العرب بعد الإسلام من حروب شجرت بين القبائل ، ووقائع كانت بين البطون والأفخاذ والعشائر .

ثم هى فى أسلوبها القصصى ، وبيانها الفنى مرآة صافية لأحوال العرب وعاداتهم وأسلوب الحياة الدائرة بينهم ، وشأنهم فى الحرب والسلم ، والاجتماع والفرقة ، والفداء والأسر ، والنجعة والاستقرار ؛ وهى أيضاً مرآة صادقة تظهر فيها فضائلهم وشيمهم ؛ كالدفاع عن الحريم ، والوفاء بالعهد ، والانتصار للعشيرة ، وحماية الجار ، والصبر فى القتال ، والصدق عند اللقاء ، وغير هذا مما تراه واضحاً فى تلك الأيام .

ولو نظرت إلى الشعر الجاهلى فى جملته وتفصيله ، وبخاصة ما كان فى الفخر والحماسة والرثاء والهجاء ، فإنك تجده قد ارتبط بهذه الأيام ارتباطاً تامًّا ، فبينما كان

الفوارس يناضلون بسيوفهم ورماحهم ، ويجودون بنفوسهم رخيصة فى سبيل أقوامهم كان الشعراء من ورائهم يدفعون عن الأحساب بقصيدهم ، ويطلقون ألسنتهم فى خصومهم وأعدائهم ؛ ويندبون بقوافيهم صرعاهم والقتلى من أشرافهم وزعمائهم ؛ ترى ذلك ممثلا فى شعر الأعشى، وعنترة، وابن حلزة، وعامر بن الطفيل، وأبى قيس بن الأسلت ، وقيس بن الخطيم، وعبد يغوث بن صلاءة ، والمهلهل بن ربيعة ، والخنساء، وصخر ومعاوية ابنى عمرو ، وحسان بن ثابت، وغيرهم ممن ظهر أثر الأيام فى شعره من قريب أو بعيد .

وما تحدث به الرواة من أخبار مساعير الحرب ، وما امتلأت به الكتب من ذكر المغاوير من أبطال الوقائع ؛ هذه الأيام هى مورد أقاصيصهم ، وساحة بطولتهم، ومَسْرَدُ حوادثهم ؛ فبسطام بن قيس سيد شيبان ، وربيعة بن مكدم فارس كنانة ، ودريد بن الصمة قائد جشم ، وجساس بن مرة قاتل كليب ، وهاشم بن حرملة صاحب الشماء . . . هؤلاء وغيرهم من قروم الحرب وأحلاس الخيل ، قد سجّلوا فى هذه الأيام مواقف ومغاورات تملأ القلوب دهشة وإعجابًا .

ولم تخل هـذه الحروب من زعماء قبائل ، ورؤساء عشائر ، كانوا فى زعامتهم ورياستهم مُثلاً عليا فى نصاحة الرأى ، وإصابة الحزّ، والتهدّى إلى مواطن الصواب ؛ وفيما أُثِر عن أكثم بن صيفى، وقيس بن عاصم المنقرى ، والحارث بن عباد البكرى، وعبد الله بن جُدعان القرشى ما هو جديد على الزمن ، باقٍ على مر العصور .

* * *

بيد أن هذه الأيام على خطرها وجليل شأنها ليس بأيدى الناس كتاب خاص بها ينظم عقدها ، ويجمع شتاتها ، ويسهل الانتفاع منها ؛ نعم قد روى صاحب كشف

الظنون وغيره أن أبا عبيدة قد ألف فيها كتابًا صغيراً حوَى خمسة وسبعين يوما ، وآخر كبيراً جمع فيه ألفًا ومائتى يوم ، وأن أبا الفرج الأصفهانى ألّف كتابًا جمع فيه ألفًا وسبعمائة يوم ؛ ولكن شيئًا من ذلك لم يقع إلينا ، وكل ما عرفناه روايات منتثرة فى كتب الأدب والتاريخ ؛ ككتاب الأغانى والنقائض والعقد الفريد ومعجم البلدان وابن الأثير والمسعودى ومعجم ما استعجم ، وهى متفرقة لا يحدها نظام ، ولا تجتمع فى باب ؛ هذا إلى اختلاف الرواية ، واضطراب الشعر ، وتحريف الأعلام .

ومحينما أخرجنا كتابنا « قصص العرب » قطعنا على أنفسنا للقراء عهداً أن نُفرد للأيام كتابًا خاصًا يجمع شتيتها، ويؤلف بين رواياتها ، ويرسم معالمها وحدودها؛ وهانحن أولاء نخرجه اليوم كتابًا قد اجتهدنا فى تنسيقه وتهذيبه ، وتأنقنا فى جمعه وتبويبه ، وجعلنا أساس تقسيمه الفروق الجنسية ، أو العصبية القَبَليّة ؛ إذ كان مثار الحفائظ ومبعث الحروب الخلافَ فى الجنس أحيانًا ، وفى أُصول القبائل أحيانا ؛ وأتْبعنا كل يوم ما ورد فيه من شعر ؛ وبذلنا الجهد فى ضبطه وشرحه ، واخترنا الروايات الصحيحة يكمل بعضها بعضًا ، مشيرين إلى غيرها من الروايات .

وهذا الكتاب — وإن كان معقوداً للأيام التى وقعت فى العصر الجاهلى — قد تضمن قليلا من الأيام التى حدثت فى الإسلام كيوم الوقبى ويوم الشيطين ويوم سحبل ؛ إذ أنها فى أسبابها لم تخرج عن أسباب الأيام الجاهلية من خلاف حول الآبار ومواقع السحاب ؛ أو اعتداء على جار ، أو انتهاك لحريم . أما الأيام التى وقعت فى الإسلام وكانت وليدة الخلافات السياسية والدينية والمذهبية فقد أفردنا لها كتابًا خاصًا نرجو أن يكون قريبًا فى أيدى القراء .

هـذا ، وقد اقتصرنا على الأيام المشهورة التى وصـل إلينا تفصيـل حوادثها وذكر أسبابهـا ورواية أشعارها وقصائدها ؛ أما الأيام التى لم يقع فى الـكتب إلا ذكر عنواناتها مجردة من الحوادث وذكر الأسباب، فقد جاوزها اختيارنا، إذ كان الغرضُ من هذا الـكتاب خبراً يروى ، أو قصة تحـكى ، أو مثلا يؤثر ، أو شعراً يذكر . .

والله نسأل أن يجعله عملا نافعًا مقبولاً .

رمضان ١٣٦١
سبتمبر ١٩٤٢

المؤلفون